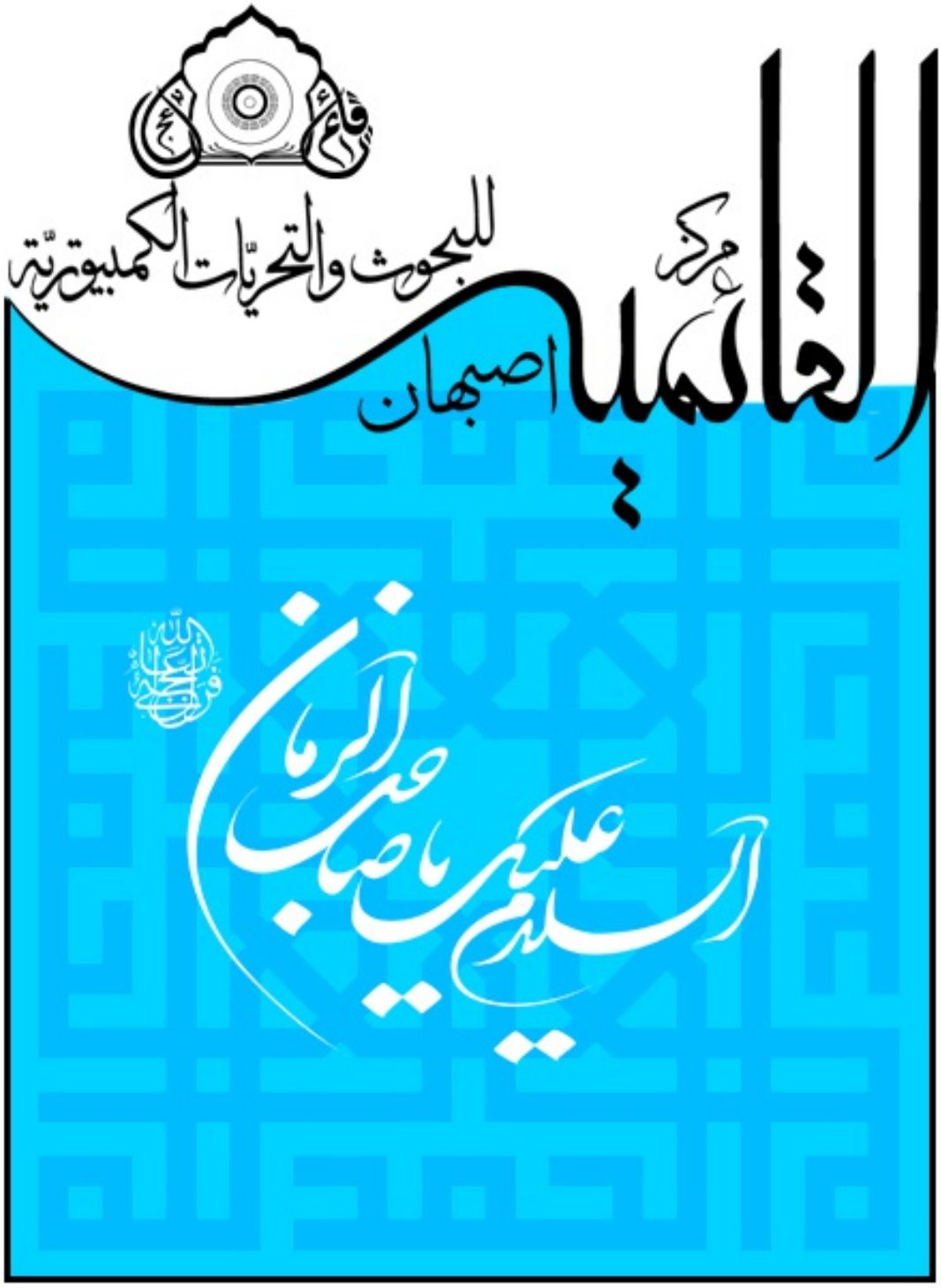

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

فتوح البلدان

الإمام أبو الحسن البلاذري

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوح البلدان

كاتب:

احمد بن يحيى بلاذرى

نشرت فى الطباعة:

دارو مكتبة الهلال

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
فتوح البلدان ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
الکتاب و المؤلف ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
* هذا الکتاب: ----- ۱۰
* المؤلف: ----- ۱۰
مولده و تحصیله: ----- ۱۱
مشایخه: ----- ۱۱
تلامیذه و رواته: ----- ۱۱
رحلته: ----- ۱۱
کتبه و مصنفاته: ----- ۱۲
مکانة البلاذری العلمیة: ----- ۱۲
أدب البلاذری و شعره: ----- ۱۳
انتقاله إلی دار البقاء: ----- ۱۴
هجرة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من مکة إلی المدینة المنورة ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
أموال بنی النضیر ----- ۲۱
أموال بنی قریظة ----- ۲۲
غزوة خیبر ----- ۲۳
فتح فدک ----- ۲۶
أمر وادی القری و تیماء ----- ۲۹
فتح مکة المکرمة ----- ۲۹

ذکر حفائر مکة ----- ۳۵
أمر السیول بمکة ----- ۳۷
فتح الطائف ----- ۳۸
فتح تبالة و جرش ----- ۴۰
غزوة تبوک و أیلة و ذرح و مقنا و الجرباء ----- ۴۰
فتح دومة الجندل ----- ۴۱
صلح تجران ----- ۴۲
وفود أهل الیمن إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم و إسلامهم ----- ۴۴
فتح عمان ----- ۴۷
غزوة البحرین ----- ۴۸
دعوة النبی صلی اللّه علیه و سلم أهل الیمامة إلی الإسلام ----- ۵۲
خبر ردة العرب فی خلافة أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه ----- ۵۵
ردة بنی ولیعة و الأشعث بن قیس ابن معدی کرب بن معاویة الکندی ----- ۵۸
أمر الأسود العنسی و من ارتد معه بالیمن ----- ۶۰
فتوح الشام ----- ۶۱
شخوص خالد بن الولید إلی الشام و ما فتح فی طریقه ----- ۶۲
فتح بصری ----- ۶۳
یوم أجنادین ----- ۶۳
یوم فحل من الأردن ----- ۶۴
أمر الأردن ----- ۶۴
. یوم مرج الصفر ----- ۶۵
فتح مدینة دمشق و أرضها ----- ۶۷
أمر حمص ----- ۷۱
یوم الیرموک ----- ۷۳

أمر فلسطين ---- ۷۴
أمر جند قنسرين و المدن التى تدعى العواصم ---- ۷۷
أمر قبرص ---- ۸۰
أمر السامرة ---- ۸۳
أمر الجراجمة ---- ۸۳
فتح الثغور الشامية ---- ۸۵
فتوح الجزيرة ---- ۸۹
أمر نصارى بن تغلب بن وائل ---- ۹۳
غزو الثغور الجزرية ---- ۹۴
فتح ملطية ---- ۹۵
نقل ديوان الرومية ---- ۹۸
فتوح أرمينية ---- ۹۹
فتوح مصر و المغرب ---- ۱۰۶
فتح الاسكندرية ---- ۱۱۰
فتح برقة و زويلة ---- ۱۱۲
فتح أطرابلس ---- ۱۱۲
فتح إفريقية ---- ۱۱۳
فتح طنجة ---- ۱۱۵
فتح الأندلس ---- ۱۱۵
فتح جزائر فى البحر ---- ۱۱۷
صلح التوبة ---- ۱۱۷
أمر القراطيس ---- ۱۱۹
فتوح سواد العراق (خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه) ---- ۱۱۹
خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ---- ۱۲۳

یوم قس الناطف و هو یوم الجسر ۱۲۴
یوم مهران و هو یوم النخیلة ۱۲۴
یوم القادسیة ۱۲۵
فتح المدائن ۱۲۹
یوم جلولاء الوقیعة ۱۲۹
ذکر تمصیر الکوفة ۱۳۴
أمر واسط العراق ۱۴۱
أمر البطائح ۱۴۲
أمر مدینة السلام ۱۴۳
نقل دیوان الفارسیة ۱۴۵
فتح الجبال (حلوان) ۱۴۶
فتح نهاوند ۱۴۶
صلح الدینور و ماسبذان و مهرجا نقذف ۱۴۸
فتح همذان ۱۴۹
فتح قم و قاشان و أصبهان ۱۵۰
مقتل یزدجرد بن شهریار بن کسری أبرویز بن هرمز بن أنوشروان ۱۵۱
فتح الری و قومس ۱۵۲
فتح قزوین و نجبار ۱۵۴
فتح أذربیجان ۱۵۶
فتح الموصل ۱۵۸
فتح شهرزور و الصامغان و درباذ ۱۵۹
فتح جرجان و طبرستان و نواحیها ۱۶۰
فتوح کور دجلة ۱۶۲
تمصیر البصرة ۱۶۵

أمر الأساورة و الزط ----- ۱۷۶
فتح کور الأهواز ----- ۱۷۸
فتح کور فارس و کرمان ----- ۱۸۲
فتح سجستان و کابل ----- ۱۸۵
فتوح خراسان ----- ۱۸۹
فتوح السند ----- ۲۰۱
فی أحکام أرض الخراج ----- ۲۰۷
العطاء فی خلافة عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه ----- ۲۰۸
امر الخاتم ----- ۲۱۴
أمر النقود ----- ۲۱۶
أمر الخط ----- ۲۱۸
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۲۰

فتوح البلدان

اشارة

سرشناسه : بلاذری، احمدبن یحیی، - ق۲۷۹

عنوان و نام پدیدآور : ... فتوح البلدان/ لاحمد بن یحیی بن جابر البغدادی (اشهیر بالبلاذری)

مشخصات نشر : [بیروت].

مشخصات ظاهری : ه، ص ۴۸۰

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

شماره کتابشناسی ملی : ۲۳۹۶۰

موضوع: جغرافیای عمومی

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: دار و مکتبه الهلال

سال چاپ: ۱۹۸۸ م

نوبت چاپ: اول

الکتاب و المؤلف

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحیم

* هذا الکتاب:

کتاب فتوح البلدان، لمؤلفه المؤرخ، الرحالة، أحمد بن یحیی بن جابر بن داود البلاذری و یظهر أنه مختصر عن کتاب أطول منه، سماه «کتاب البلدان الکبیر» و لم یکمله.

و یتحدث هذا الکتاب عن أخبار الفتوح الإسلامیة بلدا بلدا من أیام النبی صلّی اللّه علیه و سلّم. کما یضم فضلا عن الفتوح أبحاثا عمرانیة و سیاسیة لم یتطرق إلیها أی من کتب التاریخ: کأحکام الخراج، و العطاء، و أمر الخاتم، و النقود، و غیرها ...

و یعتبر هذا الکتاب من أجمع کتب الفتوح و أصحها، و قد طبع عدة طبعات منها: طبعة لیدن عام ۱۸۷۰ م بعنایة المستشرق «دی غویه». و الطبعة العربیة عام ۱۹۰۱ م طبع مصر.

* المؤلف:

هو المؤرخ، النسابة، الرحالة، الروایة الثقة، المحدث، الأدیب،

فتوح البلدان، ص: ۶

الشاعر أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود المعروف بالبلاذرى.

مولده و تحصيله:

ولـد البلاذرى فى أواخر القرن الثانى للهجرة، نشأ فى بغـداد، و وقف حياته على العلم و الأدب و المعرفـة، و جاب البلدان و طوّف فى أنحاء المعمورة باحثا و منقبا و دارسا.

مشايخه:

نشـأ البلاـذرى فى بغـداد، و تقرب من المتوكـل، و المسـتعين، و المعتز و كـانت بغـداد فى هـذا العصـر منهلاـ دفقـا من مناهل العلم و المعرفة، يرتادها طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامى، و يستقر فى كنفها العلماء و الشعراء و الأدباء و الفقهاء، ينشرون المعرفة و الفقه و الأدب.

و قد تلقى البلاذرى العلم على جمهرة من علماء هذا العصر ذكرهم ياقوت فى المعجم نقلا عن ابن عساكر فى تاريخ دمشق فقال:

«سـمع بدمشق هشام بن عمار، و أبا حفص بن عمر بن سعيد، و بحمص محمد بن مصفى، و بأنطاكية محمد بن عبد الرحمن بن سهم، و أحمـد بن برد الأنطـاكى، و بـالعراق عفـان بن مسـلم، و عبـد الأعلى بن حماد، و على بن المـدينى، و عبـد اللّه بن صالـح العجلى، و مصـعبا الزبيرى، و أبـا عبـد القاسم بن سـلام، و عثمان بن أبى شـيبة، و أبا الحسن على بن محمـد المـدائنى، و محمـد بن سـعد كاتب الواقدى. و جماعة ...».

كما درس على شـيبان بن فروخ، و أحمد بن إبراهيم الدورقى، و محمد بن الصـباح الدولابى، و محمد بن حاتم السـمين، و عباس بن الوليـد النرسـى، و عبـد الواحـد بن غيـاث، و أبى الربيع الزهرانى، و إسـحاق بن إسـرائيل، و عمرو الناقـد، و الحسن بن على بن الأسود العجلى، و خلف البزار، و غيرهم ...

فتوح البلدان، ص: ۷

تلاميذه و رواته:

افتتح البلاذرى ندوة علمية ارتادها طلاب العلم و المعرفة و تخرج منها علماء و فقهاء و أدباء منهم: عبد اللّه ابن الخليفة المعتز الشاعر و الكاتب و المترجم (عن الفارسـية)، و محمـد بن إسـحاق النديم مصـنف كتاب الفهرست الذى جود فيه مما يدل على اطلاعه و تبحره فى فنون من العلم، و جعفر بن قدامة صاحب كتاب الخراج، و يعقوب بن نعيم، و عبد اللّه بن سعد الوراق، و محمد بن خلف، و وكيع القاضى.

كما روى عنه يحيى بن النديم، و أحمد بن عبد اللّه بن عمار، و أبو يوسف، يعقوب بن نعيم قرقارة الأزنى.

رحلته:

بعد أن شبّ البلاذرى عن الطوق، و غرف بشـغف من رحيق العلم، و تضلع من معين العلم و العلماء فى بغداد، تاقت نفسه للقيام برحلة إلى الشـرق لزيادة علمه و معارفه و ثقافته. فكانت رحلته الميمونـة التى انطلق بها مغادرا بغداد بإيمان عميق فاتجه إلى حلب، و دمشق، و حمص، و العراق، و منبج، و أنطاكيه و الثغور. و زار جميع المدن الواقعة شـمال الشام، ثم تحوّل منها إلى بلاد ما بين النهرين و ساح تكريب، فكان يجمع خلال رحلته هذه الروايات التى حفظها الخلف عن السلف و يقارنها بما حفظه عن علماء بغداد.

و تعتبر رحلة البلاذرى الإنجاز الكبير فى حياته الأدبية و العلمية الحافلة و هى من أسباب نبوغه فى العلم.

کتبه و مصنفاته:

اهتم البلاذری اهتماما کبیرا بالکتابة و التصنیف و انصرف بعقل نابغ و جهد مجد بلا کلل و لا خمول، و ورد من مناهل العلوم فسطر ببراعة ما خلد ذکره و وضعه فی مصاف الخالدین برغمه خاتمة المؤرخین. و قد وضع عدة مؤلفات منها:

فتوح البلدان، ص: ۸

۱- فتوح البلدان الکبیر أو «کتاب البلدان الکبیر» و هو لم یتم.

۲- فتوح البلدان أو «کتاب البلدان الصغیر» و هو کتابنا هذا الذی قال فیه المستشرق «دی غویه»: «اشتغل البلاذری منذ نعومة أظفاره بتألیف کتاب جامع لتاریخ الدول الإسلامیة، أتی فیه علی الحقائق التاریخیة دون أن یغضب خلیفة وقته ...».

۳- أنساب الأشراف. و یسمی أیضا الأخبار و الأنساب و هو کتاب مطول فی عشرین مجلدا لم یتمه و کان ضائعا. و قد عثر المستشرق الألمانی «أهلوارد» فی. مکتبة «شیفر» علی الجزء الحادی عشر من کتاب فی التاریخ لیس علیه اسم، فرجح أنه أحد أجزاء کتاب أنساب الأشراف فطبعه فی «غریز ولد» عام ۱۸۸۳ م. و یقع فی أربعمائة و خمسین صفحة، و فیه کثیر من أخبار بنی أمیة و أخبار الخوارج.

۴- عهد أردشیر: الذی ترجمه عن اللغة الفارسیة دون الاکتفاء بالترجمة بل صاغه شعرا رقیقا.

۵- کتاب الأخبار.

۶- قال بعض المؤرخین أن البلاذری قد جمع قبیل وفاته مواد کثیرة و مفیدة بقصد وضع کتاب جامع یقع فی أربعین مجلدا.

مکانة البلاذری العلمیة:

الرحلة التی قام بها البلاذری حیث تجول فی الأقطار و الأمصار جعلته بعد عودته إلی بغداد مزودا بالعلوم و المعارف، یفضل الاستقرار و الاعتکاف فی خلوته لیلقی دروسه و محاضراته علی الطلاب، الذین کانوا یرتادون مجلسه لیرتشفوا من علمه و أدبه، و رغم انشغاله بالتدریس فقد خصص الکثیر من وقته للتألیف و التصنیف، حتی جاءت مؤلفاته آیة فی الدقة و الروعة و السلاسة، مما جعله محط أنظار الأمراء و العلماء و الحکام.

و مما قاله عنه صاحب کتاب «إرشاد الأریب إلی معرفة الأدیب»:

«کان أحمد بن یحیی بن جابر البلاذری عالما فاضلا، شاعرا، راویة،

فتوح البلدان، ص: ۹

نسابة متقنا». و قال ابن الندیم فی تاریخ حلب: «کاتب، شاعر مجید، راویة الأخبار و الآداب». و قال عبید اللّه بن أحمد بن أبی طاهر: «کاتب، شاعر، راویة، أحد البلغاء».

و وصفه المستشرق «دی غویه» فقال: «و کما أن البلاذری قد عرف له قدره معاصروه و مواطنوه، فنحن کذلک لا یسعنا إلا الإقرار له بالجمیل، إذ یؤخذ من کثیر من روایاته فی مؤلفه أنه لم یقصر قط فی جعل هذه الروایات مکانا للثقة، جدیرة بالتصدیق، فإنه لم یکتف بسماعه إیاها من أوثق علماء بغداد، بل کان یتکبد الأسفار، و یجوب البحار، بحثا عن الحقیقة التی هی ضالته المنشودة».

و وصفه أحد المستشرقین الألمان فقال: «إن البلاذری من المؤرخین الذین یمتازون بسلامة الذوق فی انتقاء ما یستحق الروایة من بین ما یجمعونه من المواد».

و مما یلفت النظر فی کتاب البلاذری الحقائق التاریخیة الهامة الدقیقة التی أوردها، و التی یتعذر العثور علیها فی کتاب آخر، خاصة ما یتعلق منها بوصف المدن القدیمة التی اندثرت، و لم یبق من معالمها إلا الأطلال البالیة، و رغم ذلک فقد اتصل بمن عاصر تلک المدن أثناء مجدها و حضارتها و أخذ عنهم کل ما یعرفونه عن تلک الأطلال.

أما معلوماته الدقيقة التى أوردها عن تاريخ الأقاليم و الأمصار و الدساكر التى فتحها العرب فقد جاءت موجزة مفيدة صادقة، باعتبار كتابه موجزا عن الكتاب الكبير الذى كان ينوى تأليفه قبل أن يتوفاه اللّه.

و هنا لا بد لنا من الاشارة إلى أن البلاذرى رغم أنه نشأ فى كنف خلفاء الدولة العباسية، و استفاد من خيراتهم، و اختص به بعض الخلفاء، كالمتوكل، و المستعين، اللذين كانت لهما عليه الأيادى البيضاء لما يقدماه له من مساعدات مادية، و معنوية، فقد حرص فى مؤلفه على إيراد الحقائق المجردة دون أن يعمد كغيره من المؤرخين إلى النفاق و المدح،

فتوح البلدان، ص: ۱۰

و أخبرنى داود بن حبال الأسدى عن أشياخ من قومه: أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال لطليحة: أنت الكذاب على اللّه حين زعمت أنه أنزل عليك إن اللّه لا يصنع بتعفير وجوهكم و قبح أدباركم شيئا فاذكروا اللّه أعفة قياما فإن الرغوة فوق الصريح، فقال يا أمير المؤمنين: ذلك من فتن الكفر الذى هدمه الإسلام كله، فلا تعنيف على ببعضه فأسكت عمر، قالوا: و أتى خالد بن الوليد رمان و أبانين و هناك فل بزاخة فلم يقاتلوه و بايعوه لأبى بكر، و بعث خالد بن الوليد هشام بن العاصى بن وائل السهمى و أخا عمرو بن العاصى، و كان قديم الإسلام و هو من مهاجرة الحبشة إلى بنى عامر بن صعصعة فلم يقاتلوه و أظهروا الإسلام و الأذان فانصرف عنهم، و كان قرة بن هبيرة القشيرى امتنع من أداء الصدقة و أمد طليحة فأخذه هشام بن العاصى و أتى به خالدا فحمله إلى أبى بكر، فقال: و اللّه ما كفرت مذ آمنت و لقد مر بى عمرو بن العاصى منصرفا من عمان فأكرمته و بررته فسأل أبو بكر عمرا رضى اللّه عنهما عن ذلك فصدقه فحقن أبو بكر دمه، و يقال: أن خالدا كان سار إلى بلاد بنى عامر فأخذ قرة و بعث به إلى أبى بكر.

قال: ثم سار خالد بن الوليد إلى الغمر و هناك جماعة من بنى أسد و غطفان و غيرهم و عليهم خارجة بن حصن بن حذيفة، و يقال انهم كانوا متسايدين قد جعل كل قوم عليهم رئيسا منهم قالوا خالدا و المسلمين فقتلوا منهم جماعة و انهزم الباقون، و فى يوم الغمر يقول الحطيئة العبسى:

ألا كل أرماح قصار أذلة* فداء لارماح الفوارس بالغمر ثم أتى خالد جو قراقر، و يقال أتى النقرة و كان هناك جمع لبنى سليم عليهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزى السلمى و أمه الخنساء فقاتلوه فاستشهد رجل من المسلمين ثم فض اللّه جمع المشركين، و جعل خالد يومئذ يحرق

فتوح البلدان، ص: ۱۱

تتعرض لأحد ليبقى بها وجهك عليك، و لك علىّ ألا تحتاج ما عشت إلى شىء من أمر دنياك، كبير و لا صغير، على حسب حكمك و شهوتك.

قال: ثم أجرى لى الجرايات و الأرزاق السنية، و تابع جوائزه فما احتجت منذ ذلك و إلى الآن إلى غير جوائزه و السبعة آلاف، فأنا أنفق من جميع ذلك و لا أخلق نفسى بالتعرض، و أترحم عليه.

أدب البلاذرى و شعره:

كان البلاذرى فى طليعة العلماء و الأدباء، ينظم الشعر الحسن، و يصوغ البيان الدقيق، يتصف بالشجاعة و الزهد و الصفاء، وصفه التاريخ بالأديب الزاهد المنقطع النظير، قال عنه الشافعى فى تاريخ دمشق: قال أحمد بن جابر البلاذرى قال لى محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى ذلك ذكره، و يزول عنك إثمه، فقلت:

استعدى يا نفسى للموت و اسعى لنجاة فالحازم المستعد

قد تثبت أنه ليس للحى خلودو لا من الموت بد

إنما أنت مستعيره ما سوف تردين، و العوارى ترد

أنت تسهين و الحوادث لا تسهوو تلهين، و المنايا تجد

لا ترجى البقاء فى معدن الموت، و دار حقوقها لك ورد

أى ملك فى الأرض أم أى حظلامرئ حظه من الأرض لحد

كيف تهوى امرؤ لداره رأياما عليه الأنفاس فيها تعد

و من شعره:

لما رأيتك زاهياو رأيتنى أجفى ببابك

عديت رأس مصليتىو حجبت نفسى عن حجابك

انتقاله إلى دار البقاء:

ظل البلاذرى فى عطاء مستمر، و إنتاج ضخم، حتى توفاه اللّه سنة

فتوح البلدان، ص: ۱۲

۲۷۹ هجرية، مخلفا العديد من المؤلفات التاريخية القيمة التى احتلت فيما بعد مكانا مرموقا فى كافة الأوساط العلمية و الأدبية، فخلدته شامخا إلى أبد الآبدين.

لجنة تحقيق التراث فى دار و مكتبة الهلال

فتوح البلدان، ص: ۱۳

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

هجرة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من مكة إلى المدينة المنورة

اشارة

- قال أحمد بن يحيى بن جابر: أخبرنى جماعة من أهل العلم بالحديث و السيرة و فتوح البلدان- سقت حديثهم و اختصرته و رددت من بعضه على بعض- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لما هاجر إلى المدينة من مكة نزل على كلثوم ابن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن أمية ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس بقباء، و كان يتحدث عنده سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك أحد بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس حتى ظن قوم إنه نزل عنده.

و كان المتقدمون فى الهجرة من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و من نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجدا يصلون فيه، و الصلاة يومئذ إلى بيت المقدس، فلما ورد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قباء صلى بهم فيه، فأهل قباء يقولون إنه المسجد الذى يقول اللّه تعالى فيه لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، و روى أن المسجد الذى أسس على التقوى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. حدثنا عفان بن مسلم الصفار، قال حدثنا حماد بن سلمة، قال أخبرنى هشام بن عروة عن عروة أنه قال فى هذه الآية وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ قال كان سعد بن خيثمة بنى مسجد قباء، و كان موضعه للبئ تربط فيه حمارها، فقال أهل الشقاق أ نحن نسجد فى موضع كان يربط فيه حمار لبئ لا و لكنا نتخذ مسجدا نصلى فيه حتى يجيئنا أبو عامر

فتوح البلدان، ص: ۱۴

فيصلى بنا فيه، و كان أبو عامر قد فر من اللّه و رسوله إلى أهل مكة ثم لحق بالشام فتنصر فأنزل اللّه تعالى وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً

ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ يعنى أبا عامر. و حدثنا روح بن عبد المؤمن المقرى، قال حدثنى بهز بن أسد، قال حدثنا حماد بن زيد، قال أخبرنا أيوب عن سعيد بن جبير، أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجدا فصلى بهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيه، فحسدهم أخوتهم بنو غنم بن عوف، فقالوا لو بنينا أيضا مسجدا و بعثنا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يصلى فيه كما صلى فى مسجد أصحابنا، و لعل أبا عامر أن يمر بنا إذا أتى من الشام فيصلى بنا فيه، فبنوا مسجدا و بعثوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يسألونه أن يأتيه فيصلى فيه فلما قام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لينطلق إليهم أتاه الوحى فنزل عليه فيهم وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ قال هو أبو عامر لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ قال هذا مسجد قباء. و

حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون قال حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام عن الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا أرسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أهل مسجد قباء، فقال: ما هذا الطهور الذى ذكرتم به، قالوا يا رسول اللّه انا نغسل أثر الغائط و البول.

و حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا وكيع عن ابن أبى الليل عن عامر، قال كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء، فنزلت فيهم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) الآية.

حدثنى عمرو بن محمد الناقد و أحمد بن هشام بن بهرام، قالا حدثنا وكيع بن الجراح، قال أخبرنا ربيعة بن عثمان عن عمران بن فتوح البلدان، ص: ۱۵

أبى أنس عن سهل بن سعد، قال: اختلف رجلان على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما هو مسجد الرسول، و قال الآخر هو مسجد قباء، فأتيا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فسألاه فقال هو مسجدى هذا.

حدثنا عمرو بن محمد و محمد بن حاتم بن ميمون، قالا حدثنا وكيع عن ربيعة بن عثمان التيمى عن عثمان بن عبيد اللّه بن أبى رافع عن ابن عمر قال المسجد الذى أسس على التقوى مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم.

حدثنا محمد بن حاتم، قال حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد اللّه بن عامر الأسلمى، عن عمران بن أبى أنس عن سهل بن سعد عن أبى بن كعب، قال: سئل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن المسجد الذى أسس على التقوى، فقال هو مسجدى هذا.

قال حدثنى هدبة بن خالد. قال حدثنا أبو هلال الراسبى، قال أخبرنا قتادة عن سعيد بن المسيب فى قوله لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى قال هو مسجد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الأعظم. حدثنا على بن عبد اللّه المدينى، قال حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن خارجة ابن زيد بن ثابت، قال المسجد الذى أسس على التقوى مسجد الرسول عليه السلام. حدثنا عفان، قال: حدثنا وهيب، قال حدثنا داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب، قال المسجد الذى أسس على التقوى مسجد المدينة الأعظم حدثنا محمد بن حاتم ابن ميمون السمين قال حدثنا وكيع، حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه، قال: هو مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم يعنى الذى أسس على التقوى قالوا و قد وسع مسجد قباء بعد و زيد فيه و كان عبد اللّه بن عمر إذا دخله صلى إلى الاسطوانة المخلقة و كان ذلك مصلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قالوا و أقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بقباء يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و ركب منها يوم الجمعة يريد المدينة فجمع فى مسجد كان بنو سالم بن عوف

فتوح البلدان، ص: ۱۶

ابن عمرو بن عوف بن الخزرج بنوه، و كانت تلك أول جمعة جمع فيها

ثم مر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بمنازل الأنصار منزلا منزلا و كلهم يسأله النزول عليه حتى إذا انتهى إلى موضع مسجده بالمدينة بركت ناقته فنزل عنها و جاء أبو أيوب، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن

عمرو بن الخزرج فأخذ رحله فنزل صلى اللّه عليه و سلم عند أبى أيوب و أراده قوم من الخزرج على النزول عندهم فقال: المرء مع رحله فكان مقامه فى منزل أبى أيوب سبعة أشهر و نزل عليه تمام الصلاة بعد مقدمه بشهر و وهبت الأنصار لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كل فضل كان فى خططها و قالوا يا نبى اللّه إن شئت فخذ منازلنا فقال لهم خيرا،

قالوا: و كان أبو أمامة أسعد بن زرارة ابن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب النقباء يجمع يمن يليه من المسلمين فى مسجد له فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يصلى فيه ثم أنه سأل أسعد أن يبيعه أرضا متصلة بذلك المسجد كانت فى يده ليتيمين فى حجره يقال لهما سهل و سهيل، ابنا رافع ابن أبى عمرو بن عابدين ثعلبة بن غنم، فعرض عليه أن يأخذها و يغرم عنه اليتيمين ثمنها، فأبى رسول صلّى اللّه عليه و سلّم ذلك، و ابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه، ثم إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمر باتخاذ اللبن، فاتخذ و بنى به المسجد و رفع أساسه بالحجارة و سقف بالجريد و جعلت عمده جذوعا، فلما استخلف أبو بكر رضى اللّه عنه لم يحدث فيه شيئا، و استخلف عمر رضى اللّه عنه فوسعه و كلم العباس بن عبد المطلب رضى اللّه عنه فى بيع داره ليزيدها فيه فوهبها العباس للّه و المسلمين فزادها عمر رضى اللّه عنه فى المسجد، ثم أن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه بناه

فتوح البلدان، ص: ۱۷

فى خلافته بالحجارة و القصة و جعل عمده حجارة و سقفه بالساج و زاد فيه و نقل اليه الحصباء من العقيق، و كان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم ابن العاص بن أمية، بناها بحجارة منقوشة ثم لم يحدث فيه شىء إلى أن ولى الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه فكتب إلى عمر بن عبد العزيز و هو عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد و بنائه، و بعث إليه بمال و فسيفساء و رخام و ثمانين صانعا من الروم و القبط من أهل الشام و مصر فبناه و زاد فيه و ولى القيام بأمره و النفقة عليه صالح بن كيسان مولى سعدى مولاة آل معيقيب ابن أبى فاطمة الدوسى و ذلك فى سنة سبع و ثمانين، و يقال فى سنة ثمان و ثمانين ثم لم يحدث فيه أحد من الخلفاء شيئا حتى استخلف المهدى أمير المؤمنين صلاة اللّه عليه، قال الواقدى بعث المهدى عبد الملك بن شبيب الغسانى و رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها و الزيادة فيه و عليها يومئذ جعفر بن سليمان بن على، فمكثا فى عمله سنة و زادا فى مؤخره مائة ذراع فصار طوله ثلاثمائة ذراع و عرضه مائتى ذراع، و قال على بن محمد المدائنى ولى المهدى أمير المؤمنين جعفر بن سليمان مكة و المدينة و اليمامة فزاد فى مسجد مكة و مسجد المدينة، فتم بناء مسجد المدينة فى سنة اثنين و ستين و مائة، و كان المهدى أتى المدينة فى سنة ستين قبل الحج فأمر بقلع المقصورة و تسويتها مع المسجد، و لما كانت سنة سبع و أربعين و مائتين أمر أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه رحمه اللّه بمرمة مسجد المدينة، فحمل اليه فسيفساء كثير و فرغ منه فى سنة سبع و أربعين و مائتين.

حدثنى عمر بن حماد بن أبى حنيفة قال حدثنا مالك بن أنس، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة فان المدينة فتحت بالقرآن».

حدثنا شيبان بن أبى شيبة الابلى قالت: حدثنا أبو الأشهب قال أخبرنا الحسن أن

فتوح البلدان، ص: ۱۸

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال «أن لكل نبى حرما، و أنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة ما بين حرتيها لا يختلى خلاها و لا يعضد شجرها و لا يحمل فيها السلاح لقتال، فمن أحدث حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين، لا يقبل منه صرف و لا عدل»

و حدثنى روح بن عبد المؤمن البصرى المقرى، قال حدثنا أبو عوانة «عن عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «اللهم ان إبراهيم عبدك و رسولك، و أنا عبدك و رسولك، و إنى قد حرمت ما بين لابتيها

كما حرم إبراهيم مكة،

فكان أبو هريرة يقول: و الذى نفسى بيده لو أجد الظباء ببطحان ما عانيتها» و حدثنا سيبان بن أبى شيبة قال: حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى عن محمد بن زياد عن جده، و كان مولى عثمان بن مظعون، و كانت فى يده أرض لآل مظعون بالحرة، قال. كان عمر بن الخطاب ربما أتانى نصف النهار واضعا ثوبه على رأسه فيجلس إلى و يتحدث عندى فأجيئه من القثاء و البقل، فقال لى يوما لا تبرح فقد استعملتك على ما ههنا و لا تدعن أحدا يخبط شجرة و لا يعضدها يعنى من شجر المدينة، فان وجدت أحدا يفعل ذلك فخذ حبله و فأسه، قال قلت آخذ ثوبه قال لا.

و حدثنى أبو مسعود بن القتات، قال حدثنا ابن أبى يحيى المدنى عن جعفر بن محمد عن أبيه، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حرم من الشجر ما بين أحد إلى عير «و أذن لصاحب الناضح فى الغضا و ما يصلح به محارثه و عربه.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال حدثنا عبد اللّه بن صالح، عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال سمعت عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يقول لرجل استعمله عن حمى الربذة نسى بكر اسمه اضمم جناحك عن كل مسلم، و اتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، و أدخل رب الصريمة و الغنيمة، و دعنى من نعم ابن عفان و ابن عوف فإنهما أن تهلك ماشيتهما

فتوح البلدان، ص: ۱۹

ترجعا إلى زرع، و إن هذا البائس ان تهلك ماشيته يجىء فيصرخ يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين، فالكلاء أهون على المسلمين من غرم المال ذهبه و ورقه، و اللّه انها لأرضهم قاتلوا عليها فى الجاهلية و أسلموا عليها فى الإسلام و انهم ليرون أنى أظلمهم، و لولاء النعم التى تحمل عليها فى سبيل اللّه ما حميت عن الناس من بلادهم شيئا أبدا.

حدثنا القاسم بن سلام أبو عبيد، قال حدثنى ابن أبى مريم، على العمرى، عن نافع عن ابن عمر، قال حمى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم النقيع لخيل المسلمين، قال لى أبو عبيد بالنون و قال النقيع فيه قاع زرق و هو الخندقون.

و حدثنى مصعب بن عبد اللّه الزبيرى عن أبيه، عن ابن الدراوردى عن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه عن سعد بن أبى وقاص، أنه وجد غلاما يقطع الحمى فضربه و سلبه فأسه، فدخلت مولاته أو امرأة من أهله على عمر رضى اللّه عنه فشكت إليه سعدا، فقال عمر رد الفأس و الثياب، أبا إسحاق رحاك، فأبى و قال لا أعطى غنيمة غنمنيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، سمعته يقول: من وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه و أسلبوه، فاتخذ من الفأس مسحاة فلم يزل يعمل بها فى أرضه حتى توفى.

و حدثنا أبو الحسن المطائنى، عن ابن جعدبة و أبى معشر، قال لما كان النبى صلى اللّه عليه و سلم بظريب التعاويل مقدمه من غزوة ذى قرد قالت له بنو حارثة من الأنصار: يا رسول اللّه، ههنا مسارح ابلنا، و مرعى غنمنا، و مخرج نسائنا، يعنون موضع الغابة، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من قطع شجرة فليغرس مكانها ودية، فغرست الغابة.

و حدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى، قال حدثنا حماد بن سلمة، قال أخبرنا محمد بن إسحاق، عن أبى مالك بن ثعلبة، عن أبيه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قضى فى وادى مهزور أن يحبس الماء فى الأرض الى الكعبين، فإذا بلغ الكعبين أرسل الى الأخرى، لا يمنع الأعلى الأسفل. و حدثنا إسحاق بن

فتوح البلدان، ص: ۲۰

أبى إسرائيل، قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قضى فى سيل مهزور أن الأعلى يمسك على من أسفل منه حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسله على من أسفل منه، و حدثنى عمر بن حماد بن أبى حنيفة. قال حدثنا مالك بن أنس، عن عبد اللّه بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن أبيه، قال قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى سيل مهزور و مذينيب أن يحبس الماء حتى يبلغ الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل، قال مالك و قضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى سيل بطحان بمثل ذلك.

و حدثنی الحسین بن الأسود العجلی، قال حدثنا یحیی بن آدم، قال حدثنا یزید بن عبد العزیز، عن محمد بن إسحاق قال حدثنا أبو مالک بن ثعلبة بن أبی مالک عن أبیه، قال اختصم إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی مهزور وادی بنی قریظة فقضی أن الماء إلی الکعبین لا یحبسه الأعلی علی الأسفل،

و حدثنی الحسین، قال حدثنا یحیی بن آدم قال حدثنا حفص ابن غیاث، عن جعفر بن محمد عن أبیه قال قضی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی سیل مهزور أن لأهل النخل إلی العقبین، و لأهل الزرع إلی الشراکین. ثم یرسلون الماء إلی من هو أسفل منهم.

و حدثنی حفص بن عمر الدوری قال حدثنا عباد بن عباد، قال: حدثنا هشام بن عروة عن عروة، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بطحان علی ترع من ترع الجنة.

و حدثنی علی بن محمد المدائنی أبو الحسن عن ابن جعدبة و غیره، قالوا أشرفت المدینة علی الغرق فی خلافة عثمان من سیل مهزور حتی اتخذ له عثمان ردما قال أبو الحسن و جاء أیضا بماء مخوف عظیم فی سنة ست و خمسین و مائة فبعث إلیه عبد الصمد بن علی بن عبد اللّه بن العباس، و هو الأمیر یومئذ، عبید اللّه بن أبی سلمة العمری، فخرج و خرج الناس بعد صلاة العصر، و قد ملأ السیل صدقات رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فدلتهم عجوز من أهل العالیة علی موضع کانت

فتوح البلدان، ص: ۲۱

تسمع الناس یذکرونه، فحفروه فوجد الماء منسربا، فغاص منه إلی وادی بطحان، قال و من مهزور إلی مذینیب شعبة یصب فیها.

حدثنی محمد بن أبان الواسطی، قال حدثنا أبو هلال الراسبی، قال حدثنا الحسن، قال:

«دعا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم للمدینة و أهلها و سماها طیبة»، و حدثنی أبو عمر حفص بن عمر الدوری، قال حدثنا عباد بن عباد عن هشام ابن عروة، عن أبیه عن عائشة أم المؤمنین قالت لما هاجر رسول صلی اللّه علیه و سلم إلی المدینة مرض المسلمون بها، فکان ممن اشتد به مرضه أبو بکر، و بلال و عامر بن فهیرة، فکان أبو بکر رضی اللّه عنه یقول فی مرضه:

کل امرئ مصبح فی أهلهو الموت أدنی من شراک نعله

و کان بلال رضی اللّه عنه یقول:

ألا لیت شعری هل أبیتن لیلةبفخ و حولی أذخر و جلیل

و هل أردن یوما میاه مجنةو هل تبدون لی شامة و طفیل

و کان عامر بن فهیرة یقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقهان الجبان حتفه من فوقه

(کل امرئ مجاهد بطوقه)کالثور یحمی جلده بروقه

قال فأخبر النبی صلی اللّه علیه و سلم بذلک، فقال «اللهم طیب لنا المدینة کما طیبت لنا مکة و بارک لنا فی مدها و صاعها».

حدثنا الولید بن صالح، قال حدثنا الواقدی، عن محمد بن عبد اللّه، عن الزهری، عن عروة، أن رجلا من الأنصار خاصم الزبیر بن العوام فی اشراج الحرة، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم «اسق یا زبیر ثم أرسل إلی جارک»

و أخبرنی علی الأثرم، عن أبی عبیدة، قال الاشراج مسائل الماء فی الحرار، و الحرة أرض مفروشة بصخر، قال و قال

فتوح البلدان، ص: ۲۲

الأصمعی، مسائل من الحرار إلی السهولة. حدثنی الحسین بن علی بن الأسود العجلی، قال حدثنا یحیی بن آدم، قال حدثنا یزید بن عبد العزیز، حدثنا هشام ابن عروة عن أبیه، قال: أقطع عمر رضی اللّه عنه العقیق حتی انتهی إلی أرض فقال ما أقطعت مثلها، قال خوات بن جبیر أقطعنیها فاقطعه إیاها، و حدثنی الحسین، قال حدثنا یحیی بن آدم، عن یزید بن عبد العزیز، عن هشام بن عروة عن أبیه قال أقطع عمر العقیق ما بین أعلاه إلی أسفله، و حدثنی الحسین، قال حدثنا حفص بن غیاث، عن هشام بن عروة قال خرج عمر

يقطع النـاس و خرج معه الزبير فجعـل عمر يقطع حتى مر بـالعقيق، فقـال أين المسـتقطعون مـذ اليوم ما مررت بقطعـة أجود منها، فقال الزبير أقطعنيها فاقطعه إياها.

و حـدثنى الحسـين، قال حـدثنى يحيى بن آدم، قال حـدثنا أبو معاويـة الضـرير، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال أقطع عمر العقيق كله حتى انتهى إلى قطيعة خوات بن جبير الأنصارى، فقال أين المستقطعون، ما أقطعت اليوم أجود من هذه و حدثنا خلف بن هشام البزار، قـال حـدثنا أبو بكر ابن عيـاش، قـال حـدثنا هشـام بن عروة عن أبيه، قـال أقطع عمر بن الخطاب خوات بن جبير الأنصارى أرضا مواتا فاشتريناهـا منـه، حـدثنى الحسين بـن الأسـود، قـال حـدثنا يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عيـاش، عن هشـام عن أبيه بمثله. و حـدثنى الحسين، قال حدثنى يحيى بن آدم، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة عن عروة، قال أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجرف إلى قناة، و أخبرنى أبو الحسن المـدائنى، قال قناة واد يأتى من الطائف و يصب إلى الأرحضـية، و قرقرة الكـدر، ثم يأتى سـد معاويـة ثم يمر على طرف القـدوم و يصب فى أصل قبور الشـهداء بأحد. و حدثنا أبو عبيد القاسم بن سـلام، قال حدثنا إسـحاق بن عيسـى، عن مالك بن أنس، عن ربيعة، عن قوم من علمائهم، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أقطع بلال

فتوح البلدان، ص: ۲۳

ابن الحارث المزنى معادن بناحيـة الفرع. و حدثنى عمرو الناقد و ابن سـهم الأنطاكى، قالا حدثنا الهيثم بن جميل الأنطاكى، قال حدثنا حماد بن سـلمة، عن أبى مكين، عن أبى عكرمة، مولى بلال بن الحارث المزنى، قال أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بلالا أرضا فيهـا جبل و معـدن، فباع بنو بلال عمر بن عبـد العزيز أرضا منها فظهر فيها معـدن أو قال معـدنان، فقالوا إنما بعناك أرض حرث و لم نبعك المعادن، و جاءوا بكتاب النبى صلى اللّه عليه و سلم لهم فى جريدة فقبلها عمر و مسح بها عينه و قال لقيمه: أنظر ما خرج منها و ما أنفقت و قاصـهم بالنفقـة و رد عليهم الفضل. و حـدثنا أبو عبيـد، قال حدثنا نعيم ابن حماد، عن عبد العزيز بن محمد، عن ربيعة بن أبى عبـد الرحمن، عن الحـارث ابن بلالـ بن الحارث المزنى، عن أبيه بلال بن الحارث، أن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أقطعه العقيق أجمع و حدثنى مصـعب الزبيرى، قال: قال مالك بن أنس أقطع رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم بلال بن الحارث معادن بناحية الفرع لاـ اختلاـف فى ذلك بين علمائنا، و لا أعلم بين أحـد من أصـحابنا خلافا أن فى المعـدن الزكاة ربع العشـر، قال مصـعب: و روى عن الزهرى أنه كـان يقول: فى المعـادن الزكـاة، و روى عنه أيضـا قال، فيها الخمس مثل قول أهل العراق، و هم يأخـذون اليوم من معادن الفرع، و نجران و ذى المروة، و وادى القرى، و غيرهـا الخمس، على قول سـفيان الثورى، و أبى حنيفـة، و أبى يوسف و أهل العراق و حدثنى الحسين بن الأسود، قال حدثنا وكيع بن الجراح، قال حدثنا الحسن ابن صالح بن حى، عن جعفر بن محمد أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سـلم أقطع عليا رضى اللّه عنه أربع أرضين الفقيرين، و بئر قيس، و الشجرة. و حدثنى الحسين عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، عن جعفر بن محمد مثله.

و حدثنى عمرو بن محمد الناقد، قال: حدثنا حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد

فتوح البلدان، ص: ۲۴

عن أبيه، أنه قـال: أقطع عمر بن الخطـاب عليـا رضـى اللّه عنهمـا ينبع فأضـاف إليها غيرها. و حـدثنى الحسـين، عن يحيى بن آدم، عن حفص بن غياث، عن جعفر بن محمد عن أبيه بمثله، و حدثنى من أثق به، عن مصعب بن عبد اللّه الزبيرى، أنه قال: نسبت بئر عروة بن الزبير إلى عروة بن الزبير، و نسب حوض عمرو إلى عمرو بن الزبير، و نسب خليـج بنات نائلـة إلى ولد نائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان بن عفان، و كان عثمان بن عفان رضـى اللّه عنه اتخذ هذا الخليج، و ساقه إلى ارض استخرجها و اعتملها بالعرضة، و أرض أبى هريرة نسبت إلى أبى هريرة الدوسـى، و الصـهوة صدقـة عبد اللّه بن عباس رضـى اللّه عنهما فى جبل جهينة و قصـر نفيس ينسب فيما يقال إلى نفيس التاجر ابن محمـد بن زيـد بن عبيـد بن المعلى بن لوذان بن حارثـة بن زيد من الخزرج و هم حلفاء بنى ذريق بن عبد حارثـة من الخزرج و هـذا القصـر بحرة واقم بالمدينـة و استشـهد عبيـد بن المعلى يوم أحد قال و يقال أنه نفيس بن محمد بن زيد بن

عبید بن مرة مولی المعلی فان عبیدا هذا و أباه من سبی عین التمر و مات عبید بن مرة أیام الحرة و کان یکنی أبا عبد اللّه قال: و بئر عائشة نسبت إلی عائشة بن نمیر بن واقف. و عائشة رجل و هو من الأوس، و بئر المطلب علی طریق العراق، نسبت إلی المطلب بن عبد اللّه بن حنطب بن الحارث بن عبید بن عمر بن مخزوم، و بئر ابن المرتفع نسبت إلی محمد بن المرتفع بن النضیر العبدری.

حدثنی محمد بن سعد، عن الواقدی عن عبد اللّه بن جعفر عن شریک ابن عبد اللّه عن أبی نمر اللیثی، عن عطاء بن یسار مولی میمونة بنت الحارث ابن حزن بن بحیر الهلالیة قال لما أراد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أن یتخذ السوق بالمدینة قال: هذا سوقکم لا خراج علیکم فیه،

و حدثنی العباس بن

فتوح البلدان، ص: ۲۵

هشام الکلبی، عن أبیه عن جده، محمد بن السائب، و شرقی بن القطامی الکلبی، قالا لما هدم بختنصر بیت المقدس، و أجلی من أجلی و سبی من سبی من بنی إسرائیل لحق قوم منهم بناحیة الحجاز فنزلوا وادی القری، و تیماء و یثرب، و کان بیثرب قوم من جرهم، و بقیة من العمالیق قد اتخذوا النخل و الزرع، فأقاموا معهم و خالطوهم فلم یزالوا یکثرون و تقل جرهم و العمالیق، حتی نفوهم عن یثرب و استولوا علیها، و صارت عمارتها و مراعیها لهم فمکثوا علی ذلک ما شاء اللّه، ثم ان من کان بالیمن من ولد سبأ ابن یشجب بن یعرب بن قحطان بغوا و طغوا و کفروا نعمة ربهم فیما آتاهم من الخصب و رفاهة العیش، فخلق اللّه جرذانا جعلت تنقب سدا کان لهم بین جبلین فیه أنابیب یفتحونها إذا شاءوا فیأتیهم الماء منها علی قدر حاجتهم و إرادتهم، و السد العرم، فلم تزل تلک الجرذان تعمل فی ذلک العرم حتی خرقته، فأغرق اللّه تعالی جنانهم، و ذهب بأشجارهم و أبدلهم خمطا واثلا و شیئا من سدر قلیلا، فلما رأی ذلک مزیقیا، و هو عمر بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القیس ابن مازن بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالک بن زید بن کهلان بن سبأ ابن یشجب بن یعرب بن قحطان، باع کل شیء له من عقار و ماشیة و غیر ذلک و دعا الأزد متی صاروا معه إلی بلادعک فأقاموا بها. و قال عمرو:

الانتجاع قبل العلم عجز، فلما رأت عک غلبة الأزد علی أجود مواضعهم غمها ذلک، فقالت للأزد انتقلوا عنا، فقام رجل من الأزد أعور أصم یقال له جذع، فوثب بطائفة منهم فقتلهم و نشبت الحرب بین الأزد و عک، فانهزمت الأزد ثم کرت فقال جذع فی ذلک:

نحن بنو مازن غیر شکغسان غسان و عک عک

سیعلمون أینا أرک و کانت الأزد نزلت بماء یقال له غسان، فسموا بذلک، ثم إن الأزد

فتوح البلدان، ص: ۲۶

سارت حتی انتهت إلی بلاد حکم بن سعد العشیرة بن مالک بن أدد بن زید ابن یشجب بن عریب بن زید بن کهلان بن سبأ بن یشجب بن یعرب بن قحطان، فقاتلوهم فظهرت الأزد علی حکم. ثم انه بدا لهم الانتقال عن بلادهم فانتقلوا و بقیت طائفة منهم معهم، ثم أتوا نجران فحاربهم أهلها فنصروا علیهم فأقاموا بنجران ثم رحلوا عنها إلا قوم منهم تخلفوا بها لأسباب دعتهم إلی ذلک فأتوا مکة و أهلها جرهم فنزلوا بطن مر، و سأل ثعلبة بن عمرو مزیقیا جرهم أن یعطوهم سهل مکة فأبوا، فقاتلهم حتی غلب علی السهل، ثم أنه و الأزد استوبوا مکانهم و رأوا شدة العیش به فتفرقوا. فأنت طائفة منهم عمان، و طائفة السراة و طائفة الأنبار و الحیرة، و طائفة الشام، و أقامت طائفة منهم بمکة، فقال جذع! کلما صرتم یا معاشر الأزد إلی ناحیة انخزعت منکم جماعة یوشک أن تکونوا أذنابا فی العرب، فسمی من أقام بمکة خزاعة، و أتی ثعلبة بن عمرو، مزیقیا و ولده و من تبعه یثرب، و سکانها الیهود فأقاموا بها خارج المدینة، ثم انهم عفوا و کثروا و عزوا حتی أخرجوا الیهود منها و دخلوها فنزلت الیهود خارجها، فالأوس و الخزرج ابنا حارثة ابن ثعلبة بن عمرو مزیقیا بن عامر و أمهما قیلة بنت الأرقم بن عمرو، و یقال أنها غسانیة من الأزد و یقال أنها عذریة، و کانت للأوس و الخزرج قبل الإسلام وقائع و أیام تدربوا فیها بالحروب و اعتادوا اللقاء، حتی شهر بأسهم، و عرفت نجدتهم، و ذکرت شجاعتهم، و جل فی قلوب العرب

أمرهم، و هابوا حدهم فامتنعت حوزتهم و عز جارهم، و ذلک لما أراد اللّه من إعزاز نبیه صلی اللّه علیه و سلم و إکرامهم بنصرته، قالوا و لما قدم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم المدینة کتب بینه و بین یهود یثرب کتابا، و عاهدهم عهدا، و کان أول من نقض و نکس منهم، یهود بنی قینقاع، فاجلاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عن المدینة، و کان أول أرض افتتحها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أرض بنی النضیر

.

فتوح البلدان، ص: ۲۷

أموال بنی النضیر

قال: أتی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بنی النضیر من یهود و معه أبو بکر، و عمر، و أسید بن حضیر، فاستعانهم فی دیة رجلین من بنی کلاب ابن ربیعة موادعین له کان عمرو بن أمیة الضمری قتلهما فهموا بأن یلقوا علیه رحا فانصرف عنهم و بعث إلیهم یأمرهم بالجلاء عن بلده إذ کان منهم ما کان من الغدر و النکث، فأبوا ذلک و أذنوا بالمحاربة، فزحف إلیهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فحاصرهم خمس عشرة لیلة، ثم صالحوه علی أن یخرجوا من بلده، و لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة و الآلة و لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أرضهم و نخلهم و الحلقة و سائر السلاح (و الحلقة الدروع) فکانت أموال بنی النضیر خالصة لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و کان یزرع تحت النخل فی أرضهم فیدخل من ذلک قوت أهله و أزواجه سنة، و ما فضل جعله فی الکراع و السلاح و أقطع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من أرض بنی النضیر، أبا بکر، و عبد الرحمن بن عوف، و أبا دجانة سماک ابن خرشة الساعدی و غیرهم، و کان أمر بنی النضیر فی سنة أربعة من الهجرة، قال الواقدی و کان مخیریق أحد بنی النضیر حبرا عالما، فآمن برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و جعل ماله له و هو سبعة حوائط، فجعلها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم صدقة، و هی المیثب و الصافیة و الدلال، و حسنی، و برقة، و الأعوف، و مشربة أم ابراهیم بن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و هی ماریة القبطیة.

حدثنا القاسم بن سلام، قال حدثنا عبد اللّه بن صالح، قال أخبرنا اللیث ابن سعد عن عقیل عن الزهری، أن وقیعة بنی النضیر من یهود کانت علی ستة أشهر من یوم أحد، فحاصرهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حتی نزلوا

فتوح البلدان، ص: ۲۸

علی الجلاء و علی أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة إلا الحلقة فأنزل اللّه فیهم (سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ) إلی قوله (وَ لِیُخْزِیَ الْفاسِقِینَ) و حدثنا الحسین بن الأسود قال حدثنا یحیی بن آدم، عن ابن أبی زائدة، عن محمد بن اسحاق فی قوله (ما أَفاءَ اللَّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْهُمْ)، قال من بنی النضیر (فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لا رِکابٍ وَ لکِنَّ اللَّهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلی مَنْ یَشاءُ)، قال أعلمهم انها لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خالصة دون الناس، فقسمها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی المهاجرین إلا أن سهل بن حنیف، و أبا دجانة ذکرا فقرا فأعطاهما، قال و أما قوله (ما أَفاءَ اللَّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُری فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ) إلی آخر الآیة، قال: هذا قسم آخر بین المسلمین علی ما وصفه اللّه. و حدثنی محمد بن حاتم السمین، قال حدثنا الحجاج بن محمد عن ابن جریح، عن موسی بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر، قال أحرق رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم نخل بنی النضیر و قطع و فی ذلک یقول حسان ابن ثابت:

لهان علی سراة بنی لؤی‌حریق بالبویرة مستطیر

قال ابن جریح و فی ذلک نزلت (ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَةٍ أَوْ تَرَکْتُمُوها قائِمَةً عَلی أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِیُخْزِیَ الْفاسِقِینَ) «اللینة النخلة». و حدثنا أبو عبید قال حدثنا حجاج، عن ابن جریح، عن موسی عن نافع، عن ابن عمر بمثله و قال أبو عمر الشیبانی، الراویة و غیره من الرواة أن هذا الشعر لأبی سفیان ابن الحارث بن عبد المطلب و إنما هو.

لعز على سراة بنى لؤىحريق بالبويرة مستطير

و يروى بالبويلة. فأجابه حسان بن ثابت فقال:

أدام اللّه ذلكم حريقاو ضرم فى طوائفها السعير

فتوح البلدان، ص: ۲۹ هم أوتوا الكتاب فضيعوهفهم عمى عن التوراة بور

و حدثنى عمرو بن محمد الناقد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن معمر، عن الزهرى، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال عمر بن الخطاب كانت أموال بنى النضير مما أفاء اللّه على رسوله و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب فكانت له خالصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، و ما بقى جعله فى الكراع و السلاح عدة فى سبيل اللّه.

حدثنا هشام بن عمار الدمشقى، قال حدثنا حاتم بن إسماعيل قال حدثنا أسامة بن زيد، عن ابن شهاب، عن مالك بن أوس بن الحدثان أنه أخبره أن عمر بن الخطاب، قال كانت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثلاث صفايا، مال بنى النضير و خيبر، و فدك، فأما أموال بنى النضير فكانت حبسا لنوائبه، و أما فدك فكانت لأبناء السبيل، و أما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء، فقسم جزأين منها بين المسلمين و حبس جزءا لنفسه و نفقة أهله، فما فضل من نفقتهم رده الى فقراء المهاجرين و حدثنا الحسين بن الأسود، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا سفيان عن الزهرى قال. كانت أموال بنى النضير مما أفاء اللّه على رسوله و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب فكانت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالصة فقسمها بين المهاجرين و لم يعط أحدا من الأنصار منها شيئا إلا رجلين كانا فقيرين، سماك بن خرشة أبا دجانة، و سهل بن حنيف.

و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، أبى الكلبى، قال لما ظهر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على أموال بنى النضير، و كانوا أول من أجلى قال اللّه تبارك و تعالى (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) و الحشر الجلاء، فكانت مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم للأنصار ليست لإخوانكم

فتوح البلدان، ص: ۳۰

من المهاجرين أموال، فإن شئتم قسمت هذه و أموالكم بينكم و بينهم جميعا، و إن شئتم أمسكتم أموالكم و قسمت هذه فيهم خاصة، فقالوا. بل قسم هذه فيهم و اقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت (وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ)

فقال أبو بكر: جزاكم اللّه يا معشر الأنصار خيرا، فو اللّه ما مثلنا و مثلكم إلا كما قال الغنوى

جزى اللّه عنا جعفرا حين أزلقتبنا نعلنا فى الوطأتين فزلت

أبوا أن يملونا و لو أن أمناتلاقى الذى يلقون منا لملت

فذو المال موفور و كل معصبإلى حجرات أدفأت و أظلت

و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم، قال أخبرنا قيس بن الربيع، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الزبير بن العوام أرضا من أرض بنى النضير ذات نخل. و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى، قال حدثنا يزيد بن عبد العزيز، عن هشام بن عروة عن أبيه. قال أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من أموال بنى النضير. و اقطع الزبير. و حدثنى محمد بن سعد. كاتب الواقدى. قال حدثنا أنس بن عياض. و عبد اللّه بن نمير قالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، أن النبى صلى اللّه عليه و سلم أقطع الزبير أرضا من أموال بنى النضير فيها نخل. و أن أبا بكر أقطع الزبير الجرف.

قال أنس فى حديثه أرضا مواتا. و قال عبد اللّه بن نمير فى حديثه. و ان عمر أقطع الزبير العقيق أجمع.

أموال بنى قريظة

قالوا حاصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بنى قريظة لليال من ذى القعدة و ليال من ذى الحجة سنة خمس. فكان حصارهم خمس عشرة ليلة و كانوا ممن

فتوح البلدان، ص: ۳۱

أعان على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى غزوة الخندق، و هى غزوة الأحزاب ثم انهم نزلوا على حكمه، فحكم فيهم سعد بن معاذ الأوسى، فحكم بقتل من جرت عليه المواسى، و بسبى النساء و الذرية، و ان يقسم ما لهم بين المسلمين، فأجاز رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك، و قال: لقد حكمت بحكم اللّه و رسوله.

حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما فرغ من الأحزاب دخل مغتسلا ليغتسل، فجاءه جبريل، فقال: يا محمد قد وضعتم أسلحتكم و ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بنى قريظة فقالت عائشة يا رسول اللّه لقد رأيته من خلل الباب، و قد عصب التراب رأسه.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى، عن عمارة بن خزيمة، عن كثير بن السائب أن بنى قريظة عرضوا على النبى صلى اللّه عليه و سلم، فمن كان منهم محتلما أو قد نبتت عانته قتل، و من لم يكن احتلم و لا نبتت عانته ترك.

و حدثنى وهب بن بقية، قال حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام عن الحسن قال: عاهد حيى بن أخطب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على أن لا يظاهر عليه أحدا و جعل اللّه عليه كفيلا، فلما أتى به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم قريظة و بابنه، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: لقد أوفى الكفل، ثم أمر به فضربت عنقه و عنق ابنه، حدثنى بكر بن الهيثم، قال حدثنا عبد الرزاق، عن معمر قال سألت الزهرى، هل كانت لبنى قريظة أرض، فقال سديد اقسمها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بين المسلمين على السهام. و حدثنى الحسين بن الأسود قال:

حدثنا يحيى بن آدم، عن أبى بكر بن عياش، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: قسم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أموال بنى قريظة و خيبر بين المسلمين حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح،

فتوح البلدان، ص: ۳۲

كاتب الليث عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهرى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حاصر بنى قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فقضى بأن تقتل رجالهم، و سبى ذراريهم، و تقسم أموالهم، فقتل منهم يومئذ كذا و كذا رجلا.

غزوة خيبر

قالوا غزا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر فى سنة سبع، فطاوله أهلها و ماكثوه و قاتلوا المسلمين، فحاصرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قريبا من شهر، ثم أنهم صالحوه على حقن دمائهم، و ترك الذرية على أن يجلوا و يخلوا بين المسلمين و بين الأرض و الصفراء و البيضاء و البزة، إلا ما كان منها على الأجساد و أن لا يكتموه شيئا، ثم قالوا لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ان لنا بالعمارة و القيام على النخل علما فأقرنا،

فأقرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عاملهم على الشطر من الثمر و الحب، و قال: أقركم ما أقركم اللّه،

فلما كانت خلافة عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه ظهر فيهم الوباء، و تعبثوا بالمسلمين، فأجلاهم عمر، و قسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا زياد بن عبد اللّه بن طفيل، عن محمد بن إسحاق، قال سألت بن شهاب عن خيبر، فأخبرنى أنه بلغه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم افتتحها عنوة بعد القتال، و كانت مما أفاء اللّه على رسوله صلى

اللّه علیه و سلم، فخمسها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و قسمها بین المسلمین، و نزل من ترک من أهلها علی الجلاء، فدعاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی المعاملة ففعلوا. و حدثنی عبد الأعلی بن حماد النرسی، قال حدثنا حماد بن سلمة عن عبید اللّه بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: أتی رسول اللّه صلی اللّه علیه

فتوح البلدان، ص: ۳۳

و سلم أهل خیبر فقاتلهم حتی ألجاهم إلی قصرهم و غلبهم علی الأرض و النخل و صالحهم علی أن یحقن دماءهم و یجلوا و لهم ما حملت رکابهم، و لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الصفراء و البیضاء و الحلقة، و اشترط علیهم أن لا یکتموا، و لا یغیبوا شیئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم و لا عهد، فغیبوا مسکا فیه مال و حلی لحیی ابن أخطب، و کان احتمله معه الی خیبر حین أجلیت بنو النضیر،

فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لسعیة بن عمرو ما فعل مسک حیی الذی جاء به من قبل بنی النضیر قال أذهبته الحروب و النفقات، قال: العهد قریب، و المال کثیر،

و قد کان حیی قتل قبل ذلک، فدفع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم سعیة إلی الزبیر فمسه بعذاب، فقال رأیت حیبا یطوف فی خربة ههنا، فذهبوا الی الخربة ففتشوها فوجدوا المسک، فقتل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ابنی أبی الحقیق، و أحدهما زوج صفیة بنت حیی بن أخطب، و سبی نساءهم و ذراریهم، و قسم أموالهم للنکث الذی نکثوا فأراد أن یجلیهم عنها، فقالوا دعنا نکن فی هذه الأرض نصلحها و نقوم علیها، و لم یکن لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه غلمان یقومون بها، و کانوا لا یفرغون للقیام علیها بأنفسهم، فأعطاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خیبر علی أن لهم الشطر من کل زرع و نخل و شیء ما بدا لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم،

فکان عبد اللّه بن رواحة یأتیهم فی کل عام فیخرصها علیهم ثم یضمنهم الشطر، فشکوا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم شدة خرصه و أرادوا أن یرشوه فقال یا أعداء اللّه أ تطعموننی السحت و اللّه لقد جئتکم من عند أحب الناس إلی و أنکم لأبغض إلی من عدتکم من القرود و الخنازیر. و لن یحملنی بغضی لکم و حبی إیاه علی أن لا أعدل علیکم، فقالوا بهذا قامت السماوات و الأرض.

قال و رأی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بعین صفیة بنت حیی خضرة فقال یا صفیة ما هذه الخضرة

فتوح البلدان، ص: ۳۴

فقالت کان رأسی فی حجر ابن أبی الحقیق و أنا نائمة، فرأیت کأن قمرا وقع فی حجری، فأخبرته بذلک فلطمنی، و قال أ تمنین ملک یثرب،

قالت: و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أبغض الناس إلی قتل زوجی و أبی و أخی، فما زال یعتذر و یقول ان أباک ألب علی العرب و فعل و فعل حتی ذهب ذلک من نفسی، قال و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یعطی کل امرأة من نسائه ثمانین و سقا من تمر کل عام، و عشرین و سقا من شعیر من خیبر، قال نافع فلما کان عمر بن الخطاب عاثوا فی المسلمین و غشوهم و ألقوا ابن عمر من فوق بیت و فدغوا یدیه، فقسمها عمر رضی اللّه عنه بین المسلمین ممن کان شهد خیبر من أهل الحدیبیة.

و حدثنا الحسین بن الأسود، حدثنا یحیی بن آدم، عن زیاد البکائی، عن محمد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن أبی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال حصر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أهل خیبر فی حصنیهم الوطیح و سلالم، فلما أیقنوا بالهلکة سألوه أن یسیرهم و یحقن دماءهم ففعل، و کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قد حاز الأموال کلها الشق و النطاة و الکتیبة و جمیع حصونهم إلا ما کان فی هذین الحصنین، حدثنا الحسین بن الأسود قال حدثنا یحیی بن آدم، قال حدثنا عبد السلام بن حرب، عن شعبة، عن الحکم، عن عبد الرحمن بن أبی لیلی فی قوله تعالی: (وَ أَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً)، قال خیبر (وَ أُخْری لَمْ تَقْدِرُوا عَلَیْها) فارس و الروم.

حدثنا عمر و النقد، حدثنا یزید بن هارون، أخبرنا یحیی بن سعید عن بشیر بن یسار، أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قسم خیبر علی ستة و ثلاثین سهما و جعل کل سهم مائة سهم فعزل نصفها لنوائبه و ما ینزل به و قسم النصف الباقی بین المسلمین فکان سهم رسول اللّه

صلى اللّه عليه و سلم فيما قسم الشق و النطاة و ما حيز

فتوح البلدان، ص: ۳۵

معهما، و كان فيما وقف الكتيبة و سلالم، فلما صارت الأموال فى يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لم يكن له من العمال من يكفيه عمل الأرض فدفعها إلى اليهود و يعملونها على نصف ما خرج منها فلم يزل على ذلك حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أبى بكر، فلما كان عمرو كثر المال فى أيدى المسلمين و قووا على عمارة الأرض أجلى اليهود إلى الشام و قسم الأموال بين المسلمين.

حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما فتح خيبر كان سهم الخمس منها الكتيبة، و كان الشق و النطاة و سلالم و الوطيح للمسلمين، فاقرها فى يد يهود على الشطر فكان ما أخرج اللّه منها للمسلمين يقسم بينهم، حتى كان عمر فقسم رقبة الأرض بينهم على سهامهم. و حدثنا أبو عبيد، قال حدثنا على بن معبد، عن أبى المليح عن ميمون بن مهران، قال: حصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل خيبر ما بين عشرين ليلة إلى ثلاثين ليلة.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن بشير بن يسار. أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قسم خيبر على ستة و ثلاثين سهما، لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثمانية عشر سهما، لما ينوبه من الحقوق، و أمر الناس، و الوفود، و قسم ثمانية عشره سهما كل سهم لمائة رجل. و حدثنا الحسين، قال حدثنا يحيى بن آدم. عن عبد السلام ابن حرب، عن يحيى بن سعيد، قال سمعت بشير بن يسار يقول قسمت سهمان خيبر على ستة و ثلاثين سهما جمع كل سهم مائة سهم، فكان من ذلك للمسلمين ثمانية عشر سهما اقتسموها بينهم و لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مثل سهم أحدهم. و ثمانية عشر سهما لمن نزل برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الناس. و الوفود. و ما نابه.

فتوح البلدان، ص: ۳۶

حدثنا عمرو الناقد. و الحسين بن الأسود، قالا حدثنا وكيع بن الجراح، قال حدثنى العمرى. عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم.

بعث ابن رواحة إلى خيبر، فخرص عليهم النخل، ثم خيرهم أن يأخذوا أو يردوا، فقالوا هذا الحق و به قامت السماوات و الأرض. و حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا الحجاج بن محمد، عن ابن جريح، عن رجل من أهل المدينة: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم صالح بنى أبى الحقيق على أن لا يكتموا كنزا، فكتموه، فاستحل دماءهم.

حدثنا أبو عبيد، قال حدثنا على بن معبد، عن أبى المليح عن ميمون بن مهران أن أهل خيبر أخذوا الأمان على أنفسهم. و ذراريهم. على أن لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كل شىء فى الحصن،

قال: و كان فى الحصن أهل بيت فيهم شدة على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال لهم: قد عرفت عداوتكم للّه، و لرسوله، و لن يمنعنى ذلك من أن أعطيكم ما أعطيت أصحابكم، و قد أعطيتمونى أنكم إن كتمتم شيئا حلت لى دماؤكم، ما فعلت آنيتكم، قالوا استهلكناها فى حربنا، قال فأمر أصحابه فأتوا المكان الذى هى فيه فاستثناؤها ثم ضرب أعناقهم.

حدثنا عمرو الناقد، و محمد بن الصباح، قالا: حدثنا هشيم، قال أخبرنا ابن أبى ليلى، عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس، قال دفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر بأرضها و نخلها إلى أهلها مقاسمة على النصف حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا هشيم بن بشير، قال أخبرنا داود بن أبى هند، عن الشعبى، قال: دفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خيبر إلى أهلها بالنصف، و بعث عبد اللّه بن رواحة لخرص التمر- أو قال النخل- فخرص عليهم و جعل ذلك نصفين. فخيرهم أن يأخذوا أيهما شاءوا. فقالوا بهذا قامت السماوات

فتوح البلدان، ص: ۳۷

و الأرض، و حدثنا بعض أصحاب أبی یوسف، قال حدثنا أبو یوسف، عن مسلم الأعور، عن أنس أن عبد اللّه بن رواحة قال لأهل خیبر، ان شئتم خرصت و خیرتکم، و ان شئتم خرصتم و خیرتمونی فقالوا: بهذا قامت السماوات و الأرض و حدثنا القسم بن سلام، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح المصری، عن لیث ابن سعد، عن یونس بن یزید، عن الزهری أن النبی صلی اللّه علیه و سلم فتح خیبر عنوة بعد قتال، فخمسها، و قسم أربعة أخماسها بین المسلمین.

و حدثنا عبد الأعلی بن حماد النرسی، قال قرأت علی مالک بن أنس، عن ابن شهاب، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: لا یجتمع دینان فی جزیرة العرب،

ففحص عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه عن ذلک حتی أتاه الثلج و الیقین

أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، قال: لا یجتمع دینان فی جزیرة العرب

فأجلی یهود خیبر.

حدثنی الولید بن صالح، عن الواقدی عن أشیاخه، أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أطعم من سهمه بخیبر طعما فجعل لکل امرأة من نسائه ثمانین و سقا من تمر، و عشرین و سقا من شعیر، و أطعم عمه العباس بن عبد المطلب رضی اللّه عنه مائتی و سق، و أطعم أبا بکر و عمر و الحسن و الحسین و غیرهم و أطعم بنی المطلب بن عبد مناف أوساقا معلومة، و کتب لهم بذلک کتابا ثابتا و حدثنی الولید، عن الواقدی عن أفلح بن حمید. عن أبیه. قال: ولانی عمر ابن عبد العزیز الکتیبة فکنا نعطی ورثة المطعمین. و کانوا محصین عندنا و حدثنا محمد بن حاتم السمین، قال: حدثنا جریر بن عبد الحمید، عن لیث عن نافع، قال: أعطی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خیبر أهلها بالشطر فکانت فی أیدیهم حیاة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أبی بکر، و صدرا من خلافة عمر ثم أن عبد اللّه بن عمر أتاهم فی حاجة فبیتوه فأخرجهم منها و قسمها بین

فتوح البلدان، ص: ۳۸

من حضرها من المسلمین و جعل لأزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم فیها نصیبا و قال أیتکن شاءت أخذت الثمرة و أیتکن شاءت أخذت الضیعة فکانت لها و لورثتها. و حدثنی الحسین بن الأسود. قال: حدثنا أبو بکر بن عیاش عن الکلبی، عن أبی صالح عن ابن عباس قال: قسمت خیبر علی ألف و خمسمائة سهم و ثمانین سهما. و کانوا ألفا و خمسمائة و ثمانین رجلا. الذین شهدوا الحدیبیة منهم ألف و خمسمائة و أربعون. و الذین کانوا مع جعفر بن أبی طالب بأرض الحبشة أربعون رجلا.

حدثنا الحسین بن الأسود. قال حدثنی یحیی بن آدم قال: حدثنا أبو معاویة عن هشام بن عروة عن أبیه قال: أقطع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الزبیر أرضا بخیبر فیها نخل و شجر.

فتح فدک

قالوا: بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی أهل فدک منصرفه من خیبر محیصة بن مسعود الأنصاری یدعوهم إلی الإسلام. و رئیسهم رجل منهم، یقال له یوشع بن نون الیهودی، فصالحوا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی نصف الأرض بتربتها فقیل ذلک منهم، فکان نصف فدک خالصا لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، لأنه لم یوجف المسلمون علیه بخیل و لا رکاب، و کان یصرف ما یأتیه منها إلی أبناء السبیل. و لم یزل أهلها بها إلی أن استخلف عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه. و أجلی یهود الحجاز فوجه أبا الهیثم مالک بن التیهان- و یقال النیهان- و سهل بن ابی حثمة، و زید بن ثابت الأنصاریین. فقوموا بصف تربتها بقیمة عدل. فدفعها إلی الیهودی و أجلاهم إلی الشام.

فتوح البلدان، ص: ۳۹

حدثنا سعید بن سلیمان. عن اللیث بن سعد. عن یحیی بن سعید أن أهل فدک صالحوا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی نصف

أرضهم و نخلهم. فلما أجلاهم عمر بعث من أقام لهم حظهم من النخل و الأرض فأداه إليهم.

حدثنى بكر بن الهيثم،: حدثنا عبد الرزاق، عن معمرى عن الزهرى أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فدك قيمة نصف أرضهم و تخلهم.

حدثنا الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا ابن أبى زائدة عن محمد بن إسحاق. عن الزهرى و عبد اللّه بن أبى بكر. و بعض ولد محمد بن مسلمة قالوا: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا و سألوا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن يحقن دماءهم و يسيرهم فسمع بذلك أهل فدك فنزلوا على مثل ذلك، و كانت فدك لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خاصة لأنه لم يوجف المسلمون عليها بخيل و لا ركاب.

و حدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن زياد البكائى عن محمد بن إسحاق، عن عبد اللّه بن أبى بكر بنحوه و زاد فيه، و كان فيمن مشى بينهم محيصة ابن مسعود.

حدثنا الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى ابراهيم بن حميد عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن مالك بن أوسى بن الحدثان عن عمر رضى اللّه عنه، قال: كانت لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثلاث صفايا فكانت أرض بنى النضير حبسا، و كانت لنوائبه، و جزأ خيبر على ثلاثة أجزاء و كانت فدك لأبناء السبيل.

حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلى، قال: حدثنا صفوان بن عيسى عن أسامة ابن زيد عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، أن أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بخيبر و فدك، فقالت لهن عائشة أما تتقين اللّه، أما سمعتن

فتوح البلدان، ص: ۴۰

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة إنما هذا المال لآل محمد، لنائبتهم و ضيفهم، فإذا مت فهو إلى والى الأمر بعدى، قال: فأمسكن»

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى، حدثنا صفوان بن عيسى الزهرى عن أسامة عن ابن شهاب عن عروة بمثله. حدثنى ابراهيم بن محمد عن عرعرة عن عبد الرزاق عن معمر عن الكلبى، ان بنى أمية اصطفوا فدك و غيروا سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيها، فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه ردها إلى ما كانت عليه.

و حدثنا عبد اللّه بن ميمون المكتب، قال: أخبرنا الفضيل بن عياض عن مالك بن جعونة عن أبيه، قال: قالت فاطمة لأبى بكر ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جعل لى فدك فأعطنى إياها و شهد لها على بن أبى طالب فسألها شاهدا آخر فشهدت لها أم أيمن، فقال قد علمت يا بنت رسول اللّه أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل و امرأتين فانصرفت.

و

و حدثنى روح الكرابيسى قال: حدثنا زيد بن الحباب، قال: أخبرنا خالد بن طهمان، عن رجل حسبه روح جعفر بن محمد أن فاطمة رضى اللّه عنها قالت لأبى بكر الصديق رضى اللّه عنه أعطنى فدك فقد جعلها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لى فسألها البينة فجاءت بأم أيمن و رباح مولى النبى صلى اللّه عليه و سلم فشهدا لها بذلك فقال إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل و امرأتين.

حدثنا ابن عائشة التيمى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح باذام، عن أم هانئ أن فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أتت أبا بكر الصديق رضى اللّه عنه، فقالت له من يرثك إذا مت قال ولدى و أهلى، قالت فما بالك ورثت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دوننا، فقال يا بنت رسول اللّه و اللّه ما ورثت أباك ذهبا و لا فضة و لا كذا و لا كذا.

فتوح البلدان، ص: ۴۱

فقالت سهمنا بخيبر و صدقتنا فدك، فقال يا بنت رسول اللّه سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول «إنما هى طعمة أطعمنها اللّه

حياتى فإذا مت فهى بين المسلمين».

حدثنا عثمان بن أبى شيبة، قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة أن عمر بن عبد العزيز جمع بنى أمية فقال: إن فدك كانت للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم، فكان ينفق منها، و يأكل، و يعود على فقراء بنى هاشم، و يزوج أيمهم و أن فاطمة سألته أن يهبها لها فلب، فلما قبض عمل أبو بكر فيها كعمل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم ولى عمر فعمل فيها بمثل ذلك، و إنى أشهدكم أنى قد رددتها إلى ما كانت عليه.

حدثنا سريج بن يونس، قال: أخبرنا إسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن الزهرى فى قول اللّه تعالى (فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ)، قال هذه قرى عربية لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فدك و كذا و كذا.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا سعيد بن عفير، عن مالك بن أنس، قال أبو عبيد لا أدرى ذكره عن الزهرى أم لا، قال أجلى عمر يهود خيبر فخرجوا منها، فأما يهود فدك فكان لهم نصف الثمرة و نصف الأرض لأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صالحهم على ذلك، فأقام لهم عمر نصف الثمرة و نصف الأرض من ذهب و ورق و اقتاب ثم أجلاهم. و حدثنى عمرو الناقد، قال حدثنى الحجاج بن أبى منيع الرصافى، عن أبيه عن أبى برقان، ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة خطب، فقال: ان فدك كانت مما أفاء اللّه على رسوله، و لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب، فسألته إياها فاطمة رحمها اللّه تعالى، فقال: ما كان لك أن تسأليني و ما كان لى أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها فى أبناء السبيل، ثم ولى أبو بكر و عمرو عثمان و على

فتوح البلدان، ص: ۴۲

رضى اللّه عنهم فوضعوا ذلك بحيث وضعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ثم ولى معاوية فأقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبى و لعبد الملك فصارت لى و للوليد و سليمان، فلما ولى الوليد سألته حصته منها فوهبها لى و سألت سليمان حصته منها فوهبها لى فاستجمعتها و ما كان لى من مال أحب إلى منها، فاشهدوا أنى قد رددتها إلى ما كانت عليه، و لما كانت سنة عشر و مائتين أمر أمير المؤمنين المأمون، عبد اللّه بن هارون الرشيد فدفعها إلى ولد فاطمة و كتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة، أما بعد، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين اللّه. و خلافة رسوله صلى اللّه عليه و سلم و القرابة به أولى من استن سنته، و نفذ أمره و سلم لمن منحه منحة و تصدق عليه بصدقة منحته و صدقته، و باللّه توفيق أمير المؤمنين و عصمته، و إليه فى العمل بما يقربه إليه رغبته، و قد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أعطى فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فدك و تصدق بها عليها، و كان ذلك أمرا ظاهرا معروفا لاختلاف فيه بين آل رسول اللّه صلى اللّه عليه، و لم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها و يسلمها إليهم تقربا إلى اللّه تعالى باقامة حقه و عدله و إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بتنفيذ أمره و صدقته، فأمر بإثبات ذلك فى دواوينه و الكتاب به إلى عماله، فلأن كان ينادى فى كل موسم بعد أن قبض اللّه نبيه صلى اللّه عليه أن يذكر كل من كانت له صدقة أو وهبة أو عدة ذلك فيقبل قوله و ينفذ عدته، أن فاطمة رضى اللّه عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول صلى اللّه عليه و سلم لها، و قد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبرى مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بحدودها و جميع حقوقها المنسوبة إليها و ما فيها من الرقيق

فتوح البلدان، ص: ۴۳

و الغلات و غير ذلك و تسليمها الى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، و محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين و ما ألهمه اللّه من طاعته و وفقه له من التقرب إليه و إلى رسوله صلى اللّه عليه و سلم و اعلمه من قبلك، و عامل محمد بن يحيى و محمد ابن عبد اللّه بما كنت تعامل به المبارك الطبرى، و أعنهما على ما فيه عمارتها و مصلحتها و وفور غلاتها إن شاء اللّه و السلام» و كتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة عشر و مائتين، فلما استخلف المتوكل على اللّه رحمه اللّه أمر بردها إلى ما

كانت عليه قبل المأمون رحمه اللّه.

أمر وادى القرى و تيماء

قالوا: أتى رسول اللّه عليه و سلم منصرفه من خيبر وادى القرى فدعى أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك و قاتلوا، ففتحها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عنوة و غنمه اللّه أموال أهلها و أصاب المسلمون منهم أثاثا و متاعا فخمس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك و ترك النخل و الأرض فى أيدى اليهود و عاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، فقيل أن عمر أجلى يهودها و قسمها بين من قاتل عليها، و قيل: أنه لم يجلهم لأنها خارجة من الحجاز، و هى اليوم مضافة إلى عمل المدينة و أعراضها.

و أخبرنى عدة من أهل العلم: أن رفاعة بن زيد الجذامى كان أهدى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم غلاما يقال له مدعم، فلما كانت غزاة وادى القرى أصابه سهم غرب و هو يحط رحل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم

فقيل: يا رسول اللّه هنيئا لغلامك أصابه سهم فاستشهد فقال: كلا ان الشعلة التى أخذها من المغانم يوم خيبر لتشتمل عليه نارا.

فتوح البلدان، ص: ۴۴

حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا أبو الأشهب، عن الحسن، أنه قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم استشهد فتاك فلان، فقال: انه يجر إلى النار فى عباءة غلها.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن عبد اللّه بن سفيان، قال: و حدثنا حبيب بن الشهيد، عن الحسن أنه قيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم هنيئا لك استشهد فتاك فلان فقال بل هو يجر إلى النار فى عباءة غلها.

قالوا: و لما بلغ أهل تيماء ما وطئ به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل وادى القرى صالحوه على الجزية فأقاموا ببلادهم و أرضهم فى أيديهم و ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وادى القرى، و ولى يزيد بن أبى سفيان بعد الفتح، و كان إسلامه يوم فتح تيماء و حدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن حكيم عن عمر بن عبد العزيز أن عمر بن الخطاب أجلى أهل فدك و تيماء و خيبر، قال و كان قتال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل وادى القرى فى جمادى الآخر سنة سبع.

حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده، قال: أقطع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حمزة بن النعمان بن هوذة العذرى رمية سوطه من وادى القرى، و كان سيد بنى عذرة، و هو أول أهل الحجاز قدم على النبى صلى اللّه عليه و سلم بصدقة بنى عذرة و حدثنى على بن محمد بن عبد اللّه مولى قريش عن العباس بن عامر عن عمه، قال أتى عبد الملك بن مروان يزيد بن معاوية فقال يا أمير المؤمنين ان أمير المؤمنين معاوية كان ابتاع من بعض اليهود أرضا وادى القرى، و أحيا إليها أرضا. و ليست لك بذلك المال عناية. فقد ضاع و قلت

فتوح البلدان، ص: ۴۵

غلته فاقطعنيه فانه لا خطر له، فقال يزيد: انا لا نبخل بكبير و لا نخدع عن صغير فقال يا أمير المؤمنين: غلته كذا، قال: هو لك، فلما ولى قال يزيد: هذا الذى يقال انه بلى بعدنا فان يكن ذلك حقا فقد صانعناه و ان يكن باطلا فقد وصلناه

فتح مكة المكرمة

قالوا: لما قاضى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قريشا عام الحديبية و كتب القضية على الهدنة، و أنه من أحب أن يدخل فى عهد محمد صلى اللّه عليه و سلم دخل و من أحب أن يدخل فى عهد قريش دخل و انه من أتى قريشا من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لم يردوه و من أتاه منهم و من حلفائهم رده قام من كان من كنانة فقالوا ندخل فى عهد قريش و مدتها و قامت خزاعة

فقالت ندخل فی عهد محمد و عقده و قد کان بین عبد المطلب و خزاعة حلف قدیم فلذلک قال عمرو بن سالم بن حصیرة الخزاعی.

لاهم انی ناشد محمداحلف أبینا و أبیه الأتلدا

ثم ان رجلا من خذاعة سمع رجلا من کنانة ینشد هجاء فی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فوثب علیه فشجه فهاج ذلک بینهم الشر و القتال، و أعانت قریش بنی کنانة، و خرج منهم رجال معهم فبیتوا خزاعة فکان ذلک مما نقضوا العهد و القضیة، و قدم علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عمرو بن سالم بن حصیرة الخزاعی یستنصر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فدعاه ذلک إلی غزو مکة.

و حدثنا أبو عبید القاسم بن سلام، قال: حدثنا عثمان بن صالح، عن بن لهیعة عن أبی الأسود، عن عروة فی حدیث طویل، قال: فهادنت قریش رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی أن یأمن بعضهم بعضا علی الأغلال و الإسلال- أو قال إرسال- فمن قدم مکة حاجا أو معتمرا أو مجتازا الی الیمن و الطائف فهو آمن

فتوح البلدان، ص: ۴۶

و من قدم المدینة من المشرکین عامدا إلی الشام و المشرق فهو آمن، قال:

فادخل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی عهده بنی کعب، و أدخلت قریش فی عهدها حلفاءها من بنی کنانة و حدثنا عبد الواحد بن غیاث، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أیوب، عن عکرمة أن بنی بکر من کنانة کانوا فی صلح قریش و کانت خزاعة فی صلح رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فاقتتلت بنو بکر و خزاعة بعرفة، فامدت قریش بنی بکر بالسلاح و سقوهم الماء و ظللوهم، فقال بعضهم لبعض: نکثتم العهد فقالوا ما نکثنا و اللّه ما قاتلنا انما مددناهم و سقیناهم و ظللناهم، فقالوا لأبی سفیان بن حرب: انطلق فأجد الحلف و أصلح بین الناس فقدم أبو سفیان المدینة فلقی أبا بکر فقال له: یا أبا بکر أجد الحلف و أصلح بین الناس فقال عمر: قطع اللّه منه ما کان متصلا، و أبلی ما کان جدیدا، فقال أبو سفیان تاللّه ما رأیت شاهد عشیرة شرا منک، فانطلق إلی فاطمة فقالت: الق علیا فلقیه فذکر له مثل ذلک،

فقال علی: أنت شیخ قریش و سیدها فأجد الحلف و أصلح بین الناس،

فضرب أبو سفیان یمینه علی شماله، و قال: قد جددت الحلف و أصلحت بین الناس، ثم انطلق حتی أتی مکة، و قد کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال إن أبا سفیان قد أقبل و سیرجع راضیا بغیر قضاء حاجة فلما رجع إلی أهل مکة أخبرهم الخبر، فقالوا تاللّه ما رأینا أحمق منک ما جئتنا بحرب فنحذر و لا بسلم فتأمن،

و جاءت خزاعة إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فشکوا ما أصابهم، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إنی قد أمرت بإحدی القریتین مکة أو الطائف و أمر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بالمسیر فخرج فی أصحابه و قال «اللهم اضرب علی آذانهم فلا یسمعوا حتی نبغتهم بغتة»

و أغذ المسیر حتی نزل مر الظهران، و قد کانت قریش قالت لأبی سفیان: ارجع، فلما بلغ مر الظهران و رأی النیران و الأخبیة،

فتوح البلدان، ص: ۴۷

قال: ما شأن الناس، کأنهم أهل عشیة عرفة، و غشیته خیول رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فأخذوه أسیرا فأتی النبی صلی اللّه علیه و سلم، و جاء عمر فأراد قتله فمنعه العباس و أسلم، فدخل علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم. فلما کان عند صلاة الصبح تحشحش الناس وضوءا للصلاة، فقال أبو سفیان للعباس بن عبد المطلب: ما شأنهم یریدون قتلی. قال: لا و لکنهم قاموا إلی الصلاة، فلما دخلوا فی صلاتهم رآهم إذا رکع رسول اللّه علیه و سلم رکعوا، و إذا سجد سجدوا فقال: تاللّه ما رأیت کالیوم طواعیة قوم جاءوا من ههنا و ههنا و لا فارس الکرام و لا الروم ذات القرون،

فقال العباس: یا رسول اللّه ابعثنی إلی أهل مکة أدعهم إلی الإسلام، فلما بعثه أرسل فی أثره و قال: ردوا علی عمی لا یقتله المشرکون،

فأبى أن يرجع حتى أتى مكة، فقال أى قوم اسلموا تسلموا أتيتم أتيتم و استبطنتم بأشهب بازل، هذا خالد بأسفل مكة، و هذا الزبير بأعلى مكة، و هذا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى المهاجرين و الأنصار و خزاعة، فقال قريش: و ما خزاعة المجدعة الأنوف.

و حدثنا عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى هريرة أن قائل خزاعة، قال للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم:

لاهم انى ناشد محمداحلف أبينا و أبيه الأتلدا

فانصر هداك اللّه نصرا أيداوادع عباد اللّه يأتوا مددا

قال حماد: فحدثنى على بن زيد، عن عكرمة أن خزاعة نادوا النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو يغتسل فقال لبيكم، و قال الواقدى و غيره، تسلح قوم من قريش يوم الفتح، و قالوا: لا يدخلها محمد إلا عنوة، فقاتلهم خالد بن الوليد، و كان أول من أمره رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالدخول،

فتوح البلدان، ص: ۴۸

فقتل أربعة و عشرين رجلا من قريش، و أربعة نفرا من هذيل، و يقال:

قتل يومئذ ثلاثة و عشرين رجلا من قريش، و انهزم الباقون فاعتصموا برءوس الجبال و توغلوا فيها و استشهد من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يومئذ كرز بن جابر الفهرى، و خالد الأشعر الكعبى، و قال هشام ابن الكلبى: هو حبيشّ الأشعر ابن خالد الكعبى من خزاعة.

و حدثنا شيبان بن أبى شيبة الأبلى، حدثنا سليمان بن المغيرة، قال:

حدثنا ثابت البنانى، عن عبد اللّه بن رباح، قال، وفدت إلى وفود معاوية و ذلك فى شهر رمضان، و كان بعضنا يصنع لبعض الطعام، و كان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله، قال: فصنعت لهم طعاما و دعوتهم، فقال:

أبو هريرة ألا أعللكم بحديث من حديثكم معشر الأنصار ثم ذكر فتح مكة، فقال أقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين، و بعث خالد بن الوليد على الأخرى، و بعث أبا عبيدة بن الجراح على الحصر،

فأخذوا بطن الوادى و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى كتيبته فرآنى، فقال: يا أبا هريرة قلت لبيك يا رسول اللّه، قال: ناد الأنصار فلا- يأت إلا انصارى، قال: فناديتهم فأطافوا به و جمعت قريش أوباشها و أتباعها، و قالوا نقدم هؤلاء، فإن أصابوا ظفرا كنا معهم و إن أصيبوا أعطينا الذى يسأل، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. أ ترونا أوباش قريش قالوا نعم فقال بإحدى يديه على الأخرى يشير. ان اقتلوهم، ثم قال: وافونى بالصفا، قال فانطلقنا فما يشاء أحد أن يقتل أحدا إلا يقتله، فجاء أبو سفيان، فقال يا رسول اللّه أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و من القى السلاح فهو آمن، فقال بعض الأنصار لبعض، أما الرجل فأدركته رغبة فى قرابته و رأفة بعشيرته، و جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الوحى، و كان إذا جاءه لم يخف علينا،

فتوح البلدان، ص: ۴۹

فقال. يا معشر الأنصار قلتم كذا و كذا قالوا قد كان ذلك يا رسول اللّه، قال،. كلا انى عبد اللّه و رسوله هاجرت إلى اللّه و إليكم فالمحيا محياكم و الممات مماتكم، فجعلوا يبكون و يقولون، و اللّه ما قلنا الذى قلنا إلا للضن برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال، و أقبل الناس إلى دار أبى سفيان و أغلقوا أبوابها و وضعوا سلاحهم: و أقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت و أتى على صنم كان إلى جنب الكعبة و فى يده قوس قد أخذ بسيتها فجعل يطعن فى عين الصنم و يقول (جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً) قال، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلاه حتى نظر إلى البيت ثم رفع يده يحمد اللّه و يدعو.

حدثنا محمد بن الصباح، قال. أخبرنا هشيم، عن أبى حصين، عن عبيد اللّه ابن عبد اللّه بن عتبة، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و

سلم يوم فتح مكة لا تجهزن على جريح، و لا يتبعن مدبر. و لا يقتلن أسير، و من أغلق بابه فهو آمن.

قال الواقدى. كانت غزوة الفتح فى شهر رمضان سنة ثمان فأقام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بمكة إلى الفطر. ثم توجه لغزوة حنين. و ولى مكة عتاب ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية،

و أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بهدم الأصنام و محو الصور التى كانت فى الكعبة و قال: اقتلوا بن خطل و لو كان متعلقا بأستار الكعبة،

فقتله أبو برزة الأسلمى. قال أبو اليقظان. و اسم ابن خطل قيس، و قتله أبو شرياب الأنصارى، و كان لابن خطل قينتان تغنيان بهجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقتلت إحداهما و بقيت الأخرى حتى كسرت لها ضلع أيام عثمان فماتت، و قتل نميلة بن عبد اللّه الكنانى مقيس بن صبابة الكبانى، و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قد أمر من وجده أن يقتله

فتوح البلدان، ص: ۵۰

و ذلك لأن أخاه هاشم بن صبابة بن حزن أسلم و شهد غزوة المريسيع مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقتله رجل من الأنصار خطأ و هو يظنه مشركا فقدم مقيس على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقضى له بالدية على عاقلة القاتل، فأخذها و أسلم، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله و هرب مرتدا، و قال:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندايضرج ثوبيه دماء الأخادع

ثأرت به قهرا و حملت عقلهسراة بنى النجار أرباب فارع

حالت به و ترى و أدركت ثورتىو كنت عن الإسلام أول راجع

و قتل على بن أبى طالب رضى اللّه عنه الحويرث بن نقيذ بن بجير بن عبد بن قصى، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم أمر أن يقتله من وجده و حدثنى بكر بن الهيثم، عن عبد الرزاق، عن مغمر، عن الكلبى، قال:

جاءت قينة لهلال بن عبد اللّه، و هو ابن خطل الأردمى من بنى تيم إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم متنكرة فأسلمت و بايعت و هو لا يعرفها فلم يعرض لها و قتلت قينة له أخرى، و كانتا تغنيان بهجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: و أسلم ابن الزعبرى السهمى قبل أن يقدر عليه، و مدح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كان قد أباح دمه يوم الفتح و لم يعرض له.

حدثنا محمد بن الصباح البزار،، قال: حدثنا هشيم، قال أخبرنا خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة،

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خطب يوم مكة فقال «الحمد للّه الذى صدق وعده و نصر جنده، و هزم الأحزاب وحده ألا أن كل مأثرة كانت فى الجاهلية و كل دم و دعوى موضوعة تحت قدمى إلا سدانة البيت، و سقاية الحاج».

و حدثنا خلف البزار، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد اللّه بن عبد الرحمن عن أشياخه، قالوا: «لما كان يوم فتح مكة قال النبى صلى اللّه عليه

فتوح البلدان، ص: ۵۱

و سلم لقريش ما تظنون، قالوا: نظن خيرا و نقول خيرا أخ كريم و ابن أخ كريم و قد قدرت قال: فانى أقول كما قال أخى يوسف عليه السلام (لا- تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ألا- كل دين و مال و مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى الاسدانة البيت و سقاية الحاج».

حدثنا شيبان، قال: حدثنا جرير بن حازم، قال حدثنا عبد اللّه بن عبيد ابن عمير، قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى خطبته «ألا- أن مكة حرام ما بين أخشبيها لم يحل لأحد قبلى و لا يحل لأحد بعدى، و لم تحل لى إلا ساعة من نهار لا يختلى خلاها و لا تعضد عضاهها و لا ينفر صيدها و لا تلتقط لقطتها إلا أن يعرف- أو يعرف- فقال العباس رحمه اللّه إلا الإذخر فإنه لصاغتنا و قيوننا و طهور بيوتنا، فقال صلى اللّه عليه و سلم إلا الإذخر».

حدثنا یوسف بن موسی القطان، قال: حدثنا جریر بن عبد الحمید عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال «لا یختلی خلا مکة و لا یعضد شجرها، فقال العباس: الا الإذخر فإنه القیون و طهور البیوت فرخص فی ذلک».

حدثنا شیبان، قال: حدثنا أبو هلال الراسبی عن الحسن، قال. أراد عمر أن یأخذ کنز الکعبة فینفقه فی سبیل اللّه، فقال له أبی بن کعب الأنصاری، یا أمیر المؤمنین قد سبقک صاحباک، و لو کان هذا فضلا لفعلاه

و حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا أبو معاویة عن الأعمش عن مجاهد قال:

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم «مکة حرام لا یحل بیع رباعها و لا أجور بیوتها».

حدثنا محمد بن حاتم المروزی، قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدی عن إسرائیل عن إبراهیم بن مهاجر عن یوسف بن ماهک عن أبیه عن عائشة

فتوح البلدان، ص: ۵۲

قالت قلت یا رسول اللّه. ابن لک بناء یظلک من الشمس بمکة، فقال، «إنما هی مناخ من سبق».

حدثنا خلف بن هشام البزار، حدثنا إسماعیل عن ابن جریح، قال قرأت کتاب عمر بن عبد العزیز ینهی عن کراء بیوت مکة. حدثنا أبو عبید حدثنا إسماعیل بن جعفر عن إسرائیل عن ثویر عن مجاهد عن ابن عمر، قال الحرم کله مسجد.

حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا إسحاق الأزرق عن عبد الملک بن أبی سلیمان، قال. کتب عمر بن عبد العزیز إلی أمیر مکة أن لا تدع أهل مکة یأخذون علی بیوت مکة أجرا فإنه لا یحل لهم.

حدثنا عثمان بن أبی شیبة، قال. حدثنا جریر عن یزید بن أبی زیاد عن عبد الرحمن بن سابط فی قوله (سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ)، قال البادی من یخرج من الحجاج و المعتمرین، هم سواء فی المنازل، ینزلون حیث شاءوا، غیر ألا یخرج أحد من بیته.

حدثنا عثمان، قال حدثنا جریر، عن منصور عن مجاهد فی هذه الآیة، قال أهل مکة و غیرهم فی المنازل سواء. و حدثنا عثمان و عمرو، قالا. حدثنا وکیع عن سفیان، عن منصور، عن مجاهد أن عمر بن الخطاب، قال لأهل مکة لا تتخذوا لدورکم أبوابا لینزل البادی حیث شاء. و حدثنا عثمان بن أبی شیبة، و بکر بن الهیثم، قالا. حدثنا یحیی بن ضریس الرازی عن سفیان، عن أبی حصین قال قلت لسعید بن جبیر و هو بمکة إنی أرید أن أعتکف، فقال: أنت عاکف ثم قرأ (سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ).

حدثنا عثمان، قال: حدثنا حفص بن غیاث عن عبد اللّه بن مسلم عن سعید بن جبیر فی قوله (سَواءً الْعاکِفُ فِیهِ وَ الْبادِ) قال: خلق اللّه فیه سواء أهل مکة و غیرها، و حدثنی محمد بن سعید عن الواقدی، قال. کان یتخاصم إلی أبی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم فی أجور الدور بمکة فیقضی بها علی من

فتوح البلدان، ص: ۵۳

اکتراها و هو قول مالک و ابن أبی ذئب، قال و قال ربیعة، و أبو الزناد، لا بأس بأکل کراء بیوت مکة و بیع رباعها، و قال الواقدی، رأیت ابن أبی ذئب یأتیه کراء داره بمکة بین الصفا و المروة، و قال اللیث بن سعید ما کان من دار فاجرها طیب لصاحبها، فاما القاعات، و السککة، و الأفنیة و الخرابات، فمن سبق نزل ذلک بغیر کراء و أخبرنی عبد الرحمن الأودی، عن الشافعی بمثل ذلک، و قال سفیان ابن سعید الثوری، کراء بیوت مکة حرام، و کان یشدد فی ذلک. و قال الأوزاعی و ابن أبی لیلی. و أبو حنیفة أن کراها فی لیالی الحج فالکراء باطل، و إن کان فی غیر لیالی الحج، و کان المکتری مجاورا أو غیر ذلک فلا بأس، و قال بعض أصحاب أبی یوسف کراؤها حل طلق، و إنما یستوی العاکف و البادی فی الطواف بالبیت.

حدثنا الحسین بن علی بن الأسود، قال حدثنا عبید اللّه بن موسی، عن الحسن بن صالح عن العلاء بن المسیب، عن عبد الرحمن بن الأسود، أنه کان لا یری ببقل مکة و لا بالزرع الذی یزرع فیها و لا بشیء مما أنبته الناس بها من شجر أو نخل بأسا أن تقطعه و تأکله و تصنع فیه ما شئت، قال و إنما کره ما أنبتت الأرض بمکة من شجر و غیره مما لم یعمله الناس إلا الإذخر، قال الحسن بن صالح. و قد

رخص فی الشجر البالی الذی قد یبس و تکسر. و قال محمد بن عمر الواقدی. قال مالک. و ابن أبی ذئب فی محرم أو حلال قطع شجرا من الحرم أنه قد أساء. فإن کان جاهلا علم و لا شیء علیه. و إن کان عالما خالعا عوقب و لا قیمة علیه. و من قطع من ذلک شیئا فلا بأس أن ینتفع انه قال و قال سفیان الثوری و أبو یوسف. علیه فی الشجرة لقطعها قیمة و لا ینتفع بذلک. و هو قول أبی حنیفة. و قال مالک بن أنس. و ابن أبی ذئب. لا بأس بالضغابیس. و أطراف السنا. تؤخذ من الحرم للدواء و السواک. و قال سفیان بن سعید. و أبو حنیفة

فتوح البلدان، ص: ۵۴

و أبو یوسف: کل شیء أنبته الناس فی الحرم أو کان مما ینبتون فلا شیء علی قاطعه و کل شیء مما لا ینبته الناس فعلی قاطعه قیمته، و قال الواقدی سألت الثوری، و أبا یوسف عن رجل أنبت فی الحرم ما لا ینبته الناس، فقام علیه حتی نبت له أله أن یقطعه، قالا نعم، قلت فان نبتت فی بستانه شجرة مما لا ینبت الناس من غیر أن یکون أنبتها، قالا یصنع بها ما شاء.

و حدثنی محمد بن سعد، عن الواقدی، قال: روی لنا أن ابن عمر کان یأکل بمکة بقلا زرع فی الحرم، و حدثنی محمد بن سعد، قال حدثنی الواقدی، عن معاذ بن محمد، قال رأیت علی مائدة الزهری بقلا من الحرم، قال أبو حنیفة لا یرعی الرجل المحرم بعیره فی الحرم و لا یحتش له، و هو قول زفر، و قال مالک و ابن أبی ذئب، و سفیان، و أبو یوسف، و ابن أبی سبرة. لا بأس بالرعی و لا یحتش، و قال ابن أبی لیلی لا بأس بان یحتش. و حدثنی عفان، و العباس بن الولید النرسی، قال: حدثنا عبد الواحد بن زیاد، قال: حدثنا لیث، قال کان عطاء لا یری بأسا ببقل الحرم و ما زرع فیه و بالقضیب و السواک، قال و کان مجاهد یکرهه، قال: و لم یکن للمسجد الحرام علی عهد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أبی بکر جدار یحیط به، فلما استخلف عمر بن الخطاب و کثر الناس وسع المسجد و اشتری دورا فهدمها و زادها فیه و هدم علی قوم من جیران المسجد أبوا أن یبیعوا و وضع لهم الأثمان حتی أخذوها بعد، و اتخذ للمسجد جدارا قصیرا دون القامة. فکانت المصابیح توضع علیه. فلما استخلف عثمان بن عفان ابتاع منازل وسع المسجد بها و أخذ منازل أقوام و وضع لهم الأثمان فضجوا به عند البیت فقال إنما جرأکم علی حلمی عنکم و لینی لکم لقد فعل بکم عمر مثل هذا فأقررتم و رضیتم، ثم أمر بهم إلی الحبس حتی کلمه فیهم عبد اللّه ابن خالد بن أسید بن أبی العیص فخلی سبیلهم.

فتوح البلدان، ص: ۵۵

و یقال: إن عثمان أول من اتخذ للمسجد الأروقة، و اتخذها حین وسعه قالوا: و کان باب الکعبة علی عهد ابراهیم علیه السلام و جرهم و العمالیق بالأرض حتی بنته قریش، فقال أبو حذیفة ابن المغیرة یا قوم ارفعوا باب الکعبة حتی لا یدخل إلا بسلم فإنه لا یدخلها حینئذ إلا من أردتم، فإن جاء أحد ممن تکرهون رمیتم به فسقط فکان نکالا لمن وراءه، فعملت قریش بذلک.

قال: و لما تحصن عبد اللّه بن الزبیر بن العوام فی المسجد الحرام و استعاذ به- و الحصین بن نمیر السکونی إذ ذاک یقاتله فی أهل الشام- أخذ ذات یوم رجل من أصحابه نارا علی لیفة فی رأس رمح، و کانت الریح عاصفا، فطارت شرارة فتعلقت بأستار الکعبة فأحرقتها، فتصدعت حیطانها و اسودت، و ذلک فی سنة أربع و ستین حتی إذا مات یزید بن معاویة، و انصرف الحصین بن نمیر إلی الشام أمر ابن الزبیر بما فی المسجد من الحجارة التی رمی بها فأخرج، ثم هدم الکعبة و بناها علی أساسها و أدخل الحجر فیها و جعل لها بابین موضوعین بالأرض شرقیا و غربیا یدخل من واحد و یخرج من الآخر، و کان قد وجد أساس الکعبة متصلا بالحجر، و إنما التمس إعادتها إلی بناء ابراهیم علیه السلام علی ما کانت عائشة أم المؤمنین أخبرته عن النبی صلی اللّه علیه و سلم، و جعل علی بابها صفائح الذهب و جعل مفاتیحها من ذهب، فلما حاربه الحجاج بن یوسف من قبل عبد الملک ابن مروان و قتله کتب إلیه عبد الملک یأمره ببناء الکعبة و المسجد الحرام، و قد کانت الحجارة حلحلت الکعبة فهدمها الحجاج و بناها فردها إلی بناء قریش و أخرج الحجر، فکان عبد الملک یقول بعد ذلک: وددت أنی کنت حملت ابن الزبیر أمر الکعبة و بناءها ما تحمل.

قالوا: و کانت کسوة الکعبة فی الجاهلیة الأنطاع و المغافر فکساها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الثیاب الیمانیة، ثم کساها عمر و

عثمان رضی اللّه عنهما

فتوح البلدان، ص: ۵۶

القباطی، ثم کساها یزید بن معاویة الدیباج الخسروانی، و کساها ابن الزبیر و الحجاج بعده الدیباج، و کساها بنو أمیة فی بعض أیامهم الحلل التی کان أهل نجران یؤدونها و أخذوهم بتجریدها و فوقها الدیباج، ثم أن الولید بن عبد الملک وسع المسجد الحرام و حمل إلیه عمد الحجارة و الرخام و الفیسفساء، قال الواقدی فلما کانت خلافة أمیر المؤمنین المنصور رحمه اللّه زاد فی المسجد و بناه و ذلک فی سنة تسع و ثلاثین و مائة. و قال علی بن محمد ابن عبد اللّه المدائنی، ولی المهدی جعفر بن سلیمان بن علی بن عبد اللّه بن العباس مکة و المدینة و الیمامة فوسع مسجدی مکة و المدینة و بناهما، و قد جدد أمیر المؤمنین المتوکل علی اللّه جعفر بن أبی إسحاق المعتصم باللّه ابن الرشید هارون بن المهدی رضوان اللّه علیهم رخام الکعبة و أزرها بفضة، و ألبس سائر حیطانها و سقفها الذهب. و لم یفعل ذلک أحد قبله و کسا أساطینها الدیباج.

ذکر حفائر مکة

قالوا: کانت قریش قبل جمع قصی إیاها و قبل دخولها مکة تشرب من حیاض و مصانع علی رؤوس الجبال، و من بئر حفرها لؤی بن غالب خارج الحرم تدعی الیسیرة، و من بئر حفرها مرة بن کعب تدعی الروی، و هی مما یلی عرفة ثم حفر کلاب بن مرة خم و رم، و الجفر بظاهر مکة، ثم أن قصی بن کلاب حفر بئرا سماها العجول و اتخذ سقایة، و فیها یقول بعد رجاز الحاج.

نروی علی العجول ثم ننطلققبل صدور الحاج من کل أفق

ان قصیا قد و فی و قد صدقبالشبع للناس وری مغتبق

ثم إنه سقط فی العجول بعد ممات قصی رجل من بنی نصر بن معاویة

فتوح البلدان، ص: ۵۷

فعطلت، و حفر هاشم بن عبد مناف بذر، و هی عند الخندمة علی فم شعب أبی طالب، و حفر هاشم أیضا سجلة فوهبها أسد بن هاشم لعدی بن نوفل بن عبد مناف بن المطعم، و یقال: بل ابتاعها منه، و یقال ان عبد المطلب وهبها له حین حفر زمزم و کثر الماء بمکة، فقالت خالدة بنت هاشم:

نحن و هبنا لعدی سجلهفی تربة ذات عذاة سهله

تروی الحجیج زعلة فزعلة و قد دخلت سجلة فی المسجد، و حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوی و هی بأعلی مکة، و حفر أیضا لنفسه الجفر، و حفر میمون بن الحضرمی حلیف بنی عبد شمس بن عبد مناف بئره و هی آخر بئر حفرت فی الجاهلیة بمکة، و عندها قبر أمیر المؤمنین المنصور رحمه اللّه، و اسم الحضرمی عبد اللّه ابن عماد، و احتفر عبد شمس أیضا بئرین و سماهما خم و رم، علی ما سمی کلاب بن مرة بئریه، فأما خم فهی عند الردم، و أما رم فعند دار خدیجة بنت خویلد، و قال عبد شمس:

حفرت خما و حفرت رماحتی أری المجد لنا قد تما

و قالت سبیعة بنت عبد شمس فی الطوی:

إن الطوی إذا شربتم ماءهاصوب الغمام عذوبة و صفاء

و حفرت بنو أسد بن عبد العزی بن قصی شفیة بئر بنی أسد، و قال الحویرث بن أسد:

ماء شفیة کماء المزنو لیس ماؤها بطرق أجن

و حفر بنو عبد الدار بن قصی أم احراد، فقالت أمیمة بنت عمیلة بن السباق بن عبد الدار:

نحر حفرنا البحر أم احرادلیست کبذر النذر و الجماد

فتوح البلدان، ص: ۵۸

فأجابتها صفیة بنت عبد المطلب:

نحن حفرنا بذر تروی الحجیج الأکبر من مقبل و مدبر

و أم أحراد بشر فیها الجراد و الذر و قذر لا یذکر

و حفر بنو جمح السنبلة و هی بئر خلف بن وهب الجمحی فقال قائلهم:

نحن حفرنا للحجیج سنبلهصوب سحاب ذو الجلال أنزله

و حفر بنو سهم الغمر و هی بئر العاصی بن وائل فقال بعضهم:

نحن حفرنا الغمر للحجیج‌تثج ماء أیما ثجیج

قال ابن الکلبی قالها ابن الربعی، و حفرت بنو عدی الحفیر فقال شاعرهم:

نحن حفرنا بئرنا الحفیرابحرا یجیش ماؤه غزیرا

و حفرت بنو مخزوم السقیا بئر هشام بن المغیرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، و حفرت بنو تیم الثریا، و هی بئر عبد اللّه بن جدعان بن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم، و حفرت بنو عامر بن لؤی النقع، قالوا و کانت لجبیر بن مطعم بئر و هی بئر بنی نوفل فأدخلت حدیثا فی دار القوارير التی بناها حماد البربری فی خلافة أمیر المؤمنین هارون الرشید، و کان عقیل بن أبی طالب حفر فی الجاهلیة بئرا و هی فی دار ابن یوسف، فکانت للأسود ابن أبی البختری ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزی بئر علی باب الأسود عند الحناطین فدخلت فی المسجد، بئر عکرمة، نسبت إلی عکرمة ابن خالد بن العاصی بن هاشم بن المغیرة، بئر عمرو، نسبت إلی عمرو بن عبد اللّه بن صفوان بن أمیة بن خلف الجمحی، و کذلک شعب عمرو الطلوب أسفل مکة کانت لعبد اللّه بن صفوان، بئر حویطب نسبت إلی حویطب بن عبد العزی بن أبی قیس من بنی عامر بن لؤی، و هی بفناء داره ببطن الوادی، بئر أبی موسی کانت لأبی موسی الأشعری بالمعلاة، بئر شوذب نسبت إلی شوذب مولی معاویة، و قد دخلت فی المسجد، و یقال: إن

فتوح البلدان، ص: ۵۹

شوذبا کان مولی طارق بن علقمة بن عریج بن جذیمة الکنانی، و یقال کان مولی لنافع بن علقمة بن صفوان بن أمیة بن محرث بن خمل بن شق الکنانی، خال مروان بن الحکم بن أبی العاصی بن أمیة، و بئر بکار نسبت إلی رجل سکن مکة من أهل العراق، و هی بذی طوی، و بئر وردان نسبت إلی وردان مولی السائب بن أبی وداعة بن ضبیرة السهمی، و سقایة سراج بفخ، کانت لسراج مولی بنی هاشم، و بئر الأسود نسبت إلی الأسود بن سفیان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم، و هی بقرب بئر خالصة مولاة أمیر المؤمنین المهدی، و البرود بفخ لمخترش الکعبی من خزاعة، و قال ابن الکلبی صاحب دار ابن علقمة بمکة طارق بن علقمة بن عریج بن خزیمة الکنانی، و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی، و عبد الملک بن قریب الأصمعی و غیرهما، بستان ابن عامر لعمر بن عبد اللّه بن معمر بن عثمان ابن عمرو بن کعب بن سعد بن تیم بن مرة ابن کعب بن لؤی، و لکن الناس غلطوا فیها فقالوا بستان ابن عامر و بستان بنی عامر، و إنما هو بستان ابن معمر، و قوم یقولون نسب إلی ابن عامر الحضرمی، و آخرون یقولون نسب إلی ابن عامر ابن کریز و ذلک ظن و ترجیم.

حدثنی مصعب بن عبد اللّه الزبیر، قال کانت فی الجاهلیة مکة تدعی صلاح، قال أبو سفیان بن حرب الحضرمی:

أبا مطر هلم إلی صلاحلکفیک الندامی من قریش

و تنزل بلدة عزت قدیماو تأمن أن ینالک رب جیش

و حدثنی العباس بن هشام الکلبی، قال کتب بعض الکندیین إلی أبی یسأله عن سجن ابن سباع بالمدینة إلی من نسب، و عن قصة دار الندوة و دار العجلة و دار القوارير بمکة، فکتب إلیه: أما سجن ابن سباع فإنه کان دارا لعبد اللّه بن سباع بن عبد العزی بن نضلة بن

عمرو بن غبشان

فتوح البلدان، ص: ۶۰

الخزاعی، و کان سباع یکنی أبا نیار، و کانت أمه قابلة بمکة فبارزه حمزة بن عبد المطلب یوم أحد فقال له هلم إلی یا ابن مقطعة البظور ثم قتله و أکب علیه لیأخذ درعه فزرقه و حشی و أم طریح بن إسماعیل الثقفی الشاعر بنت عبد اللّه بن سباع و هو حلیف بنی زهرة.

و أما دار الندوة فبناها قصی بن کلاب. فکانوا یجتمعون إلیه فتقضی فیها الأمور، ثم کانت قریش بعده تجتمع فیها فتتشاور فی حروبها و أمورها و تعقد الألویة و تزوج من أراد التزویج، و کانت أول دار بنیت بمکة من دور قریش ثم دار العجلة، و هی دار سعید بن سعد بن سهم، و بنو سهم یدعون أنها بنیت قبل دار الندوة و ذلک باطل، فلم تزل دار الندوة لبنی عبد الدار ابن قصی حتی باعها عکرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصی من معاویة بن أبی سفیان فجعلها دارا للامارة، و أما دار القوارير فکانت لعتبة بنت ربیعة بن عبد شمس بن عبد مناف ثم صارت للعباس ابن عتبة بن أبی لهب بن عبد المطلب، و قد صارت بعد لأم جعفر زبیدة بنت أبی الفضل بن المنصور أمیر المؤمنین، و استعمل فی بعض فرشها و حیطانها شیء من قوارير فقیل دار القوارير و کان حماد البربری بناها فی خلافة الرشید أمیر المؤمنین رحمه اللّه، و قال هشام ابن محمد الکلبی، کان عمرو بن مضاض الجرهمی حارب رجلا من جرهم یقال له السمیدع فخرج عمرو فی السلاح یتقعقع فسمی الموضع الذی خرج منه قعیقعان و خرج السمیدع مقلدا خیله الأجراس فی أجیادها فسمی الموضع الذی خرج منه أجیاد و قال ابن الکلبی. و یقال، إنه خرج بالجیاد المسومة فسمی الموضع أجیاد و عامة أهل مکة یقولون جیاد الصغیر و جیاد الکبیر.

حدثنا الولید ابن صالح، عن محمد بن عمر الأسلمی، عن کثیر بن عبد اللّه عن أبیه عن جده، قال قدمنا مع عمر بن الخطاب فی عمرته سنة سبع عشرة فکلمه

فتوح البلدان، ص: ۶۱

أهل المیاه فی الطریق أن یبتنوا منازل فیما بین مکة و المدینة و لم تکن قبل ذلک فإذن لهم و اشترط علیهم ان ابن السبیل أحق بالماء و الظل.

أمر السیول بمکة

حدثنا العباس بن هشام عن أبیه هشام بن محمد عن ابن خربوز المکی و غیره، قالوا کانت السیول بمکة أربعة، منها سیل أم نهشل و کان فی زمن عمر ابن الخطاب أقبل السیل حتی دخل المسجد من أعلی مکة فعمل عمر الردمین جمیعا إلا علی بین داربة، و هو عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف الذی ولی البصرة فی فتنة ابن الزبیر اصطلح أهلها علیه، و دار أبان بن عثمان بن عفان، و الأسفل عند الحمارین، و هو الذی یعرف بردم آل أسید فتراد السیل عن المسجد الحرام. قال و أم نهشل بنت عبیدة بن سعید بن العاصی بن أمیة ذهب بها السیل من أعلی مکة فنسب إلیها، و منها سیل الجحاف و الجراف فی سنة ثمانین فی زمن عبد الملک ابن مروان صبح الحاج یوم اثنین فذهب بهم و بأمتعتهم و أحاط بالکعبة فقال الشاعر.

لم تر غسان کیوم الاثنین أکثر محزونا و أبکی للعین

إذ ذهب السیل بأهل المصرین و خرج المخبآت یسعین

شواردا فی الجبلین یرقین فکتب عبد الملک إلی عبد اللّه بن سفیان المخزومی عامله علی مکة، و یقال بل کان عامله یومئذ الحارث بن خالد المخزومی الشاعر یأمره بعمل ضفائر الدور الشارعة علی الوادی، و ضفائر المسجد، و عمل الردم علی أفواه السکک لتحصن دور الناس، و بعث لعمل ذلک رجلا نصرانیا فاتخذ الضفائر و ردم الردم الذی یعرف بردم بنی قراد، و هو یعرف ببنی جمح، و

اتخذت ردوم بأسفل مكة

فتوح البلدان، ص: ۶۲

قال الشاعر.

سأملك عبرة و أفيض أخرىإذا جاوزت ردم بنى قراد

و منها السيل الذى يدعى المخبل أصاب الناس فى أيامه مرض فى أجسادهم و خبل فى ألسنتهم فسمى المخبل، و منها سيل أتى بعد ذلك فى خلافة هشام ابن عبد الملك فى سنة عشرين و مائة يعرف بسيل أبى شاكر و هو مسلمة بن هشام و كان على الموسم ذلك العام فنسب إليه، قال و سيل وادى مكة يأتى من موضع يعرف بسدرة عتاب بن أسيد بن أبى العيص.

قال عباس بن هشام، و قد كان فى خلافة المأمون عبد اللّه بن الرشيد رحمه اللّه سيل عظيم بلغ ماؤه قريبا من الحجر، فحدثنى العباس، قال:

حدثنى أبى عن أبيه محمد بن السائب الكلبى، عن أبى صالح عن عكرمة، قال درس شىء من معالم الحرم على عهد معاوية بن أبى سفيان، فكتب إلى مروان ابن الحكم- و هو عامله على المدينة- يأمره إن كان كرز بن علقمة الخزاعى حيا أن يكلفه اقامة معالم الحرام لمعرفته بها، و كان معمرا فأقامها عليه فهى مواضع الأنصاب اليوم.

قال الكلبى، هذا كرز بن علقمة بن هلال بن جربية بن عبدنهم بن حليل ابن حبشية الخزاعى، و هو الذى قفا اثر النبى صلى اللّه عليه و سلم حين انتهى إلى الغاز الذى استخفى فيه و أبو بكر الصديق معه حين أراد الهجرة إلى المدينة فرأى عليه نسج العنكبوت و رأى دونه قدم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فعرفها، فقال، هذه قدم محمد صلى اللّه عليه و سلم و ههنا انقطع الأثر.

فتح الطائف

قال لما هزمت هوازن يوم حنين و قتل دريد بن الصمة أتى فلهم أوطاس،

فتوح البلدان، ص: ۶۳

فبعث إليهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أبا عامر الأشعرى فقتل، فقام بأمر الناس أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى، و أقبل المسلمون إلى أوطاس، فلما رأى ذلك مالك بن عوف بن سعد أحد بنى دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، و كان رئيس هوازن يومئذ، هرب إلى الطائف فوجد أهلها مستعدين للحصار، قد رموا حصنهم و جمعوا فيه الميرة، فأقام بها، و سار رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالمسلمين حتى نزل الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة و النبل، و نصب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم منجنيقا على حصنهم، و كانت مع المسلمين دبابة من جلود البقر فألقت عليها ثقيف سككك الحديد المحماة فأحرقتها فأصيب من تحتها من المسلمين و كان حصار رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الطائف خمس عشرة ليلة، و كان غزوه إياها فى شوال سنة ثمان قالوا: و نزل إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رقيق من رقيق أهل الطائف، منهم أبو بكر بن مسروح مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أسمه نفيع، و منهم الأزرق الذى نسبت الأزارقة إليه. كان عبدا روميا حدادا و هو أبو نافع بن الأزرق الخارجى فاعتقوا بترولهم، و يقال أن نافع بن الأزرق الخارجى من بنى حنيفة. و إن الأزرق الذى نزل من الطائف غيره. ثم إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم انصرف إلى الجعرانة ليقسم سبى أهل حنين و غنائمهم فخافت ثقيف أن يعود إليهم فبعثوا إليه و فدهم فصالحهم على أن يسلموا و يقرهم على ما فى أيديهم من أموالهم و ركازهم. و اشترط عليهم أن لا يرابوا. و لا يشربوا الخمر. و كانوا أصحاب ربا و كتب لهم كتابا قال. و كانت الطائف تسمى وج فلما حصنت و بنى سورها سميت الطائف.

حدثنى المدائنى، عن أبى إسماعيل الطائفى، عن أبيه. عن أشياخ من أهل الطائف. قال كان بمخلاف الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن و يثرب

فتوح البلدان، ص: ۶۴

فأقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية و من بعضهم ابتاع معاوية أمواله بالطائف. قالوا و كانت للعباس بن عبد المطلب رحمه اللّه أرض بالطائف.

و كان الزبيب يحمل منها فينبذ فى السقاية للحاج، و كانت لعامة قريش أموال بالطائف يأتونها من مكة فيصلحونها فلما فتحت مكة و أسلم أهلها طمعت ثقيف فيها حتى إذا فتحت الطائف أقرت فى أيدى المكيين، و صارت أرض الطائف مخلافا من مخاليف مكة. قالوا و فى يوم الطائف أصيبت عين أبى سفيان بن حرب.

حدثنا الوليد بن صالح. قال حدثنا الواقدى، عن محمد بن عبد اللّه، عن الزهرى، عن ابن المسيب، عن عتاب بن أسيد أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمر أن تخرص أعناب ثقيف كخرص النخل ثم يأخذ زكاتهم زبيبا كما تؤدى زكاة النخل، قال الواقدى، قال أبو حنيفة لا يخرص و لكنه إذا وضع بالأرض أخذت الصدقة من قليله و كثيره، و قال يعقوب إذا وضع بالأرض فبلغت مكيلته خمسة أوسق ففيه الزكاة العشر أو نصف العشر.

و هو قول سفيان بن سعيد الثورى. و الوسق ستون صاعا. و قال مالك بن أنس. و ابن أبى ذئب: السنة أن تؤخذ منه الزكاة على الخرص كما يؤخذ التمر من النخل.

حدثنا شيبان بن أبى شيبة. قال حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا يحيى ابن سعيد. عن عمرو بن شعيب أن عاملا لعمر بن الخطاب رضى اللّه عنه على الطائف كتب إليه أن أصحاب العسل لا يرفعون إلينا ما كانوا يرفعون إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و هو من كل عشرة زقاق زق، فكتب إليه عمر إن فعلوا فأحموا لهم أوديتهم و إلا فلا تحموها. حدثنا عمرو بن محمد الناقد، قال حدثنا إسماعيل بن ابراهيم، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبيه، عن جده، عن عمر أنه جعل فى العسل العشر.

حدثنا داود بن عبد الحميد قاضى الرقة عن مروان بن شجاع عن خصيف

فتوح البلدان، ص: ۶۵

عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عماله على مكة و الطائف: أن فى الخلايا صدقة فخذوها منها قال: و الخلايا الكواثر و قال الواقدى و روى عن ابن عمر أنه قال ليس فى الخلايا صدقة، و قال مالك و الثورى: لا زكاة فى العسل و إن كثر، و هو قول الشافعى، و قال أبو حنيفة فى قليل العسل و كثيره إذا كان فى أرض العشر، العشر، و إذا كان فى أرض الخراج فلا شىء عليه، لأنه لا يجتمع الزكاة و الخراج على رجل، و قال الواقدى: أخبرنى القاسم بن معن، و يعقوب، عن أبى حنيفة أنه قال فى العسل يكون فى أرض ذمى و هى من أرض العشر أنه لا عشر عليه فيه و على أرضه الخراج، و إذا كان فى أرض تغلبى أخذ منه الخمس، و قول زفر مثل قول أبى حنيفة، و قال أبو يوسف: إذا كان العسل فى أرض الخراج فلا شىء فيه و إذا كان فى أرض العشر ففى كل عشرة أرطال رطل، و قال محمد بن الحسن ليس فيما دون خمسة أفراق صدقة، و هو قول ابن أبى ذئب.

و روى خالد بن عبد اللّه الطحان عن ابن أبى ليلى أنه قال إذا كان فى أرض الخراج أو العشر ففى كل عشرة أرطال رطل، و هو قول الحسن بن صالح ابن حى. و حدثنى أبو عبيد، قال: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعى، عن الزهرى، قال: فى كل عشرة زقاق زق، و حدثنا. الحسين بن على بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن حميد الرقاشى، عن جعفر بن نجيح المدينى، عن بشر بن عاصم، و عثمان بن عبد اللّه بن أوس، أن سفيان بن عبد اللّه الثقفى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و كان عاملا له على الطائف يذكر إن قبله حيطانا فيها كروم و فيها من الفرسك و الرمان، و ما هو أكثر غلة من الكروم أضافا و استأمره فى العشر، فقال فكتب إليه عمر: ليس عليها عشر.

قال يحيى بن آدم، و هو قول سفيان بن سعيد، سمعته يقول ليس فيما

فتوح البلدان، ص: ۶۶

أخرجت الأرض صدقة إلا أربعة أشياء الحنطة، و الشعير، و التمر و الزبيب إذا بلغ كل واحد من ذلك خمسة أوسق، قال و قال أبو حنيفة فيما أخرجت أرض العشر العشر و لو دستجة بقل، و هو قول زفر، و قال مالك، و ابن أبى ذئب و يعقوب. ليس فى القبول و ما أشبهها صدقة، و قالوا ليس فيما دون خمسة أوسق من الحنطة و الشعير، و الذرة، و السلت، و الزوان، و التمر و الزبيب، و الأرز، و السمسم، و الجلبان، و أنواع الحبوب التى تكال و تدخر مع العدس، و اللوبيا، و الحمص، و الماش، و الدخن، صدقة، فإذا بلغت خمسة أوسق ففيها صدقة، قال الواقدى، و هذا قول ربيعة بن أبى عبد الرحمن و قال الزهرى. التوابل و القطانى كلها تزكى، و قال مالك. لا شىء فى الكمثرى و الفرسك. و هو الخوخ. و لا فى الرمان و سائر أصناف الفواكه الرطبة من صدقة. و هو قول ابن أبى ليلى. قال أبو يوسف ليس الصدقة إلا فيما وقع عليه القفيز. و جرى عليه الكيل. و قال أبو الزناد. و ابن أبى ذئب. و ابن أبى سبرة لا شىء فى الخضر و الفواكه من صدقة و لكن الصدقة فى أثمانها ساعة تباع و حدثنى عباس بن هشام. عن أبيه عن جده أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم استعمل عثمان بن أبى العاصى الثقفى على الطائف.

فتح تبالة و جرش

حدثنى بكر بن القيثم، عن عبد الرزاق عن معمر، عن الزهرى، قال:

أسلم أهل تبالة و جرش من غير قتال، فأمرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على ما أسلموا عليه و جعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب دينارا.

و اشترط عليهم ضيافة المسلمين. و ولى أبا سفيان بن حرب جرش

فتوح البلدان، ص: ۶۷

غزوة تبوک و أيلة و ذرح و مقنا و الجرباء

قالوا: لما توجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى تبوک من أرض الشام لغزو من انتهى إليه أن قد تجمع له من الروم و عاملة و لخم و جذام و غيرهم و ذلک فى سنة تسع من الهجرة لم يلق كيدا، فأقام بتبوک أياما فصالحه أهلها على الجزية و أتاه و هو بها يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على أن جعل له على كل حالم بأرضه فى السنة دينارا فبلغ ذلک ثلاثمائة دينار، و اشترط عليهم قرى من مر بهم من المسلمين، و كتب لهم كتابا بأن يحفظوا و يمنعوا.

فحدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنا الواقدى، عن خالد بن ربيعة، عن طلحة الأبلى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يزداد من أهل أيلة على ثلاثمائة دينار شيئا، و صالح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أهل اذرح على مائة دينار فى كل رجب، و صالح أهل الجرباء على الجزية و كتب لهم كتابا، و صالح أهل مقنا على ربع عروكهم و غزولهم و العروک خشب يصطاد عليه و ربع كراعهم و حلقتهم و على ربع ثمارهم، و كانوا يهودا و أخبرنى بعض أهل مصر أنه رأى كتابهم بعينه فى جلد أحمر دارس الخط فنسخه و أملى نسخته

بسم اللّه الرحمن الرحيم: من محمد رسول اللّه إلى بنى حبيبة، و أهل مقنا، سلم أنتم فإنه أنزل على انكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتابى هذا فإنكم آمنون و لكم ذمة اللّه و ذمة رسوله، و إن رسول اللّه قد غفر لكم ذنوبكم. و كل دم اتبعتم به لا شريک لكم فى قريتكم إلا رسول اللّه. أو رسول رسول اللّه. و انه لا ظلم عليه و لا عدوان. و ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يجيركم مما يجير منه نفسه فإن لرسول اللّه بزتكم و رقيقكم و الكراع و الحلقة الا ما عفا عنه رسول اللّه، أو رسول رسول اللّه، و إن عليكم بعد ذلک ربع ما أخرجت نخيلكم

فتوح البلدان، ص: ۶۸

و ربع ما صادت عرككم، و ربع ما اغتزلت نساؤكم. و انكم قد ثريتم بعد ذلكم و رفعكم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن كل

جزیة و سخرة. فإن سمعتم و أطعتم فعلی رسول اللّه أن یکرم کریمکم و یعفو عن مسیئکم، و من ائتمر فی بنی حبیبة، و أهل مقنا من المسلمین خیرا فهو خیر له. و من أطلعهم بشر فهو شر له، و لیس علیکم أمیر إلا من أنفسکم أو من أهل بیت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و کتب علی بن أبو طالب فی سنة تسع

فتح دومة الجندل

قال. بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خالد بن الولید بن المغیرة المخزومی إلی أکیدر بن عبد الملک الکندی ثم السکونی بدومة الجندل فأخذه أسیرا و قتل أخاه و سلبه قباء دیباج منسوجا بالذهب. قدم بأکیدر علی النبی صلی اللّه علیه و سلم فأسلم و کتب له و لأهل دومة کتابا نسخته

هذا کتاب من محمد رسول اللّه لاکیدر. حین أجاب إلی الإسلام، و خلع

فتوح البلدان، ص: ۶۹

الأنداد و الأصنام، و لأهل دومة أن لنا الضاحیة من الضحل، و البور و المعامی. و أغفال الأرض و الحلقة و السلاح و الحافر و الحصن، و لکم الضامنة من النخل، و المعین من المعمور، لا تعدل سارحتکم و لا تعد فاردتکم ، و لا یحظر علیکم النبات ، تقیمون الصلاة لوقتها، و تؤتون الزکاة بحقها، علیکم بذلک عهد اللّه و المیثاق، و لکم به الصدق و الوفاء، شهد اللّه و من حضر من المسلمین.

و حدثنی العباس بن هشام الکلبی، عن أبیه عن جده، قال: وجه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خالد بن الولید إلی أکیدر، فقدم به علیه فاسلم، فکتب له کتابا، فلما قبض النبی صلی اللّه علیه و سلم منع الصدقة و نقض العهد و خرج من دومة الجندل فلحق بالحیرة، و ابتنی بها بناء سماه دومة بدومة الجندل، و أسلم حریث بن عبد الملک أخوه علی ما فی یده، فسلم ذلک له، فقال سوید بن شبیب الکلبی:

لا یأمنن قوم عثار جدودهم کما زال من خبت ظعائن اکدرا

قال: و تزوج یزید بن معاویة ابنة حریث أخی أکیدر، قال العباس

فتوح البلدان، ص: ۷۰

و أخبرنی أبی عن عوانة بن الحکم أن أبا بکر کتب إلی خالد بن الولید و هو بعین التمر یأمره أن یسیر إلی أکیدر، فسار الیه فقتله، و فتح دومة، و کان قد خرج منها بعد وفاة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ثم عاد إلیها، فلما قتله خالد مضی إلی الشام، و قال الواقدی. لما شخص خالد من العراق یرید الشام مر بدومة الجندل ففتحها و أصاب سبایا، فکان فیمن سبا منها لیلی بنت الجودی الغسانی و یقال أنها أصیبت فی حاضر من غسان أصابتها خیل له، و ابنة الجودی هی التی کان عبد الرحمن بن أبی بکر الصدیق هویها و قال فیها:

تذکرت لیلی و السماوة بیننا و ما لابنة الجودی لیلی و مالیا

فصارت له فتزوجها و غلبت علیه حتی أعرض عمن سواها من نسائه ثم انها اشتکت شکوی شدیدة فتغیرت فقلاها، فقیل له متعها وردها إلی أهلها ففعل، و قال الواقدی: کان النبی صلی اللّه علیه و سلم غزا دومة الجندل فی سنة خمس فلم یلق کیدا و وجه خالد بن الولید إلی أکیدر فی شوال سنة تسع بعد إسلام خالد بن الولید بعشرین شهرا، و سمعت بعض أهل الحیرة یذکر أن أکیدر و أخوته کانوا ینزلون دومة الحیرة، و کانوا یزورون أخوالهم من کلب فیتغربون عندهم، فإنهم لمعهم و قد خرجوا للصید إذ رفعت لهم مدینة متهدمة لم یبق إلا بعض حیطانها، و کانت مبنیة بالجندل فأعادوا بناءها و غرسوا فیها الزیتون و غیره و سموها دومة الجندل، تفرقة بینها و بین دومة الحیرة.

و حدثنی عمرو بن محمد الناقد، عن عبد اللّه بن وهب المصری، عن یونس الأیلی، عن الزهری، قال: بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خالد ابن الولید ابن المغیرة إلی أهل دومة الجندل، و کانوا من عباد الکوفة فأسر أکیدر رأسهم فقاضاه علی الجزیة

.

فتوح البلدان، ص: ۷۱

صلح نجران

حدثنی بکر بن الهیثمی، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح، عن اللیث بن سعد عن یونس بن یزید الابلی، عن الزهری، قال: أتی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم السید و العاقب و فد أهل نجران الیمن فسألاه الصلح، فصالحهما عن أهل نجران علی ألفی حلهٔ فی صفر و ألف حلهٔ فی رجب، ثمن کل حلهٔ أوقیهٔ و الأوقیهٔ وزن أربعین درهما، فان أدوا حلهٔ بما فوق الأوقیهٔ حسب لهم فضل ذلک، و أن أدوها بما دون الأوقیهٔ أخذ منهم النقصان، و علی أن یأخذ منهم ما أعطوا من سلاح أو خیل أو رکاب أو عرض من العروض بقیمته قصاصا من الحلل، و علی أن یضیفوا رسل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم شهرا فما دونه، و لا یحبسوهم فوق أن شهر، و علی علیهم عاریهٔ ثلاثین درعا و ثلاثین فرسا، و ثلاثین بعیرا أن کان بالیمن کید، و أن ما هلک من تلک العاریهٔ فأرسل ضامنون له حتی یردوه، و جعل لهم ذمهٔ اللّه و عهده، و أن لا یفتنوا عن دینهم و مراتبهم فیه و لا یحشروا و لا یعشروا و اشترط علیهم أن لا یأکلوا الربا و لا یتعاملوا به.

حدثنی الحسین ابن الأسود: حدثنا وکیع، قال: حدثنا مبارک بن فضالهٔ، عن الحسن، قال جاء راهبا نجران إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم فعرض علیهما الإسلام، فقالا أنا قد أسلمنا قبلک، فقال: کذبتما یمنعکما من الإسلام ثلاث، أکلکما الخنزیر و عبادتکما الصلیب، و قولکما اللّه ولد قالا فمن أبو عیسی، قال الحسن، و کان صلی اللّه علیه و سلم لا یعجل حتی یأمره ربه فأنزل اللّه تعالی (ذلِکَ نَتْلُوهُ عَلَیْکَ مِنَ الْآیاتِ وَ الذِّکْرِ الْحَکِیمِ، إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللَّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ) إلی قوله (الْکاذِبِینَ) فقرأها رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علیهما ثم دعاهما إلی المباهلهٔ و أخذ بید فاطمهٔ و الحسن و الحسین، فقال أحدهما لصاحبه

فتوح البلدان، ص: ۷۲

اصعد الجبل و لا تباهله فإنک إن باهلته بؤت باللعنهٔ، قال فما تری، قال:

أری أن نعطیه الخراج و لا نباهله.

حدثنی الحسین، قال. حدثنی یحیی بن آدم، قال أخذت نسخهٔ کتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لأهل نجران من کتاب رجل، عن الحسن بن صالح رحمه اللّه، و هی. بسم اللّه الرحمن الرحیم، هذا ما کتب النبی رسول اللّه محمد لنجران إذ کان له علیهم حکمهٔ فی کل ثمرهٔ و صفراء و بیضاء و سوداء رقیق فأفضل علیهم و ترک ذلک الفی حلهٔ حلل الأواقی، فی کل رجب ألف حلهٔ، و فی کل صفر ألف حلهٔ کل حلهٔ أوقیهٔ، و ما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقی فبالحساب، و ما نقصوا من درع أو خیل أو رکاب أو عرض أخذ منهم بالحساب و علی نحران مثواهٔ رسلی شهرا فدونه، و لا یحبس رسلی فوق شهر و علیهم عاریهٔ ثلاثین درعا، و ثلاثین فرسا، و ثلاثین بعیرا، إذا کان کید بالیمن ذو مغدرهٔ أی إذا کان کید بغدر منهم، و ما هلک مما أعاروا رسلی من خیل أو رکاب فهم ضمن حتی یردوه إلیهم، و لنجران و حاشیتها جوار اللّه و ذمهٔ محمد النبی رسول اللّه علی أنفسهم، و ملتهم، و أرضهم، و أموالهم. و غائبهم و شاهدهم و عیرهم و بعثهم. و أمثلتهم لا یغیر ما کانوا علیه و لا یغیر حق من حقوقهم. و أمثلتهم لا یفتن أسقف من أسقفیته. و لا راهب من رهبانیته. و لا واقه من وقاهیته علی ما تحت أیدیهم من قلیل أو کثیر، و لیس علیهم رهق و لا دم جاهلیهٔ، و لا یحشرون و لا یعشرون و لا یطأ أرضهم جیش. من سأل منهم حقا فبینهم النصف. غیر ظالمین و لا مظلومین بنجران. و من أکل منهم ربا من ذی قبل فذمتی منه بریئهٔ. و لا یؤخذ منهم رجل بظلم آخر و لهم علی ما فی هذه الصحیفهٔ جوار اللّه. و ذمهٔ محمد النبی أبدا حتی یأتی أمر اللّه ما نصحوا و أصلحوا فیما علیهم غیر مکلفین شیئا بظلم شهد أبو سفیان بن حرب و غیلان بن عمرو و مالک

فتوح البلدان، ص: ۷۳

ابن عوف من بنی نصر، و الأقرع بن حابس الحنظلی، و المغیرهٔ و کتب.

و قال يحيى بن آدم، و قد رأيت كتابا فى أيدى النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة و فى أسفله، و كتب على بن أبى طالب، و لا أدرى ما أقول فيه، قالوا و لما استخلف أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه حملهم على ذلك فكتب لهم كتابا على نحو كتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أصابوا الربا و كثر فخافهم على الإسلام فاجلاهم و كتب لهم.

«أما بعد» فمن وقعوا به من أهل الشام و العراق فليوسعهم من حرث الأرض، و ما اعتملوا من شىء فهو لهم مكان أرضهم باليمن، فتفرقوا فنزل بعضهم الشام و نزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة، و بهم سميت و دخل يهود نجران مع النصارى فى الصلح، و كانوا كالأتباع لهم، فلما استخلف عثمان بن عفان كتب إلى الوليد بن عقبة بن أبى معيط و هو عامله على الكوفة.

«أما بعد» فإن العاقب، و الأسقف، و سراة نجران، أتونى بكتاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و أرونى شرط عمر، و قد سألت عثمان بن حنيف عن ذلك فأنبأنى أنه كان بحث عن أمرهم فوجده ضارا للدهاقين، لردعهم عن أرضهم، و إنى قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتى حلة لوجه اللّه، و عقبى لهم من أرضهم، و إنى أوصيك بهم، فإنهم قوم لهم ذمة، و سمعت بعض العلماء يذكر أن عمر كتب لهم.

«أما بعد» فمن وقعوا به من أهل الشام و العراق فليوسعهم من حرث الأرض، و سمعت بعضهم يقول من خريب الأرض،

و حدثنى عبد الأعلى ابن حماد النرسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل ابن حكيم، عن عمر بن عبد العزيز أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال فى مرضه: لا يبقين دينان فى أرض العرب،

فلما استخلف عمر بن الخطاب

فتوح البلدان، ص: ۷۴

رضى اللّه عنه أجلى أهل نجران إلى النجرانية، و اشترى عقاراتهم و أموالهم.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده، قال: سميت نجران اليمن بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال حدثنا وكيع بن الجراح، قال حدثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعد. قال: كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفا فتحاسدوا بينهم: فاتوا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فقالوا: أجلنا، و كان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فاجلاهم فندموا بعد ذلك و أتوه فقالوا: أقلنا فأبى ذلك،

فلما قام على بن أبى طالب رضى اللّه عنه أتوه فقالوا: ننشدك خطك بيمينك و شفاعتك لنا عند نبيك إلا أقلتنا، فقال إن عمر كان رشيد الأمر، و أنا أكره خلافه.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى، قال حدثنى محمد بن مروان، و الهيثم بن عدى، عن الكلبى، أن صاحب النجرانية بالكوفة كان يبعث رسله إلى جميع من بالشام و النواحى، من أهل نجران، فيجبونهم مالا يقسمه عليهم لإقامة الحلل، فلما ولى معاوية أو يزيد بن معاوية، شكوا إليه تفرقهم و موت من مات و إسلام من أسلم منهم و أحضروه كتاب عثمان بن عفان بما حطهم من الحلل و قالوا إنما ازددنا نقصانا و ضعفا، فوضع عنهم مائتى حلة يتمه أربعمائة حلة، فلما ولى الحجاج بن يوسف العراق، و خرج ابن الأشعث عليه اتهم الدهاقين بموالاته و اتهمهم معهم فردهم إلى ألف و ثمانمائة حلة و أخذهم بحلل وشى فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم و نقصانهم و إلحاح الأعراب بالغارة عليهم و تحميلهم إياهم المؤمن المجحفة بهم و ظلم الحجاج إياهم، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى، فقال أرى هذا الصلح جزية على رؤسهم و ليس هو بصلح عن أرضهم و جزية الميت و المسلم ساقطة فألزمهم مائتى حلة قيمتها ثمانية ألف درهم، فلما ولى يوسف بن عمر العراق، فى أيام

فتوح البلدان، ص: ۷۵

الوليد بن يزيد ردهم إلى أمرهم الأول عصبية للحجاج، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو العباس رحمه اللّه عمدوا إلى طريقه يوم ظهر بالكوفة فألقوا فيه الريحان و نثروا عليه و هو منصرف إلى منزله من المسجد، فأعجبه ذلك من فعلهم، ثم أنهم رفعوا إليه فى أمرهم و

أعلموه قلتهم و ما كان من عمر بن عبد العزيز و يوسف بن عمر و قالوا: أن لنا نسبا فى أخوالك بنى الحارث بن كعب، و تكلم فيهم عبد اللّه بن الربيع الحارثى، و صدقهم الحجاج بن أرطاة فيما أدعوا، فردهم أبو العباس صلوات اللّه عليه إلى مائتى حلة قيمتها ثمانية ألف درهم.

قال أبو مسعود: فلما استخلف الرشيد هارون أمير المؤمنين، و شخص إلى الكوفة يريد الحج رفعوا إليه فى أمرهم، و شكوا تعنت العمال إياهم، فأمر فكتب لهم كتاب بالمائتى حلة قد رأيته، و أمر أن يعفوا من معاملة العمال و أن يكون مؤداهم بيت المال بالحضرة.

حدثنا عمرو الناقد، قال: أخبرنا عبد اللّه بن وهب المصرى، عن يونس ابن يزيد، عن ابن شهاب الزهرى. قال: أنزلت فى كفار قريش و العرب «وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» و أنزلت فى أهل الكتاب (قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ. وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) إلى قوله (صاغِرُونَ). فكان أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما علمنا. و كانوا نصارى. ثم أعطى أهل أيلة. و أذرح. و أهل أذرعات الجزية فى غزوة تبوك.

وفود أهل اليمن إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و إسلامهم

قالوا: لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. و علو حقه أتته وفودهم. فكتب لهم كتابا بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم،

فتوح البلدان، ص: ۷۶

و أرضيهم، و ركازهم، فأسلموا و وجه إليهم رسله و عماله، لتعريفهم شرائع الإسلام و سننه. و قبض صدقاتهم. و جز رءوس من أقام على النصرانية و اليهودية و المجوسية منهم.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا يزيد ابن ابراهيم التسترى، عن الحسن، قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى أهل اليمن، من صلى صلاتنا، و استقبل قبلتنا. و أكل ذبيحتنا. فذلكم المسلم له ذمة اللّه و ذمة رسوله صلى اللّه عليه و سلم، و من أبى فعليه الجزية

* و حدثنى هدبة، قال: حدثنا يزيد بن ابراهيم، عن الحسن بمثله، قال الواقدى: وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خالد بن سعيد ابن العاص أميرا إلى صنعاء و أرضها قال، و قال بعضهم: ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المهاجرين أبى أمية ابن المغيرة المخزومى صنعاء فقبض و هو عليها، قال و قال آخرون إنما ولى المهاجر صنعاء أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه، و ولى خالد بن سعيد مخاليف أعلى اليمن.

و قال هشام بن الكلبى، و الهيثم بن عدى: ولى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المهاجر كندة و الصدف. فلما قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:

كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد البياضى من الأنصار بولاية كندة و الصدف إلى ما كان يتولى من حضرموت. و ولى المهاجر صنعاء ثم كتب إليه بإنجاد زياد بن لبيد. و لم يعزله عن صنعاء.

و أجمعوا جميعا: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ولى زياد بن لبيد حضرموت. قالوا و ولى النبى صلى اللّه عليه و سلم أبا موسى الأشعرى زبيد.

و رمع و عدن و الساحل: و ولى معاذ بن جبل الجند و صير إليه القضاء و قبض جميع الصدقات باليمن: و ولى نجران عمرو بن حزم الأنصارى، و يقال:

إنه ولى أبا سفيان بن حرب نجران بعد عمرو بن حزم.

فتوح البلدان، ص: ۷۷

و أخبرنی عبد اللّه بن صالح المقرئ، قال: حدثنی الثقة ابن لهیعة عن أبی الأسود عن عروة بن الزبیر أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کتب إلی ذرعة بن ذی یزن.

«أما بعد» فإذا أتاکم رسولی معاذ بن جبل و أصحابه فاجمعوا ما عندکم من الصدقة و الجزیة فأبلغوه ذلک، فإن أمیر رسلی معاذ و هو من صالحی من قبلی، و أن مالک بن مرارة الرهاوی حدثنی أنک قد استلمت أول حمیر، و فارقت المشرکین، فابشر بخیر، و أنا آمرکم یا معشر حمیر ألا تخونوا، و لا تحادوا، فإن رسول اللّه مولی غنیکم و فقیرکم، و أن الصدقة لا تحل لمحمد و لا لآله، إنما هی زکاة تزکون بها: هی لفقراء المسلمین و المؤمنین، و أن مالکا قد بلغ الخبر و حفظ الغیب و أن معاذا من صالحی أهلی و ذوی دینهم، فآمرکم به خیرا فإنه منظور إلیه و السلام.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال حدثنی یحیی بن آدم، قال: حدثنا یزید بن عبد العزیز، عن عمرو بن عثمان بن موهب، قال: سمعت موسی بن طلحة یقول: بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معاذ بن جبل علی صدقات الیمن، و أمره أن یأخذ من النخل و الحنطة و الشعیر و العنب أو قال الزبیب العشر و نصف العشر.

و حدثنی الحسین، قال حدثنی یحیی بن آدم، قال:

حدثنا زیاد عن محمد بن إسحاق أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کتب لعمرو بن حزم حین بعثه إلی الیمن.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا بیان من اللّه و رسوله (یا أیها الذین آمنوا أوفوا بالعقود): عهد من محمد النبی رسول اللّه، لعمرو بن حزم حین بعثه إلی الیمن، أمره بتقوی اللّه فی أمره کله، و ان یأخذ من المغانم خمس اللّه، و ما کتب علی المؤمنین من الصدقة من العقار عشر ما سقی البعل و سقت السماء و نصف

فتوح البلدان، ص: ۷۸

العشر مما سقی الغرب.

و

حدثنی الحسین، قال: حدثنی یحیی بن آدم، قال:

حدثنا زیاد بن عبد اللّه البکائی، عن محمد بن إسحاق، قال: کتب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی ملوک حمیر.

بسم اللّه الرحمن الرحیم، من محمد النبی رسول اللّه، إلی الحارث بن عبد کلال، و نعیم بن عبد کلال، و شرح بن کلال، و إلی النعمان قیل ذی رعین، و معافر و همدان، أما بعد فإن اللّه قد هداکم بهدایته، أن أصلحتم و أطعتم اللّه و رسوله و أقمتم الصلاة، و أتیتم الزکاة، و أعطیتم من المغانم خمس اللّه، و سهم النبی وصفیه و ما کتب اللّه علی المؤمنین من الصدقة من العقار عشر ما سقت العین و سقت السماء و ما سقی بالغرب نصف العشر.

و قال هشام بن محمد الکلبی، کان کتاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی عریب، و الحارث ابنی عبد کلال بن عریب بن لیشرح.

و حدثنا یوسف ابن موسی القطان، قال: حدثنا جریر بن عبد الحمید قال: حدثنا منصور عن الحکم، قال: کتب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی معاذ بن جبل و هو بالیمن أن فیما سقت السماء أو سقی غیلا العشر، و فیما سقی بالغرب و الدالیة نصف العشر، و إن علی کل حالم دینارا أو عدل ذلک من المعافر، و إن لا یفتن یهودی عن یهودیته، قالوا الغیل السیح: و الغرب الدلو یعنی ما سقی بالسوانی، و الدوالی. و الدوالیب، و الغرافات، و البعل السیح أیضا: و المعافر ثیاب لهم.

حدثنا أبو عبید قال: حدثنا مروان بن معاویة، عن الأعمش، عن أبی وائل عن مسروق، قال: بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معاذ إلی الیمن و أمره أن یأخذ من کل ثلاثین بقرة تبیعا، و من کل أربعین مسنة، و من کل حالم دینارا أو عدل ذلک من المعافر.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم، قال: حدثنی شیبان البرجمی، عن عمرو، عن الحسن، قال: أخذ رسول اللّه صلی اللّه

فتوح البلدان، ص: ۷۹

علیه و سلم الجزیة من مجوس هجر، و مجوس أهل الیمن، و فرض علی کل من بلغ الحلم من مجوس الیمن من رجل أو امرأة دینارا أو قیمته من المعافر.

حدثنا عمرو الناقد، عن عبد اللّه بن وهب، عن مسلمة بن علی، عن المثنی بن الصباح، عن عمرو بن شعیب، عن أبیه عن جده، أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فرض الجزیة علی کل محتلم من أهل الیمن دینارا.

حدثنا شیبان بن أبی شیبة الإبلی، قال: حدثنا قزعة بن سوید الباهلی، قال: سمعت زکریا بن إسحاق یحدث عن یحیی بن صیفی، أو أبی معبد «عن ابن عباس، قال: لما بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معاذ ابن جبل إلی الیمن قال: أما أنک تأتی قوما من أهل الکتاب، فقل لهم.

إن اللّه فرض علیکم فی الیوم و اللیلة خمس صلوات، فإن أطاعوک فقل:

إن اللّه فرض علیکم فی السنة صوم شهر رمضان، فإن أطاعوک فقل:

إن اللّه فرض علیکم حج البیت من استطاع إلیه سبیلا فإن أطاعوک فقل: إن اللّه قد فرض علیکم فی أموالکم صدقة تؤخذ من أغنیائکم فترد فی فقرائکم، فإن أطاعوک فإیاک و کرائم أموالهم. و إیاک و دعوة المظلوم، فإنه لیس بینها و بین اللّه حجاب و لا ستر».

حدثنا شیبان، قال: حدثنا حماد بن مسلمة. قال: حدثنا الحجاج بن أرطاة. عن عثمان بن عبد اللّه. أن المغیرة بن عبد اللّه قال: قال الحجاج صدقوا کل خضراء. فقال أبو بردة بن أبی موسی: صدق. فقال موسی بن طلحة لأبی بردة: هذا الآن یزعم أن أباه کان من أصحاب النبی صلی اللّه علیه و سلم، بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم معاذ بن جبل إلی الیمن فأمره أن یأخذ الصدقة من التمر و البر و الشعیر و الزبیب. و حدثنی عمرو الناقد. قال: حدثنا وکیع عن عمرو بن عثمان. عن موسی بن طلحة بن عبید اللّه. قال: قرأت کتاب معاذ بن جبل حین بعثه رسول اللّه صلی اللّه

فتوح البلدان، ص: ۸۰

علیه و سلم إلی الیمن فکان فیه، أن تؤخذ الصدقة من الحنطة، و الشعیر، و التمر، و الزبیب، و الذرة.

حدثنا علی بن عبد اللّه المدینی، قال: حدثنا سفیان بن عیینة عن ابن أبی نجیح، قال: سألت مجاهدا لم وضع عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه علی أهل الشام من الجزیة أکثر مما وضع علی أهل الیمن، فقال للیسار. حدثنا الحسین بن علی بن الأسود، قال حدثنا وکیع عن سفیان عن ابراهیم بن میسرة عن طاوس، قال: لما أتی معاذ الیمن أتی بأوقاص البقر، و العسل، فقال لم أومر فی هذا بشیء.

و حدثنا الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم، قال: حدثنا عبد اللّه بن المبارک عن معمر عن یحیی بن قیس المازنی عن رجل عن أبیض ابن حمال أنه استقطع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الملح الذی بما رب، فقال رجل إنه کالماء العد، فأبی أن یقطعه إیاه. و حدثنی القاسم بن سلام و غیره عن إسماعیل بن عیاش عن عمرو بن یحیی بن قیس المازنی عن أبیه عمن حدثه عن أبیض بن حمال بمثله. و حدثنی أحمد بن ابراهیم الدورقی، قال: حدثنا أبو داود الطیالسی، قال حدثنا شعبة عن سماک عن علقمة بن وائل الحضرمی عن أبیه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم أقطعه أرضا بحضرموت.

و حدثنی علی بن محمد بن عبد اللّه بن أبی سیف، مولی قریش، عن مسلمة ابن محارب، قال: لما ولی محمد بن یوسف أخو الحجاج بن یوسف الیمن، أساء السیرة، و ظلم الرعیة، و أخذ أراضی الناس بغیر حقها، فکان مما اغتصبه الحرجة، قال: و ضرب علی أهل الیمن خراجا جعله وظیفة علیهم، فلما ولی عمر بن عبد العزیز کتب إلی عامله یأمره بالغاء تلک الوظیفة و الاقتصار علی العشر، و قال: و اللّه لأن لا تأتینی من الیمین حفنة کتم أحب إلی من اقرار هذه الوظیفة، فلما ولی یزید بن عبد الملک أمر بردها.

فتوح البلدان، ص: ۸۱

حدثنی الحسن بن محمد الزعفرانی عن الشافعی عن أبی عبد الرحمن هشام بن یوسف قاضی صنعاء، أن أهل خفاش أخرجوا کتابا من أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنه فی قطعة أدیم یأمرهم فیه أن یؤدوا صدقة الورس، و قال مالک، و ابن أبی ذئب، و جمیع أهل الحجاز من الفقهاء، و سفیان الثوری، و أبو یوسف: لا زکاة فی الورس، و الوسمة، و القرط، و الکتم، و الحناء، و الورد، و قال أبو حنیفة: فی قلیل ذلک و کثیره الزکاة، و قال مالک فی الزعفران. إذا بلغ ثمنه مائتی درهم و بیع خمسة دراهم، و هو قول أبی الزناد، و روی عنه أیضا أنه قال: لا شیء فی الزعفران، و قال أبو حنیفة و زفر فی قلیله و کثیره الزکاة، و قال أبو یوسف و محمد بن الحسن.

إذا بلغ ثمنه أدنی ثمن خمسة أوسق تمر أو حنطة أو شعیر أو ذرة أو صنف من أصناف الحبوب ففیه الصدقة، و قال ابن أبی لیلی لیس فی الخضر شیء، و هو قول الشعبی، و قال عطاء، و ابراهیم النخعی: فیما أخرجت أرض العشر من قلیل و کثیر العشر أو نصف العشر.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن سعید بن سالم، عن الصلت بن دینار، عن ابن أبی رجاء العطاردی، قال: کان ابن عباس بالبصرة یأخذ صدقاتنا حتی دساتج الکراث. و حدثنا الحسین، قال:

حدثنا یحیی بن آدم قال: حدثنا ابن المبارک. عن معمر، عن طاوس، و عکرمة أنهما قالا: لیس فی الورس و العطب- و هو القطن- زکاة، و قال أبو حنیفة و بشر فی الذمة یملکون الأرضین من الأراضی العشر مثل الیمن التی أسلم علیها أهلها و البصرة التی أحیاها المسلمون و ما أقطعته الخلفاء من القطائع التی لا حق فیها لمسلم و لا معاهد أنهم یلزمون الجزیة فی رقابهم، و یوضع الخراج علی أرضهم بقدر احتمالها، و یکون مجری ما یجتبی منهم مجری مال الخراج، فإن أسلم منهم مسلم وضعت عنه الجزیة، و الزم الخراج فی أرضه أبدا علی قیاس السواد، و هو قول ابن ابی لیلی.

فتوح البلدان، ص: ۸۲

و قال ابن شبرمة، و أبو یوسف: توضع علیهم الجزیة فی رقابهم و علیهم الضعف مما علی المسلمین فی أرضهم. و هو الخمس أو العشر، و قاسا ذلک علی أمر نصاری بنی تغلب، و قال أبو یوسف: ما أخذ منهم فسبیله الخراج، فان أسلم الذمی أو خرجت أرضه إلی مسلم صارت عشریة، و قد روی ذلک عن عطاء، و الحسن، و قال ابن أبی ذئب، و ابن أبی سبرة، و شریک بن عبد اللّه النخعی، و الشافعی: علیهم الجزیة فی رقابهم و لا خراج و لا عشر فی أرضهم، لأنهم لیسوا ممن تجب علیه الزکاة و لیست أرضهم بأرض خراج، و هو قول الحسن بن صالح بن حی الهمدانی، و قال سفیان الثوری، و محمد بن الحسن: علیهم العشر غیر مضعف، لأن الحکم حکم الأرض و لا ینظر إلی مالکها.

و قال الأوزاعی، و شریک بن عبد اللّه، إن کانوا ذمة مثل یهود الیمن التی أسلم أهلها و هم بها: لم تؤخذ منهم شیئا غیر الجزیة و لا تدع الذمی یبتاع أرضا من أراضی العشر و لا یدخل فیها- یعنی یملکها به- و قال الواقدی:

سألت مالکا عن الیهودی من یهود الحجاز یبتاع أرضا بالجرف فیزرعها، قال: یؤخذ منه العشر، قلت أو لست تزعم إنه لا عشر علی أرض ذمی إذا ملک أرض عشر، فقال: ذاک إذا أقاموا ببلادهم فأما إذا خرجوا من بلادهم فإنها تجارة، و قال أبو الزناد، و مالک بن أنس، و ابن أبی ذئب، و الثوری، و أبو حنیفة و یعقوب، فی التغلبی یزرع أرضا من أرض العشر إنه یؤخذ منه ضعف العشر و إذا اکتری رجل مزرعة عشریة فإن مالکا. و الثوری و ابن أبی ذئب، و یعقوب، قالوا: العشر علی صاحب الزرع، و قال أبو حنیفة: هو علی رب الأرض، و هو قول زفر، و قال أبو حنیفة إذا لم یؤد رجل عشر أرضه سنتین فإن السلطان یأخذ منه العشر لما یستأنف، و کذلک أرض الخراج، و قال أبو شمر: یأخذ ذلک منه لما مضی لأنه حق وجب فی ماله

.

فتوح البلدان، ص: ۸۳

فتح عمان

قالوا: كان الأغلبين على عمان الأزد و كان بها من غيرهم بشر كثير فى البوادى فلما كانت سنة ثمان بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أبا زيد الأنصارى أحد الخزرج، و هو أحد من جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و اسمه فيما ذكر الكلبى: قيس بن سكن بن زيد بن حرام، و قال بعض البصريين اسمه عمرو بن أخطب، جد عروة بن ثابت بن عمرو ابن أخطب، و قال سعيد بن أوس الأنصارى: اسمه ثابت بن زيد، و بعث عمرو بن العاصى السهمى إلى عبيد، و جيفر ابنى الجلندى بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الإسلام، و قال: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، و أطاعوا اللّه و رسوله فعمرو الأمير و أبو زيد على الصلاة، و أخذ الإسلام على الناس و تعليمهم القرآن و السنن، فلما قدم أبو زيد، و عمرو عمان و جدا عبيدا، و جيفرا بصحار على ساحل البحر، فأوصلا كتاب النبى صلى اللّه عليه و سلم إليهما فأسلما و دعوا العرب هناك إلى الإسلام فأجابوا إليه و رغبوا فيه، فلم يزل عمرو و أبو زيد بعمان حتى قبض النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يقال: إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك.

قالوا: و لما قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، ارتدت الأزد و عليها لقيط بن مالك ذو التاج و انحازت إلى دبا و بعضهم يقول دما فى دبا فوجه أبو بكر رضى اللّه عنه إليهم حذيفة بن محصن البارقى من الأزد، و عكرمة ابن أبى جهل ابن هشام المخزومى، فواقعا لقيطا و من معه فقتلاه و سبيا من أهل دبا سبيا بعثا به إلى أبى بكر رحمه اللّه، ثم أن الأزد راجعت الإسلام و ارتدت طوائف من أهل عمان و لحقوا بالشحر فسار إليهم عكرمة فظفر بهم و أصاب منهم مغنما و قتل بشرا، و جمع قوم من مهرة بن حيدان بن

فتوح البلدان، ص: ۸۴

عمرو بن الحاف بن قضاعة جمعا فأتاهم عكرمة فلم يقاتلوه و أدوا الصدقة، و ولى أبو بكر رضى اللّه عنه حذيفة بن محصن عمان، فمات أبو بكر و هو عليها، و صرف عكرمة و وجه إلى اليمن.

و لم تزل عمان مستقيمة الأمر يؤدى أهلها صدقات أموالها، و يؤخذ ممن بها من الذمة جزية رؤسهم حتى كانت خلافة الرشيد صلوات اللّه عليه فولاها عيسى بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد اللّه بن العباس، فخرج إليها بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء و يسلبونهم و يظهرون المعازف فبلغ ذلك أهل عمان و جلهم شراة، فحاربوه و منعوه من دخولها، ثم قدروا عليه فقتلوه و صلبوه و امتنعوا على السلطان فلم يعطوه طاعة، و ولوا أمرهم رجلا منهم، و قد قال قوم إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان وجه أبا زيد بكتابه إلى عبيد، و جيفر ابنى الجلندى الأزديين فى سنة ست و وجه عمرا فى سنة ثمان بعد إسلامه بقليل، و كان إسلامه، و إسلام خالد بن الوليد، و عثمان بن طلحة العبدى فى صفر سنة ثمان أقبل من الحبشة حتى أتى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال لأبى زيد: خذ الصدقة من المسلمين و الجزية من المجوس

حدثنى أبو الحسن المدائنى عن المبارك بن فضالة، قال: كتب عمر ابن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة الفزارى عامله على البصرة.

«أما بعد» فإنى كنت كتبت إلى عمرو بن عبد اللّه أن يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر و الحب فى فقراء أهلها، و من سقط إليها من أهل البادية، و من إضافته إليها الحاجة و المسكنة و انقطاع السبيل، فكتب إلى أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام و التمر فذكر أنه قد باعه و حمل إليك ثمنه، فأردد إلى عمرو ما كان حمل إليك عاملك على عمان من ثمن التمر و الحب ليضعه فى المواضع التى أمرته بها و يصرفه فيها إن شاء اللّه و السلام

.

فتوح البلدان، ص: ۸۵

غزوة البحرين

قالوا: و كانت أرض البحرين من مملكة الفرس، و كان بها خلق كثير من العرب من عبد القيس، و بكر بن وائل و تميم مقيمين فى باديتها و كان على العرب بها من قبل الفرس على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم المنذر بن ساوى أحد بنى عبد اللّه بن زيد بن

عبد اللّه بن دارم بن مالک بن حنظلة، و عبد اللّه بن زيد هذا هو الأسبذى نسب إلى قرية بهجر يقال لها الأسبذ، و يقال: أنه نسب إلى الأسبذيين و هم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين فلما كانت سنة ثمان وجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم العلاء بن عبد اللّه بن عماد الحضرمى حليف بنى عبد الشمس إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو الجزية، و كتب معه إلى المنذر بن ساوى و إلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية فأسلما و أسلم معهما جميع العرب هناك و بعض العجم. فأما أهل الأرض من المجوس و اليهود و النصارى فإنهم صالحوا العلاء و كتب بينه و بينهم كتابا نسخته.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما صالح عليه العلاء بن الحضرمى أهل البحرين صالحهم على أن يكفونا العمل و يقاسمونا التمر، فمن لم يف فعليه لعنة اللّه و الملائكة و الناس أجمعين. و أما جزية الرءوس فإنه أخذ لها من كل حالم دينارا. حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى البحرين.

«أما بعد» فإنكم إذا أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و نصحتم للّه و رسوله و آتيتم عشر النخل و نصف عشر الحب و لم تمجسوا أولادكم فلكم ما أسلمتم عليه غير أن بيت النار للّه و رسوله، و أن أبيتم فعليكم الجزية.

فتوح البلدان، ص: ۸۶

فكره المجوس و اليهود الإسلام و أحبوا أداء الجزية، فقال منافقو العرب: زعم محمد إنه لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب و قد قبلها من مجوس هجر و هم غير أهل كتاب فنزلت (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)، و قد قيل أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وجه العلاء حين وجه رسله إلى الملوك فى سنة ست.

و حدثنى محمد بن مصفى الحمصى، قال: حدثنا محمد بن المبارك، قال: حدثنا عتاب بن زياد قال: حدثنى محمد بن ميمون عن مغيرة الأزدى عن محمد بن زيد بن حيان الأعرج عن العلاء بن الحضرمى، قال: بعثنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى البحرين- أو قال هجر- و كنت آتى الحائط بين الأخوة قد أسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر و من المشرك الخراج.

و حدثنا القاسم ابن سلام، قال: حدثنا عثمان ابن صالح عن عبد اللّه بن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى أهل هجر.

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمد النبى إلى أهل هجر سلم أنتم فإنى أحمد إليكم اللّه الذى لا إله إلّا هو، أما بعد فإنى أوصيكم باللّه و بأنفسكم ألا تضلوا بعد إذا هديتم و لا تنووا بعد إذ رشدتم، أما بعد فإنه قد أتانى الذى صنعتم و أنه من يحسن منكم لا يحمل عليه ذنب المسىء، فإذا جاءكم أمرائى فأطيعوهم و انصروهم و أعينوهم على أمر اللّه و فى سبيله، فإنه من يعمل منكم عملا صالحا فلن يضل له عند اللّه و عندى، و أما بعد فقد جاءنى وفدكم فلم آت إليهم إلا ما سرهم و إنى لو جهدت حقى فيكم كله أخرجتكم من هجر فشفعت غائبكم و أفضلت على شاهدكم «ف اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ».

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا عبيد اللّه بن موسى، عن شيبان النحوى عن قتادة، قال: لم يكن بالبحرين فى أيام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم

فتوح البلدان، ص: ۸۷

قتال، و لكن بعضهم أسلم و بعضهم صالح العلاء على انصاف الحب و التمر، و حدثنى الحسين، قال: حدثنى يحيى بن آدم، قال: حدثنا الحسن بن صالح عن أشعث عن الزهرى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أخذ الجزية من مجوس هجر. و حدثنى الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد، قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى مجوس هجر يدعوهم إلى الإسلام، فان أسلموا فلهم مالنا و عليهم ما علينا، و من أبى فعليه الجزية فى غير أكل لذبائحهم و لا نكاح لنسائهم.

و حدثنى الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب، قال: أخذ

رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الجزية من مجوس هجر، و أخذها عمر من مجوس فارس، و أخذها عثمان من بربر. و حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبد اللّه بن إدريس عن مالك بن أنس عن الزهرى بمثله.

و حدثنا عمرو الناقد، قال: أخبرنا عبد اللّه بن وهب عن يحيى بن عبد اللّه ابن سالم بن عبد اللّه بن عمر عن موسى بن عقبة أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كتب إلى منذر بن ساوى.

من محمد النبى إلى منذر بن ساوى سلم أنت فإنى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءنى و سمعت ما فيه، فمن صلى صلاتنا و استقبل قبلتنا، و أكل ذبيحتنا فذلك المسلم، و من أبى ذلك فعليه الجزية.

و حدثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى المنذر بن ساوى فأسلم و دعا أهل هجر فكانوا بين راض و كاره، أما العرب فأسلموا، و أما المجوس و اليهود فرضوا بالجزية فأخذت منهم.

فتوح البلدان، ص: ۸۸

و حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، قال: حدثنا حميد بن هلال قال: بعث العلاء بن الحضرمى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مالا من البحرين يكون ثمانين ألفا أتاه أكثر منه قبله و لا بعده فأعطى منه العباس عمه.

حدثنى هشام بن عمار عن إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عبيد اللّه، قال: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى وضائع كسرى بهجر فلم يسلموا فوضع عليهم الجزية دينارا على كل رجل منهم. قالوا: و عزل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم العلاء ثم ولى البحرين أبان بن سعيد بن العاصى بن أمية، و قوم يقولون: إن العلاء كان على ناحية من البحرين منها القطيف و إن أبان كان على ناحية أخرى فيها الخط: و الأول أثبت.

قالوا: و لما توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خرج أبان من البحرين فأتى المدينة، فسأل أهل البحرين أبا بكر رضى اللّه عنه أن يرد العلاء عليهم ففعل، فيقال: إن العلاء لم يزل واليا حتى توفى بها سنة عشرين، فولى عمر مكانه أبا هريرة الدوسى، و يقال أيضا: إن عمر رضى اللّه عنه ولى أبا هريرة قبل موت العلاء فأتى العلاء توج من أرض فارس و عزم على المقام بها، قال:

ثم رجع إلى البحرين فمات هناك و كان أبو هريرة يقول: دفنا العلاء ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجده فى اللحد.

و قال أبو مخنف: كتب عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه إلى العلاء بن الحضرمى و هو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه، و ولى عثمان بن أبى العاصى الثقفى البحرين و عمان فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان، فلم يصل إليها حتى مات و ذلك فى سنة أربعة عشر أو فى أول سنة خمسة عشر ثم أن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحى جباية البحرين، و ولى أبا هريرة

فتوح البلدان، ص: ۸۹

الأحداث و الصلاة، ثم عزل قدامة وحده على شرب الخمر، و ولى أبا هريرة الصلاة و الاحداث، ثم عزله و قاسمه ماله، ثم ولى عثمان بن أبى العاصى البحرين و عمان.

حدثنى العمرى عن الهيثم، قال: كان قدامة بن مظعون على الجباية و الاحداث، و أبو هريرة على الصلاة و القضاء، فشهد على قدامة بما شهد به ثم ولاه عمر البحرين بعد قدامة ثم عزله و قاسمه و أمره بالرجوع فأبى فولاها عثمان بن أبى العاص فمات عمر و هو و اليه عليها، و كان خليفته على عمان و البحرين و هو بفارس أخوه مغيرة بن أبى العاصى، و يقال: حفص بن أبى العاصى حدثنا شيبان بن فروخ، قال حدثنا أبو هلال الراسبى، قال: حدثنا محمد بن سيرين عن أبى هريرة، قال استعملنى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه على البحرين فاجتمعت لى اثنا عشر ألفا فلما قدمت على عمر قال لى يا عدو اللّه و عدو المسلمين- أو قال و عدو كتابه- سرقت مال اللّه، قال: قلت لست بعدو للّه و لا للمسلمين- أو قال لكتابه- و لكنى عدو من عاداهما و لكن خيلا تناتجت و سهامها اجتمعت، قال فأخذ منى اثنا عشر ألفا فلما صليت الغداة قلت. اللهم اغفر لعمر، قال. فكان يأخذ منهم و يعطيهم أفضل من ذلك حتى إذا كان بعد ذلك،

قال: ألا تعمل يا أبا هريرة، قلت. لا قال و لم قد عمل من هو خير منك يوسف «قالَ اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ» فقلت يوسف نبى ابن نبى و أنا أبو هريرة بن أميمة و أخاف منكم ثلاثا و اثنتين، قال فهلا قلت خمسا، قلت. أخشى أن تضربوا ظهرى و تشتموا عرضى و تأخذوا مالى و أكره أن أقول بغير حلم و أحكم بغير علم.

حدثنا القاسم بن سلام و روح بن عبد المؤمن، قال حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمى عن يزيد بن ابراهيم التسترى عن ابن سيرين عن أبى هريرة أنه لما قدم من البحرين، قال له عمر يا عدو اللّه و عدو كتابه أ سرقت مال اللّه.

فتوح البلدان، ص: ۹۰

قال لست عدو اللّه و لا عدو كتابه و لكنى عدو من عاداهما و لم أسرق مال اللّه قال فمن أين اجتمعت لك عشرة ألف درهم. قال خيل تناسلت و عطاء تلاحق و سهام اجتمعت فقبضها منه و ذكر من باقى الحديث نحو الذى روى أبو هلال.

قالوا. و لما مات المنذر بن ساوى بعد وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بقليل ارتد من البحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم و هو شريح بن ضبيعة بن عمر بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة و انما سمى الحطم بقوله:

قد لفها الليل بسواق حطم و ارتد سائر من بالبحرين من ربيعة خلا الجارودى و هو بشر بن عمرو العبدى و من تابعه من قومه. و أمروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر يقال له المنذر فصار الحطم حتى لحق بربيعة فانضم إليها بمعن معه. و بلغ العلاء بن الحضرمى الخبر فسار بالمسلمين حتى نزل جواثا. و هو حصن البحرين فدلفت إليه ربيعة فخرج إليها بمن معه من العرب و العجم فقاتلها قتالا شديدا. ثم إن المسلمين لجأوا إلى الحصن فحصرهم فيه عدوهم. ففى ذلك يقول عبد اللّه ابن حذف الكلابى؟

ألا أبلغ أبا بكر ألوكاو فتيان المدينة أجمعينا

فهل لك فى شباب منك أمسواأسارى فى جواثا محصرينا

ثم إن العلاء خرج بالمسلمين ذات ليلة فبيت ربيعة فقاتلوا قتالا شديدا و قتل الحطم. و قال غير هشام بن الكلبى: أتى الحطم ربيعة و هو بجواثا و قد كفر أهلها جميعا و أمروا عليهم المنذر بن النعمان فأقام معهم فحصرهم العلاء حتى فتح جواثا و فض ذلك الجمع و قتل الحطم: و الخبر الأول أثبت. و فى قتل الحطم يقول مالك بن ثعلبة العبدرى

تركنا شريحا قد علته بصيرةكحاشية البرد اليمانى المحبر

فتوح البلدان، ص: ۹۱

«البصيرة من الدم ما وقع فى الأرض»

و نحن فجعنا أم غضبان بابنهاو نحن كسرنا الرمح فى عين حبتر

و نحن تركنا مسمعا متجدلارهينة ضبع تعتريه و أنسر

قالوا: و كان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون، قال:

لست بالغرور و لكنى المغرور و لحق هو و فل ربيعة بالخط فأتاها العلاء ففتحها و قتل المنذر و من معه، و يقال: إن المنذر نجا فدخل إلى المشقر و أرسل الماء حوله فلم يوصل إليه حتى صالح الغرور على أن يخلى المدينة فخلاها و لحق بمسيلمة فقتل معه، و قال قوم: قتل المنذر يوم جواثا، و قوم يقولون: أنه استأمن ثم هرب فلحق فقتل، و كان العلاء كتب إلى أبى بكر يستمده فكتب إلى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض إليه من اليمامة و انجاده مقدم عليه و قد قتل الحطم فحصر معه الخط، ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص إلى العراق فشخص إليه من البحرين و ذلك فى سنة اثنى عشر، و قال الواقدى يقول أصحابنا: إن خالدا قدم المدينة ثم توجه منها إلى العراق.

و استشهد بجواثا عبد اللّه بن سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى و يكنى أبا سهيل و أمه فأخته بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف، و كان عبد اللّه أقبل مع المشركين يوم بدر ثم إلى المسلمين مسلما و شهد بدرا مع النبى صلى اللّه عليه و سلم، فلما بلغ أباه سهيل بن

عمرو خبره، قال: عند اللّه أحتسبه، و لقيه أبو بكر و كان بمكة حاجا فعزاه به،

فقال سهيل: أنه بلغنى أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: يشفع الشهيد فى سبعين من أهله

و أنى لأرجو أن لا يبدأ ابنى بأحد قبلى، و كان يوم استشهد ابن ثمان و ثلاثين سنة.

و استشهد عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى يوم جواثا، و قال غير الواقدى.

استشهد يوم اليمامة، قالوا: و تحصن المكعبر الفارسى صاحب كسرى الذى

فتوح البلدان، ص: ۹۲

كان وجهه لقتل بنى تميم حين عرضوا لعيره و اسمه فيروز بن جشيش بالزارة و انضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف و امتنعوا من أداء الجزية فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها فى خلافة أبى بكر و فتحها فى أول خلافة عمر، و فتح العلاء السابون و دارين فى خلافة عمر عنوة و هناك موضع يعرف بخندق العلاء.

و قال معمر بن المثنى. غزا العلاء بعبد القيسر قرى من السابون فى خلافة عمر بن الخطاب ففتحها، ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة و بها المكعبر فحصره، ثم أن مرزبان الزارة دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله و أخذ سلبه فبلغ أربعين ألفا، ثم خرج رجل من الزارة مستأمنا على أن يدل على شرب القوم فدله على العين الخارجة من الزارة فسدها العلاء فلما رأوا ذلك صالحوه على أن له ثلث المدينة و ثلث ما فيها من ذهب و فضة و على أن يأخذ النصف مما كان لهم خارجها، و أتى الأخنس العامرى العلاء، فقال له. إنهم لم يصالحوك على ذراريهم و هم بدارين و دله كراز النكرى على المخاضة إليهم فتقحم العلاء فى جماعة من المسلمين البحر فلم يشعر أهل دارين إلا بالتكبير فخرجوا فقاتلوهم من ثلاثة أوجه فقتلوا مقاتلهم و حووا الذرارى و السبى، و لما رأى المكعبر ذلك أسلم و قال كراز.

هاب العلاء حياض البحر مقتحمافخضت قدما إلى كفار دارينا

حدثنا خلف البزار و عفان، قالا. حدثنا هشيم، قال: أخبرنا ابن عون و يونس، عن محمد بن سيرين، قال بارز البراء بن مالك مرزبان الزارة فطعنه فوق صلبه و صرعه ثم نزل فقطع يديه و أخذ سواريه و يلمقا كان عليه و منطقة فخمسه عمر لكثرته، و كان أول سلب خمس فى الإسلام

.

فتوح البلدان، ص: ۹۳

دعوة النبى صلى اللّه عليه و سلم أهل اليمامة إلى الإسلام

قالوا: و كانت اليمامة تدعى جو فصلبت امرأة من جديس يقال لها اليمامة بنت مر على بابها فسميت باسمها و اللّه أعلم، و قالوا. و لما كتب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى ملوك الآفاق فى أول سنة سبع و يقال فى سنة ست كتب إلى هوزة بن على الحنفى و أهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام و أنفذ كتابه بذلك مع سليط بن قيس بن عمرو الأنصارى ثم الخزرجى فبعثوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و فدهم و كان فى الوفد مجاعة بن مرارة فأقطعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أرضا مواتا سأله إياها و كان فيها أيضا الرجال بن عنفوة فاسلم و قرأ سورة البقرة و سورا من القرآن ألا أنه ارتد بعد، و كان فيهم مسيلمة الكذاب ثمامة بن كبير بن حبيب، فقال مسيلمة لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. أن شئت خلينا لك الأمر و بايعناك على أنه لنا بعدك، فقال له رسول صلى اللّه عليه و سلم. لا و لا نعمة عين و لكن اللّه قاتلك.

و كان هوزة بن على الحنفى قد كتب إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم يسأله أن يجعل الأمر له من بعده على أن يسلم و يصير إليه فينصره، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. لا و لا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل، فلما انصرف وفد بنى حنيفة إلى اليمامة

أدعى مسيلمة الكذاب النبوة و شهد له الرجال بن عنفوة بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أشركه فى الأمر معه فاتبعه بنو حيفة و غيرهم ممن باليمامة و كتب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مع عبادة بن الحارث أحد بنى عامر بن حنيفة و هو ابن النواحة الذى قتله عبد اللّه بن مسعود بالكوفة و بلغه أنه و جماعة معه يؤمنون بكذب مسيلمة، من مسيلمة رسول اللّه إلى محمد رسول اللّه، أما بعد فإن لنا نصف الأرض و لقريش نصفها و لكن قريشا لا ينصفون و السلام عليك، و كتب

فتوح البلدان، ص: ۹۴

عمرو بن الجارود الحنفى فكتب إليه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد النبى إلى مسيلمة الكذاب، أما بعد فإن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين و السلام على من اتبع الهدى،

و كتب أبى بن كعب.

فلما توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و استخلف أبو بكر فأوقع بأهل الردة من أهل نجد و ما والاه فى أشهر يسيرة بعث خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى إلى اليمامة و أمره بمحاربة الكذاب مسيلمة فلما شارفها ظفر بقوم من بنى حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة بن سلمى فقتلهم و استبقى مجاعة و حمله معه موثقا، و عسكر خالد على ميل من اليمامة فخرج إليه بنو حنيفة و فيهم الرجال و محكم بن الطفيل بن سبيع الذى يقال له محكم اليمامة فرأى خالد البارقة فيهم، فقال، يا معشر المسلمين قد كفاكم اللّه مؤنة عدوكم ألا ترونهم و قد شهر بعضهم السيوف على بعض و أحسبهم قد اختلفوا و وقع بأسهم بينهم، فقال مجاعة و هو فى حديدة. كلا و لكنها الهندوانية خشوا تحطمها فابرزوها للشمس لتلين متونها ثم التقى الناس فكان أو من لقيهم الرجال بن عنفوة فقتله اللّه، و استشهد وجوه الناس و قراء القرآن، ثم أن المسلمين فاءوا و ثابوا فأنزل اللّه عليهم نصره و هزم أهل اليمامة فأتبعوهم يقتلونهم قتلا ذريعا، و رمى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أخو عائشة لأبيها محكما بسهم فقتله و ألجئوا و الكفرة إلى الحديقة فسميت يومئذ حديقة الموت، و قتل اللّه مسيلمة فى الحديقة، فبنو عامر بن لؤى بن غالب يقولون قتله خداش بن بشير بن الأصم أحمد بنى معيص بن عامر بن لؤى، و بعض الأنصار يقولون. قتله عبد اللّه بن زيد بن ثعلبة أحد بنى الحارث بن الخزرج و هو الذى أرى الأذان، و بعضهم يقول. قتله أبو دجانة سماك بن خرشة ثم استشهد، و قال بعضهم. بل قتله عبد اللّه بن زيد بن عاصم أخو حبيب

فتوح البلدان، ص: ۹۵

ابن زيد من بنى مبذول من بنى النجار، و قد كان مسيلمة قطع يدى حبيب و رجليه، و كان وحشى بن حرب الحبشى قاتل حمزة رضى اللّه عنه يدعى قتله و يقول: قتلت خير الناس و شر الناس، و قال قوم: أن هؤلاء جميعا شركوا فى قتله و كان معاوية بن أبى سفيان يدعى أنه قتله و يدعى ذلك له بنو أمية.

حدثنى أبو حفص الدمشقى، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن خالد بن دهقان عن رجل حضر عبد الملك بن مروان سأل رجلا من بنى حنيفة ممن شهد وقعة اليمامة عن قاتل مسيلمة فقال: قتله رجل من صفته كذا و كذا، فقال عبد الملك: قضيت و اللّه لمعاوية بقتله، قال: و جعل الكذاب يقول حين أخذ منه بالمخنق يا بنى حنيفة: قاتلوا عن أحسابكم فلم يزل يعيدها حتى قتله اللّه.

و حدثنى عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن هشام عن عروة عن أبيه، قال: كفرت العرب فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فلقيهم ثم قال و اللّه لا أنتهى حتى اناطح مسيلمة فقالت الأنصار: هذا رأى تفردت به لم يأمرك به أبو بكر ارجع إلى المدينة حتى نريح كراعنا، فقال:

و اللّه لا أنتهى حتى أناطحه فرجعت عنه الأنصار، ثم قالوا. إذا صنعنا لئن ظهر أصحابنا لقد خسسنا و لئن هربوا لقد خذلناهم، فرجعوا و مضوا معه فالتقى المسلمون و المشركون، فولى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال، فقام السائب بن العوام، فقال: أيها الناس قد بلغتم الرحال فليس لامرئ مفر بعد رحله فهزم اللّه المشركين و قتل مسيلمة، و كان شعارهم يومئذ يا أصحاب سورة البقرة. و حدثنى بعض

أهل اليمامة أن رجلا كان مجاورا فى بنى حنيفة فلما قتل محكم أنشأ يقول:

فإن أنج منها أنج منها عظيمةو إلا فإنى شارب كأس محكم

قالوا: و كانت الحرب قد نهكت المسلمين و بلغت منهم، فقال مجاعة لخالد أن أكثر أهل اليمامة لم يخرجوا لقتالكم و إنما قتلتم منهم القليل و قد بلغوا

فتوح البلدان، ص: ۹۶

منكم ما أرى و أنا مصالحك عنهم فصالحه على نصف السبى و نصف الصفراء و البيضاء و الحلقة و الكراع، ثم أن خالدا توثق منه و بعثه إليهم فلما دخل اليمامة أمر الصبيان و النساء و من باليمامة من المشايخ أن يلبسوا السلاح و يقوموا على الحصون ففعلوا ذلك، فلم يشك خالد و المسلمون حين نظروا إليهم أنهم مقاتلة، فقالوا: لقد صدقنا مجاعة ثم أن مجاعة خرج حتى أتى عسكر المسلمين فقال: أن القوم لم يقبلوا مصالحتك عليه عنهم و استعدوا لحربك و هذه حصون العرض مملوءة رجالا- و لم أزل بهم حتى رضوا بأن يصالحوا على ربع السبى و نصف الصفراء و البيضاء و الحلقة و الكراع فاستقر الصلح على ذلك و رضى خالد به و أمضاه و أدخل مجاعة خالدا اليمامة، فلما رأى من بقى بها قال خدعتنى يا مجاع و أسلم أهل اليمامة فأخذت منهم الصدقة، و أتى خالدا كتاب أبى بكر رضى اللّه عنه بإنجاد العلاء بن الحضرمى، فسار إلى البحرين و استخلف على اليمامة سمرة ابن عمرو العنبرى، و كان فتح اليمامة سنة اثنى عشرة.

حدثنى أبو رياح اليمامى، قال. حدثنى أشياخ من أهل اليمامة أن مسيلمة الكذاب كان قصيرا شديد الصفرة أخنس الأنف أفطس، يكنى أبا ثمامة و قال غيره: كان يكنى أبا ثمالة و كان له مؤذن يسمى حجيرا فكان إذا أذن يقول أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول اللّه، فقال، أفصح حجير فمضت مثلا، و كان ممن استشهد باليمامة أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس و اسمه هشيم و يقال مهشم، و سالم مولى أبى حذيفة و يكنى أبا عبد اللّه و هو مولى ثبيتة بنت يعار الأنصارية، و بعض الرواة يقول نبيثة و هى امرأة، و خالد بن أسيد ابن أبى العيص بن أمية، و عبد اللّه و هو الحكم بن سعيد بن العاصى بن أمية و يقال. أنه قتل يوم موته، و شجاع بن وهب الأسدى حليف بنى أمية، يكنى أبا وهب، و الطفيل بن عمرو الدوسى من الأزد، و يزيد بن رقيش الأسدى

فتوح البلدان، ص: ۹۷

حليف بنى أمية، و مخرمة بن شريح الحضرمى حليف بنى أمية، و السائب بن العوام أخو الزبير بن العوام، و الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومى، و السائب بن عثمان بن مظعون الجمحى، و زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر ابن الخطاب يقال قتله أبو مريم الحنفى و اسمه صبيح بن محرش، و قال ابن الكلبى قتله لبيد بن برغث العجلى فقدم بعد ذلك على عمر رضى اللّه عنه فقال: أنت الجوالق «و اللبيد»: هو الجوالق، و كان زيد يكنى أبا عبد الرحمن و كان أسن من عمر.

و قال بعضهم اسم أبى مريم إياس بن صبيح و هو أول من قضى بالبصرة زمن عمر و توفى بسنبيل من الأهواز و أبو قيس بن الحارث بن عدى بن سهم، و عبد اللّه بن الحارث بن قيس، و سليط بن عمرو أخو سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى، و إياس بن البكير الكنانى، و من الأنصار عباد بن الحارث بن عدى أحد بنى جحجبى من الأوس، و عباد بن بشر بن وقش الأشهلى من الأوس و يكنى أبا الربيع و يقال أنه كان يكنى أبا بشر، و مالك بن أوس بن عتيك الأشهلى، و أبو عقيل بن عبد اللّه بن ثعلبة بن بيحان البلوى حليف بنى جحجبى كان اسمه عبد العزى فسماه النبى صلى اللّه عليه و سلم عبد الرحمن عدو الأوثان و سراقة بن كعب بن عبد العزى النجارى من الخزرج، و عمارة بن حزم بن زيد بن لوذان النجارى، و يقال أنه مات زمن معاوية، و حبيب بن عمرو بن محصن النجارى، و معن بن عدى بن الجد بن العجلان البلوى من قضاعة حليف الأنصار، و ثابت بن قيس بن شماس بن أبى زهير خطيب النبى صلى اللّه عليه و سلم أحد بنى الحارث بن الخزرج و يكنى أبا محمد و كان على الأنصار يومئذ و أبو حنة بن غزية بن عمرو احد بنى مازن بن النجار و العاصى بن ثعلبة الدروسى من الأزد حليف الأنصار، و أبو دجانة سماك بن أوس بن خرشة بن لوذان

الساعدى من

فتوح البلدان، ص: ۹۸

الخزرج، و أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدى، و يقال أنه مات سنة ستين بالمدينة، و عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى بن مالك و كان اسمه الحباب فسماه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم باسم أبيه، و كان أبوه منافقا: و هو الذى يقال له ابن أبى بن سلول، و سلول أم أبى و هى خزاعية نسب إليها، و أبوه مالك بن الحارث أحد بنى الخزرج، و يقال أنه استشهد يوم جواثا من البحرين، و عقبة بن عامر نابى من بنى سلمة من الخزرج، و الحارث بن كعب بن عمرو أحد بنى النجار.

و كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعث حبيب بن زيد بن عاصم أحد بنى مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار، و عبد اللّه بن وهب الأسلمى إلى مسيلمة فلم يعرض لعبد اللّه و قطع يدى حبيب و رجليه، و أم حبيب نسيبة بنت كعب.

و قال الواقدى: إنما أقبل مع عمرو بن العاصى من عمان فكفتهما مسيلمة فنجا عمرو و من معه غير هذين فأخذا و قاتلت نسيبة يوم اليمامة فانصرفت و بها جراحات و هى أم حبيب، و عبد اللّه البنى زيد، و قد قاتلت يوم أحد أيضا و هى إحدى المرأتين المبايعتين يوم العقبة، و استشد يوم اليمامة عائذ بن ما عص الزرقى من الخزرج، و يزيد بن ثابت الخزرجى أخو زيد بن ثابت صاحب الفرائض، و قد اختلفوا فى عدة من استشهد باليمامة فأقل ما ذكروا من مبلغها سبعمائة، و أكثر ذلك ألف و سبعمائة، و قال بعضهم: إن عدتهم ألف و مائتان.

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا الحارث بن مرة الحنفى عن هشام بن إسماعيل. أن مجاعة اليمامى أتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأقطعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كتب له كتابا.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب كتبه محمد رسول اللّه لمجاعة بن مرارة بن سلمى انى اقطعتك الغورة و غرابة و الحبل فمن حاجك فإلى «الغورة»

فتوح البلدان، ص: ۹۹

قرية الغرابات تلت قارات،

قال: ثم وفد بعد ما قبض النبى صلى اللّه عليه و سلم على أبى بكر فأقطعه الخضرمة، ثم قدم على عمر فأقطعه الرياء، ثم قدم على عثمان فأقطعه قطيعة، قال الحارث: لا أحفظ اسمها.

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا أبو أيوب الدمشقى عن سعدان ابن يحيى عن صدقه بن أبى عمران عن أبى إسحاق الهمدانى «عن عدى بن حاتم أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أقطع فرات بن حيان العجلى أرضا باليمامة» حدثنى محمد بن ثمال اليمامى عن أشياخهم، قال: سميت الحديقة حديقة الموت لكثرة من قتل بها، قال: و قد بنى إسحاق بن أبى خميصة مولى قيس فيها أيام المأمون مسجدا جامعا، و كانت الحديقة تسمى أباض، و قال محمد بن ثمال: قصر الورد نسب إلى الورد بن السمين بن عبيد الحنفى، و قال غيره سمى الحصن معتقا لحصانته يريدون أن من لجأ إليه عتق من عدوه، و قال الريا عين منها شرب الصعفوقة و هى ضيعة نسبت إلى وكيل كان عليها يقال له صعفوق و شرب الخيبة و الخضرمة منها.

خبر ردة العرب فى خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه

قالوا: لما استخلف أبو بكر رحمه اللّه ارتدت طوائف من العرب و منعت الصدقة، و قال قوم منهم: نقيم الصلاة و لا نؤدى الزكاة، فقال أبو بكر رضى اللّه عنه: لو منعونى عقالا لقاتلتهم، و بعض الرواة يقول: لو منعونى عناقا. «و العقال» صدقة السنة. و حدثنى عبد اللّه بن صالح العجلى عن يحيى بن آدم عن عوانة ابن الحكم عن جرير بن يزيد عن الشعبى، قال: قال عبد اللّه ابن مسعود: لقد قمنا بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مقاما كدنا نهلل

فتوح البلدان، ص: ۱۰۰

فيه لو لا- إن اللّه من علينا بأبى بكر اجتمع رأينا جميعا عن أن لا نقاتل على بنت مخاض و ابن لبون و ان نأكل قرى عربيۀ و نعبد اللّه حتى يأتينا اليقين، و عزم اللّه لأبى بكر رضى اللّه عنه على قتالهم فو اللّه ما رضى منهم إلا بالخطۀ المخزيۀ أو الحرب المجليۀ: فأما الخطۀ المخزيۀ فإن أقروا بأن من قتل منهم فى النار و إن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا، و أما الحرب المجليۀ فإن يخرجوا من ديارهم.

حدثنا ابراهيم بن محمد عن عرعرۀ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال: أخبرنا سفيان الثورى عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، قال:

قدم وفد بزاخۀ على أبى بكر فخيرهم بين الحرب المجليۀ و السلم المخزيۀ، فقالوا قد عرفنا الحرب المجليۀ فما السلم المخزيۀ، قال: أن ننزع منكم الحلقۀ و الكراع و نغنم ما أصبنا منكم و تردوا إلينا ما أصبتم منا و تدوا قتلانا و يكون قتلاكم فى النار.

حدثنا شجاع بن مخلد الفلاس، قال. حدثنا بشر بن المفضل مولى بنى رقاش قال. حدثنا عبد العزيز بن عبد اللّه بن أبى سلمۀ الماجشوش عن عبد الواحد عن القاسم بن محمد بن أبى بكر عن عمته عائشۀ أم المؤمنين رضى اللّه عنها أنها قالت. توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنزل بأبى ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها اشرأب النفاق بالمدينۀ و ارتدت العرب فو اللّه ما اختلفوا فى واحدۀ الإطار أبى بحظها و غنائها عن الإسلام، قالوا. فخرج أبو بكر رضى اللّه عنه إلى القصۀ من أرض محارب لتوجيه الزحوف إلى أهل الردۀ و معه المسلمون فصار إليهم خارجۀ بن حصن بن حذيفۀ بن بدر الفزارى و منظور بن زبان ابن سيار الفزارى أحد بنى العشراء فى غطفان فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم المشركون و اتبعهم طلحۀ بن عبيد اللّه التيمى فلحقهم بأسفل ثنايا عوسجۀ فقتل منهم رجلا وفاته الباقون فأعجزوه هربا فجعل خارجۀ بن حصن يقول: ويل

فتوح البلدان، ص: ۱۰۱

للعرب من ابن أبى قحافۀ، ثم عقد أبو بكر و هو بالقصۀ لخالد بن الوليد بن المغيرۀ المخزومى على الناس، و جعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، و هو أحد من استشهد يوم اليمامۀ إلا أنه كان من تحت يد خالد و أمر خالدا أن يصمد لطليحۀ بن خويلد الأسدى، و كان قد أدعى النبوۀ و هو يومئذ ببزاخۀ و بزاخۀ ماء لبنى أسد بن خزيمۀ فسار إليه خالد، و قدم أمامه عكاشۀ بن محصن الأسدى حليف بنى عبد شمس، و ثابت بن أقرم البلوى حليف الأنصار فلقيهما حبال بن خويلد فقتلاه، و خرج طليحۀ و سلمۀ أخوه و قد بلغهما الخبر فلقيا عكاشۀ و ثابتا فقتلاهما فقال طليحۀ:

ذكرت أخى لما عرفت وجوههمو أيقنت أنى ثائر بحبال

عشيۀ غادرت ابن أقرم ثاوياو عكاشۀ الغنمى عند مجال

ثم التقى المسلمون و عدوهم و اقتتلوا قتالا شديدا، و كان عيينۀ بن حصن ابن حذيفۀ بن بدر مع طلحۀ فى سبعمائۀ من بنى فزارۀ، فلما رأى سيوف المسلمين قد استحملت المشركين أتاه فقال له: أما ترى ما يصنع جيش أبى الفصيل فهل جاءك جبريل بشىء قال: نعم جاءنى فقال: إن لك رحا كرحاه و يوما لا تنساه، فقال عيينۀ: أرى و اللّه أن لك يوما لا تنساه يا بنى فزارۀ هذا كذاب و ولى عن عسكره، من فانهزم الناس و ظهر المسلمون و أسر عيينۀ بن حصن فقدم به المدينۀ فحقن أبو بكر دمه و خلى سبيله، و هرب طليحۀ بن خويلد فدخل خباء له فاغتسل و خرج فركب فرسه و أهل بعمرۀ ثم مضى إلى مكۀ ثم أتى المدينۀ مسلما، و قيل بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غازيا، و بعثوا به إلى أبى بكر بالمدينۀ فأسلم و ابلى بعد فى فتح العراق و نهاوند، و قال له عمر: أقتلت العبد الصالح عكاشۀ بن محصن، فقال: أن عكاشۀ بن محصن سعد بى و شقيت به و أنا أستغفر اللّه.

فتوح البلدان، ص: ۱۰۲

و أخبرنى داود بن حبال الأسدى عن أشياخ من قومه: أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال لطليحۀ: أنت الكذاب على اللّه حين

زعمت أنه أنزل عليك إن اللّه لا يصنع بتعفير وجوهكم و قبح أدباركم شيئا فاذكروا اللّه أعفة قياما فإن الرغوة فوق الصريح، فقال يا أمير المؤمنين: ذلك من فتن الكفر الذى هدمه الإسلام كله، فلا تعنيف على ببعضه فأسكت عمر، قالوا: و أتى خالد بن الوليد رمان و أبانين و هناك فل بزاخة فلم يقاتلوه و بايعوه لأبى بكر، و بعث خالد بن الوليد هشام بن العاصى بن وائل السهمى و أخا عمرو بن العاصى، و كان قديم الإسلام و هو من مهاجرة الحبشة إلى بنى عامر بن صعصعة فلم يقاتلوه و أظهروا الإسلام و الأذان فانصرف عنهم، و كان قرة بن هبيرة القشيرى امتنع من أداء الصدقة و أمد طليحة فأخذه هشام بن العاصى و أتى به خالدا فحمله إلى أبى بكر، فقال: و اللّه ما كفرت مذ آمنت و لقد مربى عمرو بن العاصى منصرفا من عمان فأكرمته و بررته فسأل أبو بكر عمرا رضى اللّه عنهما عن ذلك فصدقه فحقن أبو بكر دمه، و يقال: أن خالدا كان سار إلى بلاد بنى عامر فأخذ قرة و بعث به إلى أبى بكر.

قال: ثم سار خالد بن الوليد إلى الغمر و هناك جماعة من بنى أسد و غطفان و غيرهم و عليهم خارجة بن حصن بن حذيفة، و يقال انهم كانوا متسايدين قد جعل كل قوم عليهم رئيسا منهم قالوا خالدا و المسلمين فقتلوا منهم جماعة و انهزم الباقون، و فى يوم الغمر يقول الحطيئة العبسى:

ألا كل أرماح قصار أذلةفداء لارماح الفوارس بالغمر

ثم أتى خالد جو قراقر، و يقال أتى النقرة و كان هناك جمع لبنى سليم عليهم أبو شجرة عمرو بن عبد العزى السلمى و أمه الخنساء فقاتلوه فاستشهد رجل من المسلمين ثم فض اللّه جمع المشركين، و جعل خالد يومئذ يحرق

فتوح البلدان، ص: ۱۰۳

المرتدين فقيل لأبى بكر فى ذلك فقال لا أشيم سيفا سله اللّه على الكفار، و أسلم أبو شجرة فقدم على عمر و هو يعطى المساكين فاستعطاه فقال له أ لست القائل:

و رويت رمحى من كتيبة خالدو إنى لأرجو بعدها أن أعمرا

و علاه بالدرة فقال: قد محا الإسلام ذلك يا أمير المؤمنين قالوا: و أتى الفجاءة و هو بجير بن إياس بن عبد اللّه السلمى أبا بكر فقال: احملنى و قونى أقاتل المرتدين فحمله و أعطاه سلاحا. فخرج يعترض الناس فيقتل المسلمين و المرتدين. و جمع جمعا. فكتب أبو بكر إلى طريفة بن حاجزة أخى معن بن حاجزة يأمره بقتاله فقاتله و أسره ابن حاجزة فبعث به إلى أبى بكر فأمر أبو بكر بإحراقه فى ناحية المصلى. و يقال: إن أبا بكر كتب إلى معن فى أمر الفجاءة فوجه معن إليه طريفة أخاه فأسره، ثم سار خالد إلى سن بالبطاح و البعوضة من بنى تميم فقاتلوه ففض جمعهم و قتل مالك بن نويرة أخا متمم بن نويرة و كان مالك عاملا للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم على صدقات بنى حنظلة، فلما قبض صلى اللّه عليه و سلم خلى ما كان فى يده من الفرائض و قال: شأنكم بأموالكم يا بنى حنظلة و قد قيل: إن خالدا لم يلق بالبطاح و البعوضة أحدا و لكنه بث السرايا فى بنى تميم و كان منها سرية عليها ضرار ابن الأزور الأسدى فلقى ضرار مالكا فاقتتلوا و أسره و جماعة معه فأتى بهم خالدا فأمر بهم فضربت أعناقهم و تولى ضرار ضرب عنق مالك. فتوح البلدان ؛ ص۱۰۳

يقال: إن مالكا قال لخالد: إنى و اللّه ما ارتددت و شهد أبو قتادة الأنصارى أن بنى حنظلة وضعوا السلاح و أذنوا فقال عمر بن الخطاب لأبى بكر رضى اللّه عنهما: بعثت رجلا يقتل المسلمين و يعذب بالنار.

و قد روى أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له: ما بلغ من

فتوح البلدان، ص: ۱۰۴

وجدك على أخيك مالك قال: بكيته حولا حتى أسعدت عينى الذاهبة عينى الصحيحة و ما رأيت نارا إلا كدت انقطع لها أسفا عليه لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح مخافة أن يأتيه ضيف فلا يعرف مكانه. قال: فصفه لى قال كان يركب الفرس الجرور و يقود الجمل الثفال و هو بين المزادتين النضوحين فى الليلة القرة و عليه شملة فلوت معتقلا- رمحا خطلا فيسرى ليلته ثم يصبح و كان وجهه فلقة قمر، قال فأنشدنى بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التى يقول فيها:

و کنا کندمانی جذیمة حقبةمن الدهر حتی قیل: لن یتصدعا

فقال عمر: لو کنت أحسن قول الشعر لرثیت أخی زیدا، فقال متمم:

و لا سواء یا أمیر المؤمنین: لو کان أخی صرع مصرع أخیک ما بکیته فقال عمر ما عزانی أحد بأحسن مما عزیتنی.

قالوا: و تنبأت أم صادر سجاح بنت أوس بن أسامة بن العنبر بن یربوع ابن حنظلة بن مالک بن زید مناة بن تمیم، و یقال: هی سجاح بنت الحارث ابن عقفان بن سوید بن خالد بن أسامة و تکهنت فأتبعها قوم من بنی تمیم و قوم من أخوالها بنی تغلب ثم انها سجعت ذات یوم فقالت: إن رب السحاب، یأمرکم أن تغزوا الرباب، فغزتهم فهزموها و لم یقاتلها أحد غیرهم فأتت مسیلمة الکذاب و هو بحجر فتزوجته و جعلت دینها و دینه واحدا، فلما قتل صارت إلی أخوالها فماتت عندهم، و قال ابن الکلبی: أسلمت سجاح و هاجرت إلی البصرة و حسن إسلامها، و قال عبد الأعلی بن حماد النرسی، سمعت مشایخ من البصریین إن سمرة بن جندب الفزاری صلی علیها و هو یلی البصرة من قبل معاویة قبل قدوم عبید اللّه بن زیاد من خراسان و ولایته البصرة، و قال ابن الکلبی کان مؤذن سجاح الجنبة بن طارق بن عمرو بن حوط الریاحی، و قوم یقولون: إن شبث بن ربعی الریاحی کان یؤذن لها.

فتوح البلدان، ص: ۱۰۵

قالوا: و ارتدت خولان بالیمن فوجه أبو بکر إلیهم یعلی بن منیة و هی أمه و هی من بنی مازن بن منصور بن عکرمة بن حصفة بن قیس بن عیلان بن مضر و أبوه أمیة بن أبی عبیدة من ولد مالک بن حنظلة بن مالک حلیف بنی نوفل بن عبد مناف نظفر بهم و أصاب منهم غنیمة و سبابا، و یقال: لم یلق حربا فرجع القوم إلی الإسلام.

ردة بنی ولیعة و الأشعث بن قیس ابن معدی کرب بن معاویة الکندی

قالوا: ولی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم زیاد بن لبید البیاضی من الأنصار حضرموت، ثم ضم إلیه کندة، و یقال، إن الذی ضم إلیه کندة أبو بکر الصدیق رضی اللّه عنه، و کان زیاد بن لبید رجلا حازما صلیبا فأخذ فی الصدقة من بعض کندة قلوصا فسأله الکندی ردها علیه و أخذ غیرها و کان قد و سمها بمیسم الصدقة فأبی ذلک، و کلمه الأشعث بن قیس فیه فلم یجبه، و قال: لست براد شیئا قد وقع المیسم علیه فانتقضت علیه کندة کلها إلا السکون فإنهم کانوا معه فقال شاعرهم:

و نحن نصرنا الدین إذ ضل قومناشقاء، و شایعنا ابن أم زیاد

و لم نبغ عن حق البیاضی مزحلاو کان تقی الرحمن أفضل زاد

و جمع له بنو عمرو بن معاویة بن الحارث الکندی فبیتهم فیمن معه من المسلمین فقتل منهم بشرا فیهم مخوس و مشرح و جمد و أبضعة بنو معدی کرب بن ولیعة بن شرحبیل بن معاویة بن حجر القرد «و القرد» الجواد فی کلامهم بن الحارث بن الولادة بن عمرو بن معاویة بن الحارث، و کانت لها ولاء الأخوة أودیة یملکونها فسموا الملوک الأربعة، و کانوا و فدوا علی النبی صلی اللّه علیه و سلم ثم ارتدوا، و قتلت أخت لهم یقال لها العمردة

فتوح البلدان، ص: ۱۰۶

و قاتلها یحسبها رجلا ثم أن زیادا أقبل بالسبی و الأموال فمر علی الأشعث ابن قیس و قومه فصرخ النساء و الصبیان و بکوا فحمی الأشعث أنفا و خرج فی جماعة من قومه فعرض لزیاد و معه فأصیب ناس من المسلمین ثم هزموهم فاجتمعت عظماء کندة إلی الأشعث بن قیس، فلما رأی زیاد ذلک کتب إلی أبی بکر یستمده.

و کتب أبو بکر إلی المهاجر بن أبی أمیة یأمره بإنجاده فلقیا الأشعث بن قیس فیمن معهما من المسلمین ففضا جمعه و أوقعا بأصحابه فقتلا منهم مقتلة عظیمة ثم انهم لجأوا إلی النجیر- و هو حصن لهم- فحصرهم المسلمون حتی جهدوا فطلب الأشعث الأمان لعدة منهم و أخرج نفسه من العدة و ذلک أن الجفشیش الکندی و أسمه معدان بن الأسود بن معدی کرب أخذ بحقوه، و قال: اجعلنی من

العدة فأدخله و أخرج نفسه و نزل إلى زياد بن لبيد و المهاجر فبعثا به إلى أبى بكر الصديق فمن عليه و زوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة فولدت له محمدا و اسحاق و قريبة و حبابة و جعدة، و بعضهم يقول: زوجه أخته قريبة، و لما تزوجها أتى السوق فلم يربها جزورا إلا كشف عرقوبيها و أعطى ثمنها و أطعمها الناس و أقام بالمدينة ثم سار إلى الشام و العراق غازيا، و مات بالكوفة و صلى عليه الحسن بن أبى طالب بعد صلحه معاوية، و كان الأشعث يكنى أبا محمد و يلقب عرف النار.

و قال بعض الرواة: ارتد بنو وليعة قبل وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم فلما بلغت زياد بن لبيد وفاته صلى اللّه عليه و سلم دعا الناس إلى بيعة أبى بكر فبايعوه خلابنى وليعة فبيتهم و ارتد الأشعث و تحصن فى النجير فحاصره زياد بن لبيد و المهاجر اجتمعا عليه و أمدهما أبو بكر رضى اللّه عنه بعكرمة ابن أبى جهل بعد انصرافه من عمان فقدم عليهما و قد فتح النجير فسأل أبو بكر المسلمين أن يشركوه فى الغنيمة ففعلوا، قالوا: و كان بالنجيرة نسوة

فتوح البلدان، ص: ۱۰۷

شمتن بوفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فكتب أبو بكر رضى اللّه عنه فى قطع أيديهن و أرجلهن منهن الثبجاء الحضرمية، و هند بنت يامين اليهودية.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنى عبد الرزاق بن همام اليمانى عن مشايخ حدثوه من أهل اليمن أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ولى خالد بن سعيد بن العاصى صنعاء فأخرجه العنسى الكذاب عنها، و أنه ولى المهاجر بن أبى أمية على كندة و زياد بن لبيد الأنصارى على حضرموت و الصدف و هم ولد مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة و انما سمى صدفا لأن مرتعا تزوج حضرمية و شرط لها أن تكون عنده فإذا ولدت ولدا لم يخرجها من دار قومها فولدت له مالكا فقضى الحاكم عليه بأن يخرجها إلى أهلها، فلما خرج مالك عنه معها قال: صدف عنى مالك فسمى الصدف، و قال عبد الرزاق فأخبرنى مشايخ من أهل اليمن، قالوا: كتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد و المهاجر ابن أبى أمية المخزومى و هو يومئذ على كندة يأمرهما أن يجتمعا فتكون أيديهما يدا و أمرهما واحدا فيأخذ له البيعة و يقاتلا من امتنع من أداء الصدقة و أن يستعينا بالمؤمنين على الكافرين و بالمطيعين على العاصين و المخالفين فأخذا من رجل من كندة فى الصدقة بكرة من الإبل فسألهما أخذ غيرها فسامحه المهاجر و أبى زياد إلا أخذها و قال: ما كنت لأردها بعد أن وقع عليها ميسم الصدقة، فجمع بنو عمرو بن معاوية جمعا فقال زياد بن لبيد للمهاجر: قد ترى هذا الجمع و ليس الرأى أن نزول جميعا عن مكاننا و لكن انفصل عن العسكر فى جماعة فيكون ذلك أخفى للأمر و أستر ثم أبيت هؤلاء الكفرة، و كان زياد حازما صليبا فصار إلى بنى عمرو و ألفاهم فى الليل فبيتهم فأتى على أكثرهم و جعل بعضهم يقتل بعضا ثم اجتمع و المهاجر و معهما السبى و الأسارى فعرض لهما الأشعث بن قيس و وجوه كندة فقاتلاهم قتالا شديدا، ثم إن الكنديين

فتوح البلدان، ص: ۱۰۸

تحصنوا بالنجير فحاصراهم حتى جهدهم الحصار و أضربهم و نزل الأشعث على الحكم قالوا: و كانت حضرموت أتت كندة منجدة لها فواقعهم زياد و المهاجر فظفرا بهم و ارتدت خولان فوجه إليهم أبو بكر يعلى بن منية فقاتلهم حتى أذعنوا و أقروا بالصدقة، ثم أتى المهاجر كتاب أبى بكر بتوليته صنعاء و مخاليفها و جمع عمله لزياد إلى ما كان فى يده فكانت اليمن بين ثلاثة المهاجر، و زياد، و يعلى و ولى أبو سفيان بن حرب ما بين آخر حد الحجاز و آخر حد بحران.

و حدثنى أبو التمار، قال: حدثنى شريك قال أنبأنا ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعى، قال: ارتد الأشعث بن قيس الكندى فى ناس من كندة فحوصرا فأخذ الأمان لسبعين منهم و لم يأخذه لنفسه فأتى به أبو بكر فقال:

أنا قاتلوك لأنه لا أمان لك إذ أخرجت نفسك من العدة، فقال: بل تمن على يا خليفة رسول اللّه و تزوجنى فعل و زوجه أخته. و حدثنى القاسم بن سلام أبو عبيد، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح كاتب الليث بن سعد عن علوان بن صالح عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف عن أبى بكر الصديق أنه قال: ثلاث تركتهن و ودت أنى لم أفعل، وددت أنى يوم

أتيت بالأشعث بن قيس ضربت عنقه فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شرا إلا سعى فيه و أعان عليه، و وددت أنى يوم أتيت بالفجاءة قتلته و لم أحرقه، و وددت أنى حيث وجهت خالدا إلى الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فأكون قد بسطت يمينى و شمالى جميعا فى سبيل اللّه.

أخبرنى عبد اللّه بن صالح العجلى، عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن فراس أو بنان، عن الشعبى أن أبا بكر رد سبايا النجير بالفداء لكل رأس أربعمائة درهم، و ان الأشعث بن قيس استسلف من تجار المدينة فداءهم ففداهم ثم رده لهم، و قال الأشعث بن قيس يرثى بشير بن الأودح، و كان ممن

فتوح البلدان، ص: ۱۰۹

وفد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثم ارتد و يزيد بن أماناة و من قتل يوم النجير.

لعمرى و ما عمرى على بهينلقد كنت بالقتلى أحق ضنين

فلا غرو إلا يوم يقسم سبيهمو ما الدهر عندى بعدهم بأمين

و كنت كذات البوّ ريعت فأقبلتعلى بوها إذ طربت بحنين

عن ابن أماناة الكريم و بعدهبشير الندى فليجر دمع عيون

أمر الأسود العنسى و من ارتد معه باليمن

قالوا: كان الأسود بن كعب بن عوف العنسى قد تكهن و ادعى النبوة فاتبعه عنس، و اسم عنس زيد بن مالك بن ادد بن يشجب بن غريب بن زيد ابن كهلان بن سبا، و عنس أخو مراد بن مالك، و خالد بن مالك و سعد العشيرة ابن مالك، و اتبعه أيضا قوم من غير عنس، و سمى نفسه رحمان اليمن كما تسمى مسيلمة رحمان اليمامة، و كان له حمار معلم يقول له اسجد لربك فيسجد و يقول له ابرك فيبرك فسمى ذا الحمار، و قال بعضهم: هو ذو الخمار لأنه كان متخمرا معتما أبدا. و أخبرنى بعض أهل اليمن أنه كان أسود الوجه فسمى الأسود للونه و إن اسمه عهلة.

قالوا: فبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جرير بن عبد اللّه البجلى فى السنة التى توفى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فيها، و فيها كان إرسال جرير إلى الأسود يدعوه إلى الإسلام فلم يجبه، و بعض الرواة ينكر بعثة النبى صلى اللّه عليه و سلم جريرا إلى اليمن، قالوا، و أتى الأسود صنعاء فغلب عليها و أخرج خالد بن سعيد بن العاصى عنها، و يقال، أنه إنما أخرج المهاجرين أبى أمية و انحاز إلى ناحية زياد بن لبيد البياضى، و كان عنده حتى أتاه كتاب أبى بكر يأمره

فتوح البلدان، ص: ۱۱۰

بمعاوية زياد، فلما فرغ من أمرهما ولاه صنعاء و أعمالها، و كان الأسود متجبرا فاستذل الأبناء، و هم أولاد أهل فارس الذين وجههم. كسرى إلى اليمن مع ابن ذى يزن و عليهم و هرز و استخدمهم فأضر بهم، و تزوج المرزبانة امرأة باذام ملكهم و عامل أبرويز عليهم فوجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قيس بن هبيرة المكشوح المرادى لقتاله، و انما سمى المكشوح لأنه كوى على كشحه من داء كان به، و أمره باستمالة الأبناء و بعث معه فروة بن مسيك المرادى، فلما صار إلى اليمن بلغتهما وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فأظهر قيس للأسود أنه على رأيه حتى خلى بينه و بين دخول صنعاء فدخلها فى جماعة من مذحج و همدان و غيرهم ثم استمال فيروز بن الديلمى أحد الأبناء، و كان فيروز قد أسلم ثم أتيا باذام رأس الأبناء، و يقال:

ان باذام قد كان مات و رأس الأبناء بعده خليفة له يسمى داذويه، و ذلك أثبت فأسلم داذويه و لقى قيس ثات بن ذى الحرة الحميرى فاستماله و بث داذويه دعاته فى الأبناء فأسلموا، فتطابق هؤلاء جميعا على قتل الأسود و اغتياله و دسوا إلى المرزبانة امرأته من أعلمها الذى هم عليه و كانت شانئة له فدلتهم على جدول يدخل إليه منه فدخلوا سحرا و يقال: بل نقبوا جدار بيته بالخل نقبا ثم دخلوا عليه

فی السحر و هو سکران نائم فذبحه قیس ذبحا فجعل یخور خوار الثور حتی أفزع ذلک حرسه، فقالوا: ما شأن رحمان الیمن فبدرت امرأته فقالت: إن الوحی ینزل علیه فسکنوا و أمسکوا و احتز قیس رأسه ثم علا سور المدینة حین أصبح فقال: اللّه أکبر اللّه أکبر أشهد أن لا إلا اللّه و أشهد أن محمدا رسول اللّه و أن الأسود کذاب عدو اللّه، فاجتمع أصحاب الأسود فألقی إلیهم رأسه فتفرقوا إلا قلیلا، و خرج أصحاب قیس ففتحوا الباب و وضعوا فی بقیة أصحاب العنسی السیف فلم ینجح إلا من أسلم منهم.

فتوح البلدان، ص: ۱۱۱

و ذکر بعض الرواة أن الذی قتل الأسود العنسی فیروز بن الدیلمی و أن قیسا أجهز علیه و احتز رأسه. و ذکر بعض أهل العلم إن قتل الأسود کان قبل وفاة النبی صلی اللّه علیه و سلم بخمسة أیام

فقال فی مرضه. قد قتل اللّه الأسود العنسی قتله الرجل الصالح فیروز بن الدیلمی،

و أن الفتح ورد علی أبی بکر بعد ما استخلف بعشر لیال.

و أخبرنی بکر بن الهیثم. قال. حدثنی ابن انس الیمانی، عمن أخبره عن النعمان ابن برزج أحد الأبناء أن عامل النبی صلی اللّه علیه و سلم الذی أخرجه الأسود عن صنعاء أبان بن العاصی، و أن الذی قتل الأسود العنسی فیروز بن الدیلمی و أن قیسا و فیروزا ادعیا قتله و هما بالمدینة فقال عمر. قتله هذا الأسد یعنی فیروز. قالوا: ثم ان قیسا اتهم بقتل داذویه و بلغ أبا بکر أنه علی اجلاء الأبناء عن صنعاه فأغضبه ذلک، و کتب إلی المهاجر بن أبی أمیة حین دخل صنعاء و هو عامله علیها یأمره بحمل قیس إلی ما قبله فلما قدم به علیه أحلفه خمسین یمینا عند منبر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أنه ما قتل داذویه فحلف فخلی سبیله و وجه إلی الشام مع من انتدب لغز الروم من المسلمین.

فتوح الشام

قالوا: لما فرغ أبو بکر رضی اللّه عنه من أمر أهل الردة رأی توجیه الجیوش إلی الشام فکتب إلی أهل مکة، و الطائف، و الیمن، و جمیع العرب بنجد و الحجاز یستنفرهم للجهاد و یرغبهم فیه و فی غنائم الروم، فسارع الناس إلیه من بین محتسب و طامع و أتو المدینة من کل أوب فعقد ثلاثة ألویة لثلاثة رجال خالد ابن سعید بن العاصی بن أمیة، و شرحبیل بن حسنة حلیف بنی جمح، و شرحبیل فیما ذکر الواقدی ابن عبد اللّه بن المطاع الکندی. و حسنة أمه و هی مولاة

فتوح البلدان، ص: ۱۱۲

معمر بن حبیب بن وهب بن حذافة بن جمح. و قال الکلبی: هو شرحبیل ابن ربیعة بن المطاع من ولد صوفة و هم الغوث بن مر بن اد بن طابخة، و عمرو بن العاصی بن وائل السهمی، و کان عقده هذه الألویة یوم الخمیس المستهل صفر سنة ثلاث عشرة و ذلک بعد مقام الجیوش معسکرین بالجرف المحرم کله، و أبو عبیدة بن الجراح یصلی بهم. و کان أبو بکر أراد أبا عبیدة أن یعقد له فاستعفاه من ذلک، و قد روی قوم أنه عقد له و لیس ذلک بثبت و لکن عمر ولاه الشام کله حین استخلف.

و ذکر أبو مخنف أن أبا بکر قال للأمراء: إن اجتمعتم علی قتال فأمیرکم أبو عبیدة عامر بن عبد اللّه بن الجراح الفهری و إلا فیزید بن أبی سفیان و ذکر أن عمرو بن العاصی إنما کان مددا للمسلمین و أمیرا علی من ضم إلیه.

قال: و لما عقد أبو بکر لخالد بن سعید کره عمر ذلک فکلم أبا بکر فی عزله، و قال: أنه رجل فخور یحمل أمره علی المغالبة و التعصب فعزله أبو بکر و وجه أبا أروی الدوسی لأخذ لوائه فلقیه بذی المروة فأخذ اللواء منه و ورد به علی أبی بکر فدفعه أبو بکر رضی اللّه عنه إلی یزید بن أبی سفیان فسار به و معاویة أخوه یحمله بین یدیه، و یقال: بل سلم إلیه اللواء بذی المروة فمضی علی جیش خالد و سار خالد بن سعید محتسبا فی جیش شرحبیل.

و أمر أبو بکر رضی اللّه عنه عمرو بن العاصی أن یسلک طریق أیلة عامدا لفلسطین، و أمر یزید أن یسلک طریق تبوک، و کتب إلی

شرحبیل أن یسلک أیضا طریق تبوک، و کان العقد لکل أمیر فی بدء الأمر علی ثلاثة آلاف رجل فلم یزل أبو بکر یتبعهم الأمداد حتی صار مع کل أمیر سبعة آلاف و خمسمائة ثم تتام جمعهم بعد ذلک أربعة و عشرین ألفا. و روی عن الواقدی أن أبا بکر ولی عمرا فلسطین، و شرحبیل الأردن، و یزید دمشق،

فتوح البلدان، ص: ۱۱۳

و قال إذا کان بکم قتال فأمیرکم الذی تکونون فی عمله. و روی أیضا أنه أمر عمرا مشافهة أن یصلی بالناس إذا اجتمعوا، و إذا تفرقوا صلی کل أمیر بأصحابه و أمر الأمراء أن یعقدوا لکل قبیلة لواء یکون فیهم، قالوا: فلما صار عمرو بن العاصی إلی أول عمل فلسطین کتب إلی أبی بکر یعلمه کثرة عدد العدو و عدتهم و سعة أرضهم و نجدة مقاتلتهم، فکتب أبو بکر إلی خالد ابن الولید بن المغیرة المخزومی و هو بالعراق یأمره بالمسیر إلی الشام فیقال:

أنه جعله أمیرا علی الأمراء فی الحرب، و قال قوم: کان خالد أمیرا علی أصحابه الذین شخصوا معه، و کان المسلمون إذا اجتمعوا لحرب أمره الأمراء فیها لبأسه و کیده و یمن نقیبته. قالوا: فأول وقعة کانت بین المسلمین و عدوهم بقریة من قری غزة یقال لها داثن کانت بینهم و بین بطریق غزة فاقتتلوا فیها قتالا شدیدا ثم ان اللّه تعالی أظهر أولیاءه و هزم أعداءه و فض جمعهم و ذلک قبل قدوم خالد بن الولید الشام، و توجه یزید بن أبی سفیان فی طلب ذلک البطریق فبلغه أن بالعربة من أرض فلسطین جمعا للروم فوجه إلیهم أبا أمامة الصدی بن عجلان الباهلی فأوقع بهم و قتل عظیمهم ثم انصرف.

و روی أبو مخنف فی یوم العربة أن ستة قواد من قواد الروم نزلوا العربة فی ثلاثة آلاف فسار إلیهم ابو أمامة فی کثف من المسلمین فهزمهم و قتل أحد القواد ثم اتبعهم فصاروا إلی الدبیة- و هی الدابیة- فهزموهم و غنم المسلمون غنما حسنا.

و حدثنی أبو حفص الشامی عن مشایخ من أهل الشام قالوا: کانت أول وقائع المسلمین وقعة العربة و لم یقاتلوا قبل ذلک مذ فصلوا من الحجاز، و لم یمروا بشیء من الأرض فیما بین الحجاز و موضع هذه الوقعة إلا غلبوا علیه بغیر حرب و صار فی أیدیهم

.

فتوح البلدان، ص: ۱۱۴

شخوص خالد بن الولید إلی الشام و ما فتح فی طریقه

قالوا: لما أتی خالد بن الولید کتاب أبی بکر و هو بالحیرة خلف المثنی ابن حارثة الشیبانی علی ناحیة الکوفة، و سار فی شهر ربیع الآخر سنة ثلاث عشرة فی ثمانمائة، و یقال فی ستمائة، و یقال فی خمسمائة، فأتی عین التمر ففتحها عنوة، و یقال. إن کتاب أبی بکر وافاه و هو بعین التمر و قد فتحها، فسار خالد من عین التمر فأتی صندوداء و بها قوم من کندة و إیاد و العجم، فقاتله أهلها و خلف بها سعد بن عمرو بن حرام الأنصاری فولده الیوم بها، و بلغ خالدا أن جمعا لبنی تغلب بن وائل بالمضیح و الحصید مرتدین علیهم ربیعة بن بجیر فأتاهم فقاتلوه فهزمهم و سبی و غنم و بعث بالسبی إلی أبی بکر، فکانت منهم أم حبیب الصهباء بنت حبیب بن بجیر، و هی أم عمر بن علی ابن أبی طالب، ثم أغار خالد علی قراقر و هو ماء لکلب ثم فوز منه إلی سوی و هو ماء لکلب أیضا و معهم فیه قوم من بهراء فقتل حرقوص بن النعمان البهرانی من قضاعة و اکتسح أموالهم و کان خالد لما رکب المفازة عمد إلی الرواحل فأرواها من الماء ثم قطع مشافرها و أجرها لئلا تجتر فتعطش ثم استکثر من الماء و حمله معه فنفد فی طریقه فجعل ینحر تلک الرواحل راحلة راحلة و یشرب و أصحابه الماء من أکراشها، و کان له دلیل یقال له. رافع بن عمیر الطائی ففیه یقول الشاعر.

للّه در نافع إنی أهتدیفوز من قراقر إلی سوی

ماء إذا ما رامه الجیش انثنیما جازها قبلک من أنس یری

و کان المسلمون لما انتهوا إلی سوی وجدوا حرقوصا و جماعة معه یشربون و یتغنون و حرقوص یقول:

ألا عللانی قبل جیش أبی بکرلعل منایانا قریب و لا ندری

فتوح البلدان، ص: ۱۱۵

فلما قتله المسلمون جعل دمه یسیل فی الجفنة التی کان فیها شرابه و یقال إن رأسه سقط فیها أیضا. و قال بعض الرواة أن المغنی بهذا البیت رجل ممن کان أغار خالد علیه من بنی تغلب مع ربیعة بن بجیر.

و قال الواقدی: خرج خالد من سوی إلی الکواثل ثم أتی قرقیسیا فخرج إلیه صاحبها فی خلق فترکه و انحاز إلی البر و مضی لوجهه و أتی خالد أرکة- و هی أرک- فأغار علی أهلها و حاصرهم ففتحها صلحا علی شیء أخذه منهم للمسلمین، و أتی دومة الجندل ففتحها، ثم أتی قصم فصالحه بنو مشجعة ابن التیم بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة و کتب لهم أمانا، ثم أتی تدمر فامتنع أهلها و تحصنوا ثم طلبوا الأمان فأمنهم علی أن یکونوا ذمة و علی أن قروا المسلمین و رضخوا لهم، ثم أتی القریتین فقاتله أهلها فظفر و غنم، ثم أتی حوارین من سنیر فأغار علی مواشی أهلها فقاتلوه و قد جاءهم مدد أهل بعلبک و أهل بصری و هی مدینة حوران فظفر بهم فسبی و قتل، ثم أتی مرج راهط فأغار علی غسان فی یوم فصحهم و هم نصاری فسبی و قتل، و وجه خالد بسر بن أبی أرطاة العامری من قریش و حبیب بن مسلمة الفهری إلی غوطة دمشق فأغارا علی قری من قراها، و صار خالد إلی الثنیة التی تعرف بثنیة العقاب بدمشق فوقف علیها ساعة ناشرا رایته و هی رایة کانت لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم سوداء فسمیت ثنیة العقاب یومئذ و العرب تسمی الرایة عقابا، و قوم یقولون:

إنها سمیت بعقاب من الطیر کانت ساقطة علیها، و الخبر الأول أصح، و سمعت من یقول: کان هناک مثال عقاب من حجارة و لیس ذلک بشیء، قالوا:

و نزل خالد بالباب الشرقی من دمشق، و یقال: بل نزل بباب الجابیة فأخرج إلیه اسقف دمشق نزلا و خدمة فقال. احفظ لی هذا العهد فوعده بذلک، ثم سار خالد حتی انتهی إلی المسلمین و هم بقناة بصری

فتوح البلدان، ص: ۱۱۶

و یقال: أنه أتی الجابیة و بها أبو عبیدة فی جماعة من المسلمین فالتقیا و مضیا جمیعا إلی بصری.

فتح بصری

قالوا: لما قدم خالد بن الولید علی المسلمین بصری اجتمعوا علیها و أمروا خالدا فی حربها، ثم الصقوا بها و حاربوا بطریقها حتی ألجئوه و کماة أصحابه إلیها و یقال: بل کان یزید بن أبی سفیان المتقلد لأمر الحرب لأن ولایتها و إمرتها کانت إلیه لأنها من دمشق ثم أن أهلها صالحوا علی أن یؤمنوا علی دمائهم و أموالهم و أولادهم علی أن یؤدوا الجزیة.

و ذکر بعض الرواة أن أهل بصری صالحوا علی أن یؤدوا عن کل حالم دینارا و جریب حنطة، و افتتح المسلمون جمیع أرض کورة حوران و غلبوا علیها قال: و توجه أبو عبیدة بن الجراح فی جماعة من المسلمین کثیفة من أصحاب الأمراء ضموا إلیه فأتی مآب من أرض البلقاء، و بها جمع العدو فافتتحها صلحا علی مثل صلح بصری، و قال بعضهم: أن فتح مآب قبل فتح بصری، و قال بعضهم: أن أبا عبیدة فتح مآب و هو أمیر علی جمیع الشام أیام عمر.

یوم أجنادین

ثم کانت وقعة أجنادین و شهدها من الروم زهاء مائة ألف سرب هرقل أکثرهم و تجمع باقوهم من النواحی، و هرقل یومئذ مقیم بحمص فقاتلهم المسلمون قتالا شدیدا، و أبلی خالد بن الولید یومئذ بلاء حسنا، ثم أن اللّه هزم

فتوح البلدان، ص: ۱۱۷

أعداءه و مزقهم ممزق و قتل منهم خلق كثير، و استشهد يومئذ عبد اللّه ابن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، و عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية، و أخوه أبان بن سعيد و ذلك الثبت، و يقال: بل توفى أبان فى سنة تسع و عشرين و طليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصى بارزه علج فضربه ضربة أبانت يده اليمنى فسقط سيفه مع كفه، ثم غشيه الروم فقتلوه، و أمه أروى بنت عبد المطلب عمة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و كان يكنى أبا عدى، و سلمة بن هشام بن المغيرة و يقال: أنه قتل بمرج الصفر، و عكرمة ابن أبى جهل بن هشام المخزومى، و هبار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومى و يقال: بل قتل يوم مؤتة، و نعيم بن عبد اللّه النحام العدوى، و يقال. قتل يوم اليرموك، و هشام بن العاصى بن وائل السهمى، و يقال: قتل يوم اليرموك، و عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسى، و يقال: قتل يوم اليرموك و جندب بن عمرو الدوسى. و سعيد بن الحارث، و الحارث بن الحارث، و الحجاج بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى، و قال هشام بن محمد الكلبى:

قتل النحل يوم مؤتة، و قتل سعيد بن الحارث بن قيس يوم اليرموك، و قتل تميم بن الحارث يوم أجنادين، و قتل عبيد اللّه بن عبد الأسد أخوه يوم اليرموك قال: و قتل الحارث بن هشام بن المغيرة يوم أجنادين.

قالوا: و لما انتهى خبر هذه الوقعة إلى هرقل نخب قلبه و سقط فى يده و ملئ رعبا فهرب من حمص إلى انطاكية، و قد ذكر بعضهم أن هربه من حمص إلى انطاكية كان عند قدوم المسلمين الشام، و كانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، و يقال:

لليلتين خلتا من جمادى الآخرة، و يقال: لليلتين بقيتا منه.

قالوا: ثم جمعت الروم جمعا بالياقوصة- و الياقوصة واد فمه الفوارة- فلقيهم المسلمون هناك فكشفوهم و هزموهم و قتلوا كثيرا منهم و لحق

فتوح البلدان، ص: ۱۱۸

فلهم بمدن الشام و توفى أبو بكر رضى اللّه عنه فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فأتى المسلمين نعيه و هم بالياقوصة.

يوم فحل من الأردن

قالوا: و كانت وقعة «فحل» من «الأردن» لليلتين بقيتا من ذى القعدة، بعد خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه بخمسة أشهر، و أمير الناس أبو عبيدة بن الجراح، و كان عمر قد كتب إليه بولايته الشام و أمره الأمراء مع عامر بن أبى وقاص أخى سعد بن أبى وقاص، و قوم يقولون، أن ولاية أبى عبيدة الشام أتته و الناس محاصرون دمشق فكتمها خالدا أياما لأن خالدا كان أمير الناس فى الحرب فقال له خالد، ما دعاك- رحمك اللّه- إلى ما فعلت قال: كرهت أن أكسرك و أوهن أمرك و أنت بازاء عدو.

و كان سبب هذه الوقعة أن هرقل لما صار إلى أنطاكية استنفر الروم و أهل الجزيرة و بعث عليهم رجلا من خاصته و ثقاته فى نفسه فلقوا المسلمين بفحل من الأردن فقاتلوهم أشد قتال و أبرحه حتى أظهرهم اللّه عليهم و قتل بطريقهم و زهاء عشرة آلاف معه، و تفرق الباقون فى مدن الشام و لحق بعضهم بهرقل و تحصن أهل «فحل» فحصرهم المسلمون حتى سألوا الأمان على أداء الجزية عن رؤسهم و الخراج عن أرضهم، فأمنوهم على أنفسهم و أموالهم و أن لا تهدم حيطانهم، و تولى عقد ذلك أبو عبيدة بن الجراح، و يقال: تولاه شرحبيل بن حسنة.

أمر الأردن

حدثنى حفص بن عمر العمرى، عن الهيثم بن عدى، قال: افتتح

فتوح البلدان، ص: ۱۱۹

شرحبيل بن حسنة «الأردن» عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه على انصاف منازلهم و كنائسهم. و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها و يبث غاراته فيها فكان عمرو بن العاصى يقصد لفلسطين، و كان شرحبيل يقصد الأردن، و كان يزيد بن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق، و كانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه و إذا احتاج أحدهم إلى معاضدة صاحبه و انجاده سارع إلى ذلك، و كان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر رضى اللّه عنه عمرو بن العاصى حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب، ثم ولى أبو عبيدة بن الجراح أمر الشام كله، و أمره الأمراء فى الحرب و السلم من قبل عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، و ذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله و ولى أبا عبيدة.

ففتح شرحبيل بن حسنة طبرية صلحا بعد حصار أيام على أن أمن أهلها على أنفسهم و أموالهم و أولادهم و كنائسهم و منازلهم إلا ما جلوا عنه و خلوه و استثنى لمسجد المسلمين موضعا ثم أنهم نقضوا فى خلافة عمر و اجتمع إليهم قوم من الروم و غيرهم، فأمر أبو عبيدة عمر بن العاصى بغزوهم فسار إليهم فى أربعة آلاف ففتحها على مثل صلح شرحبيل، و يقال: بل فتحها شرحبيل ثانية، و فتح شرحبيل جميع مدن الأردن و حصونها على هذا الصلح فتحا يسيرا بغير قتال ففتح بليسان، و فتح سوسية، و فتح أفيق، و جرش، و بيت رأس. و قدس و الجولان، و غلب على سواد الأردن و جميع أرضها.

قال أبو حفص، قال أبو محمد سعيد بن عبد العزيز، و بلغنى أن الوضين ابن عطاء، قال، فتح شرحبيل عكا و صور، و صفورية، و قال أبو بشر المؤذن

فتوح البلدان، ص: ۱۲۰

أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاصى إلى سواحل الأردن فكثر به الروم و جاءهم المدد من ناحية هرقل و هو بالقسطنطينية، فكتب إلى أبى عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان فسار يزيد و على مقدمته معاوية أخوه ففتح يزيد و عمرو سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة بفتحهما لها و كان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن و أثر جميل.

و حدثنى أبو اليسع الأنطاكى، عن أبيه عن مشايخ أهل أنطاكية و الأردن، قالوا: نقل معاوية قوما من فرس بلعبك، و حمص، و أنطاكية إلى سواحل الأردن، و صور، و عكا، و غيرها سنة اثنتين و أربعين و نقل من أساورة البصرة و الكوفة و فرس بعلبك و حمص إلى أنطاكية فى هذه السنة أو قبلها أو بعدها بسنة جماعة، فكان من قواد الفرس مسلم بن عبد اللّه جد عبد اللّه بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكى. و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، و أخبرنى هشام بن الليث الصورى، عن مشايخ من أهل الشام، قالوا: رم معاوية عكا عند ركوبه منها إلى قبرص: ورم صور ثم أن عبد الملك بن مروان جددهما و قد كانتا خربتا. و حدثنى هشام بن الليث قال: حدثنى أشياخنا، قالوا: نزلنا صور و السواحل و بها جند من العرب و حلق من الروم ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا و كذلك جميع سواحل الشام.

و حدثنى محمد بن سهم الأنطاكى عن مشايخ أدركهم قالوا: لما كانت سنة تسع و أربعين خرجت الروم إلى السواحل و كانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع و النجارين فجمعوا و رتبهم فى السواحل و كانت الصناعة فى الأردن بعكا قال: فذكر أبو الخطاب الأزدى أنه كانت لرجل من ولد أبى معيط بعكا أرحاء و مستغلات فأراده هشام بن عبد الملك على

فتوح البلدان، ص: ۱۲۱

أن يبيعه إياها فأبى المعطى ذلك عليه فنقل هشام الصناعة إلى صور و اتخذ بصور فندقا و مستغلا.

و قال الواقدى: لم تزل المراكب بعكا حتى ولى بنو مروان فنقلوها إلى صور فهى بصور إلى اليوم و أمر أمير المؤمنين المتوكل على اللّه فى سنة سبع و أربعين و مائتين بترتيب المراكب بعكا و جميع السواحل و شحنها بالمقاتلة

. يوم مرج الصفر

قالوا: ثم اجتمعت الروم جمعا عظيما و أمدهم هرقل بمدد فلقيهم المسلمون بمرج الصفر و هم متوجهون إلى دمشق و ذلك لهلال المحرم سنة أربع عشرة فاقتتلوا. قتالا شديدا حتى جرت الدماء فى الماء و طحنت بها الطاحونة و جرح من المسلمين زهاء أربعة آلاف ثم ولى الكفرة منهزمين مفلولين لا يلوون على شىء حتى أتوا دمشق و بيت المقدس و استشهد يومئذ خالد بن سعيد بن العاصى بن أمية، و يكنى أبا سعيد، و كان قد أعرس فى الليلة التى كانت الواقعة فى صبيحتها بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومى امرأة عكرمة ابن أبى جهل، فلما بلغها مصابه: انتزعت عمود الفسطاط فقاتلت به، فيقال: انها قتلت يومئذ سبعة نفر و أن بها لردع الخلوق.

و فى رواية أبى مخنف أن وقعة المرج بعد أجنادين بعشرين ليلة و أن فتح مدينة دمشق بعدها ثم بعد فتح مدينة دمشق وقعة فحل، و رواية الواقدى أثبت، و فى يوم المرج يقول خالد بن سعيد بن العاصى:

من فارس كره الطعان يعيرنى رمحا إذا نزلوا بمرج الصفر

و قال عبد اللّه بن كامل بن حبيب بن عميرة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم:

شهدت قبائل مالك و تغيبت عنى عميرة يوم مرج الصفر

فتوح البلدان، ص: ۱۲۲

يعنى مالك بن خفاف، و قال هشام بن محمد الكلبى: استشهد خالد بن سعيد يوم المرج و فى عنقه الصمصامة سيفه، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم وجهه إلى اليمن عاملا فمر برهط عمرو بن معدى كرب الزبيدى من مذحج فأغار عليهم فسبى امرأة عمرو و عدة من قومه فعرض عليه عمرو أن يمن عليهم و يسلموا ففعل و فعلوا فوهب له عمرو سيفه الصمصامة و قال:

خليل لم أهبه من قلاه و لكن المواهب للكرام

خليل لم أخنه و لم يخنى كذلك ما خلالى أو ندامى

حبوت به كريما من قريش فسر به و صين عن اللئام

قال: فأخذ معاوية السيف من عنق خالد يوم المرج حين استشهد فكان عنده، ثم نازعه فيه سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية فقضى له به عثمان فلم يزل عنده، فلما كان يوم الدار و ضرب مروان على قفاه و ضرب سعيد فسقط صريعا أخذ الصمصامة منه رجل من جهينة فكان عنده، ثم أنه دفعه إلى صيقل ليجلوه فأنكر الصيقل أن يكون للجهنى مثله فأتى به مروان ابن الحكم و هو والى المدينة فسأل الجهنى عنه فحدثه حديثه، فقال: أما و اللّه لقد سلبت سيفى يوم الدار و سلب سعيد بن العاصى سيفه، فجاء سعيد فعرف السيف فأخذه و ختم عليه و بعث به إلى عمرو بن سعيد الأشدق و هو على مكة فهلك سعيد فبقى السيف عند عمرو بن سعيد، ثم أصيب عمرو بن سعيد بدمشق و انتهت متاعه فأخذ السيف محمد بن سعيد أخو عمرو لأبيه، ثم صار إلى يحيى ابن سعيد، ثم مات فصار إلى عنبسة بن سعيد بن العاصى، ثم إلى سعيد بن عمرو بن سعيد، ثم هلك فصار إلى محمد بن عبد اللّه بن سعيد و ولده ينزلون ببارق ثم صار إلى أبان بن يحيى بن سعيد فحلاه بحلية ذهب فكان عند أم ولد له، ثم أن أيوب بن أبى أيوب بن سعيد بن عمرو بن سعيد باعه من المهدى أمير المؤمنين بنيف و ثمانين ألفا فرد المهدى حيلته عليه، و لما صار

فتوح البلدان، ص: ۱۲۳

الصمصامة إلى موسى الهادى أمير المؤمنين أعجب به و أمر الشاعر- و هو أبو الهول- أن ينعته فقال:

حاز صمصامة الزبيدى عمرو خير هذا الأنام موسى الأمين

سيف عمرو و كان فيما علمنا خير ما أطبقت عليه الجفون

أخضر اللون بين حديه بردمن زعاف تميس فيه المنون

فإذا ما سللته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين

ما يبالى إذا الضريبة حانتأشمال سطت به أم يمين

نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيجا يعصا به و نعم القرين ثم أن أمير المؤمنين الواثق باللّه دعا له بصيقل و أمره أن يسقنه فلما فعل ذلك تغير.

فتح مدينة دمشق و أرضها

قالوا: لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج أقاموا خمس عشرة ليلة ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة أربع عشرة فأخذوا الغوطة و كنائسها عنوة و تحصن أهل المدينة و أغلقوا بابها فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقى فى زهاء خمسة آلاف ضمهم إليه أبو عبيدة و قوم يقولون: أن خالدا كان أميرا و إنما أتاه عزله و هم محاصرون دمشق، سمى الدير الذى نزل عنده خالد دير خالد. و نزل عمرو بن العاصى على باب توما و نزل شرحبيل على باب الفراديس، و نزل أبو عبيدة على باب الجابية، و نزل يزيد بن أبى سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذى يعرف بكيسان، و جعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجى على مسلحة ببرزة، و كان الأسقف الذى أقام لخالد النزل فى بدأته ربما وقف على السور فدعا له خالد

فتوح البلدان، ص: ۱۲۴

فإذا أتى سلم عليه و حادثه، فقال له ذات يوم: يا أبا سليمان أن أمركم مقبل ولى عليك عده فصالحنى عن هذه المدينة فدعا خالد بدواة و قرطاس فكتب.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أعطاهم أمانا على أنفسهم و أموالهم و كنائسهم و سور مدينتهم لا يهدم و لا يسكن شىء من دورهم، لهم بذلك عهد اللّه و ذمة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و الخلفاء و المؤمنين لا يعرض لهم إلا بخير إذا أعطوا الجزية.

ثم أن بعض أصحاب الأسقف أتى خالدا فى ليلة من الليالى فأعلمه أنها ليلة عيد لأهل المدينة و أنهم فى شغل و أن الباب الشرقى قد ردم بالحجارة و ترك و أشار عليه أن يلتمس سلما، فأتاه قوم من أهل الدير الذى عند عسكره بسلمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما إلى أعلى السور و نزلوا إلى الباب و ليس عليه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا عليه و فتحوه و ذلك عند طلوع الشمس، و قد كان أبو عبيدة بن الجراح عانى فتح باب الجابية و أصعد جماعة من المسلمين على حائطه فأنصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا، ثم أنهم و لوا مدبرين، و فتح أبو عبيدة و المسلمون معه باب الجابية عنوة و دخلوا منه، فالتقى أبو عبيدة و خالد بن الوليد بالمقسلاط، و هو موضع النحاسين بدمشق، و هو البريص الذى ذكره حسان بن ثابت فى شعره حين يقول:

يسقون من ورد البريص عليهمبردى يصفق بالرحيق السلسل

و قد روى أن الروم أخرجوا ميتا لهم من باب الجابية ليلا و قد أحاط بجنازته خلق من شجعانهم و كماتهم و أنصب سائرهم إلى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه و دخوله إلى رجوع أصحابهم من دفن الميت و طمعوا فى غفلة المسلمين عنهم و أن المسلمين نذروا بهم فقاتلوهم على الباب أشد قتال

فتوح البلدان، ص: ۱۲۵

و أبرحه حتى فتحوه فى وقت طلوع الشمس. فلما رأى الأسقف أن أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر إلى خالد فصالحه و فتح له الباب الشرقى فدخل و الأسقف معه ناشرا كتابه الذى كتبه له، فقال بعض المسلمين: و اللّه ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه، فقال أبو عبيدة: أنه يجيز على المسلمين أدناهم، و أجاز صلحه و أمضاه و لم يلتفت إلى ما فتح عنوة فصارت دمشق صلحا كلها، و كتب أبو عبيدة بذلك إلى عمرو أنفذه، و فتحت أبواب المدينة فالتقى القوم جميعا و فى رواية أبى مخنف و غيره أن خالدا دخل دمشق بقتال، و أن أبا عبيدة دخلها بصلح فالتقيا بالزياتين و الخبر الأول أثبت.

و زعم الهيثم بن عدى أن أهل دمشق صولحوا على انصاف منازلهم و كنائسهم، و قال محمد بن سعد قال أبو عبد اللّه الواقدى: قرأت كتاب خالد ابن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل و الكنائس، و قد روى ذلك و لا أدرى من أين جاء به من رواه، و لكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل و هو بأنطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون، و قد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقى و ان خالدا كان بباب الجابية و هذا غلط .

فتوح البلدان، ص: ۱۲۶

قال الواقدى: و كان فتح مدينة دمشق فى رجب سنة أربع عشرة و تاريخ كتاب خالد بصلحها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة و ذلك أن خالدا كتب الكتاب بغير تاريخ فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالدا فسأله أن يجدد له كتابا و يشهد عليه أبا عبيدة و المسلمين ففعل و أثبت فى الكتاب شهادة أبى عبيدة و يزيد بن أبى سفيان و شرحبيل بن حسنة و غيرهم فأرخه بالوقت الذى جدده.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال. حدثنا أبو مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى قال. دخل يزيد دمشق من الباب الشرقى صلحا فالتقيا بالمقسلاط فأمضيت كلها على الصلح.

و حدثنى القاسم، قال. حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبى الملهب الصنعانى، عن أبى الأشعث الصنعانى أو أبى عثمان الصنعانى أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصرا لهم أربعة أشهر.

حدثنى أبو عبيد، قال، حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء ابن أبى سلمة، قال. خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة كان رجل من الأمراء اقطعه إياها، فقال عمران كانت من الخمس عشرة كنيسة التى فى عهدهم فلا سبيل لك عليها، قال ضمرة عن على بن أبى حملة خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز فى كنيسة كان فلان قطعها لبنى نصر بدمشق. فأخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى، فلما ولى يزيد بن عبد الملك ردها إلى بنى نصر.

حدثنى أبو عبيد، قال حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن

فتوح البلدان، ص: ۱۲۷

الأوزاعى، أنه قال كانت الجزية بالشام فى بدء الأمر جريبا و دينارا على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير، و على أهل الورق أربعين درهما، و جعلهم طبقات لغنى الغنى، و إقلال المقل، و توسط المتوسط قال هشام: و سمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يؤدون إليهم الخراج فدخلوا معهم فى الصلح.

و قد ذكر بعض الرواة: أن خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية دينارا و جريب حنطة و خلا و زيتا لقوت المسلمين.

حدثنا عمرو الناقد قال: حدثنا عبد اللّه بن وهب المصرى، عن عمر بن محمد عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى، و أن يجعلوها على أهل الورق على كل رجل أربعين درهما، و على أهل الذهب أربعة دنانير، و عليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة و الزيت مدان حنطة، و ثلاثة أقساط زيتا كل شهر لكل انسان بالشام و الجزيرة و جعل عليهم و دكا عسلا لا و أدرى كم هو، و جعل لكل انسان بمصر فى كل شهر أردبا و كسوة و ضيافة ثلاثة أيام.

و حدثنا عمرو بن حماد بن أبى حنيفة قال: حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن أسلم أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير، و على أهل الورق أربعين درهما مع ذلك أرزاق المسلمين و ضيافة ثلاثة أيام.

و حدثنى مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله، قالوا: و لما ولى معاوية بن أبى سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه للزيادة فى المسجد و بذل لهم مالا فأبوا أن

یسلموها إلیه، ثم إن الولید بن عبد الملک جمعهم

فتوح البلدان، ص: ۱۲۸

فی أیامه و بذل لهم مالا عظیما علی أن یعطوه إیاها فأبوا، فقال: لئن لم تفعلوا لأهدمنها، فقال بعضهم: یا أمیر المؤمنین إن من هدم کنیسهٔ جن و أصابته عاههٔ فاحفظه قوله و دعا بمعول و جعل یهدم بعض حیطانها بیده و علیه قباء خز أصفر ثم جمع الفعلهٔ و النقاضین فهدموها و أدخلها فی المسجد. فلما استخلف عمر ابن عبد العزیز شکا النصاری إلیه ما فعل الولید بهم فی کنیستهم، فکتب إلی عامله یأمره برد ما زاده فی المسجد علیهم فکره أهل دمشق ذلک و قالوا:

نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فیه و صلینا و یرد بیعهٔ، و فیهم یومئذ سلیمان بن حبیب المحاربی و غیره من الفقهاء و أقبلوا علی النصاری فسألوهم أن یعطوا جمیع کنائس الغوطهٔ التی أخذت عنوهٔ و صارت فی أیدی المسلمین علی أن یصفحوا عن کنیسهٔ یوحنا و یمسکوا عن المطالبهٔ بها فرضوا بذلک و أعجبهم، فکتب به إلی عمر فسره و أمضاه، و بمسجد دمشق فی الرواق القبلی مما یلی المئذنهٔ کتاب فی رخامهٔ بقرب السقف مما أمر ببنیانه أمیر المؤمنین الولید سنهٔ ست و ثمانین، و سمعت هشام بن عمار یقول: لم یزل سور مدینهٔ دمشق قائما حتی هدمه عبد اللّه بن علی بن عبد اللّه بن العباس بعد انقضاء أمر مروان و بنی أمیهٔ.

و حدثنی أبو حفص الدمشقی، عن سعید بن عبد العزیز عن مؤذن مسجد دمشق و غیره قالوا: اجتمع المسلمون عند قدوم خالد علی بصری ففتحوها صلحا و انبثوا فی أرض حوران جمیعا فغلبوا علیها، و أتاهم صاحب أذرعات فطلب الصلح علی مثل ما صولح علیه أهل بصری علی أن جمیع أرض البثنیهٔ أرض خراج فأجابوهم إلی ذلک و مضی یزید بن أبی سفیان حتی دخلها و عقد لأهلها و کان المسلمون یتصرفون بکورتی حوران و البثنیهٔ، ثم مضوا إلی فلسطین و الأردن و غزوا ما لم یکن فتح، و سار یزید إلی عمان ففتحها فتحا یسیرا بصلح علی مثل صلح بصری و غلب علی أرض البلقاء و ولی أبو عبیدهٔ

فتوح البلدان، ص: ۱۲۹

و قد فتح هذا کله فکان أمیر الناس حین فتحت دمشق إلا أن الصلح کان لخالد و أجاز صلحه، و توجه یزید بن أبی سفیان فی ولایهٔ أبی عبیدهٔ ففتح عرندل صلحا و غلب علی أرض الشراهٔ و جبالها، قال: و قال سعید بن عبد العزیز:

أخبرنی الوضین أن یزید أتی بعد فتح مدینهٔ دمشق صیدا و عرقهٔ و جبیل و بیروت و هی سواحل، و علی مقدمته أخوه معاویهٔ ففتحها فتحا یسیر و جلا کثیرا من أهلها و تولی فتح عرقهٔ معاویهٔ نفسه فی ولایهٔ یزید، ثم أن الروم غلبوا علی بعض هذه السواحل فی آخر خلافهٔ عمر بن الخطاب أو أول خلافهٔ عثمان بن عفان فقصد لهم معاویهٔ حتی فتحها ثم رمها و شحنها بالمقاتلهٔ و أعطاهم القطائع، قالوا: فلما استخلف عثمان و ولی معاویهٔ الشام وجه معاویهٔ سفیان بن مجیب الأزدی إلی طرابلس، و هی ثلاثهٔ مدن مجتمعهٔ فبنی فی مرج علی أمیال منها حصنا سمی حصن سفیان و قطع المادهٔ عن أهلها من البحر و غیره و حاصرهم فلما اشتد علیهم الحصار اجتمعوا فی أحد الحصون الثلاثهٔ و کتبوا إلی ملک الروم یسألونه أن یمدهم أو یبعث إلیهم بمراکب یهربون فیها إلی ما قبله فوجه إلیهم بمراکب کثیرهٔ فرکبوها لیلا و هربوا، فلما أصبح سفیان، و کان یبیت کل لیلهٔ فی حصنه و یحصن المسلمین فیه ثم یغدو علی العدو وجد الحصن الذی کانوا فیه خالیا فدخله و کتب بالفتح إلی معاویهٔ فأسکنه معاویهٔ جماعهٔ کبیرهٔ من الیهود، و هو الذی فیه المیناء الیوم، ثم أن عبد الملک بناه بعد و حصنه، قالوا: و کان معاویهٔ یوجه فی کل عام إلی طرابلس جماعهٔ کثیفهٔ من الجند یشحنها بهم و یولیها عاملا فإذا انغلق البحر قفل و بقی العامل فی جمعیهٔ منهم یسیرهٔ فلم یزل الأمر فیها جاریا علی ذلک حتی ولی عبد الملک فقدم فی أیامه بطریق من بطارقهٔ الروم و معه بشر منهم کثیر فسأل أن یعطی الأمان علی أن یقیم بها و یؤدی الخراج فأجیب

فتوح البلدان، ص: ۱۳۰

إلی مسألته، فلم یلبث إلا سنتین أو أکثر منهما بأشهر حتی تحین قفول الجند عن المدینهٔ ثم أغلق بابها و قتل عاملها و أسر من معه من الجند و عدهٔ من الیهود و لحق و أصحابه بأرض الروم، فقدر المسلمون بعد ذلک علیه فی البحر و هو متوجه إلی ساحل للمسلمین فی

مراکب کثیرة فقتلوه، و یقال:

بل أسروه و بعثوا به إلی عبد الملک فقتله و صلبه، و سمعت من یذکر أن عبد الملک بعث إلیه من حصره بطرابلس ثم أخذه سلمان و حمله إلیه فقتله و صلبه و هرب من أصحابه جماعة فلحقوا ببلاد الروم، و قال علی بن محمد المدائنی قال عتاب بن ابراهیم: فتح طرابلس سفیان بن مجیب ثم نقض أهلها أیام عبد الملک ففتحها الولید بن عبد الملک فی زمانه.

و حدثنی أبو حفص الشامی عن سعید عن الوضین، قال: کان یزید بن أبی سفیان وجه معاویة إلی سواحل دمشق سوی طرابلس فإنه لم یکن یطمع فیها فکان یقیم علی الحصن الیومین و الأیام الیسیرة فربما قوتل قتالا غیر شدید و ربما رمی ففتحها، قال: و کان المسلمون کلما فتحوا مدینة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فیها قدر من یحتاج لها إلیه من المسلمین فإن حدث فی شیء منها حدث من قبل العدو سربوا إلیها الأمداد، فلما استخلف عثمان بن عفان رضی عنه کتب إلی معاویة یأمره بتحصین السواحل و شحنتها و إقطاع من ینزله إیاها القطائع ففعل.

و حدثنی أبو حفص عن سعید بن عبد العزیز، قال: أدرکت الناس و هم یتحدثون أن معاویة کتب إلی عمر بن الخطاب بعد موت أخیه یزید یصف له حال السواحل، فکتب إلیه فی مرمة حصونها و ترتیب المقاتلة فیها و إقامة الحرس علی مناظرها و اتخاذ المواقید لها، و لم یأذن له فی غزو البحر و أن معاویة لم یزل بعثمان حتی أذن له فی الغزو بحرا و أمره أن یعد فی السواحل إذا غزا أو أغزی جیوشا سوی من فیها من الرتب و أن یقطع

فتوح البلدان، ص: ۱۳۱

الرتب أرضین و یعطیهم ما جلا عنه أهله من المنازل و یبنی المساجد و یکبر ما کان ابتنی منها قبل خلافته، قال الوضین: ثم أن الناس بعد انتقلوا إلی السواحل من کل ناحیة.

حدثنی العباس بن هشام الکلبی عن أبیه عن جعفر بن کلاب الکلابی أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه ولی علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن کلاب حوران و جعل ولایته من قبل معاویة فمات بها و له یقول الحطیئة العبسی و خرج إلیه فکان موته قبل وصوله و بلغه أنه فی الطریق یریده فأوصی له بمثل سهم من سهام ولده:

فما کان بینی لو لقیتک سالماو بین الغنی إلا لیال قلائل

و حدثنی عدة من أهل العلم منهم جار لهشام بن عمار، أنه کانت لأبی سفیان بن حرب أیام تجارته إلی الشام فی الجاهلیة ضیعة بالبقاء تدعی بقبش فصارت لمعاویة و ولده ثم قبضت فی أول الدولة و صارت لبعض ولد أمیر المؤمنین المهدی رضی اللّه عنه ثم صارت لقوم من الزیاتین یعرفون ببنی نعیم من أهل الکوفة.

و حدثنا عباس بن هشام عن أبیه عن جده قال: وفد تمیم بن أوس أحد بنی الدار بن هانئ بن حبیب من لحم و یکنی أبا رقیة علی النبی صلی اللّه علیه و سلم و معه أخوه نعیم بن أوس فأقطعهما رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حبری و بیت عینون و مسجد ابراهیم علیه السلام فکتب بذلک کتابا، فلما افتتح الشام دفع ذلک إلیهما فکان سلیمان بن عبد الملک إذا مر بهذه القطعة لم یعرج، و قال: أخاف أن یصیبنی دعوة النبی صلی اللّه علیه و سلم.

و حدثنی هشام بن عمار. أنه سمع المشایخ یذکرون أن عمر بن الخطاب عند مقدمه الجابیة من أرض دمشق مر بقوم مجذمین من النصاری فأمر أن یعطوا من الصدقات و أن یجری علیهم القوت، و قال هشام: سمت الولید

فتوح البلدان، ص: ۱۳۲

ابن مسلم یذکر أن خالد بن الولید شرط لأهل الدیر الذی یعرف بدیر خالد شرطا فی خراجهم بالتخفیف عنهم حین أعطوه سلما صعد علیه فأنفذه لهم أبو عبیدة، و لما فرغ أبو عبیدة من أمر مدینة دمشق سار إلی حمص فمر ببعلبک، فطلب أهلها الأمان و الصلح فصالحهم علی أن أمنهم علی أنفسهم و أموالهم و کنائسهم و کتب لهم.

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب أمان لفلان بن فلان، و أهل بعلبك رومها و فرسها و عربها، على أنفسهم و أموالهم و كنائسهم و دورهم، داخل المدينة و خارجها و على أرحائهم، و للروم أن يرعوا سرحهم ما بينهم و بين خمسة عشر ميلا، و لا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع و جمادى الأولى ساروا إلى حيث شاءوا، و من أسلم منهم فله ما لنا و عليه ما علينا، و لتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التى صالحنا عليها، و على من أقام منهم الجزية و الخراج شهد اللّه و كفى بالله شهيدا.

أمر حمص

حدثنى عباس بن هشام عن أبيه عن أبى مخنف: أن أبا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق، قدم أمامه خالد بن الوليد، و ملحان بن زياد الطائى، ثم اتبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها ثم لجأوا إلى المدينة و طلبوا الأمان و الصلح فصالحوه على مائة ألف و سبعين دينار، قال الواقدى و غيره: بينا المسلمون على أبواب مدينة دمشق إذ أقبلت خيل للعدو كثيفة فخرجت إليهم جماعة من المسلمين فلقوهم بين بيت لهيا و الثنية فولوا منهزمين نحو حمص على طريق قارا و اتبعوهم حتى وافوا حمص فألقوهم قد عدلوا عنها و رآهم الحمصيون و كانوا منخوبين لهرب هرقل عنهم و ما كان يبلغهم من قوة كيد المسلمين

فتوح البلدان، ص: ۱۳۳

و بأسهم و ظفرهم فأعطوا بأيديهم و هتفوا بطلب الأمان فأمنهم المسلمون و كفوا أيديهم عنهم فأخرجوا إليهم العلف و الطعام و أقاموا على الأرند «يريد الأرند»- و هو النهر الذى يأتى انطاكية ثم يصب فى البحر بساحلها- و كان على المسلمين السمط بن الأسود الكندى، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق: استخلف عليها يزيد بن أبى سفيان ثم قدم حمص على طريق بلعبك فنزل بباب الرستن فصالحه أهل حمص على أن أمنهم على أنفسهم و أموالهم و سور مدينتهم و كنائسهم و ارحائهم و استثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد و اشترط الخراج على من أقام منهم.

و ذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندى كان صالح أهل حمص، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه و أن السمط قسم حمص خططا بين المسلمين حتى نزلوها و أسكنهم فى كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق، و عمرو بن العاصى على فلسطين، و شرحبيل على الأردن، و أتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بلعبك، ثم خلف بحمص عبادة بن الصامت الأنصارى، و مضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية فى رؤسهم و الخراج فى أرضهم، فمضى نحو شيزر فخرجوا يكفرون و معهم المقطسون و رضوا بمثل ما رضى به أهل حماه و بلغت خيله الزراعة و القسطل.

و مر أبو عبيدة بمعرة حمص- و هى التى تنسب إلى النعمان بن بشير فخرجوا يقلسون بين يديه ثم أتى فامية ففعل أهلها مثل ذلك و أذعنوا بالجزية و الخراج و استتم أمر حمص فكانت حمص و قنسرين شيئا واحدا. و قد اختلفوا فى تسمية الأجناد، فقال بعضهم: سمى المسلمون فلسطين جندا لأنه

فتوح البلدان، ص: ۱۳۴

جمع كورا، و كذلك دمشق، و كذلك الأردن، و كذلك حمص مع قنسرين.

و قال بعضهم: سميت كل ناحية لها جند يقبضون اطماعهم بها جندا و ذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندها عبد الملك بن مروان أى أفردها فصار جندها يأخذون اطماعهم بها من خراجها، و أن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل، و لم تزل قنسرين و كورها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين و أنطاكية و منبج و زواتها جندا.

فلما استخلف أمير المؤمنين الرشيد هارون بن المهدى أفرد قنسرين بكورها فصير ذلك جندا واحدا، و أفرد منبج، و دلوك، و رعبان و قورس و أنطاكية و تيزين، و سماها العواصم لأن المسلمين يعتمون بها فتعصمهم و تمنعهم إذا انصرفوا من غزوهم و خرجوا من الثغر

و جعل مدينة العواصم منبج فسكنها عبد الملك بن صالح بن على فى سنة ثلاث و سبعين و مائة و بنى بها أبنية.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز: و حدثنى موسى ابن ابراهيم التنوخى عن أبيه عن مشايخ من أهل حمص، قال: استخلف أبو عبيدة عبادة بن الصامت الأنصارى على حمص، فأتى اللاذقية.

فقاتله أهلها فكان بها باب عظيم لا يفتحه إلا جماعة من الناس، فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تحفر حفائر كالأسراب يستتر الرجل و فرسه فى الواحدة منها، فاجتهد المسلمون فى حفرها حتى فرغوا منها، ثم أنهم أظهروا القفول إلى حمص، فلما جن عليهم الليل عادوا إلى معسكرهم و حفائرهم و أهل اللاذقية غارون يرون انهم قد انصرفوا عنهم، فلما أصبحوا فتحوا بابهم و أخرجوا سرحهم فلم يرعهم إلا تصبيح المسلمين إياهم و دخولهم من باب المدينة ففتحت عنوة، و دخل عبادة الحصن ثم علا حائطه فكبر عليه، و هرب قوم من نصارى اللاذقية إلى

فتوح البلدان، ص: ۱۳۵

اليسيد، ثم طلبوا الأمان على أن يتراجعوا إلى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا و تركت لهم كنيستهم، و بنى المسلمون باللاذقية مسجدا جامعا بأمر عبادة ثم أنه وسع بعد.

و كانت الروم أغارت فى البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها و سبوا أهلها و ذلك فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة فأمر عمر ببنائها و تحصينها و وجه إلى الطاغية فى فداء من أسر من المسلمين فلم يتم ذلك حتى توفى عمر فى سنة أحد و مائة فأتم المدينة و شحنها يزيد بن عبد الملك.

و حدثنى رجل من أهل اللاذقية قال: لم يمت عمر بن عبد العزيز حتى حرز مدينة اللاذقية و فرغ منها، و الذى أحدث يزيد بن عبد الملك فيها مرمة و زيادة فى الشحنة، و حدثنى أبو حفص الدمشقى، قال: حدثنى سعيد بن عبد العزيز، و سعيد بن سليمان الحمصى، قالا: ورد عبادة و المسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة عنوة، ثم إنها خربت و جلا عنها أهلها فأنشأ معاوية بن أبى سفيان جبلة و كانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص و شحنها. و حدثنى سفيان بن محمد البهرانى عن أشياخه قالوا: بنى معاوية لجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم و كان سكان الحصن الرومى رهبانا و قوما يتعبدون فى دينهم.

و حدثنى سفيان ابن محمد، قال حدثنى أبى و أشياخنا، قالوا: فتح عبادة المسلمون معه أنطرطوس: و كان حصنا ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية أنطرطوس و مصرها و أقطع بها القطائع، و كذلك فعل بمرقية و بلنياس.

و حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن أشياخه قالوا: افتتح أبو عبيدة اللاذقية و جبلة و أنطرطوس على يدى عبادة بن الصامت، و كان يوكل بها حفظة إلى انغلاق البحر، فلما كانت شحنة معاوية السواحل و تحصينه إياها شحنها و حصنها

فتوح البلدان، ص: ۱۳۶

و أمضى أمرها على ما أمضى عليه أمر السواحل. و حدثنى شيخ من أهل حمص قال: بقرب سلمية مدينة تدعى المؤتفكة و انقلبت بأهلها فلم يسلم منهم إلا مائة نفس فبنوا مائة منزل و سكنوها فسميت حوزتهم التى بنوا فيها سلم مائة، ثم حرف الناس اسمها فقالوا سليمة، ثم أن صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس اتخذها و بنى و ولده فيها و مصروها و نزلها قوم من ولده. و قال ابن سهم الأنطاكى: سلمية اسم رومى قديم. و حدثنى محمد بن مصفى الحمصى، قال:

هدم مروان بن محمد سور حمص، و ذلك أنهم كانوا خالفوا عليه فلما مر بأهلها هاربا من أهل خراسان اقتطعوا بعض ثقله و ماله و خزائن سلاحه.

و كانت مدينة حمص مفروشة بالصخر، فلما كانت أيام أحمد بن محمد بن أبى إسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبرى أخى مايزديار بن قارن فأمر بقلع ذلك الفرش فقلع ثم أنهم أظهروا المعصية و أعادوا ذلك الفرش و حاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه و نهبوا ماله و نساءه و أخذوه فقتلوه و صلبوه فوجه أحمد بن محمد إليهم موسى بن بغا الكبير مولى أمير

المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه و فيهم خلق من نصارى المدينة و يهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة و هزم باقيهم حتى ألحقهم بالمدينة و دخلها عنوة و ذلك فى سنة خمسين و مائتين و بحمص هرى يرده قمح و زيت من السواحل و غيرها مما قوطع أهله عليه، و أسجلت لهم السجلات بمقاطعتهم.

يوم اليرموك

قالوا: جمع هرقل جموعا كثيرة من الروم و أهل الشام و أهل الجزيرة و أرمينية تكون زهاء مائتى ألف و ولى عليهم رجلا من خاصته، و بعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغسانى فى مستعربة الشام من لخم و جذام و غيرهم، و عزم على محاربة المسلمين فإن ظهروا و إلا دخل بلاد الروم، فأقام

فتوح البلدان، ص: ۱۳۷

بالقسطنطينية و اجتمع المسلمون فرجعوا إليهم فاقتتلوا على اليرموك أشد قتالا و أبرحه و اليرموك نهر- و كان المسلمون يومئذ أربعة و عشرين ألفا و تسلسلت الروم و أتباعهم يومئذ لئلا يطعموا أنفسهم فى الهرب، فقتل اللّه منهم زهاء سبعين ألفا و هرب فلهم فلحقوا بفلسطين و أنطاكية و حلب و الجزيرة و أرمينية. و قاتل يوم اليرموك نساء من نساء المسلمين قتالا شديدا، و جعلت هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان تقول: عضدوا الغلفان بسيوفكم.

و كان زوجها أبو سفيان خرج إلى الشام تطوعا و أحب مع ذلك أن يرى ولده و حملها معه، ثم أنه قدم المدينة فمات بها سنة إحدى و ثلاثين و هو ابن ثمان و ثمانين سنة، و يقال: إنه مات بالشام فلما أتى أم حبيبة بنته نعيه دعت فى اليوم الثالث بصفرة فمسحت بها ذراعيها و عارضتها، و قالت: لقد كنت عن هذا غنية لو لا

أنى سمعت النبى صلى اللّه عليه و سلم يقول «لاتحد امرأة على ميت سوى زوجها أكثر من ثلاث»

و يقال: إنها فعلت هذا الفعل حين أتاها نعى أخيها يزيد و اللّه أعلم.

و كان أبو سفيان بن حرب أحد العوران ذهبت عينه يوم الطائف، قالوا: و ذهبت يوم اليرموك عين الأشعث بن قيس، و عين هاشم بن عتبة ابن أبى وقاص الزهرى، و هو المرقال: و عين قيس بن مكشوح. و استشهد عامر بن أبى وقاص الزهرى، و هو الذى كان قدم الشام بكتاب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بولايته الشام، و يقال: بل مات فى الطاعون، و قال بعض الرواة استشهد يوم أجنادين و ليس ذلك بثبت.

قال: و عقد أبو عبيدة لحبيب بن مسلمة الفهرى على خيل الطلب فجعل يقتل من أدرك، و انحاز جبلة بن الأيهم إلى الأنصار فقال: أنتم إخوتنا

فتوح البلدان، ص: ۱۳۸

و بنو أبينا و أظهر الإسلام، فلما قدم عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الشام سنة سبع عشرة لاحى جلة رجلا من مزينة فلطم عينه فأمره عمر بالاقتصاص منه، فقال: أو عينه مثل عينى و اللّه لا أقيم ببلد على به سلطان، فدخل بلاد الروم مرتدا، و كان جبلة ملك غسان بعد الحارث بن أبى شمر، و روى أيضا أن جبلة أتى عمر بن الخطاب و هو على نصرانيته فعرض عمر عليه الإسلام و أداء الصدقة فأبى ذلك و قال: أقيم على دينى و أؤدى الصدقة.

فقال عمر: إن أقمت على دينك فأد الجزية فانف منها، فقال عمر:

ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث، أما الإسلام، و أما أداء الجزية، و أما الذهاب إلى حيث شئت: فدخل بلاد الروم فى ثلاثين ألفا، فلما بلغ ذلك عمر ندم و عاتبه عبادة بن الصامت فقال لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم، و أن عمر رضى اللّه عنه وجه فى سنة إحدى و عشرين عمير بن سعد الأنصارى إلى بلاد الروم فى جيش عظيم و ولاه الصائفة- و هى أول صائفة كانت- و أمره أن يتلطف

لجبلة بن الأيهم و يستعطفه بالقرابة بينهما و يدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام على أن يؤدى ما كان بذل من الصدقة و يقيم على دينه، فسار عمير حتى دخل بلاد الروم و عرض على جبلة ما أمره عمر بعرضه عليه فأبى إلا المقام فى بلاد الروم، و انتهى عمير إلى موضع يعرف بالحمار، و هو واد فأوقع بأهله، و أخربه فقيل أخرب من جوف حمار.

قالوا: و لما بلغ هرقل خبر أهل اليرموك و إيقاع المسلمين بجنده هرب من انطاكية إلى قسطنطينية، فلما جاوز الدرب قال: عليك يا سورية السلام و نعم البلد هذا للعدو يعنى أرض الشام لكثرة مراعيها. و كانت وقعة اليرموك فى رجب سنة خمس عشرة. قال هشام بن الكلبى: شهد اليرموك حباس بن قيس القشيرى فقتل من العلوج خلقا و قطعت رجله و هو لا يشعر، ثم جعل ينشدها

فتوح البلدان، ص: ۱۳۹

فقال سوار بن أوفى:

و منا ابن عتاب و ناشد رجلهو منا الذى أدى إلى الحى حاجبا

يعنى ذا الرقيبة. و حدثنى أبو حفص الدمشقى قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز، قال: بلغنى أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع و بلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج و قالوا: قد شغلنا عن نصرتكم و الدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولا يتكم و عدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم و الغشم و لندفعن جند هرقل عن المدينة مع عملكم و نهض اليهود فقالوا. و التوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب و نجهد، فأغلقوا الأبواب و حرسوها و كذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى و اليهود، و قالوا: إن ظهر الروم و أتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه و إلا فإنا على أمرنا ما بقى للمسلمين عدد، فلما هزم اللّه الكفرة و أظهر المسلمين فتحوا مدنهم و أخرجوا المقلسين فلعبوا و أدوا الخراج، و سار أبو عبيدة إلى جند قنسرين و أنطاكية ففتحها.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده، قال. أبلى السمط ابن الأسود الكندى بالشام و بحمص خاصة و فى يوم اليرموك و هو الذى قسم منازل حمص بين أهلها، و كان ابنه شرحبيل بن السمط بالكوفة مقاوما للأشعث بن قيس الكندى فى الرياسة فوفد السمط إلى عمر، فقال له: يا أمير المؤمنين إنك لا تفرق بين السبى، و قد فرقت بينى و بين ولدى فحوله إلى الشام أو حولنى إلى الكوفة فقال: بل أحوله إلى الشام فنزل حمص مع أبيه

.

فتوح البلدان، ص: ۱۴۰

أمر فلسطين

حدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز عن أشياخه، و عن بقية بن الوليد عن مشايخ من أهل العلم، قالوا: كانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه أرض فلسطين، و على الناس عمرو بن العاصى، ثم أن عمروا بن العاصى فتح غزة فى خلافه أبى بكر رضى اللّه عنه، ثم فتح بعد ذلك سبسطية و نابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم و أموالهم و منازلهم و على أن الجزية على رقابهم و الخراج على أرضهم، ثم فتح مدينة لد و ارضها ثم فتح يبنى و عمواس و يبت جبرين و اتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، و فتح يافا و يقال.

فتحها معاوية، و فتح عمرو رفح على مثل ذلك. و قدم عليه أبو عبيدة بعد ان فتح قنسرين و نواحيها و ذلك فى سنة ست عشرة و هو محاصر إيلياء، و إيلياء مدينة بيت المقدس، فيقال: إنه وجهه إلى انطاكية من إيلياء و قد غدر أهلها ففتحها، ثم عاد فأقام يومين أو ثلاثة ثم طلب أهل إيلياء من أبى عبيدة الأمان و الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية و الخراج و الدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على ان يكون المتولى للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك فقدم عمر فنزل

الجابیة من دمشق ثم صار إلی إیلیاء فأنفذ صلح أهلها و کتب لهم به، و کان فتح إیلیاء فی سنة سبع عشرة.

و قد روی فی فتح إیلیا وجه آخر. حدثنی القاسم بن سلام، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن اللیث بن سعد عن یزید بن ابی حبیب ان عمر بن الخطاب بعث خالد بن ثابت الفهمی إلی بیت المقدس فی جیش و هو یومئذ بالجابیة فقاتلهم فأعطوه علی ما أحاط به حصنهم شیئا یؤدونه و یکون للمسلمین

فتوح البلدان، ص: ۱۴۱

ما کان خارجا فقدم عمر فأجاز ذلک ثم رجع إلی المدینة. و حدثنی هشام بن عمار، عن الولید عن الأوزاعی: أن أبا عبیدة فتح قنسرین و کورها سنة ست عشرة ثم أتی فلسطین فنزل إیلیا فسألوه أن یصالحهم فصالحهم فی سنة سبع عشرة علی أن یقدم عمر رحمه اللّه فینفذ ذلک و یکتب لهم به.

حدثنی هشام بن عمار، قال: حدثنی الولید بن مسلم عن تمیم بن عطیة عن عبد اللّه بن قیس، قال: کنت فیمن یلقی عمر مع أبی عبیدة مقدمه الشام فبینما عمر یسیر إذ لقیه المقلسون من أهل أذرعات بالسیوف و الریحان، فقال عمر: مه امنعوهم فقال أبو عبید: یا أمیر المؤمنین هذه سنتهم- أو کلمة نحوها- و إنک إن منعتهم منها یروا أن فی نفسک نقضا لعهدهم فقال دعوهم.

قال: فکان طاعون عمواس سنة ثمان عشرة فتوفی فیه خلق من المسلمین منهم أبو عبیدة بن الجراح مات و له ثمان و خمسین سنة، و هو أمیر و معاذ ابن جبل أحد بنی سلمة من الخزرج، و یکنی أبا عبد الرحمن توفی بناحیة الأقحوانة من الأردن و له ثمان و ثلاثین سنة، و کان أبو عبیدة لما احتضر استخلفه، و یقال استخلف عیاض بن غنم الفهری، و یقال: بل استخلف عمرو بن العاصی فاستخلف عمرو ابنه و مضی إلی مصر و الفضل بن العباس ابن عبد المطلب و یکنی أبا محمد، و قوم یقولون أنه استشهد باجنادین و الثبت أنه توفی فی طاعون عمواس، و شرحبیل بن حسنة و یکنی أبا عبد اللّه مات و هو ابن تسع و ستین سنة، و سهیل بن عمرو أحد بنی عامر بن لؤی و یکنی أبا یزید، و الحارث بن هشام بن المغیرة المخزومی، و قیل: أنه استشهد یوم اجنادین.

قالوا: و لما أتت عمر بن الخطاب وفاة أبی عبیدة کتب إلی یزید بن أبی سفیان بولایة الشام مکانه و أمره أن یغزو قیساریة. و قال قوم: إن عمر إنما ولی یزید الأردن و فلسطین، و أنه ولی دمشق أبا الدرداء، و ولی حمص عبادة

فتوح البلدان، ص: ۱۴۲

ابن الصامت و حدثنی محمد بن سعد، قال: حدثنی الواقدی، قال: اختلف علینا فی أمر قیساریة فقال قائلون: فتحها معاویة، و قال آخرون: بل فتحها عیاض بن غنم بعد وفاة أبی عبیدة و هو خلیفته، و قال قائلون: بل فتحها عمرو بن العاصی. و قال قائلون: خرج عمرو بن العاصی إلی مصر و خلف ابنه عبد اللّه فکان الثبت من ذلک، و الذی اجتمع علیه العلماء: أن أول الناس الذی حاصرها عمرو بن العاصی نزل علیها فی جمادی الأولی سنة ثلاث عشرة فکان یقیم علیها ما أقام، فإذا کان للمسلمین اجتماع فی أمر عدوهم سار إلیهم فشهد أجنادین و فحل و المرج و دمشق و الیرموک ثم رجع إلی فلسطین فحاصرها بعد إیلیاء ثم خرج إلی مصر من قیساریة، و ولی یزید ابن أبی سفیان بعد أبی عبیدة فوکل أخاه معاویة بمحاصرتها و توجه إلی دمشق مطعونا فمات بها.

و قال غیر الواقدی: ولی عمر یزید بن أبی سفیان فلسطین مع ما ولاه من أجناد الشام و کتب إلیه یأمره بغزو قیساریة، و قد کانت حوصرت قبل ذلک فنهض إلیها فی سبعة عشر ألفا فقاتله أهلها ثم حصرهم و مرض فی آخر سنة ثمانی عشرة فمضی إلی دمشق و استخلف علی قیساریة أخاه معاویة ابن سفیان ففتحها و کتب إلیه بفتحها فکتب به یزید إلی عمر. و لما توفی یزید بن أبی سفیان کتب عمر إلی معاویة بتولیته ما کان یتولاه فشکر أبو سفیان ذلک له و قال: وصلتک یا أمیر المؤمنین رحم.

و حدثنی هشام بن عمار، قال: حدثنی الولید بن مسلم عن تمیم بن عطیة قال: ولی عمر معاویة بن أبی سفیان الشام بعد یزید، و ولی معه رجلین من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الصلاة و القضاء: فولی أبا الدرداء قضاء دمشق و الأردن و صلاتهما. و ولی عبادة قضاء حمص و قنسرین و صلاتهما

فتوح البلدان، ص: ۱۴۳

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده قال: لما ولی عمر بن الخطاب معاویة الشام حاصر قیساریة حتی فتحها، و قد کانت حوصرت نحوا من سبع سنین و کان فتحها فی شوال سنة تسع عشرة. و حدثنی محمد بن سعد عن محمد ابن عمر عن عبد اللّه بن عامر فی اسناده قال: حاصر معاویة قیساریة حتی یئس من فتحها، و کان عمرو بن العاصی و ابنه حاصراها ففتحها معاویة قسرا فوجد بها من المرتزقة سبعمائة ألف، و من السامرة ثلاثین ألفا، و من الیهود مائتی ألف، و وجد بها ثلاثمائة سوق قائمة کلها، و کان یحرسها فی کل لیلة علی سورها مائة ألف.

و کان سبب فتحها إن یهودیا یقال له یوسف أتی المسلمین لیلا فدلهم علی طریق فی سرب فیه الماء إلی حقو الرجل علی أن أمنوه و أهله و أنفذ معاویة ذلک و دخلها المسلمون فی اللیل و کبروا فیها فأراد الروم أن یهربوا من السرب فوجدوا المسلمین علیه، و فتح المسلمون الباب فدخل معاویة و من معه و کان بها خلق من العرب، و کانت فیهم شقراء التی یقول فیها حسان بن ثابت:

تقول شقراء لو صحوت عن الخمرلأصبحت مثری العدد

و یقال: أن اسمها شعثاء. و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده أن سبی قیساریة بلغوا أربعة آلاف رأس، فلما بعث به معاویة إلی عمر بن الخطاب أمر بهم فأنزلوا الجرف ثم قسمهم علی یتامی الأنصار و جعل بعضهم فی الکتاب و الأعمال للمسلمین، و کان أبو بکر الصدیق رضی اللّه عنه أخدم بنات أبی أمامة أسعد بن زرارة خادمین من سبی عین التمر فماتا فأعطاهن عمر مکانهما من سبی قیساریة.

قالوا: و وجه معاویة بالفتح مع رجلین من جذام ثم خاف ضعفهما

فتوح البلدان، ص: ۱۴۴

عن المسیر فوجه رجلا من خثعم، فکان الخثعمی یجهد نفسه فی السیر و السری و هو یقول:

أرق عینی أخو جذامأخی جشم و أخو حرام

کیف أنام و هما أمامیإذ یرحلان و الهجیر طام

فسبقهما و دخل علی عمر فکبر عمر. و حدثنی هشام بن عمار فی إسناد له لم أحفظه أن قیساریة فتحت قسرا فی سنة تسع عشرة فلما بلغ عمر فتحها نادی أن قیساریة فتحت قسرا و کبر و کبر المسلمون، و کانت حوصرت سبع سنین و فتحها معاویة.

قالوا: و کان موت یزید بن أبی سفیان فی آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال: أن معاویة فتح قیساریة فی حیاة أخیه قال: إنما فتحت فی آخر سنة ثمان عشرة و من قال: أنه فتحها فی ولایته الشام قال. فتحت فی سنة تسع عشرة و ذلک الثبت. و قال بعض الرواة أنها فتحت فی أول سنة عشرین.

قالوا. و کتب عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه إلی معاویة یأمره بتتبع ما بقی من فلسطین ففتح عسقلان صلحا بعد کید. و یقال. إن عمر بن العاصی کان فتحها ثم نقض أهلها و أمدهم الروم ففتحها معاویة و أسکنها الروابط وکل بها الحفظة.

و حدثنی بکر بن الهیثم قال: سمعت محمد بن یوسف الفریابی یحدث عن مشایخ من أهل عسقلان أن الروم أخربت عسقلان و أجلت أهلها عنها فی أیام من الزبیر، فلما ولی عبد الملک بن مروان بناها و حصنها ورم أیضا قیساریة. و حدثنی محمد بن مصفی، قال حدثنی أبو سلیمان الرملی عن أبیه أن الروم خرجت فی أیام ابن الزبیر إلی قیساریة فشعثتها و هدمت مسجدها، فلما استقام لعبد الملک بن مروان الأمر رم قیساریة و أعاد مسجدها و أشحنها

فتوح البلدان، ص: ۱۴۵

بالرجال و بنی صور و عکا الخارجة، و کانت سبیلهما مثل سبیل قیساریة.

و حدثنی جماعة من أهل العلم بأمر الشام، قالوا: ولی الولید بن عبد الملک سلیمان بن عبد الملک جند فلسطین فنزل لد، ثم أحدث

مدينة الرملة و مصرها و كان أول ما بنى منها قصره و الدار التى تعرف بدار الصباغين، و جعل فى الدار صهريجا متوسطا لهائم اختط للمسجد خطة و بناه، فولى الخلافة قبل استتمامه ثم بنى فيه بعد فى خلافته، ثم أتمه عمر بن عبد العزيز و نقص من الخطة، و قال: أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذى اقتصرت بهم عليه.

و لما بنى سليمان لنفسه أذن للناس فى البناء فبنوا، و احتفر لأهل الرملة قناتهم التى تدعى بردة و احتفر آبارا و ولى النفقة على بنائها بالرملة و مسجد الجماعة كاتبا له نصرانيا من أهل لد يقال له البطريق بن النكا، و لم تكن مدينة الرملة قبل سليمان، و كان موضعها رملة.

قالوا: و قد صارت دار الصباغين لورثة صالح بن على بن عبد اللّه بن العباس لأنها قبضت مع أموال بنى أمية قالوا: و كان بنو أمية ينفقون على آبار الرملة و قناتها بعد سليمان بن عبد الملك فلما استخلف بنو العباس أنفقوا عليها، و كان الأمر فى تلك النفقة يخرج فى كل سنة من خليفة بعد خليفة، فلما استخلف أمير المؤمنين أبو إسحاق المعتصم بالله اسجل بتلك النفقة سجلا فانقطع الاستثمار و صارت جارية يحتسب بها العمال فيحسب لهم قالوا:

و بفلسطين فروز بسجلات من الخلفاء مفردة من خراج العامة، و بها التخفيف و الردود، و ذاك إن ضباعا رفضت فى خلافة الرشيد و تركها أهلها فوجه أمير المؤمنين الرشيد هرثمة بن أعين لعمارتها، فدعا قوما من مزارعيها و أكرتها إلى الرجوع إليها على أن يخفف عنهم من خراجهم و لين معاملتهم فرجعوا، فأولئك

فتوح البلدان، ص: ۱۴۶

أصحاب التخافيف، و جاء قوم منهم بعد فردت عليهم أرضهم على مثل ما كانوا عليه فهم أصحاب الردود.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: لقيت رجلا من العرب بعسقلان فأخبرنى أن جده ممن أسكنه إياها عبد الملك و أقطعه بها قطيعة مع من أقطع من المرابطة قال، و أرانى أرضا فقال: هذه من قطائع عثمان بن عفان. قال بكر: و سمعت محمد بن يوسف الفريابى يقول بعسقلان ههنا قطائع أقطعت بأمر عمر و عثمان لو دخل فيها رجل لم أجد بذلك بأسا.

أمر جند قنسرين و المدن التى تدعى العواصم

قالوا: سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من أرض اليرموك إلى حمص فاستقراها، ثم أتى قنسرين و على مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنسرين، ثم لجأوا إلى حصنهم و طلبوا الصلح فصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح حمص و غلب المسلمون على أرضها و قراها، و كان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه و هم فى خيم الشعر، ثم ابتنوا به المنازل: فدعاهم أبو عبيدة إلى الإسلام فأسلم بعضهم و أقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان ابن عمران ابن الحاف بن قضاعة، فحدثنى بعض ولد يزيد بن حنين الطائى الأنطاكى عن أشياخهم: ان جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا فى خلافة أمير المؤمنين المهدى فكتب على أيديهم بالحضرة قنسرين، ثم سار أبو عبيدة يريد حلب فبلغه أن أهل قنسرين قد نقضوا و غدروا فوجه إليهم السمط بن الأسود الكندى فحصرهم ثم فتحها.

حدثنى هشام بن عمار الدمشقى، قال: حدثنا يحيى بن حمزة عن أبى عبد العزيز عن عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم، قال: رابطنا مدينة قنسرين مع

فتوح البلدان، ص: ۱۴۷

السمط- أو قال شرحبيل بن السمط- فلما فتحها أصاب فيها بقرا و غنما، فقسم فينا طائفة و جعل بقيتها فى المغنم، و كان حاضر طىء قديما نزلوه بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزلوا الجبلين من نزل منهم و تفرق باقوهم فى البلاد، فلما ورد أبو عبيده عليهم أسلم بعضهم و صالح كثير منهم على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذ عن جماعتهم، و كان بقرب مدينة حلب حاضر

تدعى حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ و غيرهم فصالحهم أبو عبيدة على الجزية، ثم أنهم أسلموا بعد ذلك فكانوا مقيمين و أعقابهم به إلى بعيد وفاة أمير المؤمنين الرشيد، ثم إن أهل ذلك الحاضر حاربوا أهل مدينة حلب و أرادوا إخراجهم عنها، فكتب الهاشميون من أهلها إلى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فكان أسبقهم إلى انجادهم و إغاثتهم العباس ابن زفر بن عاصم الهلالى بالخؤولة، لأن أم عبد اللّه ابن العباس لبابة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن الهزم هلالية، فلم يكن لأهل ذلك الحاضر به و بمعن معه طاقة فأجلوهم عن حاضرهم و أخربوه، و ذلك فى أيام فتنة محمد بن الرشيد، فانتقلوا إلى قنسرين فتلقاهم أهلها بالأطعمة و الكسى فلما دخلوها أرادوا التغلب عليها فأخرجوهم عنها فتفرقوا فى البلاد، فمنهم قوم بتكريت قد رأيتهم و منهم قوم بأرمينية و فى بلدان كثيرة متباينة.

و أخبرنى أمير المؤمنين المتوكل رحمه اللّه قال: سمعت شيخا من مشايخ بنى صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس يحدث أمير المؤمنين المعتصم باللّه رحمه اللّه سنة غزا عمورية، قال لما ورد العباس بن زفر الهلالى حلب لاغاثة الهاشميين ناداه نسوة منهم: يا خال نحن باللّه ثم بك، فقال: لا خوف عليكم إن شاء اللّه خذلنى اللّه إن خذلتكم، قال: و كان حيار بنى القعقاع بلدا معروفا قبل الإسلام، و به كان مقيل المنذر بن ماء السماء اللخمى ملك الحيرة فنزله

فتوح البلدان، ص: ۱۴۸

بنو القعقاع بن خليد بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعه بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض أوطنوه لنسب إليهم.

و كان عبد الملك بن مروان أقطع القعقاع به قطيعة و أقطع عمه العباس ابن جزء بن الحارث قطائع أوغرها له إلى اليمن فأوغرت بعده، و كانت أو أكثرها موانا، و كانت ولادة بنت العباس بن جزء عند عبد الملك فولدت له الوليد و سليمان. قالوا و رحل أبو عبيدة إلى حلب و على مقدمته عياض ابن غنم الفهرى، و كان أبوه يسمى عبد غنم، فلما أسلم عياض كره أن يقال عبد غنم فقال: أنا عياض بن غنم فوجد أهلها قد تحصنوا فنزل عليها فلم يلبثوا أن طلبوا الصلح و الأمان على أنفسهم و أموالهم و سور مدينتهم و كنائسهم و منازلهم و الحصن الذى بها فأعطوا ذلك فاستثنى عليهم موضع المسجد، و كان الذى صالحهم عليه عياض فأنفذ أبو عبيدة صلحه، و زعم بعض الرواة أنهم صالحوا على حقن دمائهم و أن يقاسموا أنصاف منازلهم و كنائسهم، و قال بعضهم: أن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا و ذلك أن أهلها انتقلوا إلى انطاكية و أنهم إنما صالحوه عن مدينتهم و هم بأنطاكية راسلوه فى ذلك فلما تم صلحهم رجعوا إلى حلب، قالوا: و سار أبو عبيدة من حلب إلى انطاكية و قد تحصن بها خلق من أهل جند قنسرين فلما صار بمهروية و هى على قريب فرسخين من مدينة انطاكية لقيه جمع للعدو ففضهم و ألجأهم إلى المدينة و حاصر أهلها من جميع أبوابها، و كان معظم الجيش على باب فارس و الباب الذى يدعى باب البحر، ثم أنهم صالحوه على الجزية و الجلاء فجلا بعضهم و أقام بعضهم فأمنهم و وضع على كل حالم منهم دينارا و جريبا ثم نقضوا العهد فوجه إليهم أبو عبيدة عياض بن غنم و حبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول، و يقال: بل نقضوا بعد رجوعه إلى فلسطين فوجه عمرو بن

فتوح البلدان، ص: ۱۴۹

العاصى من إيليا ففتحها ثم رجع فمكث يسيرا حتى طلب أهل إيليا الأمان و الصلح و اللّه أعلم.

و حدثنى محمد بن سهم الأنطاكى، عن أبى صالح الفراء قال، قال مخلد بن الحسين سمعت مشايخ الثغر يقولون: كانت انطاكية عظيمة الذكر و الأمر عند عمر و عثمان فلما فتحت: كتب عمر إلى أبى عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات و حسبة و أجعلهم بها مرابطة و لا تحبس عنهم العطاء، ثم لما ولى معاوية كتب إليه بمثل ذلك ثم أن عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوما و أن يقطع قطائع ففعل، قال ابن سهم: و كنت واقفا على جسر انطاكية على الأرنط فسمعت شيخا مسنا من أهل انطاكية و أنا يومئذ غلام يقول: هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا فى بعث أبى عبيدة أقطعهم إياها أيام ولاية عثمان معاوية الشام، قالوا: و

نقل معاوية ابن أبى سفيان إلى انطاكية فى سنة اثنتين و أربعين جماعة من الفرس و أهل بعلبك و حمص و من المصرين فكان منهم مسلم بن عبد اللّه جد عبد اللّه بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكى و كان مسلم قتل على باب من أبواب انطاكية يعرف اليوم بباب مسلم، و ذلك أن الروم خرجت من الساحل فأناخت على انطاكية فكان مسلم على السور فرماه علج بحجر فقتله.

و حدثنى جماعة من مشايخ أهل انطاكية منهم ابن برد الفقيه. أن الوليد ابن عبد الملك أقطع جندا بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل و صير الفلثر و هو الجريب- بدينار و مدى قمح فعمروها، و جرى ذلك لهم و بنى حصن سلوقية، قالوا: و كانت أرض بغرلمس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها فى سبيل البر، و كانت عين السلور و بحيرتها له ايضا، و كانت الاسكندرية له ثم صارت لرجاء مولى المهدى اقطاعا يورثه منصور و إبراهيم ابنا المهدى، ثم صارت لإبراهيم ابن سعيد الجوهرى، ثم لأحمد بن أبى داود الإيادى ابتياعا، ثم

فتوح البلدان، ص: ۱۵۰

انتقل مليكها إلى أمير المؤمنين المتوكل على اللّه رحمه اللّه فحدثنى ابن برد الأنطاكى و غيره قالوا: أقطع مسلمة بن عبد الملك قوما من ربيعة قطائع فقبضت و صارت بعد للمأمون و جرى أمرها على يد صالح الخازن صاحب الدار بأنطاكية، قالوا: و بلغ أبا عبيدة أن جمعا للروم بين معرة مصرين و حلب فلقيهم و قتل عدة بطارقة و فض ذلك الجيش و سبى و غنم و فتح معرة مصرين على مثل صلح حلب و جالت خيوله فبلغت بوقا و فتحت قرى الجومة و سرمين و مرتحوان و تيزين و صالحوا أهل دير طايا و دير الفسيلة على أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين، و أتاه نصارى خناصرة فصالحهم و فتح أبو عبيدة جميع أرض قنسرين و انطاكية.

حدثنى العباس بن هشام عن أبيه، قال: خناصرة نسبت إلى خناصر بن عمرو بن الحارث الكلبى: ثم الكنانى، و كان صاحبها و بطنان حبيب نسب إلى حبيب بن مسلمة الفهرى، و ذلك أن أبا عبيدة أو عياض بن غنم وجهه من حلب ففتح حصنا بها فنسب إليه، قالوا: و سار أبو عبيدة يريد قورس و قدم أمامه عياضا فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها، فبعث به إلى أبى عبيدة و هو بين جبرين و تل أعزاز فصالحه ثم أتى قورس فعقد لأهلها عهدا و أعطاهم مثل الذى أعطى انطاكية و كتب للراهب كتابا فى قرية له تدعى شرقينا و بث خيله فغلب على جميع أرض قورس إلى آخر حد نقابلس، قالوا: و كانت قورس كالمسلحة لانطاكية يأتيها فى كل عام طالعة من جند انطاكية و مقاتلتها ثم حول إليها ربع من أرباع انطاكية و قطعت الطوالع عنها و يقال: أن سليمان بن ربيعة الباهلى كان فى جيش أبى عبيدة مع أبى أمامة الصدى بن عجلان صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنزل حصنا بقورس فنسب إليه و هو يعرف بحصن سلمان، ثم قفل من الشام فيمن أمد به سعد بن أبى وقاص و هو بالعراق، و قيل: سلمان بن ربيعة كان غزا

فتوح البلدان، ص: ۱۵۱

الروم بعد فتح العراق و قبل شخوصه إلى أرمينية فعسكر عند هذا الحصن و قد خرج من ناحية مرعش فنسب إليه، و سلمان و زياد من الصقالبة الذين رتبهم مروان بن محمد فى الثغور، و سمعت من يذكر أن سلمان هذا رجل من الصقالبة نسب إليه الحصن و اللّه أعلم.

قالوا: و أتى أبو عبيدة حلب الساجور و قدم عياضا إلى منبج ثم لحقه و قد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية فأنفذ أبو عبيدة ذلك و بعث عياض ابن غنم إلى ناحية دلوك و رعبان فصالحه أهلها على مثل صلح منبج و اشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم و يكاتبوا بها المسلمين و ولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا و ضم إليه جماعة من المسلمين و شحن النواحى المخوفة، قالوا: ثم سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين و قدم مقدمته إلى بالس، و بعث جيشا عليه حبيب بن مسلمة إلى قاصرين و كانت بالس و قاصرين لأخوين من أشراف الروم أقطعا القرى التى بالقرب منهما و جعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشام، فلما نزل المسلمون بها صالحهم أهلها على الجزية و الجلاء فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم و أرض الجزيرة و قرية جسر منبج، و لم يكن الجسر يومئذ إنما اتخذ فى خلافة عثمان بن عفان رضى اللّه عنه للصوائف، و يقال: بل كان له رسم قديم قالوا: و رتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة و أسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام فأسلموا بعد قدوم المسلمين الشام و قوما لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادى من قيس

و أسكن قاصرين قوما ثم رفضوها أو أعقابهم و بلع أبو عبيدة الفرات ثم رجع إلى فلسطين و كانت بالس و القرى المنسوبة إليها فى حدها الأعلى و الأوسط و الأسفل اعذاء عشرية.

فلما كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان: توجه غازيا للووم من نحو الثغور الجزرية عسكر ببالس فأتاه أهلها و أهله بوبلس و قاصرين و عابدين

فتوح البلدان، ص: ۱۵۲

و صفين، و هى قرى منسوبة إليها فأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعا أن يحفر لهم نهرا من الفرات يسقى أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذى كان يأخذه ففعل فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة و وفوا له بالشرط و رم سور المدينة و أحكمه.

و يقال: بل كان ابتداء الغرض من مسلمة و أنه دعاهم إلى هذه المعاملة فلما مات مسلمة صارت بالس و قراها لورثته فلم تزل فى أيديهم إلى أن جاءت الدولة المباركة و قبض عبد اللّه بن على أموال بنى أمية فدخلت فيها فأقطعها أمير المؤمنين أبو العباس سليمان بن على بن عبد اللّه بن العباس فصارت لابنه محمد بن سليمان، و كان جعفر بن سليمان أخوه يسعى به إلى أمير المؤمنين الرشيد رحمه اللّه و يكتب إليه فيعلمه أنه لا مال له و لا ضيعة إلا و قد اجتاز أضعاف قيمته و أنفقه فيما يرشح له نفسه و على من اتخذ من الخول و أن أمواله حل طلق لأمير المؤمنين، و كان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه، فلما توفى محمد بن سليمان أخرجت كتبه إلى جعفر و احتج عليه بها و لم يكن لمحمد أخ لأبيه و أمه غيره فأقر بها و صارت أمواله للرشيد فأقطع بالس و قراها المأمون رحمه اللّه فصارت لولده من بعده.

حدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنا يحيى بن حمزة عن تميم بن عطية عن عبد اللّه بن قيس الهمدانى، قال: قدم عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين لأنها فتحت عنوة، فقال معاذ بن جبل:

و اللّه لأن قسمتها ليكونن ما نكره و يصير الشىء الكثير فى أيدى القوم ثم يبيدون فيبقى ذلك لواحد ثم يأتى من بعدهم قوم يسدون الإسلام مسدا فلا يجدون شيئا فانظر أمرا يسع أولهم و آخرهم فصار إلى قول معاذ.

حدثنى الحسين بن على بن الأسود العجلى، عن يحيى بن آدم عن مشايخ

فتوح البلدان، ص: ۱۵۳

من الجزريين عن سليمان بن عطاء عن سلمة الجهنى عن عمه أن صاحب بصرى ذكر أنه كان صالح المسلمين على طعام و زيت و خل فسأل عمر أن يكتب له بذلك و كذبه أبو عبيدة، و قال إنما صالحناه على شىء يتبع به المسلمون لمشتاهم ففرض عليهم الجزية على الطبقات و الخراج على الأرض.

و حدثنى الحسين قال: حدثنا محمد بن الأحدب، قال: أخبرنا عبد اللّه ابن عمر عن نافع عن أسلم مولى عمر أن عمر كتب إلى أمراء الجزية أن لا- يضربوها إلا- على من جرت عليه الموسى و جعلها على أهل الذهب أربعة دنانير و جعل عليهم لأرزاق المسلمين من الحنطة لكل رجل مدين و من الزيت ثلاثة أقساط بالشام و الجزيرة مع إضافة من نزل بهم ثلاثا. و حدثنى أبو حفص الشامى، عن محمد بن راشد عن مكحول، قال: كل عشرى بالشام فهو مما جلا عنه أهله فأقطعه المسلمون فأحيوه و كان مواتا لا حق فيه لأحد فأحيوه بإذن الولاة.

أمر قبرص

قالوا الواقدى و غيره: غزا معاوية بن أبى سفيان فى البحر غزوة قبرس الأولى، و لم يركب المسلمون بحر الروم قبلها و كان معاوية استأذن عمر فى غزو البحر فلم يأذن له، فلما ولى عثمان بن عفان كتب إليه يستأذنه فى غزوة قبرس و يعلمه قربها و سهولة الأمر فيها،

فکتب إلیه أن قد شهدت مارد علیک عمر- رحمه اللّه- حین استأمرته فی غزو البحر. فلما دخلت سنهٔ سبع و عشرین کتب إلیه یهون علیه رکوب البحر إلی قبرس، فکتب إلیه عثمان، فإن رکبت البحر و معک امرأتک فأرکبه مأذونا لک و إلا فلا، فرکب البحر من عکا و معه مراکب کثیرهٔ و حمل امرأته فاختهٔ بنت قرظهٔ بن عبد

فتوح البلدان، ص: ۱۵۴

عمرو بن نوفل بن عبد مناف ابن قصی و حمل عبادهٔ بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصاریهٔ و ذلک فی سنهٔ ثمان و عشرین بعد انحسار الشتاء و یقال فی سنهٔ تسع و عشرین فلما صار المسلمون إلی قبرس فأرقوا إلی ساحلها- و هی جزیرهٔ فی البحر یکون فیما یقال ثمانین فرسخا فی مثلها- بعث إلیهم أرکونها یطلب الصلح و قد أذعن أهلها به فصالحهم علی سبعهٔ آلاف و مائتی دینار یؤدونها فی کل عام، و صالحهم الروم علی مثل ذلک فهم یؤدون خراجین و اشترطوا أن لا یمنعهم المسلمون أداء الصلح إلی الروم و اشترط علیهم المسلمون أن لا یقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم و أن یؤذنوا المسلمین بسیر عدوهم من الروم، فکان المسلمون إذا رکبوا البحر لم یعرضوا لهم و لم ینصرهم أهل قبرس و لم ینصروا علیهم.

فلما کان سنهٔ اثنتین و ثلاثین أعانوا الروم علی الغزاهٔ فی البحر بمراکب أعطوهم إیاها فغزاهم معاویهٔ سنهٔ ثلاث و ثلاثین فی خمسمائهٔ مرکب ففتح قبرس عنوهٔ فقتل و سبی، ثم أقرهم علی صلحهم و بعث إلیها باثنی عشر ألفا کلهم أهل دیوان فبنوا بها المساجد، و نقل إلیها جماعهٔ من بعلبک و بنی بها مدینهٔ و أقاموا یعطون الأعطیهٔ إلی أن توفی معاویهٔ و ولی بعده ابنه یزید فاقفل ذلک البعث و أمر بهدم المدینهٔ و بعض الرواهٔ یزعم أن غزوهٔ معاویهٔ الثانیهٔ قبرس فی سنهٔ خمس و ثلاثین.

و حدثنی محمد بن مصفی الحمصی عن الولید، قال: بلغنا أن یزید بن معاویهٔ رشا مالا عظیما ذا قدر حتی أقفل جند قبرس، فلما قفلوا هدم أهل قبرس مدینتهم و مساجدهم. و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن عبد السلام بن موسی عن أبیه، قال: لما غزیت قبرس الغزوهٔ الأولی رکبت أم حرام بنت ملحان مع زوجها عبادهٔ بن الصامت فلما انتهوا إلی قبرس خرجت من المرکب و قدمت إلیها دابهٔ لترکبها فعثرت بها فقتلتها فقبرها بقبرس یدعی قبر المرأهٔ

فتوح البلدان، ص: ۱۵۵

الصالحهٔ، قالوا: و غزا مع معاویهٔ، أبو أیوب خالد بن زید بن کلیب الأنصاری و أبو الدرداء، و أبو ذر الغفاری، و عبادهٔ بن الصامت، و فضالهٔ بن عبید الأنصاری و عمیر بن سعد بن عبید الأنصاری، و واثلهٔ بن الأسقع الکنانی و عبد اللّه بن بشر المازنی، و شداد بن أوس بن ثابت، و هو ابن أخی حسان ابن ثابت، و المقداد، و کعب الحبر بن ماتع، و جبیر بن نفیر الحضرمی.

و حدثنی هشام بن عمار الدمشقی، قال: حدثنا الولید بن مسلم عن صفوان ابن عمرو: أن معاویهٔ بن أبی سفیان غزا قبرس بنفسه و معه امرأته ففتحها اللّه فتحا عظیما و غنم المسلمین غنما حسنا، ثم لم یزل المسلمون یغزونهم حتی صالحهم معاویهٔ فی أیامه صلحا دائما علی سبعهٔ آلاف دینار و علی النصیحهٔ للمسلمین و إنذارهم عدوهم من الروم هذا أو نحوه. قالوا: و کان الولید بن یزید بن عبد الملک أجلی منهم خلقا إلی الشام لأمر اتهمهم به فأنکر الناس ذلک فردهم یزید بن الولید بن عبد الملک إلی بلدهم و کان حمید معیوف الهمدانی غزاهم فی خلافهٔ الرشید لحدث أحدثوه فأسر منهم بشرا، ثم أنهم استقاموا للمسلمین فأمر الرشید برد من أسر منهم فردوا.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده، قال: لم یزل أهل قبرس علی صلح معاویهٔ حتی ولی عبد الملک بن مروان فزاد علیهم ألف دینار فجری ذلک إلی خلافهٔ عمر بن عبد العزیز فحطها عنهم، ثم لما ولی هشام بن عبد الملک ردها فجری ذلک إلی خلافهٔ أبی جعفر المنصور، فقال: نحن أحق من أنصفهم و لم نتکثر بظلمهم فردهم إلی صلح معاویهٔ.

و حدثنی بعض أهل العلم من الشامیین و أبو عبید القاسم بن سلام، قالوا:

أحدث أهل قبرس حدثا فی ولایهٔ عبد الملک بن صالح بن علی بن عبد اللّه ابن عباس الثغور فأراد نقض صلحهم و الفقهاء متوافرون:

فكتب إلى الليث

فتوح البلدان، ص: ۱۵۶

ابن سعد، و مالك بن أنس، و سفيان بن عيينة، و موسى بن أعين، و إسماعيل بن عياش، و يحيى بن حمزة، و أبى إسحاق الفزارى، و مخلد بن الحسين فى أمرهم فأجابوه، و كان فيما كتب به الليث بن سعد: أن أهل قبرس قوم لم نزل نتهمهم بغش أهل الإسلام و مناصحة أعداء اللّه الروم، و قد قال اللّه تعالى «وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» و لم يقل لا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم، و إنى أرى أن تنبذ إليهم و ينظروا سنة يأتمرون، فمن أحب منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمة يؤدى الخراج قبلت ذلك منه، و من أراد أن ينتحى إلى بلاد الروم فعل، و من أراد المقام بقبرس على الحرب أقام فكانوا عدوا يقاتلون و يغزون، فإن فى إنظار سنة قطعا لحجتهم و وفاء بعهدهم.

و كان فيما كتب به مالك بن أنس: أن أمان أهل قبرس كان قديما متظاهرا من الولاة لهم، و ذلك لأنهم رأوا أن إقرارهم على حالهم ذل و صغار لهم و قوة للمسلمين عليهم بما يأخذون من جزيتهم و يصيبون به من الفرصة فى عدوهم، و لم أجد أحدا من الولاة نقض صلحهم و لا أخرجناهم عن بلدهم، و أنا أرى: أن لا تعجل بنقض عهدهم و منابذتهم حتى تتجه الحجة عليهم، فإن اللّه يقول «فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ» فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك و يدعوا غشهم و رأيت أن العذر ثابت منهم أوقعت بهم، فكان ذلك بعد الأعذار فرزقت النصر، و كان بهم الذل و الخزى إن شاء اللّه تعالى.

و كتب سفيان بن عيينة: أنا لا نعلم النبى صلى اللّه عليه و سلم عاهد قوما فنقضوا العهد إلا استحل قتلهم غير أهل مكة فإنه من عليهم و كان نقضهم أنهم نصروا حلفاءهم على حلفاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من خزاعة، و كان فيما أخذ على أهل نجران أن لا يأكلوا الربا فحكم فيهم عمر- رحمه اللّه- حين أكلوه باجلائهم فإجماع القوم أنه من نقض عهدا فلا ذمة له.

فتوح البلدان، ص: ۱۵۷

و كتب موسى بن أعين: قد كان يكون مثل هذا فيما خلا فيعمل الولاة فيه النظر، و لم أر أحدا ممن مضى نقض عهد أهل قبرس و لا غيرها و لعل عامتهم و جماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصتهم، و أنا أرى الوفاء لهم و التمام على شرطهم و إن كان منهم الذى كان، و قد سمعت الأوزاعى يقول فى قوم صالحوا المسلمين ثم أخبروا المشركين بعورتهم و دلوهم عليها: إنهم إن كانوا ذمة فقد نقضوا عهدهم و خرجوا من ذمتهم، فإن شاء الوالى قتل و صلب، و إن كانوا صلحا لم يدخلوا فى ذمة المسلمين نبذ إليهم الوالى على سواء (أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الْخائِنِينَ).

و كتب إسماعيل بن عياش: أهل قبرس أذلاء مقهورون يغلبهم الروم على أنفسهم و نسائهم فقد يحق علينا أن نمنعهم و نحميهم.

و قد كتب حبيب بن مسلمة لأهل تفليس فى عهده أنه إن عرض للمسلمين شغل عنكم و قهركم عدوكم فإن ذلك غير ناقض عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين و أنا أرى أن يقروا على عهدهم و ذمتهم، فإن الوليد بن يزيد قد كان أجلاهم إلى الشام فاستقطع ذلك المسلمون و استعظمه الفقهاء، فلما ولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ردهم إلى قبرس فاستحسن المسلمون ذلك من فعله و رأوه عدلا.

و كتب يحيى بن حمزة: إن أمر قبرس كأمر عربسوس فإن فيها قدوة حسنة و سنة متبعة و كان من أمرها أن عمير بن سعد قال لعمر بن الخطاب و قدم عليه: إن بيننا و بين الروم مدينة يقال لها عربسوس، و أنهم يخبرون عدونا بعوراتنا و لا يظهرونا على عورات عدونا، فقال عمر: فإذا قدمت فخيرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين، و مكان كل بقرة بقرتين، و مكان كل شىء شيئين فإذا رضوا بذلك فأعطهم إياه و أجلهم و أخربها فإن أبوا فانبذ إليهم و أجلهم سنة ثم أخربها، فانتهى عمير إلى ذلك فأبوا فأجلهم سنة ثم أخربها، و كان لهم

فتوح البلدان، ص: ۱۵۸

عهد كعهد أهل قبرس و ترك أهل قبرس على صلحهم و الاستعانة بما يؤدون على أمور المسلمين أفضل، و كل أهل عهد لا يقاتل المسلمون من ورائهم و يجرون عليهم أحكامهم فى دارهم فليسوا بذمة و لكنهم أهل فدية يكف عنهم ما كفوا و يوفى لهم بعهدهم ما وفوا و رضوا و يقبل عفوهم ما أدوا.

و قد روى عن معاذ بن جبل: أنه كره أن يصالح أحد من العدو على شىء معلوم إلا أن يكون المسلمون مضطرين إلى صلحهم لأنه لا يدرى لعل صلحهم نفع و عز للمسلمين.

و كتب أبو إسحاق الفزارى، و مخلد بن الحسين: إنا لم نر شيئا أشبه بأمر قبرس من أمر عربسوس و ما حكم به فيها عمر بن الخطاب فانه عرض عليهم ضعف ما لهم على أن يخرجوا منها أو نظرة سنة بعد نبذ عهدهم إليهم فأبوا الأولى فأنظروا ثم أخربت، و قد كان الأوزاعى يحدث: أن قبرس فتحت فتركوا على حالهم و صولحوا على أربعة عشر ألف دينار، سبعة آلاف للمسلمين، و سبعة آلاف للروم على أن لا يكتموا الروم أمر المسلمين، و كان يقول: ما وفى لنا أهل قبرس قط و إنا لنرى أنهم أهل عهد و أن صلحهم وقع على شىء فيه شرط لهم و شرط عليهم و لا يستقيم نقضه الا بأمر يعرف فيه غدرهم و نكثهم.

أمر السامرة

حدثنى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو: أن أبا عبيدة بن الجراح صالح السامرة بالأردن و فلسطين، و كانوا عيونا و أدلاء للمسلمين على جزية رؤوسهم و أطعمهم أرضهم فلما كان يزيد بن معاوية وضع الخراج على أرضهم.

فتوح البلدان، ص: ۱۵۹

و أخبرنى قوم من أهل المعرفة بأمر جندى الأردن و فلسطين: أن يزيد ابن معاوية وضع الخراج على أراضى السامرة بالأردن و جعل على رأس كل امرئ منهم دينارين و وضع الخراج أيضا على أرضهم بفلسطين و جعل على رأس كل امرئ منهم خمسة دنانير. و السامرة يهود و هم صنفان يقال لهم:

الدستان و صنف يقال لهم: الكوشان.

قالوا: و كان بفلسطين فى أول خلافة أمير المؤمنين الرشيد- رحمه اللّه- طاعون جارف ربما أتى على جميع أهل البيت فخربت أرضهم و تعطلت فوكل السلطان بها من عمرها و تألف الأكرة و المزارعين إليها فصارت ضياعا للخلافة و بها السامرة فلما كانت سنة ست و أربعين و مائتين رفع أهل قرية من تلك الضياع تدعى بيت ماما من كورة نابلس و هم سامرة يشكون ضعفهم و عجزهم عن أداء الخراج على خمسة دنانير فأمر المتوكل على اللّه بردهم الى ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير.

حدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو و سعيد بن عبد العزيز: أن الروم صالحت معاوية على أن يؤدى إليهم مالا و ارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببعلبك، ثم أن الروم غدرت فلم يستحل معاوية و المسلمون قتل من فى أيديهم من رهنهم و خلوا سبيلهم، و قالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر، قال هشام: و هو قول العلماء الأوزاعى و غيره.

أمر الجراجمة

حدثنى مشايخ من أهل انطاكية: ان الجراجمة من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج فيما بين بياس و بوقا، يقال لها الجرجومة و أن أمرهم كان فى أيام استيلاء الروم على الشام و انطاكية إلى بطريق انطاكية

فتوح البلدان، ص: ۱۶۰

و واليها، فلما قدم أبو عبيدة انطاكية و فتحها لزموا مدينتهم و هموا باللحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم، فلم ينتبه المسلمون لهم و لم ينبههم عليهم، ثم أن أهل انطاكية نقصوا و غدروا فوجه إليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية و ولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهرى

فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها و لكنهم بدروا بطلب الأمان و الصلح فصالحوه على أن يكونوا أعوانا للمسلمين، و عيونا و مسالح فى جبل اللكام و أن لا يؤخذوا بالجزية و ان ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حربا فى مغازيهم و دخل من كان فى مدينتهم من تاجر و أجير و تابع من الأنباط و غيرهم و أهل القرى فى هذا الصلح فسموا الروديف لأنهم تلوهم و ليسوا منهم، و يقال: أنهم جاءوا إلى عسكر المسلمين و هم أرداف لهم فسموا روديف فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة و يعرجون أخرى فيكاتبون الروم و يمالئونهم، فلما كانت أيام ابن الزبير و موت مروان بن الحكم و طلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته إياه عهده و استعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب ابن الزبير خرجت خيل للروم إلى جبل اللكام، و عليها قائد من قوادهم ثم صارت إلى لبنان و قد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجراجمة و أنباط و عبيد أباق من عبيد المسلمين فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم على ألف دينار فى كل جمعة، و صالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته و تخوفه أن يخرج إلى الشام فيغلب عليه، و اقتدى فى صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فإنه صالحهم على أن يؤدى إليهم مالا و ارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك و وافق ذلك أيضا طلب عمرو بن سعيد بن العاصى الخلافة و إغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها فازداد شغلا و ذلك فى سنة سبعين ثم أن عبد الملك وجه إلى الرومى سحيم بن المهاجر

فتوح البلدان، ص: ۱۶۱

فتلطف حتى دخل عليه متنكرا فأظهر الممالأة له و تقرب إليه بذم عبد الملك و شتمه و توهين أمره حتى أمنه و اغتر به ثم أنه انكفى عليه بقوم من موالى عبد الملك و جنده كان أعدهم لمواقعته و رتبهم بمكان عرفه فقتله و من كان معه من الروم و نادى فى سائر من ضوى إليه بالأمان فتفرق الجراجمة بقرى حمص و دمشق و رجع أكثرهم إلى مدينتهم باللكام و أتى الأنباط قراهم فرجع العبيد إلى مواليهم، و كان ميمون الجرجمانى عبدا روميا لبنى أم الحكم أخت معاوية بن أبى سفيان و هم ثقفيون، و إنما نسب إلى الجراجمة لاختلاطه بهم و خروجه بجبل لبنان معهم فبلغ عبد الملك عنه بأس و شجاعة فسأل مواليه أن يعتقوه ففعلوا و قوره على جماعة من الجند و صيره بأنطاكية فغزا مع مسلمة بن عبد الملك الطوانة و هو على ألف من أهل انطاكية فاستشهد بعد بلاء حسن و موقف مشهود فغم عبد الملك مصابه و أغزى الروم جيشا عظيما طلبا بثاره.

قالوا: و لما كانت سنة تسع و ثمانين اجتمع الجراجمة إلى مدينتهم و أتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرونة و روسس، فوجه الوليد بن عبد الملك إليهم مسلمة بن عبد الملك فأناخ عليهم فى خلق من الخلق فافتتحها على أن ينزلوا بحيث أحبوا من الشام و يجرى على كل امرئ منهم ثمانية دنانير و على عيلاتهم القوت من القمح و الزيت و هو مدان من قمح و قسطان من زيت، و على أن لا يكرهوا و لا أحد من أولادهم و نسائهم على ترك النصرانية، و على أن يلبسوا لباس المسلمين و لا يؤخذ منهم و لا من أولادهم و نسائهم جزية و على أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا اسلاب من يقتلونه مبارزة و على أن يؤخذ من تجاراتهم و أموال موسريهم ما يؤخذ من أموال

فتوح البلدان، ص: ۱۶۲

المسلمين فأخرب مدينتهم و أنزلهم فأسكنهم جبل الحوار و سنح اللولون و عمق تيزين و صار بعضهم إلى حمص و نزل بطريق الجرجومة فى جماعة معه انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم، و قد كان بعض العمال ألزم الجراجمة بأنطاكية جزية رؤسهم فرفعوا ذلك إلى الواثق بالله رحمه اللّه و هو خليفة فأمر بإسقاطها عنهم.

و حدثنى بعض من أثق به من الكتاب: أن المتوكل على اللّه رحمه اللّه أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة و أن يجرى عليهم الأرزاق إذ كانوا ممن يستعان به فى المسالح و غير ذلك، و زعم أبو الخطاب الأزدى: أن أهل الجرجومة كانوا يغيرون فى أيام عبد الملك على قرى انطاكية و العمق و إذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلف و اللاحق و من قدروا عليه ممن فى أواخر العسكر و غالوا فى المسلمين فأمر عبد الملك ففرض لقوم من أهل انطاكية و انباطها و جعلوا مسالح و أردفت بهم عساكر الصوائف ليؤذنوا

الجراجمة عن أواخرها فسموا الرواديف، و أجرى على كل امرء منهم ثمانية دنانير:

و الخبر الأول أثبت.

و حدثنى أبو حفص الشامى عن محمد بن راشد عن مكحول، قال: نقل معاوية فى سنة تسع و أربعين أو سنة خمسين إلى السواحل قوما من زط البصرة و السباتجة و أنزل بعضهم انطاكية، قال أبو حفص فبانطاكية محلة تعرف بالزط و ببوقا من عمل انطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط.

و قد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى انطاكية قوما من الزط السند ممن حمله محمد بن القاسم إلى الحجاج فبعث بهم الحجاج إلى الشام.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، قال: خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك، فوجه صالح بن على بن عبد اللّه بن عباس من قتل

فتوح البلدان، ص: ۱۶۳

مقاتلتهم و أقر من بقى منهم على دينهم و ردهم إلى قراهم و أجلى قوما من أهل لبنان. فحدثنى القاسم بن سلام أن محمد بن كثير حدثه، أن الأوزاعى:

كتب إلى صالح رسالة طويلة حفظ منها، و قد كان من أجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم و رددت باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم و أموالهم، و حكم اللّه تعالى (أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) و هو أحق ما وقف عنده و اقتدى به، و أحق الوصايا أن تحفظ و ترعى

وصية رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فإنه قال: «من ظلم معاهدا و كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه»

ثم ذكر كلاما.

حدثنى محمد بن سهم الأنطاكى، قال: حدثنى معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق الفزارى، قال: كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام و الجزيرة صائفة و شاتية مما يلى ثغور الشام و الجزيرة و تنيم للراكب الغزو و ترتب الحفظة فى السواحل و يكون الإغفال و التفريط خلال الحزر و التيقظ فلما ولى أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل و مدنها فعمرها و حصنها و بنى ما احتاج إلى البناء منها و فعل مثل ذلك بمدن الثغور، ثم لما استخلف المهدى استتم ما كان بقى من المدن و الحصون و زاد فى شحنها، قال معاوية ابن عمرو: و قد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون فى الغزو نفاذ بصيرته فى الجهاد أمرا عظيما أقام من الصناعة ما لم يقم قبله و قسم الأموال فى الثغور و السواحل و أشجى الروم و قمعهم و أمر المتوكل على اللّه بترتيب المراكب فى جميع السواحل و أن تشحن بالمقاتلة و ذلك فى سنة سبع و أربعين و مائتين

.

فتوح البلدان، ص: ۱۶۴

فتح الثغور الشامية

حدثنى مشايخ من أهل انطاكية و غيرهم، قالوا: ثغور المسلمين الشامية أيام عمر و عثمان رضى اللّه عنهما و ما بعد ذلك انطاكية و غيرها من المدن التى سماها الرشيد عواصم، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوم اليوم ما وراء طرسوس، و كان فيما بين الاسكندرونة و طرسوس حصون و مسالح للروم كالحصون و المسالح التى يمر بها المسلمون اليوم فربما أخلاها أهلها و هربوا إلى بلاد الروم خوفا و ربما نقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به، و قد قيل: إن هرقل أدخل أهل هذه المدن معه عند انتقاله من انطاكية لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين انطاكية و بلاد الروم و اللّه أعلم:

و حدثنی ابن طسون البغراسی عن أشیاخهم أنهم قالوا: الأمر المتعالم عندنا أن هرقل نقل أهل هذه الحصون معه و شعثها فکان المسلمون إذا غزوا لم یجدوا بها أحدا و ربما کمن عندها القوم من الروم فأصابوا غرة المتخلفین عن العسکر و المنقطعین عنها، فکان ولاة الشواتی و الصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جندا کثیفا إلی خروجهم .

و قد اختلفوا فی أول من قطع الدرب و هو درب بغراس، فقال بعضهم:

قطعه میسرة بن مسروق العبسی وجهه أبو عبیدة بن الجراح فلقی جمعا للروم و معهم مستعربة من غسان و تنوخ و إیاد یریدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم و قتل منهم مقتلة عظیمة، ثم لحق به مالک الأشتر النخعی مددا من قبل أبی عبیدة و هو بأنطاکیة، و قال بعضهم: أول من قطع الدرب عمر بن سعد الأنصاری حین توجه فی أمر جبلة بن الأیهم و قال أبو الخطاب الأزدی: بلغنی أن أبا

فتوح البلدان، ص: ۱۶۵

عبیدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمصیصة و طرسوس و قد جلا أهلها و أهل الحصون التی تلیها فأدرب فبلغ فی غزاته زندة، و قال غیره: إنما وجه میسرة بن مسروق فبلغ زندة.

حدثنی أبو صالح الفراء عن رجل من أهل دمشق یقال له عبد اللّه بن الولید بن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسی فیما یحسب أبو صالح، قال: لما غزا معاویة غزوة عموریة فی سنة خمس و عشرین وجد الحصون فیما بین انطاکیة و طرسوس خالیة فوقف عندها جماعة من أهل الشام و الجزیرة و قنسرین حتی انصرف من غزاته، ثم أغزی بعد ذلک بسنة أو سنتین یزید ابن الحر العبسی الصائفة و أمره ففعل مثل ذلک، و کانت الولاة تفعله، و قال هذا الرجل: و وجدت فی کتاب مغازی معاویة أنه غزا سنة إحدی و ثلاثین من ناحیة المصیصة فبلغ درولیة فلما خرج جعل لا یمر بحصن فیما بینه و بین انطاکیة إلا هدمه.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی و غیره، قال، لما کانت سنة أربع و ثمانین غزا علی الصائفة عبد اللّه بن عبد الملک بن مروان فدخل من درب انطاکیة و أنی المصیصة فبنی حصنها علی أساسه القدیم و وضع بها سکانا من الجند فیهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوی البأس و النجدة المعروفین و لم یکن المسلمون سکنوها قبل ذلک و بنی فیها مسجدا فوق تل الحصن ثم سار فی جیشه حتی غزا حصن سنان ففتحه و وجه یزید بن حنین الطائی الأنطاکی فأغار ثم انصرف إلیه، و قال أبو الخطاب الأزدی: کان أول من ابتنی حصن المصیصة فی الإسلام عبد الملک بن مروان علی ید ابنه عبد اللّه بن عبد الملک فی سنة أربع و ثمانین علی أساسها القدیم فتم بناؤها و شحنها فی سنة خمس و ثمانین و کانت فی الحصن کنیسة جعلت هریا و کانت الطوالع من انطاکیة تطلع علیها فی کل عام فتشتو بها ثم تنصرف و عدة من کان یطلع إلیها ألف و خمسمائة إلی الألفین،

فتوح البلدان، ص: ۱۶۶

قال: و شخص عمر بن عبد العزیز حتی نزل هری المصیصة و أراد هدمها و هدم الحصون بینها و بین انطاکیة، و قال: اکره أن یحاصر الروم أهلها فاعلمه الناس أنها إنما عمرت لیدفع من بها من الروم عن انطاکیة و أنه إن أخربها لم یکن للعدو ناحیة دون انطاکیة فأمسک و بنی لأهلها مسجدا جامعا من ناحیة کفربیا و اتخذ فیه صهریجا و کان اسمه علیه مکتوبا، ثم أن المسجد خرب فی خلافة المعتصم باللّه و هو یدعی مسجد الحصن، قال: ثم بنی هشام بن عبد الملک الربض ثم بنی مروان بن محمد الخصوص فی شرقی جیحان و بنی علیها حائطا و أقام علیه باب خشب و خندق خندقا فلما استخلف أبو العباس فرض بالمصیصة لأربعمائة رجل زیادة فی شحنتها و أقطعهم، ثم لما استخلف المنصور فرض بالمصیصة لأربعمائة رجل ثم لما دخلت سنة تسع و ثلاثین و مائة أمر بعمران مدینة المصیصة، و کان حائطها متشعثا من الزلازل و أهلها قلیل فی داخل المدینة فبنی سور المدینة و أسکنها أهلها سنة أربعین و مائة و سماها المعمورة و بنی فیها مسجدا جامعا فی موضع هیکل کان بها و جعله مثل مسجد عمر مرات، ثم زاد فیه المأمون أیام ولایة عبد اللّه بن طاهر بن الحسین المغرب و فرض المنصور فیها لألف رجل، ثم نقل أهل الخصوص و هم فرس و صقالبة و أنباط نصاری، و کان مروان أسکنهم إیاها و أعطاهم خططا فی المدینة عوضا عن منازلهم علی ذرعها و نقض منازلهم و أعانهم علی البناء و أقطع

الفرض قطائع و مساكن، و لما استخلف المهدى فرض بالمصيصة لألفى رجل و لم يقطعهم لأنها قد كانت شحنت من الجند و المطوعة، و لم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية فى كل عام حتى وليها سالم البرلسى و فرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير عشرة دنانير فكثر من بها و قووا و ذلك فى خلافة المهدى.

و حدثنى محمد بن سهم عن مشايخ الثغر، قالوا: ألحت الروم على أهل

فتوح البلدان، ص: ۱۶۷

المصيصة فى أول أيام الدولة المباركة حتى جلوا عنها فوجه صالح بن على جبريل بن يحيى البجلى إليها فعمرها و أسكنها الناس فى سنة أربعين و مائة و بنى الرشيد كفربيا و يقال بل كانت ابتدئت فى خلافة المهدى ثم غير الرشيد بناءها و حصنها بخندق ثم رفع إلى المأمون فى أمر غلة كانت على منازلها فابطلها و كانت منازلها كالخانات و أمر فجعل لها سور فرفع فلم يستتم حتى توفى فأمر المعتصم بالله بإتمامه و تشريفه، قالوا: و كان الذى حصن المثقب هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهويه الأنطاكى، و وجد فى خندقه حين حضر ساق مفرط الطول فبعث به إلى هشام، و بنى هشام حصن قطر غاش على يدى عبد العزيز بن حيان الأنطاكى، و بنى هشام حصن مورة على يدى رجل من أهل انطاكية و كان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له فى درب اللكام عند العقبة البيضاء و رتب فيه أربعين رجلا و جماعة من الجراجمة و أقام ببغراس مسلحة فى خمسين رجلا و ابنتى لها حصنا و بنى هشام حصن يوقا من عمل انطاكية ثم جدد و أصلح حديثا، و بنى محمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعيد حصنا بساحل انطاكية بعد غارة الروم على ساحلها فى خلافه المعتصم بالله رحمه اللّه.

حدثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقة عن أبيه عن جده أن عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه أراد هدم المصيصة و نقل أهلها عنها لما كانوا يلقون من الروم فتوفى قبل ذلك.

و حدثنى بعض أهل انطاكية و بغراس: أن مسلمة بن عبد الملك لما غزا عمورية حمل معه نساءه و حمل ناس ممن معه نساءهم و كانت بنو أمية تفعل ذلك ارادة الجد فى القتال للغيرة على الحرم فلما صار فى عقبة بغراس عند الطريق المستدقة التى تشرف على الوادى سقط محمل فيه امرأة إلى الحضيض

فتوح البلدان، ص: ۱۶۸

فأمر مسلمة أن تمشى سائر النساء فمشين فسميت تلك العقبة عقبة النساء، و قد كان المعتصم بالله رحمه اللّه بنى على حد تلك الطريق حائطا قصيرا من حجارة و قال أبو النعمان الأنطاكى: كان الطريق فيما بين انطاكية و المصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الأسد، فلما كان الوليد بن عبد الملك شكا ذلك إليه فوجه أربعة آلاف جاموسة و جاموس فنفع اللّه بها، و كان محمد بن القاسم الثقفى عامل الحجاج على السند بعث منها بألوف جواميس فبعث الحجاج إلى الوليد منها بما بعث من الأربعة آلاف و القى باقيها فى آجام كسكر، و لما خلع يزيد بن المهلب فقتل و قبض يزيد بن عبد الملك أموال بنى المهلب أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكور دجلة و كسكر فوجه بها يزيد بن عبد الملك إلى المصيصة أيضا مع زطها فكان أصل الجواميس بالمصيصة ثمانية آلاف جاموسة و كان أهل انطاكية و قنسرين قد غلبوا على كثير منها و اختاروه لأنفسهم فى أيام فتنة مروان بن محمد بن مروان، فلما استخلف المنصور أمر بردها إلى المصيصة و أما جواميس انطاكية فكان أصلها ما قدم به الزط، معهم و كذلك جواميس بوقا، و قال أبو الخطاب بنى الجسر الذى على طريق أذنة من المصيصة و هو على تسعة أميال من المصيصة سنة خمس و عشرين و مائة و يدعى جسر الوليد و هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول، و قال أبو النعمان الأنطاكى و غيره: بنيت أذنة فى سنة إحدى و أربعين و مائة أو اثنتين و أربعين و مائة و الجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مسلمة بن يحيى البجلى و من أهل الشام بن مالك بن أدهم الباهلى و وجههما صالح بن على.

قالوا: و لما كانت سنة خمس و ستين و مائة أغزى المهدى ابنه هارون الرشيد بلاد الروم فنزل على الخليج ثم خرج فرم المصيصة و

مسجدها و زاد فی شحنتها و قوی أهلها و بنی القصر الذی عند جسر أذنة علی سیحان، و قد کان

فتوح البلدان، ص: ۱۶۹

المنصور أغزی صالح بن علی بلاد الروم فوجه هلال بن ضیغم فی جماعة من أهل دمشق و الأردن و غیرهم فبنی ذلک القصر و لم یکن بناؤه محکما فهدمه الرشید و بناه ثم لما کانت سنة أربع و تسعین و مائة بنی أبو سلیم فرج الخادم أذنة فاحکم بناءها و حصنها و ندب إلیها رجالا من أهل خراسان و غیرهم علی زیادة فی العطاء و ذلک بأمر محمد بن الرشید فرم قصر سیحان و کان الرشید توفی سنة ثلاث و تسعین و مائة و عامله علی أعشار الثغور أبو سلیم فأقره محمد و أبو سلیم هذا هو صاحب الدار بأنطاکیة.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی، قال: غزا الحسن بن قحطبة الطائی بلاد الروم سنة اثنتین و ستین و مائة فی أهل خراسان و أهل الموصل و الشام و أمداد الیمن و مطوعة العراق و الحجاز خرج مما یلی طرسوس فأخبر المهدی بما فی بنائها و تحصینها و شحنتها بالمقاتلة من عظیم الغناء عن الإسلام و الکبت العدو و الوقم له فیما یحاول و یکید. و کان الحسن قد أبلی فی تلک الغزاة بلاء حسنا و دوخ أرض الروم حتی سموه الشیتن، و کان معه فی غزاته مندل العنزی المحدث الکوفی و معتمر بن سلیمان البصری.

و حدثنی محمد بن سعد، قال: حدثنی سعد بن الحسن، قال لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طرسوس فرکب إلی مدینتها و هی خراب فنظر إلیها و أطاف بها من جمیع جهاتها و حزر عدة من یسکنها فوجدهم مائة ألف فلما قدم علی المهدی وصف له أمرها و ما فی بنائها و شحنتها من غیظ العدو و کبته و عز الإسلام و أهله و أخبره فی الحدث أیضا بخبر رغبه فی بناء مدینتها فأمره ببناء طرسوس و أن یبدأ بمدینة الحدث فبنیت و أوصی المهدی ببناء طرسوس.

فلما کانت سنة إحدی و سبعین و مائة بلغ الرشید أن الروم ائتمروا

فتوح البلدان، ص: ۱۷۰

بینهم بالخروج إلی طرسوس لتحصینها و ترتیب المقاتلة فیها فأغزی الصائفة فی سنة إحدی و سبعین و مائة هرثمة بن أعین و أمره بعمارة طرسوس و بنائها و تمصیرها ففعل و أجری أمرها علی ید فرج بن سلیم الخادم بأمر الرشید فوکل فرج ببنائها و توجه أبو سلیم إلی مدینة السلام فأشخص الندبة الأولی من أهل خراسان و هم ثلاثة آلاف رجل فوردوا طرسوس ثم أشخص الندبة الثانیة و هم ألفا رجل ألف من أهل المصیصة و ألف من أهل انطاکیة علی زیادة عشرة دنانیر لکل رجل فی أصل عطائه فعسکروا مع الندبة الأولی بالمدائن علی باب الجهاد فی مستهل المحرم سنة اثنتین و سبعین و مائة إلی أن استتم بناء طرسوس و تحصینها و بناء مسجدها و مسح فرج ما بین النهر إلی النهر فبلغ ذلک أربعة آلاف خطة کل خطة عشرون ذراعا فی مثلها و أقطع أهل طرسوس الخطط و سکنتها الندبتان فی شهر ربیع الآخر سنة اثنتین و سبعین و مائة.

قالوا: و کان عبد الملک بن صالح قد استعمل یزید بن مخلد الفزاری علی طرسوس فطرده بها من أهل خراسان و استوحشوا منه للهبیریة فاستخلف أبا الفوارس فأقره عبد الملک بن صالح و ذلک فی سنة ثلاث و سبعین و مائة.

قال محمد بن سعد حدثنی الواقدی، قال: جلا أهل سیسیة و لحقوا بأعلی الروم فی سنة أربع و تسعین و مائة أو ثلاث و تسعین و مائة و سیسیة مدینة تل عین زربة و قد عمرت فی خلافة المتوکل علی اللّه علی ید علی بن یحیی الأرمنی ثم أخربتها الروم. قالوا: فکان الذی أحرق انطاکیة المحترقة ببلاد الروم عباس بن الولید بن عبد الملک.

قالوا: و تل جبیر نسبت إلی رجل من فرس انطاکیة کانت له عنده وقعة و هو من طرسوس علی أقل من عشرة أمیال، قالوا: و الحصن المعروف بذی الکلاع إنما هو الحصن ذو القلاع لأنه علی ثلاث قلاع فحرف اسمه

فتوح البلدان، ص: ۱۷۱

و تفسیر اسمه بالرومیة الحصن الذی مع الکواکب، و قالوا: سمیت کنیسة الصلح لأن الروم لما حملوا صلحهم إلی الرشید نزلوها، و نسب مرج حسین إلی حسین بن مسلم الأنطاکی، و ذلک أنه کانت له به وقعة و نکایة فی العدو قالوا. و أغزی المهدی ابنه هارون

الرشید فی سنة ثلاث و ستین و مائة فحاصر أهل ضمالو و هی التی تدعوها العامة سمالو فسألوا الأمان لعشرة أهل أبیات فیهم القومس فأجابهم إلی ذلک، و کان فی شرطهم أن لا یفوق بینهم فانزلوا ببغداد علی باب الشماسیة فسموا موضعهم سمالو فهو معروف، و یقال بل نزلوا علی حکم المهدی فاستحیاهم و جمعهم بذلک الموضع و أمر أن یسمی سمالو و أمر الرشید فنودی علی من بقی فی الحصن فبیعوا و أخذ حبشی کان یشتم الرشید و المسلمین فصلب علی برج من أبراجه.

و حدثنی أحمد بن الحارث الواسطی عن محمد بن سعد عن الواقدی، قال: لما کانت سنة ثمانین و مائة أمر الرشید بابتناء مدینة عین زربة و تحصینها و ندب إلیها ندبة من أهل خراسان و غیرهم فأقطعهم بها المنازل ثم لما کانت سنة ثلاث و ثمانین و مائة أمر ببناء الهارونیة فبنیت و شحنت أیضا بالمقاتلة و من نزح إلیها من المطوعة و نسبت إلیه، و یقال إنه بناها فی خلافة المهدی ثم أنمت فی خلافته، قالوا: و کانت الکنیسة السوداء من حجارة سود بناها الروم علی وجه الدهر، و لها حصن قدیم أخرب فیما أخرب فأمر الرشید ببناء مدینة الکنیسة السوداء و تحصینها و ندب إلیها المقاتلة فی زیادة العطاء.

و أخبرنی بعض أهل الثغر عزون بن سعد: أن الروم أغارت علیها و القاسم بن الرشید مقیم بدابق فاستاقوا مواشی أهلها و أسروا عدة منهم فنفر إلیهم أهل المصیصة و مطوعتها فاستنقذوا جمیع ما صار إلیهم و قتلوا منهم بشرا و رجع الباقون منکوبین مفلولین، فوجه القاسم من حصن المدینة

فتوح البلدان، ص: ۱۷۲

و زمها و زاد فی شحنتها، و قد کان المعتصم بالله نقل إلی عین زربة و نواحیها بشرا من الزط الذین قد کانوا غلبوا علی البطائح بین واسط و البصرة فانتفع أهلها بهم.

حدثنی أبو صالح الأنطاکی، قال: کان أبو إسحاق الفزاری یکره شراء أرض بالثغر، و یقول غلب علیه قوم فی بدء الأمر و أجلوا الروم عنه فلم یقسموه و صار إلی غیرهم و قد دخلت فی هذا الأمر شبهة العاقل حقیق بترکها.

و کانت بالثغارات قد تحیفت ما یرتفع من أعشاره حتی قصرت عن نفقائه فأمر المتوکل فی سنة ثلاث و أربعین و مائتین بإبطال تلک الایغارات فأبطلت.

فتوح الجزیرة

حدثنی داود بن عبد الحمید قاضی الرقة عن أبیه عن جده عن میمون ابن مهران، قال: الجزیرة کلها فتوح عیاض بن غنم بعد وفاة أبی عبیدة ولاه إیاها عمر بن الخطاب و کان أبو عبیدة استخلفه علی الشام فولی عمر ابن الخطاب یزید بن أبی سفیان ثم معاویة من بعده الشام و أمر عیاضا بغزو الجزیرة و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن عدة من الجزریین عن سلیمان بن عطاء القرشی، قال: بعث أبو عبیدة عیاض بن غنم إلی الجزیرة فمات أبو عبیدة و هو بها فولاه عمر إیاها بعد.

و حدثنی بکر بن الهیثم، قال: حدثنا النفیلی عبد اللّه بن محمد، قال: حدثنا سلیمان بن عطاء، قال: لما فتح عیاض بن غنم الرها و کان أبو عبیدة وجهه وقف علی بابها علی فرس له کمیت فصالحوه علی أن لهم هیکلهم و ما حوله و علی أن لا یحدثوا کنیسة إلا ما کان لهم و علی معونة المسلمین علی عدوهم فإن ترکوا شیئا

فتوح البلدان، ص: ۱۷۳

مما شرط علیهم فلا ذمة لهم و دخل أهل الجزیرة فیما دخل فیه أهل الرها.

و قال محمد بن سعد، قال الواقدی: أثبت ما سمعنا فی أمر عیاض أن أبا عبیدة مات فی طاعون عمواس سنة ثمانی عشرة، و استخلف عیاضا فورد علیه کتاب عمر بتولیته حمص و قنسرین و الجزیرة: فسار إلی الجزیرة یوم الخمیس للنصف من شعبان سنة ثمانی عشرة فی خمسة آلاف و علی مقدمته میسرة بن مسروق العبسی و علی میمنته سعید بن عامر بن حذیم الجمحی و علی میسرته صفوان بن

المعطل السلمی، و کان خالد بن الولید علی میسرته، و یقال: إن خالدا لم یسر تحت لواء أحد بعد أبی عبیدة و لزم حمص حتی توفی بها سنة إحدی و عشرین و أوصی إلی عمر: و بعضهم یزعم أنه مات بالمدینة و موته بحمص أثبت.

قالوا: فانتهت طلیعة عیاض إلی الرقة فأغاروا علی حاضر کان حولها للعرب و علی قوم من الفلاحین فأصابوا مغنما و هرب من نجا من أولئک فدخلوا مدینة الرقة، و أقبل عیاض فی عسکرة حتی نزل باب الرها و هو أحد أبوابها فی تعبئة فرمی المسلمون ساعة حتی جرح بعضهم ثم أنه تأخر عنهم لئلا تبلغه حجارتهم و سهامهم و رکب فطاف حول المدینة و وضع علی أبوابها روابط ثم رجع إلی عسکره و بث السرایا فجعلوا یأتون بالأسری من القری و بالأطعمة الکثیرة و کانت الزروع مستحصدة، فلما مضت خمسة أیام أو ستة و هم علی ذلک أرسل بطریق المدینة إلی عیاض یطلب الأمان فصالحه عیاض علی أن أمن جمیع أهلها علی أنفسهم و ذراریهم و أموالهم و مدینتهم، و قال عیاض: الأرض لنا قد وطئناها و أحرزناها فأقرها فی أیدیهم علی الخراج و دفع منها ما لم یرده أهل الذمة فرفضوه إلی المسلمین علی العشر و وضع الجزیة علی رقابهم فألزم کل رجل منهم دینارا فی کل سنة و أخرج النساء و الصبیان و وظف علیهم مع الدینار أقفزة من قمح و شیئا من

فتوح البلدان، ص: ۱۷۴

زیت و خل و عسل، فلما ولی معاویة جعل ذلک جزیة علیهم ثم أنهم فتحوا أبواب المدینة و أقاموا للمسلمین سوقا علی باب الرها فکتب لهم عیاض.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا ما أعطی عیاض بن غنم أهل الرقة یوم دخلها أعطاهم أمانا لأنفسهم و أموالهم و کنائسهم لا تخرب و لا تسکن إذا أعطوا الجزیة التی علیهم و لم یحدثوا مغیلة و علی أن لا یحدثوا کنیسة و لا بیعة و لا یظهروا ناقوسا و لا باعوثا و لا صلیبا شهد اللّه «وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً» و ختم عیاض بخاتمه.

و یقال: إن عیاضا ألزم کل حالم من أهل الرقة أربعة دنانیر و الثبت أن عمر کتب بعد إلی عمیر بن سعد و هو والیه ان ألزم کل امرئ منهم أربعة دنانیر کما ألزم أهل الذهب.

قالوا: ثم سار عیاض إلی حران فنزل بأجدی و بعث مقدمته فأغلق أهل حران أبوابها دونهم ثم اتبعهم، فلما نزل بها بعث إلیه الحرنانیة من أهلها یعلمونه أن فی أیدیهم طائفة من المدینة و یسئلونه أن یصیر إلی الرها فما صالحوه علیه من شیء قنعوا به و خلوا بینه و بین النصاری حتی یصیروا إلیه و بلغ النصاری ذلک فأرسلوا إلیه بالرضی بما عرض الحرنانیة و بذلوا فأتی الرها و قد جمع له أهلها فرموا المسلمین ساعة، ثم خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتی ألجئوهم إلی المدینة فلم ینشبوا إن طلبوا الصلح و الأمان، فأجابهم عیاض إلیه و کتب لهم کتابا نسخته.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من عیاض بن غنم لأسقف الرها إنکم إن فتحتم لی باب المدینة علی أن تؤدوا إلی عن کل رجل دینارا و مدی قمح فأنتم آمنون عن أنفسکم و أموالکم و من تبعکم و علیکم إرشاد الضال و إصلاح الجسور و الطرق و نصیحة المسلمین «شهد الله و کفی بالله شهیدا».

فتوح البلدان، ص: ۱۷۵

و حدثنی داود بن عبد الحمید عن أبیه عن جده، إن کتاب عیاض لأهل الرها:

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من عیاض بن غنم و من معه من المسلمین لأهل الرها أنی أمنتهم علی دمائهم و أموالهم و ذراریهم و نسائهم و مدینتهم و طواحینهم إذا أدوا الحق الذی علیهم، و لنا علیهم أن یصلحوا جسورنا و یهدوا ضالنا شهد اللّه و ملائکته و المسلمون.

قال: ثم أتی عیاض حران و وجه صفوان بن المعطل و حبیب بن مسلمة الفهری إلی سمیساط فصالح عیاض أهل حران علی مثل صلح الرها و فتحوا له أبوابها و ولاها رجلا، ثم سار إلی سمیساط فوجد صفوان بن المعطل، و حبیب بن مسلمة مقیمین علیها و قد غلبا علی

قری و حصون من قراها و حصونها فصالحه أهلها علی مثل صلح أهل الرها، و کان عیاض یغزو من الرها ثم یرجع إلیها.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن معمر عن الزهری، قال: لم یبق بالجزیرة موضع قدم إلا فتح علی عهد عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه علی ید عیاض بن غنم فتح حران، و الرها، و الرقة، و قرقیسیا، و نصیبین، و سنجار.

و حدثنی محمد عن الواقدی عن عبد الرحمن بن مسلمة عن فرات بن سلمان عن ثابت بن الحجاج، قال: فتح عیاض الرقة و حران و الرها و نصیبین و میافارقین و قرقیسیا و قری الفرات و مدائنها صلحا و أرضها عنوة و حدثنی محمد عن الواقدی عن ثور بن یزید عن راشد بن سعد أن عیاضا افتتح الجزیرة و مدائنها صلحا و أرضها عنوة.

و قد روی: أن عیاضا لما أتی حران من الرقة وجدها خالیة قد انتقل أهلها إلی الرها فلما فتحت الرها صالحوه عن مدینتهم و هم بها و کان صلحهم مثل صلح الرها.

فتوح البلدان، ص: ۱۷۶

و حدثنی أبو أیوب الرقی المؤدب، قال: حدثنی الحجاج بن أبی منیع الرصافی عن أبیه عن جده، قال: فتح عیاض الرقة ثم الرها ثم حران ثم سمیساط علی صلح واحد، ثم أتی سروج و راسکیفا و الأرض البیضاء فغلب علی أرضها و صالح أهل حصونها علی مثل صلح الرها. ثم أن سمیساط کفروا فلما بلغه ذلک رجع إلیهم فحاصرها حتی فتحها و بلغه أن أهل الرها قد نقضوا فلما أناخ علیهم فتحوا له أبواب مدینتهم فدخلها و خلف بها عامله فی جماعة ثم أتی قرایات الفرات و هی جسر منبج و ذواتها ففتحها علی ذلک و أتی عین الوردة و هی رأس العین فامتنعت علیه فترکها و أتی تل موزن ففتحها علی مثل صلح الرها و ذلک فی سنة تسع عشرة، و وجه عیاض إلی قرقیسیا حبیب ابن مسلمة الفهری ففتحها صلحا علی مثل صلح الرقة و فتح عیاض آمد بغیر قتال علی مثل صلح الرها، و فتح میافارقین علی مثل ذلک و فتح حصن کفرتوثا، و فتح نصیبین بعد قتال علی مثل صلح الرها، و فتح طور عبدین و حصن ماردین و دارا علی مثل ذلک، و فتح قردی و بازبدی علی مثل صلح نصیبین و أتاه بطریق الزوزان فصالحه عن أرضه علی أتاوة و کل ذلک فی سنة تسع عشرة و أیام من المحرم سنة عشرین، ثم سار إلی أوزن ففتحها علی مثل صلح نصیبین و دخل الدرب فبلغ بدلیس و جازها إلی خلاط و صلح بطریقها و انتهی إلی العین الحامضة من أرمینیة فلم یعدها ثم عاد فضمن صاحب بدلیس خراج خلاط و جماجمها و ما علی بطریقها، ثم أنه انصرف إلی الرقة و مضی إلی حمص و قد کان عمر ولاه إیاها فمات سنة عشرین. و ولی عمر سعید بن عامر بن حذیم فلم یلبث إلا قلیلا حتی مات فولی عمر عمیر بن سعد الأنصاری ففتح عین الوردة بعد قتال شدید.

و قال الواقدی: حدثنی من سمع إسحاق بن أبی فروة یحدث عن أبی

فتوح البلدان، ص: ۱۷۷

وهب الجیشانی دیلم بن الموسع أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه کتب إلی عیاض یأمره أن یوجه عمیر بن سعد إلی عین الوردة فوجهه إلیها فقدم الطلائع أمامه فأصابوا قوما من الفلاحین و غنموا مواشی من مواشی العدو ثم أن أهل المدینة غلقوا أبوابها و نصبوا العرادات علیها فقتل من المسلمین بالحجارة و السهام بشر و اطلع علیهم بطریق من بطارقتها فشتمهم و قال:

لسنا کمن لقیتم ثم أنها فتحت بعد علی صلح.

حدثنی عمرو بن محمد عن الحجاج بن أبی منیع عن أبیه عن جده، قال:

امتنعت رأس العین علی عیاض بن غنم ففتحها عمیر بن سعد و هو والی عمر علی الجزیرة بعد أن قاتل أهلها المسلمین قتالا شدیدا فدخلها المسلمون عنوة، ثم صالحوهم بعد ذلک علی أن دفعت الأرض إلیهم و وضعت الجزیة علی رؤسهم علی کل رأس أربعة دنانیر و لم تسب نساؤهم و لا أولادهم، و قال الحجاج: و قد سمعت مشایخ من أهل راس العین یذکرون أن عمیرا لما دخلها قال لهم: لا بأس لا بأس إلی إلی فکان ذلک أمانا لهم، و زعم الهیثم بن عدی: أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه بعث أبا موسی الأشعری إلی عین الوردة فغزاها بجند الجزیرة بعد وفاة عیاض، و الثبت أن عمیرا فتحها عنوة فلم تسب و جعل علیهم الخراج و الجزیة و لم یقل هذا

أحد غير الهيثم، و قال الحجاج بن أبى منيع: جلا خلق من أهل رأس العين و اعتمل المسلمون أراضيهم و ازدرعوها باقطاع.

و حدثنى محمد بن المفضل الموصلى عن مشايخ من أهل سنجار، قالوا:

كانت سنجار فى أيدى الروم ثم ان كسرى المعروف بابرويز أراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حملوا إليه بسبب خلاف و معصية، فكلم فيهم فأمر أن يوجهوا إلى سنجار و هو يومئذ يعانى فتحها فمات منهم رجلان و وصل إليها

فتوح البلدان، ص: ۱۷۸

ثمانية و تسعون رجلا فصاروا مع المقاتلة الذين كانوا بازائها ففتحوها دونهم و أقاموا بها و تناسلوا، فلما انصرف عياض من خلاط و صار إلى الجزيرة بعث إلى سنجار ففتحها صلحا و أسكنها قوما من العرب، و قد قال بعض الرواة أن عياضا فتح حصنا من الموصل و ليس ذلك بثبت. قال ابن الكلبى:

عمير بن سعد عامل عمر هو عمير بن سعد بن شهيد بن عمرو أحد الأوس، و قال الواقدى: هو عمير بن سعد بن عبيد و قتل أبوه سعد يوم القادسية، و سعد هذا هو الذى يروى الكوفيون إنه أحد من جمع القرآن على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال الواقدى: و قد روى قوم أن خالد بن الوليد ولى لعمر بعض الجزيرة فاطلى فى حمام بآمد أو غيرها بشىء فيه خمر فعزله عمر: و ليس ذلك بثبت.

و حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنى الحجاج بن أبى منيع عن أبيه عن جده عن ميمون بن مهران، قال: أخذ الزيت و الخل و الطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم و اقتصر بهم على ثمانية و أربعين درهما و أربعة و عشرين و اثنى عشر نظرا من عمر للناس و كان على كل انسان مع جزيته مدا قمح و قسطان من زيت و قسطان من خل.

و حدثنى عدة من أهل الرقة، قالوا: لما مات عياض و ولى الجزيرة سعيد ابن عامر بن حذيم بنى مسجد الرقة و مسجد الرها ثم توفى فبنى المساجد بديار مضر و ديار ربيعة عمير بن سعد، ثم لما ولى معاوية الشام و الجزيرة لعثمان بن عفان رضى اللّه عنه أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن و القرى و يأذن لهم فى اعتمال الأرضين التى لا حق فيها لأحد فانزل بنى تميم الرابية و أنزل المازحين و المديبر اخلاطا من قيس و أسد و غيرهم و فعل ذلك فى جميع نواحى ديار مضر و رتب ربيعة فى ديارها على ذلك، و ألزم المدن

فتوح البلدان، ص: ۱۷۹

و القرى و المسالح من يقوم بحفظها و يذب عنها من أهل العطاء ثم جعلهم مع عماله.

و حدثنى أبو حفص الشامى عن حماد بن عمرو النصيبى قال: كتب عامل نصيبين إلى معاوية و هو عامل عثمان على الشام و الجزيرة يشكو إليه أن جماعة من المسلمين ممن معه أصيبوا بالعقارب فكتب إليه يأمره أن يوظف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة فى كل ليلة ففعل فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها.

و حدثنى أبو أيوب المؤدب الرقى عن أبى عبد اللّه القرقسانى عن أشياخه أن عمير بن سعد لما فتح رأس العين سلك الخابور و ما يليه حتى أتى قرقيسيا و قد نقض أهلها فصالحهم على مثل صلحهم الأول، ثم أتى حصون الفرات حصنا حصنا ففتحها على ما فتحت عليه قرقيسيا و لم يلق فى شىء منها كثير قتال، و كان بعض أهلها ربما رموا بالحجارة، فلما فرغ من تلبس و عانات أتى النأوسة و آلوسة و هيت فوجد عمار بن ياسر و هو يومئذ عامل عمر بن الخطاب على الكوفة و قد بعث جيشا يستغزى ما فوق الأنبار عليه سعد بن عمرو بن حرام الأنصارى، و قد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان فأمنهم و استثنى على أهل هيت نصف كنيستهم فانصرف عمير إلى الرقة.

و حدثنى بعض أهل العلم، قال: كان الذى توجه إلى هيت و الحصون التى بعدها من الكوفة مدرج بن عمرو السلمى حليف بنى عبد شمس و له صحبة فتولى فتحها و هو بنى الحديثة التى على الفرات و ولده بهيت و كان منهم رجل يكنى أبا هارون باقى الذكر هناك، و يقال: أن مدلاجا كان من قبل سعد بن عمرو بن حرام و اللّه أعلم.

قالوا: و كان موضع نهر سعيد بن عبد الملك بن مروان- و هو الذى

فتوح البلدان، ص: ۱۸۰

يقال له سعيد الخير و كان يظهر نسكا- غيضة ذات سباع فأقطعه إياها الوليد فحفر النهر و عمر ما هناك، و قال بعضهم: الذى أقطعه ذلك عمر بن عبد العزيز قالوا: و لم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها أمير المؤمنين المنصور رحمه اللّه سنة خمس و خمسين و مائة على بناء مدينته ببغداد، و رتب فيها جندا من أهل خراسان و جرت على يدى المهدى و هو ولى عهد، ثم أن الرشيد بنى قصورها فكان بين الرقة و الرافقة فضاء مزارع، فلما قدم على بن سليمان بن على واليا على الجزيرة نقل أسواق الرقة إلى تلك الأرض، فكان سوق الرقة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق، ثم لما قدم الرشيد الرقة استزاد فى تلك الأسواق فلم تزل تجتبى مع الصوافى، و أمار صافة هشام فإن هشام بن عبد الملك أحدثها و كان ينزل قبلها الزيتونة و حفر الهنى و المرى، و استخرج الضيعة التى تعرف بالهنى و المرى، و أحدث فيها واسط الرقة، ثم إن تلك الضيعة قبضت فى أول الدولة ثم صارت لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور فابتنت فيها القطيعة التى تنسب إليها و زادت فى عمارتها، و لم يكن للرحبة التى فى أسفل قرقيسيا أثر قديم إنما بناه و أحدثها مالك بن طوق بن عتاب التغلبى فى خلافة المأمون. و كانت أذرمة من ديار ربيعة قرية قديمة فأخذها الحسن بن عمرو بن الخطاب التغلبى من صاحبها و بنى بها قصرا و حصنها، و كانت كفرتوثا حصنا قديما فاتخذها ولد أبى رمثة منزلا فمدنوها و حصنوها.

حدثنى معافى بن طاوس عن أبيه، قال: سألت المشايخ عن أعشار بلد و ديار ربيعة و البرية، فقال: هى أعشار ما أسلمت عليه العرب أو عمرته من لموات الذى ليس فى يد أحد أو رفضه النصارى فمات و غلب عليها الدغل فأقطعه العرب.

حدثنى أبو عفان الرقى عن مشايخ من كتاب الرقة و غيرهم، قالوا: كانت

فتوح البلدان، ص: ۱۸۱

عين الرومية و ماؤها للوليد بن عقبة بن أبى معيط فأعطاها أبا زبيد الطائى ثم صارت لأبى العباس أمير المؤمنين فأقطعها ميمون بن حمزة مولى على بن عبد اللّه بن عباس ثم ابتاعها الرشيد من ورثته و هى من أرض الرقة، قالوا:

و كان بن هبيرة أقطع غابة ابن هبيرة فقبضت و أقطعها بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بناحية باب الشام ثم ابتاعها الرشيد و هى من أرض سروج، و كان هشام أقطع عائشة ابنته قطيعة برأسكيفا تعرف بها فقبضت و كانت لعبد الملك و هشام قرية تدعى سلعوس و نصف قرية تدعى كفر جدا من الرها و كانت بحران للغمر بن يزيد تل عفراء و أرض تل مذابا (كذا) و أرض المصلى و صوافى فى ربض حران أو مستغلاتها، و كان مرج عبد الواحد حمى المسلمون قبل أن تبنى الحدث و زبطرة فلما بنيتا استغنى بهما فعمر، فضمه الحسين الخادم إلى الأحواز فى خلافة الرشيد ثم توثب الناس على مزارعه حتى قدم عبد اللّه بن طاهر الشام فرده إلى الضياع، و قال أبو أيوب الرقى: سمعت أن عبد الواحد الذى نسب المرج إليه عبد الواحد بن الحارث ابن الحكم بن أبى العاصى و هو ابن عم عبد الملك كان المرج له فجعله حمى للمسلمين و هو الذى مدحه القطامى فقال:

أهل المدينة لا يحزنك شأنهمإذا تخطأ عبد الواحد الأجل

أمر نصارى بن تغلب بن وائل

حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن السفاح الشيبانى، أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بنى تغلب فانطلقوا هاربين و لحقت طائفة منهم ببعد من الأرض، فقال النعمان ابن زرعة أو زرعة بن النعمان: أنشدك اللّه فى بنى تغلب فإنهم قوم من العرب

فتوح البلدان، ص: ۱۸۲

نائفون من الجزية و هم قوم شديدة نكايتهم فلا يغن عدوك عليك بهم فأرسل عمر فى طلبهم فردهم و أضعف عليهم الصدقة.

حدثنا شيبان، قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، قال: حدثنا ليث عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لا تؤكل ذبائح نصارى بنى تغلب و لا تنكح نساؤهم: ليسوا منا و لا من أهل الكتاب.

حدثنا عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة بن الحكم و أبى مخنف، قالا:

كتب عمير بن سعد إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه يعلمه أنه أتى شق الفرات الشامى ففتح عانات و سائر حصون الفرات و أنه أراد من هناك من بنى تغلب على الإسلام فأبوه و هموا باللحاق بأرض الروم و قبلهم ما أراد من فى الشق الشرقى على ذلك فامتنعوا منه و سألوه أن يأذن لهم فى الجلاء و استطلع رأيه فيهم فكتب إليه عمر رضى اللّه عنه يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التى تؤخذ من المسلمين فى كل سائمة و أرض و إن أبوا ذلك حاربهم حتى يبيدهم أو يسلموا فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة، و قالوا: أما إذ لم تكن جزية كجزية الاعلاج فإنا نرضى و نحفظ ديننا.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنى أبو معاوية عن الشيبان عن السفاح عن داود بن كردوس، قال: صالح عمر بن الخطاب بنى تغلب بعد ما قطعوا الفرات و أرادوا اللحاق بأرض الروم على أن لا يصبغوا صبيا و لا يكرهوه على دينهم و على أن عليهم الصدقة مضعفة، قال: و كان داود بن كردوس يقول: ليست لهم ذمة لأنهم قد صبغوا فى دينهم يعنى المعمودية فحدثنى الحسين بن الأسود قال: حدثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك عن يونس بن يزيد الأيلى عن الزهرى، قال: ليس فى مواشى أهل الكتاب صدقة إلا نصارى بنى تغلب أو قال نصارى العرب الذين عامة أموالهم المواشى فإن عليهم ضعف ما على المسلمين.

فتوح البلدان، ص: ۱۸۳

حدثنا سعيد بن سليمان سعدويه: حدثنا هشيم عن مغيرة عن السفاح ابن المثنى عن زرعة بن النعمان أنه كان كلم عمر فى نصارى بنى تغلب و قال قوم عرب نائفون من الجزية و إنما هم أصحاب حروث و مواش و كان عمر قد هم أن يأخذ الجزية منهم فتفرقوا فى البلاد فصالحهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسلمين من صدقاتهم فى الأرض و الماشية، و اشترط عليهم أن لا ينصروا أولادهم، قال مغيرة: فكان على عليه السلام يقول: لئن تفرغت لبنى تغلب ليكونن لى فيهم رأى لأقتلن مقاتلهم و لأسبين ذريتهم فقد نقضوا العهد و برئت منهم الذمة حين نصروا أولادهم.

و حدثنى أبو نصر التمار، قال: حدثنا شريك بن عبد اللّه عن ابراهيم بن مهاجر عن زياد بن حدير الأسدى، قال: بعثنى عمر إلى نصارى بنى تغلب آخذ منهم نصف عشر أموالهم و نهانى أن أعشر مسلما أو ذميا يؤدى الخراج.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن عبد الملك بن نوفل عن محمد بن ابراهيم بن الحارث: أن عثمان أمر أن لا يقبل من بنى تغلب فى الجزية إلا الذهب و الفضة فجاءه الثبت أن عمر أخذ منهم ضعف الصدقة فرجع عن ذلك، قال الواقدى، و قال سفيان الثورى، و الأوزاعى، و مالك بن أنس، و ابن أبى ليلى، و ابن أبى ذئب، و أبو حنيفة، و أبو يوسف يؤخذ من التغلبى ضعف ما يؤخذ من المسلم فى أرضه و ماشيته و ماله، فأما الصبى و المعتوه منهم فإن أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه و لا يأخذون من ماشيته شيئا، و قال أهل الحجاز يؤخذ ذلك من ماشيته و أرضه، و قالوا جميعا: أن سبيل ما يؤخذ من أموال بنى تغلب سبيل مال الخراج لأنه بدل من الجزية.

غزو الثغور الجزرية

قالوا: لما استخلف عثمان بن عفان رضى اللّه عنه كتب إلى معاوية بولايته

فتوح البلدان، ص: ۱۸۴

الشام و ولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله و جمع لمعاوية الشام و الجزيرة و ثغورهما و أمره يغزو شمشاط و هى أرمينية الرابعة أن يغزيها فوجه إليها حبيب بن مسلمة الفهرى و صفوان بن معطل السلمى: ففتحاها بعد أيام من نزولهما عليها على مثل صلح

الرها و أقام صفوان بها، و بها توفی فی آخر خلافة معاویة و یقال بل غزاها معاویة نفسه و هذان معه فولاها صفوان فاوطنها و توفی بها قالوا: و قد کان قسطنطین الطاغة أناخ علیها بعد نزوله فی ملطیة فی سنة ثلاث و ثلاثین و مائة فلم یمکنه فیها شیء فأغار علی ما حولها ثم انصرف و لم تزل شمشاط خراجیة حتی صیرها المتوکل علی اللّه رحمه اللّه عشریة أسوة غیرها من الثغور، و قالوا: أغزی حبیب بن مسلمة حصن کمخ بعد فتح شمشاط فلم یقدر علیه و غزاه صفوان فلم یمکنه فتحه ثم غزاه فی سنة تسع و خمسین و هی السنة التی مات فیها و معه عمیر بن الحباب السلمی فعلا عمیر سوره و لم یزل یجالد علیه وحده حتی کشف الروم و صعد المسلمون ففتحه لعمیر بن الحباب و بذلک کان یفخر و یفخر له، ثم أن الروم غلبوا علیه ففتحه مسلمة بن عبد الملک و لم یزل یفتح و تغلب الروم علیه فلما کانت سنة تسع و أربعین و مائة شخص المنصور عن بغداد حتی نزل حدیثه الموصل، ثم أغزی منها الحسن بن قحطبة و بعده محمد بن الأشعث و جعل علیهما العباس بن محمد و أمره أن یغزو بهم کمخ فمات محمد بن الأشعث بآمد و سار العباس و الحسن حتی صار إلی ملطیة فحملا منها المیرة ثم أناخ علی کمخ، و أمر العباس بنصب المناجنیق علیه فجعلوا علی حصنهم خشب العرعر لئلا یضربه حجارة المنجنیق، و رموا المسلمین فقتلوا منهم بالحجارة مائتی رجل فاتخذ المسلمون الدبابات و قاتلوا قتالا شدیدا حتی فتحوه، و کان مع العباس ابن محمد بن علی فی غزاته هذه مطر الوراق، ثم أن الروم أغلقوا کمخ فلما کانت سنة سبع و سبعین و مائة غزا محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبی

فتوح البلدان، ص: ۱۸۵

عمرة الأنصاری و هو عامل عبد الملک بن صالح علی شمشاط ففتحه و دخله لأربع عشرة لیلة خلت من شهر ربیع الآخر من هذه السنة فلم یزل مفتوحا حتی کان هیج محمد بن الرشید فهرب أهله و غلبت علیه الروم، و یقال أن عبد اللّه بن الأقطع دفعه إلیهم و تخلص ابنه و کان أسیرا عندهم، ثم أن عبد اللّه بن طاهر فتحه فی خلافة المأمون فکان فی أیدی المسلمین حتی لطف قوم من نصاری شمشاط و قالیقلا و بقراط بن أشوط بطریق خلاط فی دفعه إلی الروم و التقرب إلیهم بذلک بسبب ضیاع لهم فی عمل شمشاط.

فتح ملطیة

و قالوا: وجه عیاض بن غنم حبیب بن مسلمة الفهری من شمشاط إلی ملطیة ففتحها ثم أغلقت، فلما ولی معاویة الشام و الجزیرة وجه إلیها حبیب ابن مسلمة ففتحها عنوة و رتب فیها رابطة من المسلمین مع عاملها و قدمها معاویة و هو یرید دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام و الجزبرة و غیرهما فکانت طریق الصوائف، ثم أن أهلها انتقلوا عنها فی أیام عبد اللّه ابن الزبیر و خرجت الروم فشعثتها ثم ترکها فنزلها قوم من النصاری من الأرمن و النبط.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی فی اسناده،: قال کان المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد اللّه بن عبد الملک سنة ثلاث و ثمانین و بنوا بها مساکن و هی من ملطیة علی ثلاث مراحل واغلة فی بلاد الروم و ملطیة یومئذ خراب لیس بها إلا ناس من أهل الذمة من الأرمن و غیرهم فکانت تأتیهم طالعة من جند الجزیرة فی الصیف فیقومون بها إلی أن ینزل الشتاء و تسقط الثلوج فإذا کان ذلک قفلوا، فلما ولی عمر بن عبد العزیز رضی اللّه عنه

فتوح البلدان، ص: ۱۸۶

رحل أهل طرندة عنها و هم کارهون، و ذلک لاشفافه علیهم من العدو و احتملوا فلم یدعوا لهم شیئا حتی کسروا خوابی الخل و الزیت، ثم أنزلهم مطلیة و أخرب طرندة و ولی مطلیة جعونة بن الحارث أحد بنی عامر بن صعصعة.

قالوا: و خرج عشرون ألفا من الروم فی سنة ثلاث و عشرین و مائة فنزلوا علی ملطیة فأغلق أهلها أبوابها و ظهر النساء علی السور علیهن العمائم فقاتلن، و خرج رسول لأهل ملطیة مستغیثا فرکب البرید و سار حتی لحق بهشام بن عبد الملک و هو بالرصافة فندب هشام الناس إلی ملطیة ثم أتاه الخبر بأن الروم قد رحلت عنها فدعا الرسول فأخبره و بعث معه خیلا لیرابط بها و غزا هشام نفسه، ثم نزل

ملطیة و عسکر علیها حتی بنیت فکان ممره بالرقة دخلها متقلدا سیفا و لم یتقلده قبل ذلک فی أیامه.

قال الواقدی: لما کانت سنة ثلاث و ثلاثین و مائة أقبل قسطنطین الطاغیة عامدا لملطیة و کمخ یومئذ فی أیدی المسلمین و علیها رجل من بنی سلیم فبعث أهل کمخ الصریخ إلی أهل ملطیة فخرج إلی الروم منهم ثمانمائة فارس فواقعهم خیل الروم فهزمتهم و مال الرومی فأناخ علی ملطیة فحصر من فیها و الجزیرة یومئذ مفتونة و عاملها موسی بن کعب بحران فوجهوا رسولا لهم إلیه فلم یمکنه إغاثتهم و بلغ ذلک قسطنطین فقال لهم: یا أهل ملطیة إنی لم آتیکم إلا علی علم بأمرکم و تشاغل سلطانکم عنکم انزلوا علی الأمان و اخلوا المدینة و اخربها و أمضی عنکم فأبوا علیه فوضع علیها المجانیق فلما جهدهم البلاء و اشتد علیهم الحصار سألوه أن یوثق لهم ففعل، ثم استعدوا للرحلة و حملوا ما استدق لهم و ألقوا کثیرا مما ثقل علیهم فی الآبار و المخابی ثم خرجوا و أقام لهم الروم صفین من باب المدینة إلی منقطع آخرهم مخترطی السیوف ظرف سیف کل واحد منهم مع طرف سیف الذی یقابله حتی کأنها عقد قنطرة

فتوح البلدان، ص: ۱۸۷

ثم شیعوهم حتی بلغوا مأمنهم و توجهوا نحو الجزیرة فتفرقوا فیها، و هدم الروم ملطیة فلم یبقوا منها إلا هریا فإنهم شعثوا منه شیئا یسیرا و هدموا حصن قلوذیة، فلما کانت سنة تسع و ثلاثین و مائة کتب المنصور إلی صالح ابن علی یأمره ببناء ملطیة و تحصینها، ثم رأی أن یوجه عبد الوهاب بن إبراهیم الامام والیا علی الجزیرة و ثغورها، فتوجه فی سنة أربعین و مائة و معه الحسن بن قحطبة فی جنود أهل خراسان فقطع البعوث علی أهل الشام و الجزیرة فتوافی معه سبعون ألفا فعسکر علی ملطیة و قد جمع الفعلة من کل بلد فأخذ فی بنائها و کان الحسن بن قحطبة ربما جمل الحجر حتی یناوله البناء و جعل یغدی الناس و یعشیهم من ماله مبرزا مطابخه فغاظ ذلک عبد الوهاب فکتب إلی أبی جعفر یعلمه أنه یطعم الناس و أن الحسن یطعم أضعاف ذلک التماسا لأن یطوله و یفسد ما یصنع و یهجنه بالإسراف و الریاء و أن له منادین ینادون الناس إلی طعامه، فکتب إلیه أبو جعفر یا صبی یطعم الحسن من ماله و تطعم من مالی ما أتیت إلا من صغر خطرک و قلة همتک و سفه رأیک، و کتب إلی الحسن أن أطعم و لا تتخذ منادیا فکان الحسن یقول من سبق إلی شرفة فله کذا فجد الناس فی العمل حتی فرغوا من بناء ملطیة و مسجدها فی ستة أشهر، و بنی للجند الذین أسکنوها لکل عرافة بیتان سفلیان و علیتان فوقهما و إصطبل، و العرافة عشرة نفر إلی خمسة عشر رجلا و بنی لها مسلحة علی ثلاثین میلا منها، و مسلحة علی نهر یدعی قباقب یدفع فی الفرات و أسکن المنصور ملطیة أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزیرة لأنها من ثغورهم علی زیادة عشرة دنانیر فی عطاء کل رجل و معونة مائة دینار سوی الجعل الذی یتجاعله القبائل بینها و وضع فیها شحنتها من السلاح و أقطع الجند المزارع، و بنی حصن قلوذیة و أقبل قسطنطین الطاغیة فی أکثر من مائة ألف فنزل جیحان فبلغه کثرة العرب

فتوح البلدان، ص: ۱۸۸

فأحجم عنها، و سمعت من یذکر أنه کان مع عبد الوهاب فی هذه الغزاة نصر ابن مالک الخزاعی و نصر بن سعد الکاتب مولی الأنصار فقال الشاعر:

تکنفک النصران نصر بن مالکو نصر بن سعد عز نصرک من نصر

و فی سنة إحدی و أربعین و مائة أغزی محمد بن إبراهیم ملطیة فی جند من أهل خراسان و علی شرطته المسیب بن زهیر فرابط بها لئلا یطمع فیها العدو فتراجع إلیها من کان باقیا من أهلها، و کانت الروم عرضت لملطیة فی خلافة الرشید فلم تقدر علیها و غزاهم الرشید رحمه اللّه فأشجاهم و قمعهم.

و قالوا: وجه أبو عبیدة بن الجراح و هو بمنبج خالد بن الولید إلی ناحیة مرعش ففتح حصنها علی أن جلا أهله ثم أخربه، و کان سفیان بن عوف الغامدی لما غزا الروم فی سنة ثلاثین رحل من قبل مرعش فساح فی بلاد الروم و کان معاویة بنی مدینة مرعش و أسکنها جندا فلما کان موت یزید بن معاویة کثرت غارات الروم علیهم فانتقلوا عنها و صالح عبد الملک الروم بعد موت أبیه مروان بن الحکم و طلبه الخلافة علی شیء کان یؤدیه إلیهم، فلما کانت سنة أربع و سبعین غزا محمد بن مروان الروم و انتقض الصلح، و لما

کانت سنة خمس و سبعین غزا الصائفة أیضا محمد بن مروان و خرجت الروم فی جمادی الأولی من مرعش إلی الأعماق فزحف إلیهم المسلمون و علیهم أبان بن الولید بن عقبة بن أبی معیط و معه دینار بن دینار مولی عبد الملک بن مروان، و کان علی قنسرین و کورها فالتقوا بعمق مرعش فاقتتلوا قتالا شدیدا فهزمت الروم و اتبعهم المسلمون یقتلون و یأسرون، و کان دینار لقی فی هذا العام جماعة من الروم بجسر یغرا، و هو من شمشاط علی نحو من عشرة أمیال فظفر بهم، ثم أن العباس بن الولید بن عبد الملک صار إلی مرعش فعمرها و حصنها و نقل الناس إلیها و بنی لها

فتوح البلدان، ص: ۱۸۹

مسجدا جامعا کان یقطع فی کل عام علی أهل قنسرین بعثا إلیها، فلما کانت أیام مروان بن محمد و شغل بمحاربة أهل حمص خرجت الروم و حصرت مدینة مرعش حتی صالحهم أهلها علی الجلاء فخرجوا نحو الجزیرة و جند قنسرین بعیالاتهم ثم أخربوها و کان عامل مروان علیها یومئذ الکوثر بن زفر بن الحارث الکلابی، و کان الطاغیة یومئذ قسطنطین بن الیون، ثم لما فرغ مروان من أمر حمص و هدم سورها بعث جیشا لبناء مرعش فبنیت و مدنت فخرجت الروم فی قتلته فأخربتها فبناها صالح بن علی فی خلافه أبی جعفر المنصور و حصنها و ندب الناس إلیها علی زیادة العطاء و استخلف المهدی فزاد فی شحنتها و قوی أهلها.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی، قال: خرج میخائیل من درب الحدث فی ثمانین ألفا فأتی عمق مرعش فقتل و أحرق و سبی من المسلمین خلقا و صار إلی باب مدینة مرعش و بها عیسی بن علی، و کان قد غزا فی تلک السنة فخرج إلیه موالی عیسی و أهل المدینة و مقاتلتهم فرشقوه بالنبل و السهام فاستطرد لهم حتی إذا نحاهم عن المدینة کر علیهم فقتل من موالی عیسی ثمانیة نفر و اعتصم الباقون بالمدینة فأغلقوها فحاصرهم بها ثم انصرف حتی نزل جیحان، و بلغ الخبر ثمامة بن الولید العبسی و هو بدابق، و کان قد ولی الصائفة سنة إحدی و ستین و مائة فتوجه إلیه خیلا- کثیفة فأصیبوا إلا من نجا منهم فاحفظ ذلک المهدی و احتفل لاغزاء الحسن بن قحطبة فی العام المقبل و هو سنة اثنتین و ستین و مائة. قالوا: و کان حصن الحدث مما فتح أیام عمر فتحه حبیب بن مسلمة من قبل عیاض بن غنم و کان معاویة یتعهده بعد ذلک، و کان بنو أمیة یسمون درب الحدث السلامة للطیرة لأن المسلمین کانوا أصیبوا به فکان ذلک الحدث فیما یقول بعض الناس، و قال قوم: لقی المسلمین غلام حدث علی الدرب فقاتلهم فی أصحابه فقیل درب

فتوح البلدان، ص: ۱۹۰

الحدث، و لما کان زمن فتنة مروان بن محمد خرجت الروم فهدمت مدینة الحدث و أجلت عنها أهلها کما فعلت بملطیة، ثم لما کانت سنة إحدی و ستین و مائة خرج میخائیل إلی عمق مرعش و وجه المهدی الحسن بن قحطبة ساح فی بلاد الروم فتقلت وطأته علی أهلها حتی صوروه فی کنائسهم، و کان دخوله من درب الحدث فنظر إلی موضع مدینتها فأخبر أن میخائیل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدینته هناک فلما انصرف کلم المهدی فی بنائها و بناء طرسوس فأمر بتقدیم بناء مدینة الحدث، و کان فی غزاة الحسن هذه مندل العنزی المحدث الکوفی و معتمر بن سلیمان البصری فأنشأها علی بن سلیمان ابن علی و هو علی الجزیرة و قنسرین و سمیت المحمدیة، و توفی المهدی مع فراغهم من بنائها فهی المهدیة و المحمدیة، و کان بناؤها باللبن، و کانت وفاته سنة تسع و ستین و مائة و استخلف موسی الهادی ابنه فعزل علی بن سلیمان و ولی الجزیرة و قنسرین محمد بن ابراهیم بن محمد بن علی، و قد کان علی بن سلیمان فرغ من بناء مدینة الحدث و فرض محمد لها فرضا من أهل الشام و الجزیرة و خراسان فی أربعین دینارا من العطاء و أقطعهم المساکن و أعطی کل امرئ ثلاثمائة درهم، و کان الفراغ منها فی سنة تسع و ستین و مائة، و قال ابو الخطاب: فرض علی بن سلیمان بمدینة الحدث لأربعة آلاف فأسکنهم إیاها و نقل إلیها من ملطیة و شمشاط و سمیساط کیسوم و دلوک و رعبان ألفی رجل.

قال الواقدی: و لما بنیت مدینة الحدث هجم الشتاء و الثلوج و کثرت الأمطار، و لم یکن بناؤها بمستوثق منه و لا محتاط فیه فتثلمت المدینة و تشعثت و نزل بها الروم فتفرق عنها من کان فیها من جندها و غیرهم، و بلغ الخبر موسی فقطع بعثا مع المسیب بن زهیر و بعثا

مع روح بن حاتم و بعثا مع حمزة بن

فتوح البلدان، ص: ۱۹۱

مالك فمات قبل أن ينفذوا. ثم ولى الرشيد الخلافة فأمر ببنائها و تحصينها و شحنتها و إقطاع مقاتلتها المساكن و القطائع.

و قال غير الواقدى: أناخ بطريق من عظماء بطارقة الروم فى جمع كثيف على مدينة الحدث حين بنيت و كان بناؤها بلبن قد حمل بعضه على بعض و أضرت به الثلوج و هرب عاملها و من فيها و دخلها العدو فحرق مسجدها و أخربها و احتمل أمتعة أهلها فبناها الرشيد حين استخلف.

و حدثنى بعض أهل منبج، قال: إن الرشيد كتب إلى محمد بن إبراهيم بإقراره على عمله فجرى أمر مدينة الحدث و عمارتها من قبل الرشيد على يده ثم عزله.

قالوا: و كان مالك بن عبد اللّه الخثعمى الذى يقال له مالك الصوائف و هو من أهل فلسطين غزا بلاد الروم سنة ست و أربعين و غنم غنائم كثيرة، ثم قفل: فلما كان من درب الحديث على خمسة عشر ميلا بموضع يدعى الرهوة أقام فيها ثلاثا فباع الغنائم و قسم سهام الغنيمة فسميت تلك الرهوة رهوة مالك.

قالوا: و كان مرج عبد الواحد حمى لخيل المسلمين فلما بنى الحدث و زبطرة استغنى عنه فازدرع، قالوا: و كانت زبطرة حصنا قديما روميا ففتح مع حصن الحدث القديم فتحه حبيب بن مسلمة الفهرى، و كان قائما إلى أن أخربته الروم فى أيام الوليد بن يزيد فبنى بناء غير محكم فأناخت الروم عليه فى أيام فتنة مروان بن محمد فهدمته فبناه المنصور، ثم خرجت إليه فشعثته فبناه الرشيد على يدى محمد بن ابراهيم و شحنه، فلما كانت خلافة المأمون: طرقه الروم فشعثوه و أغاروا على سرح أهله فاستاقوا لهم مواشى فأمر المأمون بمرمته و تحصينه، و قدم وفد طاغية الروم فى سنة عشر و مائتين يسأل الصلح فلم يجبه إليه و كتب إلى عمال الثغور فساحوا فى بلاد الروم فأكثروا فيها

فتوح البلدان، ص: ۱۹۲

القتل و دوخوها و ظفروا ظفرا حسنا إلا أن يقظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السلمى أصيب، ثم خرجت الروم إلى زبطرة فى خلافة المعتصم بالله أبى إسحاق بن الرشيد فقتلوا الرجال و سبوا النساء و أخربوها فأحفظه ذلك و أغضبه، فغزاهم حتى بلغ عمورية و قد أخرب قبلها حصونا فأناخ عليتها حتى فتحها فقتل المقاتلة و سبى النساء و الذرية ثم أخربها و أمر ببناء زبطرة و حصنها و شحنها فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها.

و حدثنى أبو عمرو الباهلى و غيره، قالوا: نسب حصن منصور إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامرى من قيس، و ذلك أنه تولى بناءه و مرمته، و كان مقيما به أيام مروان ليرد العدو و معه جند كثيف من أهل الشام و الجزيرة و كان منصور هذا على أهل الرها حين امتنعوا فى أول الدولة فحصرهم المنصور و هو عامل أبى العباس على الجزيرة و أرمينية، فلما فتحها هرب منصور ثم أو من فظهر، فلما خلع عبد اللّه بن على أبا جعفر المنصور ولاه شرطته فلما هرب عبد اللّه إلى البصرة استخفى فدل عليه فى سنة إحدى و أربعين و مائة فأتى المنصور به فقتله بالرقة منصرفه من بيت المقدس، و قوم يقولون: أنه أو من بعد هرب ابن على فظهر، ثم وجدت له كتب إلى الروم بغش الإسلام فلما قدم المنصور الرقة من بيت المقدس سنة إحدى و أربعين و مائة وجه من أتاه به فضرب عنقه بالرقة ثم انصرف إلى الهاشمية بالكوفة.

و كان الرشيد بنى حصن منصور و شحنه فى خلافة المهدى.

نقل ديوان الرومية

قالوا: و لم يزل ديوان الشام بالرومية حتى ولى عبد الملك بن مروان، فلما كانت سنة إحدى و ثمانين أمر بنقله و ذلك أن رجلا من

کتاب الروم احتج أن

فتوح البلدان، ص: ۱۹۳

یکتب شیئا فلم یجد ماء فبال فی الدواة، فبلغ ذلک عبد الملک فأدبه، و أمر سلیمان بن سعد بنقل الدیوان فسأله أن یعینه بخراج الأردن سنة ففعل ذلک، و ولاه الأردن فلم تنقض السنة حتی فرغ من نقله و أتی به عبد الملک فدعا بسرجون کاتبه فعرض ذلک علیه فغمه و خرج من عنده کئیبا فلقیه قوم من کتاب الروم، فقال: اطلبوا المعیشة من غیر هذه الصناعة فقد قطعها اللّه عنکم، قال: و کانت وظیفة الأردن التی قطعها معونة مائة ألف و ثمانین ألف دینار و وظیفة فلسطین ثلاثمائة ألف خمسین ألف دینار و وظیفه دمشق أربعمائة ألف دینار و وظیفة حمص مع قنسرین و الکور التی تدعی الیوم العواصم ثمانمائة ألف دینار، و یقال: سبعمائة ألف دینار.

فتوح أرمینیة

حدثنی محمد بن إسماعیل من ساکنی برذعة و غیره عن أبی براء عنبسة ابن بحر الأرمنی، و حدثنی محمد بن بشر القالی عن أشیاخه، و برمک بن عبد اللّه الدیلی، و محمد بن المخیس الخلاطی و غیرهم عن قوم من أهل العلم بأمور أرمینیة، سقت حدیثهم و رددت من بعضه علی بعض، قالوا: کانت شمشاط و قالیقلا و خلاط و أرجیش و باجنیس تدعی أرمینیة الرابعة: و کانت کورة البسفرجان و دبیل و سراج طیر و بغروند تدعی أرمینیة الثالثة و کانت جرزان تدعی ارمینیة الثانیة، و کانت السیسجان و أران تدعی أرمینیة الأولی و یقال کانت شمشاط وحدها أرمینیة الرابعة، و کانت قالیقلا و خلاط و أرجیش و باجنیس تدعی أرمینیة الثالثة، و سراج طیر و بغروند و دبیل و البسفرجان تدعی أرمینیة الثانیة، و سیسجان و أراد و تفلیس تدعی أرمینیة الأولی و کانت جرزان و أران فی أیدی الخزر و سابر أرمینیة فی أیدی الروم یتولاها صاحب

فتوح البلدان، ص: ۱۹۴

أرمنیاقس، و کانت الخزر تخرج فتغیر و ربما بلغت الدینور فوجه قباذ بن فیروز الملک قائد من عظماء قواده فی اثنی عشر ألفا فوطئ بلاد أران و فتح ما بین النهر الذی یعرف بالرس إلی شروان، ثم أن قباذ لحق به فبنی بأران مدینة البیلقان، و مدینة برذنة، و هی مدینة الثغر کله، و مدینة قبله، و هی الخزر ثم بنی سد اللبن فیما بین أرض شروان و باب اللان، و بنی علی سد اللبن ثلاثمائة و ستین مدینة خربت بعد بناء الباب و الأبواب، ثم أن ملک بعد قباذ ابنه أنوشروان کسری بن قباذ فبنی مدینة الشابران و مدینة مسقط، ثم بنی مدینة الباب و الأبواب، و إنما سمیت أبوابا لأنها بنیت علی طریق فی الجبل و أسکن ما بنی من هذه المواضع قوما سماهم السیاسیجین، و بنی بأرض أران أبواب شکن و القمیبران و أبواب الدودانیة، و هم أمة یزعمون أنهم من بنی دودان بن أسد بن خزیمة و بنی الدرذوقیة و هی اثنا عشر بابا کل باب منها قصر من حجارة و بنی بأرض جرزان مدینة، یقال لها. سغدبیل و أنزلها قوما من السغد و أبناء فارس و جعلها مسلحة، و بنی مما یلی الروم فی بلاد جرزان قصرا یقال له باب فیروز قباذ، و قصرا یقال له. باب لاذقة، و قصرا یقال له، باب بارقة و هو علی بحر طرابزندة، و بنی باب اللان، و باب سمسخی، و بنی قلعة الجردمان و قلعة سمشلدی، و فتح أنوشروان جمیع ما کان فی أیدی الروم من أرمینیة و عمر مدینة دبیل و حصنها، و بنی مدینة النشوی و هی مدینة کورة البسفرجان، و بنی حصن و یص، و قلاعا بأرض السیسجان، منها قلعة الکلاب، و ساهیونس و أسکن هذه الحصون و القلاع ذوی البأس و النجدة من سیاسجیة، ثم أن أنوشروان کتب إلی ملک الترک یسأله الموادعة و الصلح و أن یکون أمرهما واحدا و خطب إلیه ابنته لیؤنسه بذلک و أظهر له الرغبة فی صهره و بعث إلیه بأمة کانت تبنتها امرأة من نسائه و ذکر أنها ابنته، فهدی الترکی ابنته إلیه، ثم قدم علیه فالتقیا بالبرشلیة

فتوح البلدان، ص: ۱۹۵

و تنادما أیاما و أنس کل واحد منهما بصاحبه و أظهر بره، و أمر أنوشروان جماعة من خاصته و ثقاته أن یبیتوا طرفا من عسکر الترکی

و يحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبح شكا ذلك إلى أنوشروان فأنكر أن يكون أمر به أو علم أن أحدا من أصحابه فعله، و لما مضت لذلك ليالى أمر أولئك القوم بمعاودة مثل الذى كان منهم ففعلوا فضج التركى من فعلهم حتى رفق به أنوشروان و اعتذر إليه فسكن ثم أن أنوشروان أمر فألقيت النار فى ناحية من عسكره لم يكن بها إلا أكواخ قد اتخذت من حشيش و عيدان فلما أصبح ضج أنوشروان إلى التركى، و قال: كاد أصحابك يذهبون بعسكرى و قد كافأتنى بالظنة فحلف أنه لم يعلم بشىء مما كان سببا فقال أنوشروان: يا أخى جندنا و جندك قد كرهوا صلحنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل فى الغارات و الحروب التى كانت تكون بيننا و لا أمن أن يحدثوا أحداثا يفسد قلوبنا بعد تصافينا و تخالصنا حتى نعود إلى العداوة بعد الصهر و المودة، و الرأى أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى و بينك و نجعل عليه بابا فلا يدخل إليك من عندنا و إلينا من عندك إلا من أردت و أردنا، فأجابه إلى ذلك فانصرف إلى بلاده و أقام أنوشروان لبناء الحائط فبناه و جعله من قبل البحر بالصخر و الرصاص و جعل عرضه ثلاثمائة ذراع و ألحقه برءوس الجبال و أمر أن تحمل الحجارة فى السفن و تغريقها فى البحر حتى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط فى البحر ثلاثة أميال، فلما فرغ من بنائه علق على المدخل منه أبواب حديد و وكل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضعه يحتاج إلى خمسين ألفا من الجند، و جعل عليه دبابة فقيل لخاقان بعد ذلك انه خدعك و زوجك غير ابنته و تحصن منك فلم يقدر على حيلة.

و ملك أنوشروان ملوكا رتبهم و جعل لكل امرئ منهم شاهية ناحية فمنهم خاقان الجبل، و هو صاحب السرير و يدعى وهرارزانشاه، و منهم ملك

فتوح البلدان، ص: ۱۹۶

فيلان و هو فيلان شاة، و منهم طبرسرانشاه و ملك اللكز و يدعى جرشانشاه و ملك مسقط و قد بطلت مملكته، و ملك ليران و يدعى ليرانشاه، و ملك شروان و يدعى شروانشاه، و ملك صاحب بخ على بخ و صاحب زريكران عليها و أقر ملوك جبل القبق على ممالكهم و صالحهم على الاوتاوة فلم تزل أرمينية فى أيدى الفرس حتى ظهر الإسلام فرفض كثير من السياسيجين حصونهم و مدائنهم حتى خربت و غلب الخزر و الروم على ما كان فى أيديهم بديا.

قالوا: و قد كانت أمور الروم تستب فى بعض الأزمنة و صاروا كملوك الطوائف فملك أرمنياقس رجل منهم، ثم مات فملكتها بعده امرأته و كانت تسمى قالى فبنت مدينة قاليقلا و سمتها قاليقاله، و معنى ذلك احسان قالى، قال:

و صورت على باب من أبوابها فأعربت العرب قاليقاله فقالوا قاليقلا.

قالوا: و لما استخلف عثمان بن عفان كتب إلى معاوية و هو عامله على الشام و الجزيرة و ثغورها يأمره أن يوجه حبيب بن مسلمة الفهرى إلى أرمينية و كان حبيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام و غزو الروم. قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان رضى اللّه عنهما ثم من بعده.

و يقال: بل كتب عثمان إلى حبيب يأمره بغزو أرمينية و ذلك أثبت، فنهض إليها فى ستة آلاف و يقال فى ثمانية آلاف من أهل الشام و الجزيرة فأتى قاليقلا- فأناخ عليها و خرج إليه أهلها فقاتلهم ثم ألجأهم إلى المدينة فطلبوا الأمان على الجلاء و الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، و أقام حبيب بها فيمن معه أشهرا، ثم بلغه أن بطريق أرمنياقس قد جمع للمسلين جمعا عظيما و انضمت إليه أمداد أهل اللان و أفخاز و سمندر من الخزر فكتب إلى عثمان يسأله المدد فكتب إلى معاوية يسأله أن يشخص إليه من أهل الشام و الجزيرة قوما ممن يرغب فى الجهاد و الغنيمة فبعث إليه

فتوح البلدان، ص: ۱۹۷

معاوية ألفى رجل أسكنهم قاليقلا و أقطعهم بها القطائع و جعلهم مرابطة بها و لما ورد على عثمان كتاب حبيب كتب إلى سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية و هو عامله على الكوفة يأمره بإمداده بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلى و هو سلمان الخيل، و كان خيرا فاضلا غزاء فسار سلمان الخيل إليه فى ستة آلاف رجل من أهل الكوفة، و قد أقبلت الروم و من معها فنزلوا على الفرات، و

قد أبطأ على حبيب المدد فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم و قتلوا عظيمهم و قالت أم عبد اللّه بنت يزيد الكلبية امرأة حبيب ليلتئذ له أين موعدك، قال: سرادق الطاغية أو الجنة، فلما انتهى إلى السرادق وجدها عنده قالوا: ثم أن سلمان ورد و قد فرغ المسلمون من عدوهم فطلب أهل الكوفة إليهم أن يشركوهم فى الغنيمة فلم يفعلوا حتى تغالظ حبيب و سلمان فى القول و توعد بعض المسلمين سلمان بالقتل قال الشاعر:

ان تقتلوا سلمان نقتل حبيبكمو إن ترحلوا نحو ابن عفان ترحل

و كتب إلى عثمان بذلك فكتب: أن الغنيمة باردة لأهل الشام، و كتب إلى سلمان يأمره بغزو أران، و قد روى بعضهم: أن سلمان بن ربيعة توجه إلى أرمينية فى خلافة عثمان فسبى و غنم و انصرف إلى الوليد بن عقبة و هو بحديثة الموصل سنة خمس و عشرين فأتاه كتاب عثمان يعلمه أن معاوية كتب يذكر أن الروم قد أجلبوا على المسلمين بجموع عظيمة يسأل المدد و يأمره أن يبعث إليه ثمانية آلاف رجل فوجه بهم و عليهم سلمان بن ربيعة الباهلى و وجه معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى معه فى مثل تلك العدة فافتتحا حصونا و أصابا سبيا و تنازعا الامارة و هم أهل الشام بسلمان فقال الشاعر:

إن تقتلوا «البيت».

و الخبر الأول أثبت. حدثنى به عدة من مشايخ أهل قاليقلا و كتب إلى به العطاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها.

فتوح البلدان، ص: ۱۹۸

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال: حاصر حبيب بن مسلمة أهل دبيل فأقام عليها فلقيه الموريان الرومى فبيته و قتله و غنم ما كان فى عسكره، ثم قدم سلمان عليه، و الثبت عندهم أنه لقيه بقاليقلا.

و حدثنى محمد بن بشر و ابن ورز القالياني عن مشايخ أهل قاليقلا قالوا: لم تزل مدينة قاليقلا مذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها حتى خرج الطاغية فى سنة ثلاث و ثلاثين و مائة فحصر أهل ملطية و هدم حائطها و أجلى من بها من المسلمين إلى الجزيرة ثم نزل مرج الحصى فوجه كوسان الأرمنى حتى أناخ على قاليقلا فحصرها و أهلها يومئذ قليل و عاملها أبو كريمة فنقب إخوان من الأرمن من أهل مدينة قاليقلا- ردما كان فى سورها و خرجا إلى كوسان فأدخلاه المدينة فغلب عليها فقتل و سبى و هدمها و ساق ما حوى إلى الطاغية و فرق السبى على أصحابه.

و قال الواقدى: لما كانت سنة تسع و ثلاثين و مائة فادى المنصور بمن كان حيا من أسارى أهل قاليقلا و بنى قاليقلا و عمرها ورد من فادى به إليها و ندب إليها جندا من أهل الجزيرة و غيرهم، و قد كان طاغية الروم خرج إلى قاليقلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتى كاد يسقط فأنفق المعتصم عليها خمسمائة ألف درهم حتى حصنت.

قالوا: و لما فتح حبيب مدينة قاليقلا سار حتى نزل مربالا فأناه بطريق خلاط بكتاب عياض بن غنم، و كان عياض قد أمنه على نفسه و ماله و بلاده و قاطعه على أتاوة فأنفذه حبيب له ثم نزل منزلا- بين الهرك و دشت الورك فأتاه بطريق خلاط بما عليه من المال و أهدى له هدية لم يقبلها منه و نزل

فتوح البلدان، ص: ۱۹۹

خلاط ثم سار منها إلى الصسابه فلقيه بها صاحب مكس، و هى ناحية من نواحى البسرجان فقاطعه على بلاده و وجه معه رجلا و كتب له كتاب صلح و أمان و وجه إلى قرى أرجيش و باجنيس من غلب عليها و جبى جزية رؤس أهلها و أتاه وجوههم فقاطعهم على خراجها، فأما بحيرة الطريخ فلم يعرض لها و لم تزل مباحة حتى ولى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة و أرمينية فحوى صيدها و باعه فكان يستغلها، ثم صارت لمروان بن محمد فقبضت عنه، قال:

ثم سار حبيب و أتى ازدساط و هى قرية القرمز و أجاز نهر الأكراد و نزل مرج دبيل فسرب الخيول إليها، ثم زحف حتى نزل على بابها فتصحن أهلها و رموه فوضع عليها منجنيقا و رماهم حتى طلبوا الأمان و الصلح فأعطاهم إياه و جالت خيوله فنزلت جرنى و بلغت

أشوش و ذات اللجم و الجبل کونتة (؟) و وادی الأحرار و غلبت علی جمیع قری دبیل و وجه إلی سراج طیر و بغرونـد فأتاه بطریقه فصالحه عنها علی أتاوة یؤدیها و علی مناصحة المسلمین و قراهم و معاونتهم علی أعدائهم و کان کتاب صلح دبیل.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من حبیب بن مسلمة لنصاری أهل دبیل و مجوسها و یهودها شاهدهم و غائبهم: إنی أمنتکم علی أنفسکم و أموالکم و کنائسکم و بیعکم و سور مدینتکم فأنتم آمنون و علینا الوفاء لکم بالعهد ما وفیتم و أدیتم الجزیة و الخراج شهد اللّه «وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً»* و ختم حبیب بن مسلمة.

ثم أتی حبیب النشوی ففتحها علی مثل صلح دبیل و قدم علیه بطریق البسفرجان فصالحه عن جمیع بلاده و أرضی هصابنه (کذا) و أفارستة (کذا) علی خرج یؤدیه فی کل سنة، ثم أتی السیسجان فحاربهم أهلها فهزمهم و غلب علی

فتوح البلدان، ص: ۲۰۰

ویص و صالح أهل القلاع بالسیسجان علی خرج یؤدونه ثم سار إلی جرزان.

حدثنی مشایخ من أهل دبیل منهم برمک بن عبد اللّه، قالوا، سار حبیب ابن مسلمة بمن معه یرید جرزان فلما انتهوا إلی ذات اللجم سرحوا بعض دوابهم و جمعوا لجمها فخرج علیهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الألجام فقاتلوهم فکشفوهم العلوج و أخذا تلک اللجم و ما قدروا علیه من الدواب ثم انهم کروا علیهم فقتلوهم و ارتجعوا ما أخذوا منهم فسمی الموضع ذات اللجم، قالوا: و أتی حبیبا رسول بطریق جرزان و أهلها و هو یریدها فأدی إلیه رسالتهم و سأله کتاب صلح و أمان لهم فکتب حبیب إلیهم.

«أما بعد» فإن نقلی رسولکهم قدم علی و علی الذین معی من المؤمنین فذکر عنکم أنا أمة أکرمنا اللّه و فضلنا، و کذلک فعل اللّه و له الحمد کثیرا، صلی اللّه علی محمد نبیه و خیرته من خلقه و علیه السلام، و ذکرتم أنکم أحببتم سلمنا و قد قومت هدیتکم و حسبتها من جزیتکم و کتب لکم أمانا و اشترطت فیه شرطا فإن قبلتموه و وفیتم به و إلا فأذنوا بحرب من اللّه و رسوله و السلام علی من اتبع الهدی.

ثم ورد تفلیس و کتب لأهلها صلحا.

بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من حبیب بن مسلمة لأهل طفلیس من منجلیس من جرزان القرمز بالأمان علی أنفسهم و بیعهم و صوامعهم و صلواتهم و دینهم علی إقرار بالصغار و الجزیة علی کل أهل بیت دینار و لیس لکم أن تجمعوا بین أهل البیوتات تخفیفا للجزیة و لا لنا أن نفرق بینهم استکثارا منها و لنا نصیحتکم و ضلعکم علی أعداء اللّه و رسوله صلی اللّه علیه و سلم ما استطعتم و قری المسلم المحتاج لیلة بالمعروف من حلال طعام أهل

فتوح البلدان، ص: ۲۰۱

الکتاب لنا و ان انقطع برجل من المسلمین عندکم فعلیکم أداؤه إلی أدنی فئة من المؤمنین إلا أن یحال دونهم و إن أنبتم و أقمتم الصلاة فإخواننا فی الدین و إلا فالجزیة علیکم، و إن عرض للمسلمین شغل عنکم فقهرکم عدوکم فغیر مأخوذین بذلک و لا هو ناقض عهدکم، هذا لکم و هذا علیکم شهد اللّه و ملائکته وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً.

و کتب الجراح بن عبد اللّه الحکمی لأهل تفلیس کتابا نسخته بسم اللّه الرحمن الرحیم: هذا کتاب من الجراح بن عبد اللّه لأهل تفلیس من رستاق منجلیس من کورة جرزان أنه أتونی بکتاب أمان لهم من حبیب بن مسلمة علی الإقرار بصغار الجزیة و أنه صالحهم علی أرضین لهم و کروم و أرحاء یقال لها واری، و سابینا من رستاق منجلیس و عن طعام و دیدونا من رستاق قحویط من جرزان علی أن یؤدوا عن هذه الأرحاء و الکروم فی کل سنة مائة درهم بلا ثانیة فأنفذت لهم أمانهم و صلحهم و أمرت الإیراد علیهم فمن قرئ علیه کتابی فلا یتعد ذلک فیهم إن شاء اللّه و کتب، قالوا: و فتح حبیب حوارح و کسفربیس و کسال و خنان و سمسخی و الجردمان و کستسجی و شوشت و بازلیت صلحا علی حقن دماء أهلها و اقرار مصلیاتهم و حیطانهم و علی أن یؤدوا أتاوة عن أرضهم و رؤسهم و صالح أهل قلرجیت و أهل ثریالیت و خاخیط و خوخیط و أرطهال و باب اللال و صالح الصنارة و الدودانیة علی اتاوة، قالوا و سار

سلمان بن ربیعة الباهلی حین أمره عثمان بالمسیر إلی أران ففتح مدینة البیلقان صلحا علی أن أمنهم علی دمائهم و أموالهم و حیطان مدینتهم و اشترط علیهم أداء الجزیة و الخراج ثم أتی سلمان برذعة فعسکر علی الثرثور و هو نهر منها علی أقل من فرسخ فأغلق أهلها دونه أبوابهم فعاناها أیاما و شن الغارات فی قراها، و کانت زروعها مستحصدة

فتوح البلدان، ص: ۲۰۲

فصالحوه علی مثل صلح البیلقان و فتحوا له أبوابها فدخلها و أقام بها و وجه خیله ففتحت شفشین و المسفوان و أود و المصریان و الهرحلیان و تبار و هی رساتیق و فتح غیرها من أران، و دعا أکراد البلاسجان إلی الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقر بعضهم بالجزیة و أدی بعض الصدقة و هم قلیل.

و حدثنی جماعة من أهل برذعة، قالوا: کانت شمکور مدینة قدیمة فوجه سلمان بن ربیعة الباهلی من فتحها فلم تزل مسکونة معمورة حتی أخربها الساوردیة و هم قوم تجمعوا فی أیام انصرف یزید بن أسید عن أرمینیة فغلظ أمرهم و کثرت نوائبهم ثم أن بغا مولی المعتصم بالله رحمه اللّه عمرها فی سنة أربعین و مائتین و هو والی أرمینیة و أذربیجان و شمشاط و أسکنها قوما خرجوا إلیه من الخزر مستأمنین لرغبتهم فی الإسلام و نقل إلیها التجار من برذعة و سماها المتوکلیة، قالوا: و سار سلمان إلی مجمع الرس و الکر خلف بردیج فعبر الکر ففتح قبلة و صالحه صاحب شکن و القمیبران علی أتاوة و صالحه أهل خیزان و ملک شروان و سائر ملوک الجبال و أهل مسقط و الشابران و مدینة الباب ثم أغلقت بعده و لقیه خاقان فی خیوله خلف نهر البلنجر فقتل رحمه اللّه فی أربعة آلاف من المسلمین فکان یسمع فی مأزقهم التکبیر، و کان سلمان بن ربیعة أول من استقضی بالکوفة أقام أربعین یوما لا یأتیه خصم، و قد روی عن عمر بن الخطاب، و فی سلمان و قتیبة بن مسلم یقول ابن جمانة الباهلی:

و إن لنا قبرین قبر بلنجرو قبر بصین استان یا لک من قبر

فذاک الذی بالصین عمت فتوحهو هذا الذی یسقی به سبل القطر

و کان مع سلمان ببلنجر قرظة بن کعب الأنصاری و هو جاء بنعیه إلی عثمان، قالوا: و لما فتح حبیب ما فتح من أرض أرمینیة کتب به إلی عثمان بن عفان فوفاه کتابه و قد نعی إلیه سلمان فهم أن یولیه جمیع أمینیة، ثم رأی أن

فتوح البلدان، ص: ۲۰۳

یجعله غازیا بثغور الشام و الجزیرة لغنائه فیما کان ینهض له من ذلک فولی ثغر أرمینیة حذیفة بن الیمان العبسی فشخص إلی برذعة و وجه عماله علی ما بینها و بین قالیقلا و إلی خیزان فورد علیه کتاب عثمان یأمره بالانصراف و تخلیف صلة بن زفر العبسی، و کان معه فخلفه و سار حبیب راجعا إلی الشام و کان یغزو الروم و نزل حمص فنقله معاویة إلی دمشق فتوفی بها سنة اثنتین و أربعین و هو ابن خمس و ثلاثین سنة، و کان معاویة وجه حبیبا فی جیش لنصرة عثمان حین حوصر، فلما انتهی إلی وادی القری بلغه مقتل عثمان فرجع، قالوا: و ولی عثمان المغیرة بن شعبة أذربیجان و أرمینیة، ثم عزله و ولی القاسم بن ربیعة ابن أمیة بن أبی الصلت الثقفی أرمینیة و یقال: ولاها عمرو بن معاویة بن المنتفق العقیلی، و بعضهم یقول ولیها رجل من بنی کلاب بعد المغیرة خمس عشرة سنة ثم ولیها العقبلی و ولی الأشعث بن قیس لعلی بن أبی طالب رضی اللّه عنه أرمینیة و أذربیجان ثم ولیها عبد اللّه بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلی من قبل معاویة فمات بها فولیها عبد العزیز بن حاتم بن النعمان أخوه فبنی مدینة دبیل و حصنها و کبر مسجدها و بنی مدینة النشوی و رم مدینة برذعة و یقال: أنه جدد بناءها و أحکم حفر الفارقین حولها و جدد بناء مدینة البیلقان، و کانت هذه المدن متشعثة مستهدمة، و یقال أن الذی جدد بناء برذعة محمد بن مروان فی أیام عبد الملک بن مروان، و قال الواقدی: بنی عبد الملک مدینة برذعة علی ید حاتم بن النعمان الباهلی أو ابنه، و قد کان عبد الملک ولی عثمان بن الولید بن عقبة بن أبی معیط، أرمینیة، قالوا: و لما کانت فتنة ابن الزبیر انتقضت أرمینیة و خالف أحرارها و أتباعهم فلما ولی محمد بن مروان من قبل أخیه عبد الملک أرمینیة حاربهم فظفر بهم فقتل و سبی و غلب علی البلاد، ثم وعد من بقی منهم أن یعرض لهم فی الشرف فاجتمعوا لذلک فی کنائس من عمل

خلاط فأغلقها عليهم

فتوح البلدان، ص: ۲۰۴

و وكل بأبوابها ثم خوفهم، و فى تلك الغزاة سبيت أم يزيد بن أسيد من السيسجان و كانت بنت بطريقها، قالوا: و ولى سليمان بن عبد الملك أرمينية عدى بن عدى بن عميرة الكندى، و كان عدى بن عميرة ممن نزل الرقة مفارقا لعلى بن أبى طالب ثم ولاه إياها عمر بن عبد العزيز و هو صاحب نهر عدى بالبيلقان، و روى بعضهم أن عامل عمر كان حاتم بن النعمان، و ليس ذلك بثبت، ثم ولى يزيد بن عبد الملك معلق بن صفار البهرانى ثم عزله و ولى الحارث بن عمرو الطائى فغزا أهل اللكز ففتح رستاق حسمدان، و ولى الجراح بن عبد اللّه الحكمى من مذحج أرمينية فنزل برذعة فرفع إليه اختلاف مكاييلها و موازينها فأقامها على العدل و الوفاء و اتخذ مكيالا يدعى الجراحى فأهلها يتعاملون به إلى اليوم، ثم أنه عبر الكر و سار حتى قطع النهر المعروف بالسمور و صار إلى الخزر فقتل منهم مقتلة عظيمة و قاتل أهل بلاد حمزين، ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خيزان و جعل لهم قريتين منه و أوقع بأهل غوميك و سبى منهم، ثم قفل فنزل شكى و شتا جنده ببرذعة و البيلقان و جاشت الخزر و عبرت الرس فحاربهم فى صحراء ورثان، ثم انحازوا إلى ناحية أردبيل فواقعهم على أربعة فراسخ مما يلى أرمينية فاقتلوا ثلاثة أيام فاستشهد و من معه فسمى ذلك النهر نهر الجراح و نسب جسر عليه إلى الجراح أيضا، ثم أن هشام بن عبد الملك ولى مسلمة بن عبد الملك أرمينية و وجه على مقدمته سعيد بن عمروا بن أسود الحرشى و معه إسحاق بن مسلم العقيلى و أخوته و جعونة بن الحارث بن خالد أحد بنى عامر بن ربيعة بن صعصعة و ذفافة و خالد أبنا عمير بن الحباب السلمى و الفرات بن سلمان الباهلى و الوليد بن القعقاع العبسى فواقع الخزر و قد حاصروا ورثان فكشفهم عنها و هزمهم فأتوا ميمذ من عمل أذربيجان، فلما تهيأ لقتالهم أتاه كتاب مسلمة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه و يعلمه أن قد

فتوح البلدان، ص: ۲۰۵

ولى أمر عسكره عبد الملك بن مسلم العقيلى، فلما سلم العسكر أخذه رسول مسلمة فقيده و حمله إلى برذعة فحبس فى سجنها و انصرف الخزر فاتبعهم مسلمة و كتب بذلك إلى هشام فكتب إليه:

أ تتركهم بميمذ قد تراهمو تطلبهم بمنقطع التراب

و أمر بإخراج الحرشى من السجن، قالوا: و صالح مسلمة أهل خيزان و أمر بحصنها فهدم و اتخذ لنفسه به ضياعا و هى اليوم تعرف بحوز خيزان و سالمه ملوك الجبال فصار إليه شروانشاه و ليرانشاه و طبرسرانشاه و فيلانشاه و خرشا خرشانشاه و صار إليه صاحب مسقط و صمد لمدينة الباب ففتحها و كان فى قلعتها ألف أهل بيت من الخزر فحاصرهم و رماهم بالحجارة ثم بحديد اتخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بذلك، فعمد إليه العين التى كان أنوشروان أخرى منها الماء إلى صهريجهم فذبح البقر و الغنم و ألقى فيه الفرث و الحلتيت فلم يمكث ماؤهم إلا ليلة حتى دود و أنتن و فسد، فلما جن عليهم الليل هربوا و أخلوا القلعة و أسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب و الأبواب أربعة و عشرين ألفا من أهل الشام على العطاء فأهل الباب اليوم لا يدعون عاملا يدخل مدينتهم إلا و معه مال يفرقه بينهم، و بنى هريا للطعام و هريا للشعير و خزانة للسلاح و أمر بكبس الصهريج و رم المدينة و شرفها، و كان مروان بن محمد مع مسلمة و واقع معه الخزر فأبلى و قاتل قتالا شديدا، ثم ولى هشام بعد مسلمة سعيد الحرشى فأقام بالثغر سنتين ثم ولى الثغر مروان بن محمد فنزل كسال و هو بنى مدينتها و هى من برذعة على أربعين فرسخا و من تفليس على عشرين فرسخا ثم دخل أرض الخزر مما يلى باب اللان و أدخلهما أسيد بن زافر السلمى أبا يزيد و معه ملوك الجبال من ناحية الباب و الأبواب فأغار مروان على صقالبة كانوا بأرض الخزر فسبى منهم عشرين ألف أهل بيت فأسكنهم خاخيط ثم أنهم

فتوح البلدان، ص: ۲۰۶

قتلوا أميرهم و هربوا فلحقهم و قتلهم، قالوا: و لما بلغ عظيم الخزر كثرة من وطئ به مروان بلاده من الرجال و ما هم عليه فى عدتهم و

قوتهم نخب ذلک قلبه و ملاه رعبا، فلما دنا منه أرسل إليه رسولا يدعوه إلى الإسلام أو الحرب فقال: قد قبلت الإسلام فأرسل إلى من يعرضه على ففعل فأظهر الإسلام و وادع مروان على أن أقره فى مملكته و سار مروان معه بخلق من الخزر فأنزلهم ما بين السمور و الشابران فى سهل أرض اللكز، ثم أن مروان دخل أرض السرير فأوقع بأهلها و فتح قلاعا فيها و دان له ملک السرير و أطاعه فصالحه على ألف رأس خمسمائة غلام و خمسمائة جارية سود الشعور و الحواجب و هدب الأشفار فى كل سنة و على مائة ألف مدى تصب فى اهراء الباب و أخذ منه الرهن و صالح مروان أهل تومان على مائة رأس خمسين جارية و خمسين غلاما خماسيين سود الشعور و الحواجب و هدب الأشفار و عشرين ألف مدى للاهراء فى كل سنة، ثم دخل أرض زريكران فصالحه ملكها على خمسين رأسا و عشرة آلاف مدى للاهراء فى كل سنة ثم أتى أرض حمزين فأبى حمزين أن يصالحه فافتتح حصنهم بعد أن حاصرهم فيه شهرا فأحرق و أخرب و كان صلحه إياه على خمسمائة رأس يؤدونها دفعة واحدة ثم لا يكون عليه سبيل و على أن يحمل ثلاثين ألف مدى إلى إهراء الباب فى كل سنة، ثم أتى سدان فافتتحها صلحا على مائة رأس يعطيه إياها صاحبها دفعة ثم لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل و على أن يحمل فى كل سنة إلى اهراء الباب خمسة آلاف مدى، و وظف على أهل طبرسرانشاه عشرة آلاف مدى فى كل سنة تحمل إلى اهراء الباب، و لم يوظف على فيلانشاه شيئا، و ذلک لحسن غنائه و جميل بلائه و احماده أمره، ثم نزل مروان على قلعة اللكز و قد امتنع من أداء شىء من الوظيفة و خرج يريد صاحب الخرز فقتله راع بسهم رماه به و هو لا يعرفه

فتوح البلدان، ص: ۲۰۷

فصالح أهل اللكز على عشرين ألف مدى تحمل إلى الإهراء، و ولى عليهم خشرما السلمى و سار مروان إلى قلعة صاحب شروان و هى تدعى خرش و هى على البحر فأذعن بالطاعة و الانحدار إلى السهل و ألزمهم عشرة آلاف مدى فى كل سنة و جعل على صاحب شروان أن يكون فى المقدمة إذا بدأ المسلمون بغزو الخزر و فى الساقة إذا رجعوا و على فيلانشاه أن يغزو معهم فقط و على طبرسرانشاه أن يكون فى الساقة إذا بدءوا و فى المقدمة إذا انصرفوا، و سار مروان إلى الدودنية فأوقع بهم، ثم جاءه قتل الوليد بن يزيد و خالف عليه ثابت بن نعيم الجذامى و أتى مسافر القصاب و هو ممن مكنه بالباب الضحاک الخارجى فوافقه على رأيه و ولاه أرمينية و أذربيجان، و أتى أردبيل مستخفيا فخرج معه قوم من الشراة منها و أتوا باجروان فوجدوا بها قوما يرون رأيهم فانضموا إليهم فأتوا ورثان فصحبهم من أهلها بشر كثير كانوا على مثل رأيهم و عبروا إلى البيلقان فصحبتهم منهم جماعة كثيرة كانوا على مثل رأيهم ثم نزل يونان، و ولى مروان بن محمد إسحاق بن مسلم أرمينية فلم يزل يقاتل مسافرا و كان فى قلعة الكلاب بالسيسجان.

ثم لما جاءت الدولة المباركة و ولى أبو جعفر المنصور الجزيرة و أرمينية فى خلافة السفاح أبى العباس رحمه اللّه وجه إلى مسافر و أصحابه قائدا من أهل خراسان فقاتلهم حتى ظفر بهم و قتل مسافرا، و كان أهل البيلقان متحصنين فى قلعة الكلاب و رئيسهم قدد بن أصفر البيلقانى فاستنزلوا بأمان.

و لما استخلف المنصور رحمه اللّه ولى يزيد بن أسيد السلمى أرمينية ففتح باب اللان و رتب فيه رابطة من أهل الديوان و دوخ الصنارية حتى أدوا الخراج فكتب إليه المنصور يأمره بمصاهرة ملک الخزر ففعل، و ولدت له ابنته منه ابنا فمات و مانت فى نفاسها و بعث يزيد إلى نفاطة أرض شروان

فتوح البلدان، ص: ۲۰۸

و ملاحاتها فجباها و وكل به و بنى يزيد مدينة أرجيل الصغرى و مدينة أرجيل الكبرى و أنزلهما أهل فلسطين.

حدثنى محمد بن إسماعيل عن جماعة من مشايخ أهل برذعة، قالوا الشماخية التى فى عمل شروان نسبت إلى الشماخ بن شجاع فكان ملک شروان فى ولاية سعيد بن سالم الباهلى أرمينية.

و حدثنى محمد بن إسماعيل عن المشيخة أن أهل أرمينية انتقضوا فى ولاية الحسن بن قحطبة الطائى بعد عزل بن أسيد و بكار بن مسلم العقيلى و كان رئيسهم موشائيل الأرمنى فبعث إليه المنصور رحمه اللّه الأمداد و عليهم عامر بن إسماعيل فواقع الحسن موشائيل

فقتل و فضت جموعه و استقامت له الأمور، و هو الذی نسب إلیه نهر الحسن بالبیلقان و الباغ الذی یعرف بباغ الحسن ببرذعة و الضیاع المعروفة بالحسنیة، و ولی بعد الحسن بن قحطبة عثمان بن عمارة بن خریم، ثم روح بن حاتم المهلبی، ثم خزیمة بن خازم، ثم یزید بن مزید الشیبانی، ثم عبید اللّه بن المهدی، ثم الفضل بن یحیی، ثم سعید بن سالم، ثم محمد بن یزید بن مزید، و کان خزیمة أشدهم ولایة و هو الذی سن المساحة بدبیل و النشوی و لم یکن قبل ذلک، و لم یزل بطارقة أرمینیة مقیمین فی بلادهم یحمی کل واحد منهم ناحیته فإذا قدم الثغر عامل من عماله داروه فإن رأوا منه عفة و صرامة و کان فی قوة و عدة أدوا إلیه الخراج و أذعنو له بالطاعة و إلا اغتمزوا فیه و استخفوا بأمره، و ولیهم خالد ابن یزید بن مزید فی خلافة المأمون فقبل هداایاهم و خلطهم بنفسه فأفسدهم ذلک من فعله و جرأهم علی من بعده من عمال المأمون.

ثم ولی المعتصم باللّه الحسن بن علی الباذغیسی المعروف بالمأمونی الثغر فأهمل بطارقته و أحراره و لان لهم حتی ازدادوا فسادا علی السلطان و کلبا علی

فتوح البلدان، ص: ۲۰۹

من یلیهم من الرعیة، و غلب إسحاق بن إسماعیل بن شعیب مولی بنی أمیة علی جرزان، و وثب سهل بن سنباط البطریق علی عامل حیدر بن کاوس الأفشین علی أرمینیة فقتل کاتبه و أفلت بحشاشة نفسه ثم ولی أرمینیة عمال کانوا یقبلون من أهلها العفو و یرضون من خراجها بالمیسور.

ثم ان أمیر المؤمنین المتوکل علی اللّه ولی یوسف بن محمد بن یوسف المروزی أرمینیة لسنتین من خلافته، فلما صار بخلاط أخذ بطریقها بقراط ابن أشوط فحمله إلی سر من رأی فأوحش البطارقة و الأحرار و المتغلبة ذلک منه ثم أنه عمد عامل له یقال له العلاء بن أحمد إلی دیر بالسیسجان یعرف بدیر الأقداح لم تزل نصاری أرمینیة تعظمه و تهدی إلیه فأخذ منه جمیع ما کان فیه و عسف أهله فأکبرت البطارقة ذلک و أعظمته و تکاتبت فیه و حض بعضها علی بعض علی الخلاف و النقض و دسوا إلی الخویثیة و هم علوج یعرفون بالأرطان فی الوثوب بیوسف و حرضوهم علیه لما کان من حمله بقراط بطریقهم و وجه کل امرئ منهم و من المتغلبة خیلا و رجالا لیؤیدوهم علی ذلک فوثبوا به بطرون، و قد فرق أصحابه فی القری فقتلوه و احتووا علی ما کان فی عسکره فولی أمیر المؤمنین المتوکل علی اللّه بغا الکبیر أرمینیة فلما صار إلی بدلیس أخذ موسی بن زرارة، و کان ممن هوی قتل یوسف و أعان علیه غضبا لبقراط و حارب الخویثیة فقتل منهم مقتلة عظیمة و سبی سبیا کثیرا، ثم حاصر أشوط بن حمزة بن جاجق بطریق البسفرجال و هو بالبلق فاستنزله من قلعته و حمله إلی سر من رأی و سار إلی جرزان فظفر بإسحاق بن إسماعیل فقتله صبرا و فتح جرزان و حمل من بأران و ظاهر أرمینیة من بالسیسجان من أهل الخلاف و المعصیة من النصاری و غیرهم حتی صلح ذلک الثغر صلاحا لم یکن علی مثله ثم قدم سر من رأی فی سنة إحدی و أربعین و مائتین

.

فتوح البلدان، ص: ۲۱۰

فتوح مصر و المغرب

قالوا: و کان عمرو بن العاصی حاصر قیساریة بعد انصراف الناس من حرب الیرموک ثم استخلف علیها ابنه حین ولی یزید بن أبی سفیان و مضی إلی مصر من تلقاء نفسه فی ثلاثة آلاف و خمسمائة، فغضب عمر لذلک و کتب إلیه یوبخه و یعنفه علی افتتانه علیه برأیه و أمره بالرجوع إلی موضعه إن وافاه کتابه دون مصر، فورد الکتاب علیه و هو بالعریش، و قیل أیضا: إن عمر کتب إلی عمرو بن العاصی یأمره بالشخوص إلی مصر فوافاه کتابه و هو محاصر قیساریة و کان الذی أتاه شریک بن عبدة فأعطاه ألف دینار فأبی شریک قبولها فسأله أن یستر ذلک و لا یخبر به عمر.

قالوا: و كان مسير عمرو إلى مصر فى سنة تسع عشرة فنزل العريش ثم أتى الفرماء و بها قوم مستعدون للقتال فحاربهم فهزمهم و حوى عسكرهم و مضى قدما إلى الفسطاط فنزل جنان الريحان و قد خندق أهل الفسطاط، و كان اسم المدينة اليونة فسماها المسلمون فسطاطا لأنهم قالوا: هذا فسطاط القوم و مجمعهم، و قوم يقولون: إن عمرا ضرب بها فسطاطا فسميت بذلك.

قالوا: و لم يلبث عمرو بن العاصى و هو محاصر أهل الفسطاط أن ورد عليه الزبير بن العوام بن خويلد فى عشرة آلاف، و يقال: فى اثنى عشر ألفا فيهم خارجة بن حذافة العدوى و عمير بن وهب الجمحى، و كان الزبير قد هم بالغزو و أراد إتيان انطاكية فقال له عمر: يا أبا عبد اللّه هل لك فى ولاية مصر، فقال: لا حاجة لى فيها و لكنى أخرج مجاهدا و للمسلمين معاونا فإن وجدت عمرا قد فتحها لم أعرض لعمله و قصدت إلى بعض السواحل فرابطت به و إن وجدته فى جهاد كنت معه فسار على ذلك.

فتوح البلدان، ص: ۲۱۱

قالوا: و كان الزبير يقاتل من وجه و عمرو بن العاصى من وجه، ثم أن الزبير أتى بسلم فصعد عليه حتى أوفى على الحصن و هو مجرد سيفه فكبر و كبر المسلمون و اتبعوه ففتح الحصن عنوة و استباح المسلمون ما فيه و أفر عمرو أهله على أنهم ذمة موضع عليهم الجزية فى رقابهم و الخراج فى أرضهم و كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فأجازه و اختط الزبير بمصر و ابنتى دارا معروفة، و إياها نزل عبد اللّه بن الزبير حين غزا إفريقية مع ابن أبى سرح و سلم الزبير باق فى مصر.

و حدثنا عفان بن مسلم، قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة أن الزبير بن العوام بعث إلى مصر فقيل له أن بها الطعن و الطاعون، فقال:

إنما جئنا للطعن و الطاعون، قال: فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها.

و حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنى عبد اللّه بن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب: أن عمرو بن العاصى دخل مصر و معه ثلاثة آلاف و خمسمائة، و كان عمر بن الخطاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها فأرسل الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفا فشهد الزبير فتح مصر و اختط بها.

و حدثنى عمرو الناقد، عن عبد اللّه بن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد اللّه بن المغيرة بن أبى بردة عن سفيان بن وهب الخولانى، قال: لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير فقال: أقسمها يا عمرو فأبى فقال الزبير: و اللّه لتقسمنها كما قسم رسول صلى اللّه عليه و سلم خيبر:

فكتب عمرو إلى عمر فى ذلك فكتب إليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة، قال: و قال عبد اللّه بن وهب: و حدثنى ابن لهيعة عن خالد بن ميمون عن عبد اللّه ابن المغيرة عن سفيان بن وهب بنحوه.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال: حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن يزيد

فتوح البلدان، ص: ۲۱۲

ابن أبى حبيب أن عمرو بن العاصى دخل مصر فى ثلاثة آلاف و خمسمائة، و كان عمر قد أشفق من ذلك فأرسل الزبير بن العوام فى أثنى عشر ألفا فشهد معه فح مصر، قال: فاختط الزبير بمصر و الإسكندرية خطتين.

و حدثنى إبراهيم بن مسلم الخوارزمى، عن عبد اللّه بن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى فراس عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، قال: اشتبه على الناس أمر مصر، فقال قوم: فتحت عنوة، و قال آخرون:

فتحت صلحا، و الثلج فى أمرها أن أبى قدمها فقاتله أهل اليونة ففتحها قهرا و أدخلها المسلمين و كان الزبير أول من على حصنها، فقال صاحبها لأبى:

أنه قد بلغنا فعلكم بالشام و وضعكم الجزية على النصارى و اليهود و إقراركم الأرض فى أيدى أهلها يعمرونها و يؤدون خراجها فإن فعلتم بنا مثل ذلك كان أرد عليكم من قتلنا و سبينا و إجلائنا، قال: فاستشار أبى المسلمين فأشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلا نفر منهم

سألوا أن يقسم الأرض بينهم فوضع على كل حالم دينارين جزيـة إلا أن يكون فقيرا و ألزم كل ذى أرض مع الـدينارين ثلاثـة أرادب حنطة و قسطى زيت و قسطى عسل و قسطى خل رزقا للمسلمين تجمع فى دار الرزق و تقسم فيهم، و أحصى المسلمون، فألزم جميع أهل مصر لكل رجل منهم جبة صوف و برنسا أو عمامة و سراويل و خفين فى كل عام أو عدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا و كتب عليهم بـذلك كتابـا و شـرط لهم إذا وفوا بـذلك أن لاـ تبـاع نسـاؤهم و أبناؤهم و لا يسـبوا و أن تقر أموالهم و كنوزهم فى أيـديهم، فكتب بـذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه و صارت الأرض أرض خراج إلا أنه لما وقع هذا الشـرط و الكتاب ظن بعض الناس أنها فتحت صلحا، قال: و لما فرغ ملك اليونة من أمر نفسه و من معه فى مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليونة فرضوا به، و قالوا هؤلاء الممتنعون قد رضوا و قنعوا بهذا فنحن به

فتوح البلدان، ص: ۲۱۳

أقنع لأننا فرش لا منعـة لنا، و وضع الخراج على أرض مصـر فجعل على كل جريب دينارا و ثلاثـة أرادب طعاما و على رأس كل حالم دينارين و كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

و حدثنى عمرو الناقد عن عبد اللّه بن وهب المصرى عن الليث عن يزيد ابن أبى حبيب: أن المقوقس صالح عمرو بن العاصى على أن يسير من الروم من أراد و يقر من أراد الإقامة من الروم على أمر سماه، و أن يفرض على القبط دينارين فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه و بعث الجيوش، فأغلقوا باب الإسـكندرية و آذنوا عمرا بالحرب فخرج إليه المقوقس، فقال: أسألك ثلاثا أن لا تبـذل للروم مثل الذى بذلت لى فإنهم قد استغشونى و أن لا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم و إن مت فمر بدفنى فى كنيسة بالأسكندرية ذكرها، فقـال عمرو: هـذه أهونهن على و كانت قرى من مصـر قاتلت فسبى منهم و القرى بلهيت و الخيس و سـلطيس فوقع سـباؤهم بالمـدينة فردهم عمر بن الخطاب و صيرهم و جماعة القبط أهل ذمة و كان لهم عهد لم ينقضوه و كتب عمرو بفتح الإسكندرية إلى عمر.

«أما بعد» فإن اللّه فتح علينا الإسكندرية عنوة قسرا بغير عهد و لا عقد و هى كلها صلح فى قول يزيد بن أبى حبيب.

حدثنى أبو أيوب الرقى عن عبد الغفار عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال: جبى عمرو خراج مصـر و جزيتها ألفى ألف و جباها عبـد اللّه بن سـعد بن أبى سـرح أربعـة آلاـف ألف، فقـال عثمـان لعمرو: إن اللقاح بمصـر بعـدك قـد درث ألبانها، قال: ذاك لأنكم أعجفتم أولادها.

قال: و كتب عمر بن الخطاب فى سـنة إحدى و عشرين إلى عمرو بن العاصى يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجهد و يأمره أن يحمل ما يقبض من الطعام

فتوح البلدان، ص: ۲۱۴

فى الخراج إلى المدينـة فى البحر فكـان ذلـك يحمـل و يحمـل معه الزيت فـإذا ورد الجـار تولى قبضه سـعد الجـار، ثم جعـل فى دار بالمدينـة و قسم بين الناس بمكيال فانقطع ذلك فى الفتنـة الأولى، ثم حمل فى أيام معاويـة و يزيـد ثم انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثم لم يزل يحمل إلى خلافة أبى جعفر و قبيلها.

و حـدثنى بكر بن الهيثم، قال: حـدثنى أبو صالح عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سـعد عن يزيد بن أبى حبيب: أن أهل الجزية بمصـر صولحوا فى خلافـة عمر بعـد الصـلح الأول مكان الحنطـة و الزيت و العسل و الخل على دينارين دينارين، فألزم كل رجل أربعة دنانير فرضوا بذلك و أحبوه.

و حـدثنى أبو أيوب الرقى، قال: حـدثنى عبـد الغفار الحرانى عن ابن لهيعـة عن يزيد بن أبى حبيب عن الجيشانى، قال سـمعت جماعة ممن شـهد فتـح مصـر يخبرون أن عمرو بن العاصـى لما فتـح الفسـطاط وجه عبـد اللّه بن حذافة السـهمى إلى عين شـمس فغلب على أرضها و صالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط، و وجه خارجة بن حذافة العدوى إلى الفيوم و الأشمونين و أخميم و البشر و دات و قرى الصـعيد ففعل مثل ذلك، و وجه عمير بن وهب الجمحى إلى تنيس و دمياط و تونة و دميرة و شطا و دقهلة و بنا و بوصير ففعل

مثل ذلک و وجه عقبة بن عامر الجهنی، و یقال: وردان مولاه صاحب سوق وردان بمصر إلی سائر قری أسفل الأرض ففعل مثل ذلک، فاستجمع عمرو بن العاصی فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج.

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا عبد الغفار الحرانی عن ابن لهیعة عن ابراهیم بن محمد عن أیوب بن أبی العالیة عن أبیه، قال: سمعت عمرو

فتوح البلدان، ص: ۲۱۵

ابن العاصی یقول علی المنبر: لقد قعدت مقعدی هذا و ما لأحد من قبط مصر علی عهد و لا عقد إن شئت قتلت و إن شئت خمست و إن شئت بعت إلا أهل انطابلس فان لهم عهدا یوفی لهم به.

و حدثنی القاسم بن سلام قال: حدثنی به عبد اللّه بن صالح عن موسی بن علی بن رباح اللخمی عن أبیه، قال: المغرب کله عنوة.

حدثنا أبو عبید عن سعید بن أبی مریم عن ابن لهیعة عن الصلت بن أبی عاصم کاتب حیان بن شریح أنه قرأ کتاب عمر بن عبد العزیز إلی حیان و کان عامله علی مصر: أن مصر فتحت عنوة بغیر عهد و لا عقد.

و حدثنی أبو عبید، قال حدثنا سعید بن أبی مریم عن یحیی بن أیوب عن عبید اللّه بن أبی جعفر، قال: کتب معاویة إلی وردان مولی عمرو أن زد علی کل امرئ من القبط قیراطا، فکتب إلیه کیف أزید علیهم و فی عهدهم أن لا یزاد علیهم.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن عبد الحمید بن جعفر عن أبیه، قال: سمعت عروة بن الزبیر یقول: أقمت بمصر سبع سنین و تزوجت بها فرأیت أهلها مجاهید قد حمل علیهم فوق طاقتهم و إنما فتحها عمرو بصلح و عهد و شیء مفروض علیهم.

و حدثنی بکر بن الهیثم عن عبد اللّه بن صالح عن اللیث بن سعد عن یزید بن أبی علاقة عن عقبة بن عامر الجهنی، قال: کان لأهل مصر عهد و عقد کتب لهم عمرو: أنهم آمنون علی أموالهم و دمائهم و نسائهم و أولادهم لا یباع منهم أحد و فرض علیهم خراجا لا یزاد علیهم، و أن یدفع عنهم خوف عدوهم، قال عقبة: و أنا شاهد علی ذلک.

و حدثنی الحسین بن الأسود قال: حدثنی یحیی بن آدم عن عبد اللّه بن

فتوح البلدان، ص: ۲۱۶

المبارک عن ابن لهیعة عن یزید بن أبی حبیب عمن سمع عبد اللّه بن المغیرة ابن أبی بردة، قال سمعت سفیان بن وهب الخولانی یقول: لما افتتحنا مصر بلا عهد قام الزبیر بن العوام فقال: یا عمرو اقسمها بیننا، فقال عمرو: لا و اللّه لا أقسمها حتی أکتب إلی عمر، فکتب إلی عمر فکتب إلیه فی جواب کتابه أن أقرها حتی یغزو منها حبل الحبلة، أو قال یغدو.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی محمد بن عمر عن أسامة بن زید بن أسلم عن أبیه عن جده، قال: فتح عمرو بن العاصی مصر سنة عشرین و معه الزبیر فلما فتحها صالحه أهل البلد علی وظیفة وظفها علیهم و هی دیناران علی کل رجل و أخرج النساء و الصبیان من ذلک، فبلغ خراج مصر فی ولایته ألفی ألف دینار فکان بعد ذلک یبلغ أربعة آلاف ألف دینار.

حدثنی أبو عبیدة، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن اللیث عن یزید ابن أبی حبیب: أن المقوقس صاحب مصر صالح عمرو بن العاصی علی أن فرض علی القبط دینارین دینارین، فبلغ ذلک هرقل صاحب الروم فسخط أشد السخط و بعث الجیوش إلی الاسکندریة و أغلقها ففتحها عمرو بن العاصی عنوة.

حدثنی ابن القتات و هو أبو مسعود عن الهیثم عن المجالد عن الشعبی أن علی بن الحسین أو الحسین نفسه کلم معاویة فی جزیة أهل قریة أم ابراهیم ابن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بمصر فوضعها عنهم، و کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یوصی بالقبط خیرا.

حدثنی عمرو عن عبد اللّه بن وهب عن مالک و اللیث عن الزهری عن ابن لکعب بن مالک أن النبی صلی اللّه علیه و سلم، قال: إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خیرا فان لهم ذمة و رحما،

و قال اللیث: کانت أم إسماعیل منهم. أبو الحسن المدائنی عن عبد اللّه بن المبارک، قال: کان عمر بن الخطاب

فتوح البلدان، ص: ۲۱۷

یکتب أموال عماله إذا ولاهم ثم یقاسمهم ما زاد علی ذلک و ربما أخذه منهم، فکتب إلی عمرو بن العاصی أنه قد فشت لک فاشیة من متاع و رقیق و آنیة و حیوان لم یکن حین ولیت مصر، فکتب إلیه عمرو: أن أرضنا أرض مزدرع و متجر فنحن نصیب فضلا عما نحتاج إلیه لنقتنا، فکتب إلیه: إنی قد خبرت من عمال السوء ما کفی و کتابک إلی کتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق و قد سؤت بک ظنا و قد وجهت إلیک محمد بن مسلمة لیقاسمک مالک فأطلعه طلعه و أخرج إلیه ما یطالبک بها و اعفه من الغلظة علیک فإنه برح الخفاء، فقاسمه ماله، المدائنی عن عیسی بن یزید، قال: لما قاسم محمد بن مسلمة عمرو بن العاصی. قال عمرو أن زمانا عاملنا فیه حنتمة هذه المعاملة لزمان سوء، لقد کان العاصی یلبس الخز بکفاف الدیباج، فقال محمد: مه لو لا زمان ابن حنتمة هذا الذی تکرهه الفیت معتقلا عنزا بفناء بیتک یسرک غزرها و یسوءک بکاؤها، قال: أنشدک اللّه أن لا تخبر عمر بقولی فإن المجالس بالأمانة، فقال: لا أذکر شیئا مما جری بیننا و عمر حی.

و حدثنی عمرو الناقد عن عبد اللّه بن وهب عن ابن لهیعة عن عبد اللّه ابن هبیرة أن مصر فتحت عنوة.

و حدثنی عمرو عن ابن وهب عن ابن لهیعة عن ابن أنعم عن أبیه عن جده و کان ممن شهد فتح مصر، قال: فتحت مصر عنوة بغیر عهد و لا عقد.

فتح الاسکندریة

قالوا: لما افتتح عمرو بن العاصی مصر أقام بها ثم کتب إلی عمر بن الخطاب یستأمره فی الزحف إلی الاسکندریة، فکتب إلیه یأمره بذلک فسار إلیها فی سنة إحدی و عشرین و استخلف علی مصر خارجة بن حذافة بن غانم بن

فتوح البلدان، ص: ۲۱۸

عامر بن عبد اللّه بن عبید بن عویج بن عدی بن کعب بن لؤی بن غالب، و کان من دون الاسکندریة من الروم و القبط قد تجمعوا له، و قالوا: نغزوه بالفسطاط قبل أن یبلغنا و یروم الاسکندریة فلقیهم بالکریون فهزمهم و قتل منهم مقتلة عظیمة، و کان فیهم من أهل سخا و بلهبت و الخیس و سلطیس و غیرهم قوم رفدوهم و أعانوهم، ثم سار عمرو حتی انتهی إلی الاسکندریة فوجد أهلها معدین لقتاله إلا أن القبط فی ذلک یحبون الموادعة، فأرسل إلیه المقوقس یسأله الصلح و المهادنة إلی مدة فأبی عمرو ذلک، فأمر المقوقس النساء أن یقمن علی سور المدینة مقبلات بوجوههن إلی داخله، و أقام الرجال فی السلاح مقبلین بوجوههم إلی المسلمین لیرهبهم بذلک، فأرسل إلیه عمرو إنا قد رأینا ما صنعت و ما بالکثرة غلبنا من غلبنا فقد لقینا هرقل ملککم فکان من أمره ما کان، فقال المقوقس لأصحابه: قد صدق هؤلاء القوم أخرجوا ملکنا من دار مملکته حتی أدخلوه القسطنطینیة فنحن أولی بالإذعان، فأغلظوا له القول و أبوا إلا المحاربة، فقاتلهم المسلمون قتالا شدیدا و حصروهم ثلاثة أشهر، ثم أن عمرا فتحها بالسیف و غنم ما فیها و استبقی أهلها و لم یقتل و لم یسب و جعلهم ذمة کاهل الیونة، فکتب إلی عمر بالفتح مع معاویة بن خدیج الکندی ثم السکونی و بعث إلیه معه بالخمس.

و یقال: أن المقوقس صالح عمرا علی ثلاثة عشر ألف دینار علی أن یخرج من الاسکندریة من أراد الخروج و یقیم بها من أحب المقام و علی أن یفرض علی کل حالم من القبط دینارین فکتب لهم بذلک کتابا، ثم أن عمرو بن العاصی استخلف علی الاسکندریة عبد اللّه بن حذافة بن قیس بن عدی بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصیص بن کعب بن لؤی فی رابطة من المسلمین و انصرف إلی الفسطاط، و کتب الروم إلی قسطنطین بن هرقل، و هو کان

فتوح البلدان، ص: ۲۱۹

الملک یومئذ یخبرونه بقلة من عندهم من المسلمین و بما هم فیه من الذلة و أداء الجزیة فبعث رجلا من أصحابه یقال له منویل فی

ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة فدخل الاسكندرية و قتل من بها من روابط المسلمين إلا من لطف للهرب فنجا و ذلك فى سنة خمس و عشرين و بلغ عمرا الخبر فسار إليهم فى خمسة عشر ألفا فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيما يلى الاسكندرية من قرى مصر فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشاب ساعة و المسلمون متترسون ثم صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم إن أولئك الكفرة ولوا منهزمين فلم يكن لهم ناهية و لا عرجة دون الاسكندرية فتحصنوا بها و نصبوا العرادات فقاتلهم عمرو عليها أشد قتال و نصب المجانيق فأخذت جدرها و ألح بالحرب حتى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة و سبى الذرية و هرب بعض رومها إلى الروم و قتل عدو اللّه منويل و هدم عمروا و المسلمون جدار الاسكندرية و كان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلن ذلك.

و قال بعض الرواة أن هذه الغزاة كانت فى سنة ثلاث و عشرين، و روى بعضهم أنهم نقضوا فى سنة ثلاث و عشرين و سنة خمس و عشرين و اللّه أعلم قالوا: و وضع عمرو على أرض الاسكندرية الخراج و على أهلها الجزية، و روى أن المقوقس اعتزل أهل الاسكندرية حين نقضوا فأقره عمرو و من معه على أمرهم الأول، و روى أيضا أنه قد كان مات قبل هذه الغزاة.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبى فروة عن حيان بن شريح عن عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه أنه قال: لم نفتح قرية من المغرب على صلح إلا ثلاثا الاسكندرية و كفرطيس، و سلطيس، فكان عمر يقول من أسلم من أهل هذه المواضع خلى سبيله و سبيل ماله.

حدثنى عمرو الناقد، قال حدثنا ابن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن

فتوح البلدان، ص: ۲۲۰

يزيد بن أبى حبيب أنه قال افتتح عمرو بن العاصى الاسكندرية فسكنها المسلمون فى رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا و ابتدروا إلى المنازل فكان الرجل يأتى المنزل الذى كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله و بدر إليه، فقال عمرو:

إنى أخاف أن تخرب المنازل إذا كنتم تتعاودونها.

فلما غزا فصاروا عند الكريون قال لهم سيروا على بركة اللّه فمن ركز منكم رمحا فى دار فهى له و لبنى أبيه، فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه فى بعض بيوتها و يأتى الآخر فيركز رمحه كذلك أيضا فكانت الدار بين النفسين و الثلاثة فكانوا يسكنونها فإذا قفلوا سكنها الروم، فكان يزيد بن أبى حبيب يقول: لا يحل لأحد شىء من كرائها و لا تباع و لا تورث إنما كانت لهم سكنى أيام رباطهم، فلما كان قتالها الآخر و قدمها منويل الرومى الخصى أغلقها أهلها ففتحها عمرو و أخرب سورها، قالوا و لما ولى عمرو وردان مولاه الاسكندرية و رجع الفسطاط فلم يلبث إلا قليلا حتى أتاه عزله فولى عثمان بعده عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح بن الحارث أحد بنى عامر ابن لؤى، مكان أخا عثمان من الرضاعة و كانت ولايته فى سنة خمس و عشرين و يقال: أن عبد اللّه بن سعد كان على خراج مصر من قبل عثمان فجرى بينه و بين عمرو كلام فكتب عبد اللّه يشكو عمرا فعزله عثمان و جمع العملين لعبد اللّه بن سعد و كتب إليه يعلمه أن الاسكندرية فتحت مرة عنوة و انتقضت مرتين و يأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها و أن يدر عليهم الأرزاق و يعقب بينهم فى كل ستة أشهر.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى أن ابن هرمز الأعرج القارئ كان يقول: خير سواحلكم رباطا الاسكندرية فخرج إليها من المدينة مرابطا فمات بها سنة سبع عشرة و مائة.

فتوح البلدان، ص: ۲۲۱

و حدثنى بكر بن الهيثم عن عبد اللّه بن صالح عن موسى بن على عن أبيه، قال: كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار، فلما كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستة و ثلاثين ألف دينار.

حدثنى عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كان عثمان عزل عمرو بن العاصى عن مصر و جعل عليها عبد اللّه بن سعد، فلما نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم لأن له معرفة بالحرب و هيبة فى

أنفس العدو ففعل حتى هزمهم فأراد عثمان أن يجعل عمرا على الحرب و عبد اللّه على الخراج فأبى ذلك عمرو و قال: أنا كماسك قرنى البقرة و الأمير يحلبها فولى عثمان بن سعد مصر، ثم أقامت الحبش من البيما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه فى الغياض، قال عبد اللّه بن وهب: و أخبرنى الليث بن سعد عن موسى بن على عن أبيه أن عمرا فتح الاسكندرية الفتح الآخر عنوة فى خلافة عثمان بعد وفاة عمر رحمه اللّه.

فتح برقة و زويلة

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن شرحبيل بن أبى عون عن عبد اللّه ابن هبيرة، قال: لما فتح عمرو بن العاصى الاسكندرية سار فى جنده يريد المغرب حتى قدم برقة و هى مدينة انطابلس فصالح أهلها على الجزية و هى ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه.

حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن سهيل بن عقيل عن عبد اللّه بن هبيرة، قال صالح عمرو بن العاصى: أهل انطابلس

فتوح البلدان، ص: ۲۲۲

و مدينتها برقة و هى بين مصر و إفريقية بعد أن حاصرهم و قاتلهم على الجزية على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا فى جزيتهم و كتب لهم بذلك كتابا.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن مسلمة بن سعيد عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبى فروة، قال: كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث فكانوا أخصب قوم بالمغرب و لم يدخلها فتنة، قال الواقدى: و كان عبد اللّه بن عمرو بن العاصى يقول: لو لا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم و لا أعزل منها.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن معاوية بن صالح، قال: كتب عمرو بن العاصى إلى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولى عقبة بن نافع الفهرى المغرب فبلغ زويلة و أن من بين زويلة و برقة سلم كلهم حسنة طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة، و أفر معاهدهم بالجزية، و أنه قد وضع على أهل زويلة و من بينه و بينها ما رأى أنهم يطيقونه، و أمر عماله جميعا أن يأخذوا الصدقة من الأغنياء فيردوها فى الفقراء، و يأخذوا الجزية من الذمة فتحمل إليه بمصر، و أن يؤخذ من أرض المسلمين العشر و نصف العشر و من أهل الصلح صلحهم.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: سألت عبد اللّه بن صالح عن البربر، فقال: هم يزعمون أنهم ولد بر بن قيس و ما جعل اللّه لقيس ولدا يقال له بر، و إنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود عليه السلام و كانت منازلهم على أيادى الدهر فلسطين و هم أهل عمود فأتوا المغرب فتناسلوا به.

حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاصى، كتب فى شرطه على أهل لواتة

فتوح البلدان، ص: ۲۲۳

من البربر من أهل برقة أن عليكم أن تبيعوا أبناءكم و نساءكم فيما عليكم من الجزية قال الليث: فلو كانوا عبيدا ما حل ذلك منهم.

و حدثنى بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن عبد العزيز كتب فى اللواتيات: أن من كانت عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها إلى أهلها، قال: و لواتة قربة من البربر كان لهم عهد.

فتح أطرابلس

حدثنی بکر بن الهیثم عن عبد اللّه بن صالح عن معاویة بن صالح عن علی ابن طلحة، قال: سار عمرو بن العاصی حتی نزل أطرابلس فی سنة اثنتین و عشرین فقوتل، ثم افتتحها عنوة و أصاب بها أحمال بزیون کثیرة مع تجار من تجارها فباعه و قسم ثمنه بین المسلمین و کتب إلی عمر بن الخطاب «أنا قد بلغنا أطرابلس و بینها و بین إفریقیة تسعة أیام، فإن رأی أمیر المؤمنین أن یأذن لنا فی غزوها فعل، فکتب إلیه ینهاه عنها و یقول: ما هی بإفریقیة و لکنها مفرقة غادرة مغدور بها، و ذلک أن أهلها کانوا یؤدون إلی ملک الروم شیئا فکانوا یغدرون به کثیرا و کان ملک الأندلس صالحهم ثم غدر بهم و کان خبرهم قد بلغ عمر.

حدثنی عمرو الناقد، قال: حدثنا عبد اللّه بن وهب عن اللیث بن سعد، قال: حدثنی مشیختنا أن أطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصی.

فتح إفریقیة

قالوا: لما ولی عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح مصر و المغرب بعث المسلمین فی جرائد خیل فأصابوا من أطراف إفریقیة و غنموا، و کان عثمان

فتوح البلدان، ص: ۲۲۴

ابن عفان رضی اللّه عنه متوقفا عن غزوها ثم إنه عزم علی ذلک بعد أن استشار فیه، و کتب إلی عبد اللّه فی سنة سبع و عشرین و یقال: فی سنة ثمان و عشرین و یقال فی سنة تسع و عشرین یأمره بغزوها و أمده بجیش عظیم فیه معبد بن العباس بن عبد المطلب، و مروان بن الحکم بن أبی العاصی بن أمیة، و الحارث بن الحکم أخوه، و عبد اللّه بن الزبیر بن العوام، و المسور ابن مخرمة بن نوفل بن أهیب بن عبد مناف بن زهرة بن کلاب، و عبد الرحمن بن زید بن الخطاب، و عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و عاصم ابن عمر، و عبید اللّه بن عمر و عبد الرحمن بن أبی بکر، و عبد اللّه بن عمرو بن العاصی، و بسر بن أبی أرطاة بن عویمر العامری، و أبو ذؤیب خویلد بن خالد الهذلی الشاعر و بها توفی فقام بأمره ابن الزبیر حتی واراه فی لحده، و خرج فی هذه الغزاة ممن حول المدینة من العرب خلق کثیر.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن أسامة بن زید بن أسلم عن نافع مولی آل الزبیر عن عبد اللّه بن الزبیر، قال: اغزانا عثمان بن عفان إفریقیة و کان بها بطریق سلطانه من أطرابلس إلی طنجة، فسار عبد اللّه بن سعد ابن أبی سرح حتی حل بعقوبة فقاتله أیاما فقتله اللّه، و کنت أنا الذی قتلته، و هرب جیشه فتمزقوا، و بث ابن أبی سرح السرایا ففرقها فی البلاد فأصابوا غنائم کثیرة و استاقوا من المواشی ما قدروا علیه، فلما رأی ذلک عظماء إفریقیة اجتمعوا فطلبوا إلی عبد اللّه بن سعد أن یأخذ منهم ثلاثمائة قنطار من ذهب علی أن یکف عنهم و یخرج من بلادهم فقبل ذلک.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن أسامة بن زید اللیثی عن ابن کعب أن عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح صالح بطریق إفریقیة علی ألفی

فتوح البلدان، ص: ۲۲۵

ألف دینار و خمسمائة ألف. و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن موسی بن ضمرة المازنی عن أبیه، قال: لما صالح عبد اللّه بن سعد بطریق إفریقیة رجع إلی مصر و لم یول علی إفریقیة أحدا، و لم یکن لها یومئذ قیروان و لا مصر جامع.

قال: فلما قتل عثمان و ولی أمر مصر محمد بن أبی حذیفة بن عتبة بن ربیعة لم یوجه إلیها أحدا فلما ولی معاویة بن أبی سفیان ولی معاویة بن حدیج السکونی مصر فبعث فی سنة خمسین عقبة بن نافع بن عبد قیس بن لقیط الفهری فغزاها و اختطها، قالوا: و وجه عقبة بسر بن أبی أرطاة إلی قلعة من القیروان فافتتحها و قتل و سبی، و هی الیوم تعرف بقلعة بسر، و هی بالقرب من مدینة تدعی مجانة عند معدن الفضة .

و قد سمعت من يذكر أن موسى بن نصير وجه بسرا، و بسر ابن اثنتين و ثمانين سنة إلى هذه القلعة فافتتحها، و كان مولد بسر قبل وفاة النبى صلى اللّه عليه و سلم بسنتين، و غير الواقدى يزعم أنه قد روى عن النبى صلى اللّه عليه و سلم و اللّه أعلم.

و قال الواقدى. و لم يزل عبد اللّه بن سعد واليا حتى غلب محمد بن أبى حذيفة على مصر، و هو كان أنغلها على عثمان ثم أن عليا رضى اللّه عنه ولى قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى مصر، ثم عزله و استعمل عليها محمد بن أبى بكر الصديق ثم عزله و ولى مالكا الأشتر فاعتل بالقلزم ثم ولى محمد بن أبى بكر ثانية ورده عليها فقتله معاوية بن حديج و أحرقه فى جوف حمار، و كان الوالى عمرو بن العاصى من قبل معاوية بن أبى سفيان فمات

فتوح البلدان، ص: ۲۲۶

عمرو بمصر يوم الفطر سنة اثنتين و أربعين و يقال سنة ثلاث و أربعين و ولى عبد اللّه بن عمرو ابنه بعده ثم عزله معاوية بن حديج فأقام بها أربع سنين ثم غزا فغنم ثم قدم مصر فوجه عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى، و يقال:

بل ولاه معاوية المغرب فغزا إفريقية فى عشرة آلاف من المسلمين فافتتح إفريقية و اختط قيروانها، و كان موضع غيضة ذات طرفاء و شجر لا يرام من السباع و الحيات و العقارب القتالة و كان ابن نافع رجلا صالحا مستجاب الدعوة فدعا ربه فاذهب ذلك كله حتى إن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها.

و قال الواقدى: قلت لموسى بن على رأيت بناء إفريقية المتصل المجتمع الذى نراه اليوم من بناه فقال: أول من بناها عقبة بن نافع الفهرى اختطها ثم بنى و بنى الناس معه الدور و المساكن و بنى المسجد الجامع بها.

قال: و بإفريقية استشهد معبد بن العباس رحمه اللّه فى غزاة ابن أبى سرح فى خلافة عثمان، و يقال: بل مات فى أيام القتال، و استشهاده أثبت. فتوح البلدان ؛ ص۲۲۶

قال الواقدى و غيره: عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حديج و ولى مصر و المغرب مسلمة بن مخلد الأنصارى، فولى المغرب أبا المهاجر مولاه فلما ولى يزيد بن معاوية رد عقبة بن نافع على عمله فغزا السوس الأدنى و هو خلف طنجة و جول فيما هناك لا يعرض له أحد و لا يقاتله فانصرف و مات يزيد بن معاوية و بويع لابنه معاوية بن يزيد و هو أبو ليلى فنادى: الصلاة جامعة، ثم تبرأ من الخلافة و جلس فى بيته و مات بعد شهرين، ثم كانت ولاية مروان بن الحكم و فتنة بن الزبير ثم ولى عبد الملك بن مروان فاستقام له

فتوح البلدان، ص: ۲۲۷

الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر فولى إفريقية زهير بن قيس البلوى ففتح تونس، ثم انصرف إلى برقة فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا فتوجهوا إليهم فى جريدة خيل فلقيهم فاستشهد و من معه فقبره هناك و قبورهم تدعى قبور الشهداء. ثم ولى حسان بن النعمان الغسانى فغزا ملكة البربر الكاهنة فهزمته فأتى قصورا فى حيز برقة فنزلها و هى قصور يضمها قصر سقوفه أزاج فسميت قصور حسان، ثم أن حسان غزاها ثانية فقتلها و سبى سبيا من البربر، و بعث به إلى عبد العزيز فكان أبو محجن نصيب الشاعر يقول: لقد حضرت عند عبد العزيز سبيا من البربر ما رأيت قط وجوها أحسن من وجوههم.

قال ابن الكلبى: ولى هشام كلثوم بن عياض بن وحوح القشيرى إفريقية فانتقض أهلها عليه فقتل بها، و قال ابن الكلبى: كان أفريقيس بن قيس بن صيفى الحميرى غلب على إفريقية فى الجاهلية فسميت به و هو الذى قتل جرجير ملكها فقال للبرابرة: ما أكثر بربرة هؤلاء فسموا البرابرة.

و حدثنى جماعة من أهل إفريقية عن أشياخهم أن عقبة بن نافع الفهرى لما أراد تمصير القيروان فكر فى موضع المسجد منه فأرى فى منامه كأن رجلا أذن فى الموضع الذى جعل فيه مئذنته، فلما أصبح بنى المنابر فى موقف الرجل ثم بنى المسجد.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، قال: ولى محمد بن الأشعث الخزاعى إفريقية من قبل أبى العباس أمير المؤمنين فرم مدينة القيروان و مسجدها ثم عزله المنصور و ولى عمر بن حفص هزار مرد مكانه

.

فتوح البلدان، ص: ۲۲۸

فتح طنجة

قال الواقدی: وجه عبد العزیز بن مروان موسی بن نصیر مولی بنی أمیة و أصله من عین التمر، و یقال: بل هو من أراشة من بلی و یقال هو من لخم والیا علی إفریقیة، و یقال: بل ولیها فی زمن الولید بن عبد الملک سنة تسع و ثمانین ففتح طنجة و نزلها، و هو أول من نزلها و اختط فیها للمسلمین و انتهت خیله إلی السوس الأدنی و بینه و بین السوس الأقصی نیف و عشرون یوما فوطئهم و سبی منهم و أدوا إلیه الطاعة و قبض عامله منهم الصدقة ثم ولاها طارق بن زیاد مولاه و انصرف إلی قیروان إفریقیة.

فتح الأندلس

قال الواقدی: غزا طارق بن زیاد عامل موسی بن نصیر الأندلس و هو أول من غزاها و ذلک فی سنة اثنتین و تسعین فلقیه ألیان و هو وال علی مجاز الأندلس فآمنه طارق علی أن حمله و أصحابه إلی الأندلس فی السفن، فلما صار إلیها حاربه أهلها ففتحها و ذلک فی سنة اثنتین و تسعین، و کان ملکها فیما یزعمون من الأشبان و أصلهم من أصبهان، ثم أن موسی بن نصیر کتب إلی طارق کتابا غلیظا لتغریره بالمسلمین و افتتانه علیه بالرأی فی غزوه و أمر أن لا یجاوز قرطبة و سار موسی إلی قرطبة من الأندلس فترضاه طارق فرضی عنه فافتتح طارق مدینة طلیطلة و هی مدینة مملکة الأندلس و هی مما یلی فرنجة و أصاب بها مائدة عظیمة أهداها موسی بن نصیر إلی الولید بن عبد الملک بدمشق حین قفل سنة ست و تسعین و الولید مریض، فلما ولی سلیمان بن عبد الملک أخذ موسی بن نصیر بمائة ألف دینار فکلمه فیه یزید بن المهلب فأمسک عنه، ثم لما کانت خلافة عمر بن عبد العزیز رضی اللّه عنه ولی المغرب إسماعیل بن عبد اللّه

فتوح البلدان، ص: ۲۲۹

بن أبی المهاجر مولی بنی مخزوم، فسار أحسن سیره و دعی البربر إلی الإسلام و کتب إلیهم عمر بن عبد العزیز کتبا یدعوهم بعد إلی ذلک فقرأها إسماعیل علیهم فی النواحی فغلب الإسلام علی المغرب.

قالوا: و لما ولی یزید بن عبد الملک ولی یزید بن أبی مسلم مولی الحجاج ابن یوسف إفریقیة و المغرب، فقدم إفریقیة فی سنة اثنتین و مائة و کان حرسه البربر فوسم کل امرئ منهم علی یده حرسی، فأنکروا ذلک و ملوا سیرته فدب بعضهم إلی بعض و تضافروا علی قتله فخرج ذات عشیة لصلاة المغرب فقتلوه فی مصلاه فولی یزید بشر بن صفوان الکلبی فضرب عنق عبد اللّه بن موسی بن نصیر بیزید، و ذلک أنه اتهم بقتله و تألیب الناس علیه، ثم ولی هشام بن عبد الملک بشر بن صفوان أیضا فتوفی بالقیروان سنة تسع و مائة فولی مکانه عبیدة بن عبد الرحمن القیسی، ثم استعمل بعده عبد اللّه بن الحبحاب مولی بنی سلول فأغزی عبد الرحمن بن حبیب بن أبی عبیدة بن عقبة بن نافع الفهری السوس و أرض السودان فظفر ظفرا لم یر أحد مثله قط، و أصاب جاریتین من نساء ما هناک لیس للمرأة منهن إلا ثدی واحد و هم یسمون تراجان ثم ولی بعد ابن الحبحاب کلثوم بن عیاض القشیری فقدم إفریقیة فی سنة ثلاث و عشرین فقتل، ثم ولی بعده حنظلة بن صفوان الکلبی أخا بشر بن صفوان فقاتل الخوارج و توفی هناک و هو وال، و قام الولید بن یزید بن عبد الملک فخالف علیه عبد الرحمن بن حبیب الفهری و کان محببا فی ذلک الثغر لما کان من آثار جده عقبه بن نافع فیه فغلب علیه و انصرف عنه حنظلة فبقی عبد الرحمن علیه، و ولی یزید بن الولید الخلافة فلم یبعث إلی المغرب عاملا و قام مروان بن محمد فکاتبه عبد الرحمن بن حبیب و أظهر له الطاعة و بعث إلیه بالهدایا، و کان کاتبه خالد بن ربیعة الإفریقی. و کان بینه و بین عبد الحمید بن یحیی مودة و مکاتبة فأقر مروان

فتوح البلدان، ص: ۲۳۰

عبد الرحمن على الثغر ثم ولى بعده الياس بن حبيب ثم حبيب بن عبد الرحمن ثم غلب البربر و الإباضية من الخوارج، ثم دخل محمد بن الأشعث الخزاعى إفريقية واليا عليها فى آخر خلافة أبى العباس فى سبعين ألفا و يقال فى أربعين ألفا فوليها أربع سنين فرم مدينة القيروان، ثم وثب عليه جند البلد و غيرهم، و سمعت من تحدث أن أهل البلد و الجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوما و هو فى قصره حتى اجتمع إليه أهل الطاعة ممن كان شخص معه من أهل خراسان و غيرهم و ظفر بمن حاربه و عرضهم على الأسماء، فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسما موافقا لأسماء بنى أمية قتله، و من كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور. و ولى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صفرة العتكى، و هو الذى سمى هزار مرد، و كان المنصور به معجبا فدخل إفريقية و غزا منها حتى بلغ أقصى بلاد البربر و ابتنى هناك مدينة سماها العباسية، ثم أن أبا حاتم السدراتى الإباضى من أهل سدراتة و هو مولى لكندة قاتله فاستشهد و جماعة من أهل بيته و انتقض الثغر و هدمت تلك المدينة التى ابتناها، و ولى بعد هزار مرد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، فخرج فى خمسين ألفا، و شيعه أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدس و أنفق عليه مالا عظيما فسار يزيد حتى لقى أبا حاتم باطرابلس فقتله و دخل إفريقية فاستقامت له، ثم ولى بعد يزيد بن حاتم روح بن حاتم ثم الفضل بن روح فوثب الجند عليه فذبحوه.

و حدثنى أحمد بن ناقد مولى بنى الأغلب، قال: كان الأغلب بن سالم التميمى من أهل مرو الروز فيمن قدم مع المسودة من خراسان فولاه موسى الهادى المغرب فجمع له حريش، و هو رجل كان من جند الثغر من تونس جمعا، و سار إليه و هو بقيروان إفريقية فحصره، ثم أن الأغلب خرج إليه

فتوح البلدان، ص: ۲۳۱

فقاتله فأصابه فى المعركة سهم فسقط ميتا و أصحابه لا يعلمون بمصابه و لم يعلم به أصحاب حريش، ثم أن حريشا انهزم و جيشه فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثة أيام فقتلوهم و قتلوا حريشا بموضع يعرف بسوق الأجد فسمى الأغلب الشهيد، قال: و كان ابراهيم بن الأغلب من وجوه جند مصر فوثب و اثنا عشر رجلا معه فأخذوا من بيت المال مقدار أرزاقهم لم يزدادوا على ذلك شيا و هربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب، و هو من القيروان على مسيرة أكثر من عشرة أيام، و عامل الثغر يومئذ من قبل الرشيد هارون هرثمة ابن أعين و اعتقد ابراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند و غيرهم الرياسة و أقبل يهدى إلى هرثمة و يلاطفه و يكتب إليه يعلمه أنه لم يخرج يدا من طاعة و لا اشتمل على معصية و أنه إنما دعاه إلى ما كان منه الإحواج و الضرورة فولاه هرثمة ناحيته و استكفاه أمرها، فلما صرف هرثمة من الثغر وليه بعده ابن العكى فساء أثره فيه حتى انتقض عليه فاستشار الرشيد هرثمة فى رجل يوليه إياه و يقلده أمره فأشار عليه باستصلاح ابراهيم و اصطناعه و توليته الثغر فكتب إليه الرشيد يعلمه أنه قد صفح له عن جرمه و أقاله هفوته و رأى توليته بلاد المغرب اصطناعا له ليستقبل به الإحسان و يستقبل به النصيحة، فولى ابراهيم ذلك الثغر و قام به و ضبطه، ثم أن رجلا من جند البلد يقال له عمران بن مجالد خالف و نقض فانضم إليه جند الثغر و طلبوا أرزاقهم و حاصروا ابراهيم بالقيروان فلم يلبثوا إن أتاهم العراض و المعطون و معهم مال من خراج مصر فلما أعطوا تفرقوا فابتنى ابراهيم القصر الأبيض الذى فى قبلة القيروان على ميلين منها و خط للناس حوله فابتنوا و مصر ما هناك و بنى مسجدا جامعا بالجص و الآجر و عمد الرخام و سقفه بالأردن و جعله مائتى ذراع فى نحو مائتى ذراع و ابتاع عبيدا أعتقهم فبلغوا خمسة آلاف و أسكنهم حوله و سمى تلك المدينة العباسية و هى اليوم آهلة عامرة.

فتوح البلدان، ص: ۲۳۲

و كان محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب أحدث فى سنة تسع و ثلاثين و مائتان مدينة بقرب تاهرت سماها العباسية أيضا فأخربها أفلح بن عبد الوهاب الإباضى، و كتب إلى الأموى صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقربا إليه به فبعث إليه الأموى مائة ألف

درهم.

و بالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة و بينها و بين برقة مسيرة خمسة عشر يوما أو أقل من ذلك قليلا أو أكثر قليلا و بها مدينة على شاطئ البحر تدعى بارة، و كان أهلها نصارى و ليسوا بروم غزاها حبلة مولى الأغلب فلم يقدر عليها، ثم غزاها خلفون البربرى، و يقال: أنه مولى لربيعة ففتحها فى أول خلافة المتوكل على اللّه، و قام بعده رجل يقال له المرج بن سلام ففتح أربعة و عشرين حصنا و استولى عليها و كتب إلى صاحب البريد بمصر يعلمه خبره و أنه لا يرى لنفسه و من معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الامام على ناحيته و يوليه إياها ليخرج من حد المتغلبين، و بنى مسجدا جامعا، ثم أن أصحابه شغبوا عليه فقتلوه، و قام بعده سوران فوجه رسوله إلى أمير المؤمنين المتوكل على اللّه يسأله عقدا و كتاب ولاية، فتوفى قبل أن ينصرف رسوله إليه و توفى المنتصر باللّه.

و كانت خلافته ستة أشهر، و قام المستعين باللّه أحمد بن محمد بن المعتصم باللّه فأمر عامله على المغرب و هو أو تامش مولى أمير المؤمنين بأن يعقد له على ناحيته فلم يشخص رسوله من سر من رأى حتى قتل أو تامش و ولى الناحية و صيف مولى أمير المؤمنين فعقد له و أنفذه

.

فتوح البلدان، ص: ۲۳۳

فتح جزائر فى البحر

قالوا: غزا معاوية بن حديج الكندى أيام معاوية بن أبى سفيان سقلية و كان أول من غزاها و لم تزل تغزى بعد ذلك، و قد فتح آل الأغلب بن سالم الإفريقى منها نيفا و عشرين مدينة و هى فى أيدى المسلمين، و فتح احمد بن محمد بن الأغلب منها فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه قصريانه و حصن غليانة، و قال الواقدى: سبى عبد اللّه بن قيس بن مخلد الدزقى سقلية فأصاب أصنام ذهب و فضة مكالمة بالجوهر فبعث بها إلى معاوية فوجه بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند فتباع هناك ليثمن بها، قالوا: و كان معاوية بن أبى سفيان يغزى برا و بحرا فبعث جنادة بن أبى أمية الأزدى إلى رودس و جنادة أحد من روى عنه الحديث و لقى أبا بكر و عمرو معاذ بن جبل و مات فى سنة ثمانين ففتحها عنوة، و كانت غيضة فى البحر و أمره معاوية فأنزلها قوما من المسلمين و كان ذلك فى سنة اثنتين و خمسين، قالوا:

و رودس من أخصب الجزائر و هى نحو ستين ميلا فيها الزيتون و الكروم و الثمار و المياه العذبة.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى و غيره، قالوا: أقام المسلمون برودس سبع سنين فى حصن اتخذ لهم، فلما مات معاوية كتب يزيد إلى جنادة يأمره بهدم الحصن و القفل، و كان معاوية يعاقب بين الناس فيها و كان مجاهد بن جبر مقيما بها يقرئ الناس القرآن، و فتح جنادة بن أبى أمية فى سنة أربع و خمسين أرواد و أسكنها معاوية المسلمين، و كان ممن فتحها مجاهد و تبيع بن امرأة كعب الأحبار و بها أقرأ مجاهد تبيعا القرآن، و يقال: أنه أقرأه القرآن برودس و أرواد جزيرة بالقرب من القسطنطينية، و غزا جنادة اقريطش، فلما كان زمن الوليد فتح بعضها ثم أغلق و غزاها حميد بن معيوق الهمدانى فى خلافة

فتوح البلدان، ص: ۲۳۴

الرشيد ففتح بعضها، ثم غزاها فى خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالأقريطشى و افتتح منها حصنا واحدا و نزله، ثم لم يزل يفتح شيئا بعد شىء حتى لم يبق فيها من الروم أحد و أخرب حصونهم.

صلح التوبة

حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى محمد بن عمر الواقدى عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير، قال: لما فتح

المسلمون مصر بعث عمرو بن العاصی إلی القری التی حولها الخیل لیطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهری، و کان نافع أخا العاصی لأمه فدخلت خیولهم أرض النوبة کما تدخل صوائف الروم فلقی المسلمون بالنوبة قتالا شدیدا لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتی جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات کثیرة و حدق مفقوءة فسموا رماة الحدق فلم یزالوا علی ذلک حتی ولی مصر عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح فسألوه الصلح و الموادعة فأجابهم إلی ذلک علی غیر جزیة لکن علی هدیة ثلاثمائة رأس فی کل سنة و علی أن یهدی المسلمون إلیهم طعاما بقدر ذلک.

حدثنی محمد بن سعد، قال: حدثنی الواقدی، قال: حدثنا ابراهیم بن جعفر عن عمرو بن الحارث عن أبی قبیل حیی بن هانی المعافری عن شیخ من حمیر، قال: شهدت النوبة مرتین فی ولایة عمر بن الخطاب فلم أر قوما أحد فی حرب منهم لقد رأیت أحدهم یقول: للمسلم: این تحب أن أضع سهمی منک فربما عبث الفتی منا فقال فی مکان کذا فلا یخطئه کانوا یکثرون الرمی بالنبل فما یکاد یری من نبلهم فی الأرض شیء فخرجوا إلینا ذات یوم فصافونا و نحن نرید أن نجعلها حملة واحدة بالسیوف فما قدرنا علی معالجتهم رمونا حتی ذهبت الأعین فعدت مائة و خمسین عینا مفقودة، فقلنا: مالها ولاء خیر من

فتوح البلدان، ص: ۲۳۵

الصلح إن سلبهم لقلیل و إن نکایتهم لشدیدة، فلم یصالحهم عمرو و لم یزل یکالبهم حتی نزع و ولی عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح فصالحهم، قال الواقدی:

و بالنوبة ذهبت عین معاویة بن حدیج الکندی و کان أعور.

حدثنا أبو عبید القاسم بن سلام، قال. حدثنا عبد اللّه بن صالح عن ابن لهیعة عن یزید بن أبی حبیب، قال: لیس بیننا و بین الأساود عهد و لا میثاق إنما هی هدنة بینا و بینهم علی إن نعطیهم شیئا من قمح و عدس و یعطونا رقیقا فلا بأس بشراء رقیقهم منهم أو من غیرهم.

حدثنا أبو عبید عن عبد اللّه بن صالح عن اللیث بن سعد، قال: إنما الصلح بیننا و بین النوبة علی أن لا نقاتلهم و لا یقاتلونا و أن یعطونا رقیقا و نعطیهم بقدر ذلک طعاما فإن باعوا نساءهم و أبناءهم لم أر بذلک بأسا أن یشتری، و من روایة أبی البحتری و غیره أن عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح صالح أهل النوبة علی أن یهدوا فی السنة أربعمائة رأس یخرجوا بها یأخذون بها طعاما.

و کان المهدی أمیر المؤمنین أمر بالزام النوبة فی کل سنة ثلاثمائة رأس و ستین رأسا و زرافة علی أن یعطوا قمحا و خل خمر و ثیابا و فرشا أو قیمته، و قد ادعوا حدیثا أنه لیس یجب علیهم البقط لکل سنة و انهم کانوا طولبوا بذلک فی خلافة المهدی فرفعوا إلیه أن هذا البقط مما یأخذون من رقیق أعدائهم فإذا لم یجدوا منه شیئا عادوا علی أولادهم فأعطوا منهم فیه بهذه العدة فأمر بأن یحملوا فی ذلک علی أن یؤخذ منهم لکل ثلاث سنین بقط سنة و لم یوجد لهذه الدعوی ثبت فی دواوین الحضرة و وجد فی الدیوان بمصر، و کان المتوکل علی اللّه أمر بتوجیه رجل یقال له محمد بن عبد اللّه و یعرف بالقمی إلی المعدن بمصر والیا علیه و ولاه القلزم، و طریق الحجاز، و بذرقة حاج مصر، فلما وافی المعدن حمل المیرة من القلزم إلی بلاد البجة. و وافی ساحلا یعرف بعیذاب

فتوح البلدان، ص: ۲۳۶

فوافته المراکب هناک فاستعان بتلک المیرة و تقوتها و من معه حتی وصل إلی قلعة ملک البجة فناهضه و کان فی عدة یسیرة، فخرج إلیه البجوی فی الدهم علی إبل محزمة فعمد القمی إلی الأجراس فقلدها الخیل، فلما سمعت الإبل أصواتها تقطعت بالبجویین فی الأودیة و الجبال و قتل صاحب البجة، ثم قام من بعده ابن أخته و کان أبوه أحد ملوک البجویین و طلب الهدنة فأبی المتوکل علی اللّه ذلک إلا أن یطأ بساطه فقدم سر من رأی فصولح فی سنة إحدی و أربعین و ثلاثمائة علی أداء الاتاوة و البقط ورد مع القمی فأهل البجة علی الهدنة یؤدون و لا یمنعون المسلمین من العمل فی معدن الذهب و کان ذلک فی الشرط علی صاحبهم

فتوح البلدان، ص: ۲۳۷

أمر القراطيس

قالوا: كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من أرض مصر و يأتى العرب من قبل الروم الدنانير. فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رؤس الطوامير من قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ و غيرها من ذكر اللّه فكتب إليه ملك الروم أنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه فإن تركتموه و إلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه. قال: فكبر ذلك فى صدر عبد الملك فكره إن يدع سنة حسنة سنها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فقال له: يا أبا هاشم إحدى بنات طبق و أخبره الخبر، فقال: افرخ روعك يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها و أضرب للناس سككا، و لا

فتوح البلدان، ص: ۲۳۸

تعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير، فقال عبد الملك: فرجتها عنى فرج اللّه عنك و ضرب الدنانير. قال عوانة بن الحكم و كانت الأقباط تذكر المسيح فى رؤس الطوامير و تنسبه إلى الربوبية تعالى اللّه علوا كبيرا، و تجعل الصليب مكان بسم اللّه الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره و اشتد عليه تغير عبد الملك ما غيره، و قال المدائنى، قال مسلمة بن محارب: أشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم و منع من التعامل بها و أن يدخل بلاد الروم شىء من القراطيس فمكث حينا لا يحمل إليهم.

فتوح سواد العراق (خلافة أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه)

قالوا: و كان المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم الشيبانى يغير على السواد فى رجال من قومه فبلغ أبا بكر الصديق رضى اللّه عنه خبره فسأل عنه، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقرى: هذا رجل غير خامل الذكر، و لا مجهول النسب، و لا ذليل العماد: هذا المثنى بن حارثة الشيبانى، ثم أن المثنى قدم على أبى بكر، فقال له يا خليفة رسول اللّه استعملنى على من أسلم من قومى أقاتل هذه الأعاجم من أهل فارس، فكتب له أبو بكر فى ذلك عهدا، فسار حتى نزل خفان و دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا، ثم أن أبا بكر رضى اللّه عنه كتب إلى خالد بن الوليد المخزومى يأمره بالمسير إلى العراق، و يقال: بل وجهه من المدينة، و كتب أبو بكر إلى المثنى بن حارثة يأمره بالسمع و الطاعة له و تلقيه، و كان مذعور بن عدى العجلى قد كتب إلى أبى بكر يعلمه حاله و حال قومه و يسأله توليته قتال الفرس، فكتب إليه يأمره بأن ينضم إلى خالد فيقيم معه إذا أقام و يشخص إذا شخص، فلما نزل خالد النباج لقيه المثنى بن حارثة بها

فتوح البلدان، ص: ۲۳۹

و أقبل خالد حتى أتى البصرة و بها سويد بن قطبة الذهلى، و قال غير أبى مخنف كان بها قطبة بن قتادة الذهلى، من بكر بن وائل و معه جماعة من قومه و هو يريد أن يفعل بالبصرة مثل فعل المثنى بالكوفة، و لم تكن الكوفة يومئذ إنما كانت الحيرة، فقال سويد لخالد: إن أهل الابلة قد جمعوا لى و لا أحسبهم امتنوا منى إلا لمكانك، قال له خالد فالرأى إن أخرج من البصرة نهارا ثم أعود ليلا فأدخل عسكرك بأصحابى فإن صبحوك حاربناهم ففعل خالد ذلك و توجه نحو الحيرة، فلما جن عليه الليل انكفأ راجعا حتى صار إلى عسكر سويد فدخله بأصحابه و أصبح الأبليون و قد بلغهم انصراف خالد عن البصرة فأقبلوا نحو سويد، فلما رأوا كثرة من فى عسكره سقط فى أيديهم و انكسروا، فقال خالد: احملوا عليهم فإنى أرى هيئة قوم قد ألقى اللّه فى قلوبهم الرعب، فحملوا عليهم فهزموهم و قتل اللّه منهم بشرا، و غرق طائفة فى دجلة البصرة، ثم مر خالد بالخريبة ففتحها و سبى من فيها، و استخلف بها فيما ذكر الكلبى شريح بن عامر بن قين من بنى سعد بن بكر بن هوازن، و كانت مسلحة للعجم، و يقال أيضا: أنه أتى النهر الذى يعرف بنهر المرأة فصالح أهله، و أنه قاتل جمعا بالمذار، ثم سار يريد الحيرة و خلف سويد بن قطبة على ناحيته، و قال له: قد عركنا هذه الأعاجم بناحيتك عركة أذاتهم لك.

و قد روى أن خالدا لما كان بناحية اليمامة كتب إلى أبى بكر يستمده فأمده بجرير بن عبد اللّه البجلى فلقيه جرير منصرفا من اليمامة فكان معه و واقع صاحب المذار بأمره و اللّه أعلم.

و قال الواقدى: و الذى عليه أصحابنا من أهل الحجاز أن خالدا قدم المدينة من اليمامة ثم خرج منها إلى العراق على فيد و الثعلبية ثم أتى الحيرة.

فتوح البلدان، ص: ۲۴۰

قالوا: و مر خالد بن الوليد بزندورد من كسكر فافتتحها و افتتح درتا و ذواتها بأمان بعد أن كانت من أهل زندورد مراماة للمسلمين ساعة، و أتى هرمزجرد فآمن أهلها أيضا و فتحها، و أتى أليس فخرج إليه جابان عظيم العجم فقدم إليه المثنى بن حارثة الشيبانى فلقيه بنهر الدم، و صالح خالد أهل أليس على أن يكونوا عيونا للمسلمين على الفرس و أدلاء و أعوانا.

و أقبل خالد إلى مجتمع الأنهار فلقيه أراذبه صاحب مسالح كسرى فيما بينه و بين العرب فقاتله المسلمون و هزموه، ثم نزل خالد خفان، و يقال: بل سار قاصدا إلى الحيرة فخرج إليه عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان ابن بقيلة، و اسم بقيلة الحارث و هو من الأزد، و هانئ بن قبيصة بن مسعود الشيبانى و إياس بن قبيصة الطائى، و يقال فروة بن إياس، و كان إياس عامل كسرى أبرويز على الحيرة بعد النعمان بن المنذر فصالحوه على مائة ألف درهم، و يقال على ثمانين ألف درهم فى كل عام، و على أن يكونوا عيونا للمسلمين على أهل فارس، و أن لا يهدم لهم بيعة و لا قصرا، و روى أبو مخنف عن أبى المثنى الوليد بن القطامى و هو الشرقى بن القطامى الكلبى:

أن عبد المسيح استقبل خالدا و كان كبير السن، فقال له خالد: من أين أقصى أثرك يا شيخ، فقال: من ظهر أبى، قال: فمن أين خرجت، قال:

من بطن أمى، قال: ويحك فى أى شىء أنت، قال: فى ثيابى، قال: ويحك على أى شىء أنت، قال: على الأرض، قال: أ تعقل قال: نعم و أقيد، قال: ويحك إنما أكلمك بكلام الناس، قال: و أنا إنما أجيبك جواب الناس، قال أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم، قال: فما هذه الحصون، قال: بنيناها للسفيه حتى يجىء الحليم، ثم تذاكرا الصلح فاصطلحا على مائة ألف يؤدونها فى كل سنة فكان الذى أخذ منهم أول مال حمل إلى المدينة من

فتوح البلدان، ص: ۲۴۱

العراق، و اشترط عليهم أن لا يبغوا المسلمين غائلة، و أن يكونوا عيونا على أهل فارس و ذلك فى سنة اثنتى عشرة.

و حدثنى الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم، قال: سمعت ان أهل الحيرة كانوا ستة آلاف رجل فألزم كل رجل منهم أربعة عشر درهما وزن خمسة فبلغ ذلك أربعة و ثمانين ألفا وزن خمسة تكون ستين وزن سبعة، و كتب لهم بذلك كتابا قد قرأته، و روى عن يزيد بن نبيشة العامرى أنه قال: قدمنا العراق مع خالد بن الوليد فانتهينا إلى مسلحة العذيب، ثم أتينا الحيرة و قد تحصن أهلها فى القصر الأبيض و قصر ابن بقيلة قصر العدسيين فأجلنا الخيل فى عرصاتهم ثم صالحونا، قال ابن الكلبى: العدسيون من كلب نسبوا إلى أمهم و هى كلبية أيضا.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن ابن مجالد عن أبيه عن الشعبى أن خريم ابن أوس بن حارثة بن لام الطائى قال للنبىّ صلى اللّه عليه و سلم: إن فتح اللّه عليك الحيرة فأعطنى ابنة بقيلة، فلما أراد خالد صلح أهل الحيرة، قال له خريم. إن النبى صلى اللّه عليه و سلم جعل لى بنتى بقيلة فلا تدخلها فى صلحك و شهد له بشير بن سعد، و محمد بن مسلمة الأنصاريان فاستثناها فى الصلح و دفعها إلى خريم فاشتريت منه بألف درهم، و كانت عجوزا قد حالت عن عهده فقيل له ويحك لقد أرخصتها كان أهلها يدفعون إليك أضعاف ما سألت بها فقال. ما كنت أظن عددا يكون أكثر من عشر مائة، و قد جاء فى الحديث أن الذى سأل النبى صلى اللّه عليه و سلم بنت بقيلة رجل من ربيعة، و الأول أثبت، قالوا: و بعث خالد بن الوليد بشير بن سعد أبا النعمان بن بشير الأنصارى إلى بانقيا فلقيته خيل

الأعاجم علیها فرخبنداذ فرشقوا من معه بالسهام و حمل علیهم فهزمهم و قتل فرخبنداذ،

فتوح البلدان، ص: ۲۴۲

ثم انصرف و به جراحة انتقضت به و هو بعین التمر فمات منها، و یقال: إن خالدا لقی فرخبنداذ بنفسه و بشیر معه ثم بعث خالد جریر بن عبد اللّه البجلی إلی أهل بانقیا فخرج إلیه بصهری بن صلوبا فاعتذر إلیه من القتال و عرض الصلح فصالحه جریر علی ألف درهم و طیلسان، و یقال: أن ابن صلوبا أتی خالدا فاعتذر إلیه و صالحه هذا الصلح، فلما قتل مهران و مضی یوم النخیلة أتاهم جریر فقبض منهم و من أهل الحیرة صلحهم و کتب لهم کتابا بقبض ذلک، و قوم ینکرون أن یکون جریر بن عبد اللّه قدم العراق إلا فی خلافة عمر بن الخطاب، و کان أبو مخنف و الواقدی یقولان: قدمها مرتین. قالوا:

و کتب خالد لبصبهری بن صلوبا کتابا و وجه إلی أبی بکر بالطیلسان مع مال الحیرة و بالألف درهم فوهب الطیلسان للحسین بن علی رضی اللّه عنهما.

و حدثنی أبو نصر التمار، قال: حدثنا شریک بن عبد اللّه النخعی عن الحجاج بن أرطاة عن الحکم عن عبد الله بن مغفل المزنی، قال: لیس لأهل السواد عهد إلا الحیرة و ألیس و بانقیا.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن المفضل بن المهلهل عن منصور عن عبید اللّه بن الحسن أو أبی الحسن عن ابن مغفل، قال: لا یصلح بیع أرض دون الجبل إلا أرض بنی صلوبا و أرض الحیرة.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن الحسن بن صالح عن الأسود بن قیس عن أبیه، قال انتهینا إلی الحیرة فصالحناهم علی کذا و کذا و رحل، قال. فقلت و ما صنعتم بالرحل، قال لم یکن لصاحب منا رحل فأعطیناه إیاه.

و حدثنا أبو عبید، قال: حدثنا ابن أبی مریم عن السری بن یحیی عن حمید بن هلال أن خالدا لما نزل الحیرة صالح أهلها و لم یقاتلوا، و قال ضرار

فتوح البلدان، ص: ۲۴۳

ابن الأزور الأسدی:

أرقت ببانقیا و من یلق مثل مالقیت ببانقیا من الجرح یأرق

و قال الواقدی. المجتمع علیه عند أصحابنا أن ضرارا قتل بالیمامة، قالوا.

و أبی خالد الفلالیج منصرفة من بانقیا و بها جمع للعجم فتفرقوا و لم یلق کیدا فرجع إلی الحیرة فبلغه أن جابان فی جمع عظیم بتستر فوجه إلیه المثنی بن حارثة الشیبانی و حنظلة بن الربیع بن رباح الأسیدی من بنی تمیم، و هو الذی یقال له حنظلة الکاتب، فلما انتهیا إلیه هرب و سار خالد إلی الأنبار فتحصن أهلها، ثم أتاه من دله علی سوق بغداد و هو السوق العتیق الذی کان عند قرن الصراة فبعث خالد المثنی بن حارثة فأغار علیه فملأ المسلمون أیدیهم من الصفراء و البیضاء و ما خف محمله من المتاع ثم باتوا بالسیلحین و أتوا الأنبار و خالد بها فحصروا أهلها و حرقوا فی نواحیها، و إنما سمیت الأنبار لأن إهراء العجم کانت بها، و کان أصحاب النعمان و صنائعه یعطون أرزاقهم منها، فلما رأی أهل الأنبار ما نزل بهم صالحوا خالد علی شیء رضی به فأقرهم، و یقال أن خالدا قدم المثنی إلی بغداد ثم سار بعده فتولی الغارة علیها ثم رجع إلی الأنبار، و لیس ذلک بثبت.

و حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنی یحیی بن آدم قال: حدثنا الحسن بن صالح عن جابر عن الشعبی أنه قال: لأهل الأنبار عهد و عقد.

و حدثنی مشایخ من أهل الأنبار أنهم صالحوا فی خلافة عمر رحمه اللّه علی طسوجهم علی أربعمائة ألف درهم و ألف عباءة قطوانیة فی کل سنة و تولی الصلح جریر بن عبد اللّه البجلی، و یقال: صالحهم علی ثمانین ألفا و اللّه أعلم.

قالوا: و فتح جریر بوازیج الأنبار و بها قوم من موالیه، قالوا: و أتی خالد بن الولید رجل دله علی سوق یجتمع فیها کلب و بکر بن وائل

و طوائف

فتوح البلدان، ص: ۲۴۴

من قضاعة فوق الأنبار، فوجه إليها المثنى بن حارثة فأغار عليها فأصاب ما فيها و قتل و سبى، ثم أتى خالد عين التمر فألصق بحصنها و كانت فيه مسلحة للأعاجم عظيمة فخرج أهل الحصن فقاتلوا، ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد و المسلمون حتى سألوا الأمان فأبى أن يؤمنهم و افتتح الحصن عنوة و قتل و سبى، و وجد فى كنيسة هناك جماعة سباهم فكان من ذلك السبى حمران بن أبان ابن خالد التمرى، و قوم يقولون: كان اسم أبيه أبان و حمران مولى عثمان، و كان للمسيب بن نجبة الفزارى فاشتراه منه فأعتقه، ثم وجهه إلى الكوفة للمسألة عن عامله فكذبه فأخرجه من جواره فنزل البصرة، و سيرين أبو محمد بن سيرين و أخوته، و هم يحيى بن سيرين، و أنس بن سيرين، و معبد بن سيرين و هو أكبر أخوته، و هم موالى أنس بن مالك الأنصارى، و كان من ذلك السبى أيضا أبو عمرة جد عبد الأعلى الشاعر، و يسار جد محمد بن إسحاق صاحب السيرة، و هو مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، و كان منهم مرة أبو عبيد جد محمد بن زيد بن عبيد ابن مرة، و نفيس بن محمد بن زيد بن عبيد بن مرة صاحب القصر عند الحرة ابن محمد هذا و بنوه و يقولون عبيد بن مرة بن المعلى الأنصارى ثم الزرقى، و نصير أبو موسى بن نصير صاحب المغرب، و هو مولى لبنى أمية و له بالثغور موال من أولاد من أعتق يقولون ذلك.

و قال ابن الكلبى: كان أبو فروة عبد الرحمن بن الأسود، و نصير أبو موسى ابن نصير عربيين من أراشة من يلى: سبيا أيام أبى بكر رحمه اللّه من جبل الجليل بالشام، و كان اسم نصير نصرا فصغر و أعتقه بعض بنى أمية فرجع إلى الشام و ولد له موسى بقرية يقال لها كفر مرى و كان أعرج، و قال الكلبى: و قد قيل أنهما أخوان من سبى عين التمر و أن ولاءهما لبنى ضبة.

فتوح البلدان، ص: ۲۴۵

و قال على بن محمد المدائنى يقال: أن أبا فروة و نصيرا كانا من سبى عين التمر فابتاع ناعم الأسدى أبا فروة ثم ابتاعه منه عثمان و جعله يحفر القبور فلما وثب الناس به كان معهم عليه، فقال له: رد المدالم فقال له: أنت أولها ابتعتك من مال الصدقة لتحفر القبور فتركت ذلك، و كان ابنه عبد اللّه ابن أبى فروة من سراة الموالى، و الربيع صاحب المنصور الربيع بن يونس ابن محمد بن أبى فروة، و إنما لقب أبا فروة لفروة كانت عليه حين سبى.

و قد قيل: أن خالدا صالح أهل حصن عين التمر و أن هذا السبى وجد فى كنيسة ببعض الطسوج، و قيل: أن سيرين من أهل جرجرايا، و أنه كان زائرا لقرابة له فأخذ فى الكنيسة معهم.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنى يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح عن أشعب عن الشعبى قال: صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة و أهل عين التمر، و كتب بذلك إلى أبى بكر فأجازه، قال يحيى: فقلت للحسن ابن صالح. أ فأهل عين التمر مثل أهل الحيرة إنما هو شيء عليهم و ليس على أراضيهم شيء فقال نعم.

قالوا: و كان هلال بن عقه بن قيس بن البشر النمرى على النمر بن قاسط بعين التمر فجمع لخالد و قاتله فظفر به فقتله و صلبه، و قال ابن الكلبى كان على التمر يومئذ عقه بن قيس بن البشر بنفسه.

قالوا. و انتقض ببشير بن سعد الأنصارى جرحه فمات فدفن بعين التمر و دفن إلى جنبة عمير بن رئاب بن مهشم بن سعيد بن سهم بن عمرو.

و كان أصابه سهم بعين التمر فاستشهد.

و وجه خالد بن الوليد و هو بعين التمر النسير بن ديسم بن ثور إلى ماء لبنى تغلب فطرقهم ليلا فقتل و أسر، فسأله رجل من الأسرى أن يطلقه على

فتوح البلدان، ص: ۲۴۶

أن يدله على حى من ربيعة ففعل فأتى النسير ذلك الحى فبيتهم فغنم و سبى و مضى إلى ناحية تكريت فى البر فغنم المسلمون.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن محمد بن مروان أن النسير أتى عكبراء فأمن أهلها و أخرجوا لمن معه طعاما و علفا ثم مر بالبردان فأقبل أهلها يعدون من بين أيدى المسلمين، فقال لهم: لا بأس فكان ذلك أمانا، قال: ثم أتى المخرم، قال أبو مسعود: و لم يكن يدعى يومئذ مخرما إنما نزله بعض ولد مخرم بن حزن زياد بن أنس بن الديان الحارثى فسمى به فيما ذكر هشام بن محمد الكلبى، ثم عبر المسلمون جسرا كان معقودا عند قصر سابور الذى يعرف اليوم بقصر عيسى بن على فخرج إليه خرزاد بن ماهبنداذ و كان موكلا به، فقابلوه و هزموه ثم لجوا فأتوا عين التمر، و قال الواقدى. وجه المثنى بن حارثة النسير و حذيفة بن محصن بعد يوم الجسر و بعد انحيازه بالمسلمين إلى خفان و ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب فى خيل، فأوقعا بقوم من بنى تغلب و عبر إلى تكريت فأصاب نعما و شاء، و قال عتاب بن إبراهيم فيما ذكر لى عنه أبو مسعود أن النسير و حذيفة آمنا أهل تكريت و كتبا لهم كتابا أنفذه له عتبة بن فرقد السلمى حين فتح الطيرهان، و الموصل، و ذكر أيضا أن النسير توجه من قبل خالد بن الوليد فأغار على قرى بمسكن و قطربل فغنم منها غنيمة حسنة، قالوا: ثم سار خالد من عين التمر إلى الشام، و قال للمثنى بن حارثة ارجع رحمك اللّه إلى سلطانك فغير مقصر و لا و أن و قال الشاعر:

صبحنا بالكتائب حى بكرو حيا من قضاعة غير ميل

أبحنا دارهم و الخيل تردىبكل سميدع سامى التليل

يعنى من كان فى السوق الذى فوق الأنبار، و قال آخر:

و للمثنى بالعال معركةشاهدها من قبيلة بشر

فتوح البلدان، ص: ۲۴۷

يعنى بالعال الأنبار و قطربل و مسكن و بادوريا، فأراد سوق بغداد:

كتيبة أفزعت بوقعتهاكسرى و كاد الأيوان ينفطر

و شجع المسلمون إذ حذرواو فى صروف التجارب العبر

سهل نهج السبيل فاقتفرواآثاره و الأمور تقتفر

و قال بعضهم حين لقوا خرزاد:

و آل منا الفارسى الحذرهحين لقيناه دوينا المنظره

بكل قباء لحوق مضمرةبمثلها يهزم جمع الكفره

يعنى بالمنظرة تل عقرقوف، و كان شخوص خالد إلى الشام فى شهر ربيع الآخر، و يقال: فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة، و قال قوم أن خالدا أتى دومة من عين التمر ففتحها ثم أقبل إلى الحيرة فمنها مضى إلى الشام و أصح ذلك مضيه من عين التمر.

خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه

قالوا: لما استخلف عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه وجه أبا عبيد بن عمرو ابن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، و هو أبو المختار بن أبى عبيد، إلى العراق فى ألف، و كتب إلى المثنى بن حارثة يأمره بتلقيه و السمع و الطاعة له، و بعث مع أبى عبيد سليط بن عمرو الأنصارى و قال له: لو لا عجلة فيك لوليتك و لكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، فأقبل أبو عبيد لا يمر بقوم من العرب إلا رغبهم فى الجهاد و الغنيمة فصحبه خلق، فلما صار بالعذيب بلغه أن جابان الأعجمى يتستر فى جمع كثير فلقيه فهزم جمعه و أسر منهم، ثم أتى درنى و بها جمع للعجم فهزمهم إلى كسكر و سار الى الجالينوس و هو ببار و سما فصالحه بن الأنذر زعز عن كل رأس على

فتوح البلدان، ص: ۲۴۸

أربعة دراهم على أن ينصرف، و وجه أبو عبيد المثنى إلى زندورد فوجدهم قد نقضوا فحاربهم فظفر و سبى، و وجه عروة بن زيد بن الخيل الطائى إلى الزوابى فصالح دهقانها على مثل صلح باروسما.

يوم قس الناطف و هو يوم الجسر

قالوا: بعث الفرس إلى العرب حين بلغها اجتماعها ذا الحاجب مردانشاه و كان أنوشروان لقبه بهمن لتبركه به و سمى ذا الحاجب لأنه كان يصعب حاجبيه ليرفعهما عن عينه كبرا، و يقال: أن اسمه رستم، فأمر أبو عبيد بالجسر فعقد و أعانه على عقده عهده أهل بانقيا، و يقال: أن ذلك الجسر كان قديما لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد، و ذلك أنه كان معتلا مقطوعا ثم عبر أبو عبيد و المسلمون من المروحة على الجسر فلقوا ذا الحاجب و هو فى أربعة آلاف مدجج و معه فيل، و يقال: عدة فيلة و اقتتلوا قتالا شديدا و كثرت الجراحات و فشت فى المسلمين، فقال سليط بن قيس: يا أبا عبيد قد كنت نهيتك عن قطع هذا الجسر إليهم، و أشرت عليك بالانحياز إلى بعض النواحى و الكتاب إلى أمير المؤمنين بالاستمداد فأبيت، و قاتل سليط حتى قتل، و سأل أبو عبيد: أين مقتل هذه الدابة فقيل خرطومه فحمل فضرب خرطوم الفيل، و حمل عليه أبو محجن بن حبيب الثقفى فضرب رجله فعلقها، و حمل المشركون فقتل أبو عبيد رحمه اللّه، و يقال: أن الفيل برك عليه فمات تحته فأخذ اللواء أخوه الحكم فقتل فأخذ ابنه حبر فقتل ثم أن المثنى بن حارثة أخذه ساعة و انصرف بالناس و بعضهم على حامية بعض، و قاتل عروة بن زيد الخيل يومئذ قتالا شديدا عدل بقتال جماعة، و قاتل أبو زبيد الطائى الشاعر حمية للمسلمين بالغربية، و كان أتى الحيرة فى بعض أموره و كان نصرانيا، و أتى

فتوح البلدان، ص: ۲۴۹

المثنى أليس، فنزلها و كتب إلى عمر بن الخطاب بالخبر مع عروة بن زيد و كان ممن قتل يوم الجسر فيما ذكر أبو مخنف أبو زيد الأنصارى أحد من جمع القرآن على عهد النبى صلى اللّه عليه و سلم، قالوا: و كانت وقعة الجسر يوم السبت فى آخر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة و قال أبو محجن بن حبيب:

أنى تسدت نحونا أم يوسفو من دون مسراها فياف مجاهل

إلى فتية بالطف نيل سراتهمو غودر أفراس لهم و رواحل

مرت على الأنصار وسط رحالهمفقلت لهم هل منكم اليوم قافل

حدثنى أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثنا محمد بن كثير عن زائد عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم، قال: عبر أبو عبيد بانقيافى ناس من أصحابه فقطع المشركون الجسر فأصيب ناس من أصحابه، قال إسماعيل، و قال أبو عمرو الشيبانى: كان يوم مهران فى أول السنة و القادسية فى آخرها.

يوم مهران و هو يوم النخيلة

قال: أبو مخنف و غيره، مكث عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه سنة لا يذكر العراق لمصاب أبى عبيد و سليط، و كان المثنى بن حارثة مقيما بناحية أليس يدعو العرب إلى الجهاد، ثم أن عمر رضى اللّه عنه ندب الناس إلى العراق فجعلوا يتحامونه و يتثاقلون عنه حتى هم أن يغزو بنفسه، و قدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم إلى العراق و رغبهم فى غنائم آل كسرى فردوا الاختيار إليه فأمرهم بالشخوص، و قدم جرير بن عبد اللّه من السراة فى بجيلة فسأل أن يأتى العراق على أن يعطى و قومه ربع ما غلبوا عليه فأجابه عمر إلى ذلك فسار نحو العراق. و قوم يزعمون أنه مر على طريق البصرة و واقع

فتوح البلدان، ص: ۲۵۰

مرزبان المـذار فهزمه، و آخرون يزعمون أنه واقع المرزبان و هو مع خالد بن الوليد، و قوم يقولون أنه سـلك الطريق على فيد و الثعلبة إلى العذيب.

حـدثنى عفان بن مسلم قال حـدثنا حماد بن سـلمة، قال: حدثنا داود بن أبى هند، قال أخبرنى الشـعبى أن عمر وجه جرير بن عبد اللّه إلى الكوفة بعد قتل أبى عبيد أول من وجه قال هل لك فى العراق و انفلك الثلث بعد الخمس؟

قال نعم، قالوا و اجتمع المسـلمون بدير هند فى سنة أربع عشرة و قد هلك شيرويه و ملكت بوران بنت كسرى إلى أن يبلغ يزدجرد بن شهريار فبعث إليهم مهران بن مهر بنداذ الهمذانى فى اثنى عشـر ألفا فأمهل المسلمون له حتى عبر الجسر و صار مما يلى دير الأعور، و روى سـيف أن مهران صار عنـد عبور الجسـر إلى موضع يقال له البويب و هذا الموضع الذى قتل به، و يقال أن جنبتى البويب أفعمت عظامـا حتى اسـتوى و عفـا عليهـا التراب زمان الفتنـة و أنه بإيثار هناك و ذلك ما بين السـكون و بنى سـليم فكان مغيضا للفرات زمن الأكاسرة يصب فى الجوف، و عسكر المسلمين بالنخيلة.

و كان على الناس فيما تزعم بجيلة جرير بن عبد اللّه، و فيما تقول ربيعة المثنى بن حارثة، و قد قيل: أنهم كانوا متسايدين على كل قوم رئيسهم فالتقى المسلمون و عدوهم فأبلى شرحبيل بن السمط الكندى يومئذ بلاء حسنا، و قتل مسعود بن حارثة أخو المثنى بن حارثة، فقال المثنى: يا معشر المسلمين لا يرعكم مصرع أخى فإن مصارع خياركم هكذا، فحملوا حملة رجل واحد محققين صابرين حتى قتل اللّه مهران و هزم الكفرة فاتبعهم المسلمون يقتلونهم فقتل من نجا منهم، و ضارب قرط بن جماح العبدى يومئذ حتى انثنى سيفه و جاء الليل فتناموا إلى عسـكرهم و ذلك فى سـنة أربع عشرة فتولى قتل مهران جرير بن عبد اللّه، و المنذر بن حسان بن ضرار الضبى، فقال: هذا أنا قتلته، و قال هذا أنا قتلته و تنازعا نزاعا شديدا

فتوح البلدان، ص: ۲۵۱

فأخذ المنذر منطقته و أخذ جرير سائر سلبه، و يقال: أن الحصن بن معبد ابن زرارة بن عدس التميمى كان ممن قتله.

ثم لم يزل المسـلمون يشـنون الغارات و يتابعونها فيما بين الحيرة و كسـكر و فيما بين كسـكر و سورا و بربيسـما و صراة جاماسب و ما بين الفلوجتين و النهرين و عين التمر، و أتوا حصن مليقيا و كان منظرة ففتحوه و أجلوا العجم عن مناظر كانت بالطف و كانوا منخوبين قـد وهن سـلطانهم و ضـعف أمرهم و عبر بعض المسـلمين نهر سورا فـأتوا كوثى، و نهر الملـك، و بادوريا، و بلغ بعضـهم كلواذى، و كانوا يعيشون بما ينالون من الغارات، و يقال: أن ما بين مهران و القادسية ثمانية عشر شهرا.

يوم القادسية

قالوا: كتب المسـلمون إلى عمر بن الخطاب رضـى اللّه عنه يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس و يسألونه المدد، فأراد أن يغزو بنفسه و عسـكر لـذلك، فأشار عليه العباس بن عبد المطلب، و جماعة من مشايخ أصـحاب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم بالمقام و توجيه الجيوش و البعوث ففعـل ذلك، و أشار عليه على بن أبى طالب بالمسـير، فقال له: انى قـد عزمت على المقام و عرض على على رضـى اللّه عنه الشـخوص فأباه فأراد عمر توجيه سـعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوى، ثم بدا له فوجه سـعد بن أبى وقاص، و اسم أبى وقـاص مالـك ابن أهيب بن عبـد منـاف بن زهرة بن كلاب، و قال: أنه رجل شـجاع رام و يقال: ان سـعيد بن زيـد بن عمرو كان يومئـذ بالشام غازيا، قالوا: و سار إلى العراق فأقام بالثعلبيـة ثلاثة أشـهر حتى تلاحق به الناس، ثم قدم العزيب فى سـنة خمس عشـرة، و كان المثنى بن حارثة مريضا فأشار عليه بأن يحارب العدو

فتوح البلدان، ص: ۲۵۲

بين القادسية و العذيب ثم اشتد وجعه فحمل إلى قومه فمات فيهم، و تزوج سعد امرأته.

قال الواقدى: توفى المثنى قبل نزول رسـتم القادسية، قالوا: و أقبل رستم و هو من أهل الرى، و يقال بل هو من أهل همذان فنزل برس،

ثم سار فأقام بين الحيرة و السيلحين أربعة أشهر لا يقدم على المسلمين و لا يقاتلهم و المسلمون معسكرون بين العذيب و القادسية، و قدم رستم ذا الحاجب فكان معسكرا بطيزناباذ، و كان المشركون زهاء مائة ألف و عشرين ألفا و معهم ثلاثون فيلا و روايتهم العظمى التى تدعى درفش كابيان، و كان جمع المسلمون ما بين تسعة آلاف إلى عشرة آلاف فإذا احتاجوا إلى العلف و الطعام أخرجوا خيولا فى البر فأغارت على أسفل الفرات، و كان عمر يبعث إليهم من المدينة الغنم و الجزر، قالوا: و كانت البصرة قد مصرت فيما بين يوم النخيلة و يوم القادسية مصرها عتبة بن غزوان، ثم استأذن للحج و خلف المغيرة بن شعبة فكتب عمر بعهده فلم يلبث أن قرف بما قرف به فولى أبا موسى البصرة و أشخص المغيرة إلى المدينة، ثم أن عمر رده و من شهد عليه إلى البصرة، فلما حضر يوم القادسية كتب عمر إلى أبى موسى يأمره بإمداد سعد فأمده بالغيرة فى ثمانمائة و يقال فى أربعمائة فشهدها ثم شخص إلى المدينة فكتب عمر إلى أبى عبيدة بن الجراح فأمد سعدا بقيس ابن هبيرة بن المكشوح المرادى، فيقال: أنه شهد القادسية، و يقال: بل قدم على المسلمين و قد فرغ من حربها و كان قيس فى سبعمائة.

و كان يوم القادسية فى آخر سنة ست عشرة، و قد قيل أن الذى أمدى سعدا بالمغيرة عتبة بن غزوان و أن المغيرة إنما ولى البصرة بعد قدومه من القادسية و أن عمر لم يخرجه من المدينة حين أشخصه إليها لما قرف به إلا واليا على الكوفة.

فتوح البلدان، ص: ۲۵۳

و حدثنى العباس بن الوليد النرسى، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد عن مجلد عن الشعبى، قال: كتب عمر إلى أبى عبيدة ابعث قيس بن مكشوح إلى القادسية فيمن انتدب معه فانتدب معه خلق فقدم متعجلا فى سبعمائة، و قد فتح على سعد فسألوه الغنيمة فكتب إلى عمر فى ذلك فكتب إليه عمر إن كان قيس قدم قبل دفن القتلى فاقسم له نصيبه، قالوا: و أرسل رستم إلى سعد يسأله توجيه بعض أصحابه إليه فوجه المغيرة بن شعبة فقصد قصد سريره ليجلس معه و عليه فمنعته الأساورة من ذلك، و كلمه رستم بكلام كثير، ثم قال له: قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلا ضيق المعاش و شدة الجهد و نحن نعطيكم ما تتشبعون به و نصرفكم ببعض ما تحبون، فقال المغيرة. إن اللّه بعث إلينا نبيه صلى اللّه عليه و سلم فسعدنا بإجابته و اتباعه، و أمرنا بجهاد من خالف ديننا (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ)، و نحن ندعوك إلى عبادة اللّه وحده، و الإيمان بنبيه صلى اللّه عليه و سلم فإن فعلت و إلا فالسيف بيننا و بينكم، فنحر رستم غضبا، ثم قال. و الشمس و القمر لا يرتفع الضحى غدا حتى نقتلكم أجمعين، فقال المغيرة: لا حول و لا قوة إلا بالله و انصرف عنه، و كان على فرس له مهزول و عليه سيف معلوب ملفوف عليه الخرق.

و كتب عمر إلى سعد يأمره بأن يبعث إلى عظيم الفرس قوما يدعونه إلى الإسلام، فوجه عمرو بن معدى كرب الزبيدى، و الأشعث بن قيس الكندى فى جماعة فمروا برستم فأتى بهم، فقال. أين تريدون، قالوا صاحبكم فجرى بينهم كلام كثير حتى قالوا إن نبينا قد وعدنا أن نغلب على أرضكم فدعا بزبيل من تراب، فقال: هذا لكم من أرضنا، فقام عمرو ابن معدى كرب مبادرا فبسط رداءه و أخذ من ذلك التراب فيه و انصرف،

فتوح البلدان، ص: ۲۵۴

فقيل له ما دعاك إلى ما صنعت قال تفاءلت بأن أرضهم تصير إلينا و نغلب عليها، ثم أتوا الملك و دعوه إلى الإسلام فغضب و أمرهم بالانصراف، و قال: لو لا أنكم رسل لقتلتكم، و كتب إلى رستم يعنفه على إنفاذهم إليه.

ثم أن علافة المسلمين و عليها زهرة بن حوية بن عبد اللّه بن قتادة التميمى ثم السعدى، و يقال: كان عليها قتادة بن حوية لقيت خيلا للأعاجم فكان ذلك سبب الوقعة أغاثت الأعاجم خيلها و أغاث المسلمون علافتهم فالتحمت الحرب بينهم و ذلك بعد الظهر، و حمل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فاعتنق عظيما من الفرس فوضعه بين يديه فى السرج، و قال: أنا أبو ثور افعلوا كذا ثم حطم فيلا من الفيلة، و قال الزموا سيوفكم خراطيمها فإن مقتل الفيل خرطومه، و كان سعد قد استخلف على العسكر و الناس خالد بن عرفطة العذرى حليف بنى زهرة لعلة وجدها، و كان مقيما فى قصر العذيب فجعلت امرأته و هى سلمى بنت حفصة من بنى تيم اللّه بن ثعلبة امرة

المثنى بن حارثة تقول: وا مثنياه و لا مثنى للخيل فلطمها، فقالت يا سعد: أ غيرة و جبنا، و كان أبو محجن الثقفى بباضع غربه إليها عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه لشربه الخمر فتخلص حتى لحق بسعد و لم يكن فيمن شخص معه فيما ذكر الواقدى و شرب الخمر فى عسكر سعد فضربه و حبسه فى قصر العذيب فسأل زبراء أم ولد سعد أن تطلقه ليقاتل ثم يعود إلى حديده فأحلفته باللّه ليفعلن إن أطلقته، فركب فرس سعد و حمل على الأعاجم فخرق صفهم و حطم الفيل الأبيض بسيفه و سعد يراه، فقال: أما الفرس ففرسى: و أما الحملة فحملة أبى محجن، ثم أنه رجع إلى حديده، و يقال: ان سلمى بنت حفصة أعطته الفرس. و الأول أصح و أثبت.

فلما انقضى أمر رستم، قال له سعد: و اللّه لأضربتك فى الخمر بعد ما رأيت

فتوح البلدان، ص: ۲۵۵

منك أبدا، قال: و أنا و اللّه فلا شربتها أبد، و أبلى طليحة بن خويلد الأسدى يومئذ و ضرب الجالينوس ضربة قدت مغفره و لم تعمل فى رأسه، و قال قيس بن مكشوح: يا قوم إن منايا الكرام القتل فلا يكونن هؤلاء القلف أولى بالصبر و أسخى نفسا بالموت منكم، ثم قاتل قتالا شديدا و قتل اللّه رستم فوجد بدنه مملوءا ضربا و طعنا فلم يعلم من قاتله، و قد كان مشى إليه عمرو بن معدى كرب، و طليحة بن خويلد الأسدى، و قرط بن جماح العبدى و ضرار بن الأزور الأسدى، و كان الواقدى يقول: قتل ضرار يوم اليمامة و قد قيل أن زهير بن عبد شمس البجلى قتله و قيل أيضا أن قاتله عوام بن عبد شمس و قيل أن قاتله هلال بن علفة التيمى، فكان قتال القادسية يوم الخميس و الجمعة و ليلة السبت و هى ليلة الهرير، و إنما سميت ليلة صفين بها و يقال: أن قيس بن مكشوح لم يحضر القتال بالقادسية و لكنه قدمها و قد فرغ المسلمون من القتال.

و حدثنى أحمد بن سلمان الباهلى عن السهمى عن أشياخه أن سلمان بن ربيعة غزا الشام مع أبى أمامة الصدى بن عجلان الباهلى فشهد مشاهد المسلمين هناك ثم خرج إلى العراق فيمن خرج من المدد إلى القادسية متعجلا فشهد الوقعة و أقام بالكوفة و قتل ببلنجر.

و قال الواقدى فى إسناده. خد قوم من الأعاجم لرأيتهم و قالوا لا نبرح موضعنا حتى نموت فحمل عليهم سلمان بن ربيعة الباهلى فقتلهم و أخذ الراية، قالوا: و بعث سعد خالد بن عرفطة على خيل الطلب فجعلوا يقتلون من لحقوا حتى انتهوا إلى برس و نزل خالد على رجل له بسطام فأكرمه و بره و سمى نهر هناك نهر بسطام و اجتاز خالد بالصراة فلحق جالينوس فحمل عليه كثير بن شهاب الحارثى فطعنه و يقال قتله، و قال ابن الكلبى. قتله

فتوح البلدان، ص: ۲۵۶

زهرة بن حوية السعدى و ذلك أثبت، و هرب الفرس إلى المدائن و لحقوا بيزدجرد و كتب سعد إلى عمر بالفتح و بمصاب من أصيب.

و حدثنى أبو رجاء الفارسى عن أبيه عن جده، قال: حضرت وقعة القادسية و أنا مجوسى، فلما رمتنا العرب بالنبل جعلنا نقول دوك دوك نعنى مغازل فما زالت بنا تلك المغازل حتى أزالت أمرنا، لقد كان الرجل منا يرمى عن القوس الناوكية فما يزيد سهما على أن يتعلق بثوب أحدهم، و لقد كانت النبلة من نبالهم تهتك الدرع الحصينة و الجوسن المضاعف مما علينا.

و قال هشام بن الكلبى: كان أول من قتل أعجميا يوم القادسية ربيعة بن عثمان بن ربيعة أحد بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور و قال طليحة فى يوم القادسية:

أنا ضربت الجالينوس ضربةحين جياد الخيل وسط الكبة

و قال أبو محجن الثقفى حين رأى الحرب:

كفى حزنا أن تدعس الخيل بالفناو أترك قد شدوا على وثاقيا

إذا قمت عنانى الحديد و غلقتمصاريع من دونى تصم المناديا

و قال زهير بن عبد شمس بن عوف البجلى:

أنا زهير و ابن عبد شمس‌أرديت بالسيف عظيم الفرس

رستم ذا النخوة و الدمقس‌أطعت ربى و شفيت نفسى

و قال الأشعث بن عبد الحجر بن سراقة الكلابى و شهد الحيرة و القادسية:

و ما عقرت بالسيلحين مطيتى‌و بالقصر إلا خيفة أن أعيرا

فبئس امرؤ يبأى على برهطه‌و قد ساد أشياخى معدا و حميرا

فتوح البلدان، ص: ۲۵۷

و قال بعض المسلمين يومئذ:

و قاتلت حتى أنزل اللّه نصره‌و سعد بباب القادسية معصم

فرحنا و قد آمت نساء كثيرة‌و نسوة سعد ليس منهن أيم

و قال قيس بن المكشوح و يقال أنها لغيره:

جلبت الخيل من صنعا تردى‌بكل مدجج كالليث سام

إلى وادى القرى فديار كلب‌إلى اليرموك فالبلد الشآمى

و جئنا القادسية بعد شهر‌مسومة دوابرها دوامى

فناهضنا هنالك جمع كسرى‌و أبناء المرازنة الكرام

فلما أن رأيت الخيل جالت‌قصدت لموقف الملك الهمام

فاضرب رأسه فهوى صريعا‌بسيف لا أقل و لا كهام

و قد أبلى الإله هناك خيرا‌و فعل الخير عند اللّه نام

و قال عصام بن المقشعرى:

فلو شهدتنى بالقوادس أبصرت‌جلاد امرئ ماض إذا القوم أحجموا

أضارب بالمخشوب حتى أفله‌و اطعن بالرمح المتل و أقدم

و قال طليحة بن خويلد:

طرقت سليمى أرحل الركب‌إنى اهتديت بسبسب سهب

إنى كلفت سلام بعدكم‌بالغارة الشعواء و الحرب

لو كنت يوم القادسية إذ‌نازلتهم بمهند عضب

أبصرت شداتى و منصرفى‌و إقامتى للطعن و الضرب

و قال بشر بن ربيعة بن عمرو الخثعمى:

ألم خيال من أميمة موهنا‌و قد جعلت أولى النجوم تغور

و نحن بصحراء العذيب و دارها‌حجازية أن المحلى شطير

فتوح البلدان، ص: ۲۵۸ و لا غرو إلا جوبها البيد فى الدجى‌و من دوننا و عن أشم وقور

تحن بباب القادسية ناقتى‌و سعد بن وقاص على أمير

و سعد أمير شره دون خيره‌طويل الشذمى كابى الزناد قصير

تذكر هداك اللّه وقع سيوفنا‌بباب قديس و المكر عسير

عشیة ود القوم لو أن بعضهم‌یعار جناحی طائر فیطیر

قال: و استشهد یومئذ سعد بن عبید الأنصاری فاغتم عمر لمصابه و قال:

لقد کان قتله ینغص علی هذا الفتح.

فتح المدائن

قالوا: مضی المسلمون بعد القادسیة فلما جاوزوا دیر کعب لقیهم النخیرخان إلیها و بدأ فی جمع عظیم من أهل المدائن فاقتتلوا و عانق زهیر بن سلیم الأزدی النخیرخان فسقط إلی الأرض و أخذ زهیر خنجرا کان فی وسط النخیرخان فشق بطنه فقتله، و سار سعد و المسلمون فنزلوا ساباط و اجتمعوا بمدینة بهر سیر و هی المدینة التی فی شق الکوفة فأقاموا تسعة أشهر و یقال ثمانیة عشر شهرا حتی أکلوا الرطب مرتین، و کان أهل تلک المدینة یقاتلونهم فإذا تحاجزوا دخلوها، فلما فتحها المسلمون أجمع یزدجرد بن شهریار ملک فارس علی الهرب فدلی من أبیض المدائن فی زبیل فسماه النبط برزبیلا و مضی إلی حلوان معه وجوه أساورته و حمل معه بیت ماله و خف متاعه و خزانته و النساء و الذراری و کانت السنة التی هرب فیها سنة مجاعة و طاعون عم أهل فارس ثم عبر المسلمون خوضا ففتحوا المدینة الشرقیة.

حدثنی عفان بن مسلم، قال: أخبرنا هشیم، قال: أخبرنا حصین، قال:

أخبرنا أبو وائل، قال: لما انهزم الأعاجم من القادسیة اتبعناهم فاجتمعوا بکوثی

فتوح البلدان، ص: ۲۵۹

فاتبعناهم ثم انتهینا إلی دجلة، فقال المسلمون: ما تنتظرون بهذه النطفة أن نخوضها فخضناها فهزمناهم.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن ابن أبی سبرة عن ابن عجلان عن أبان بن صالح، قال: لما انهزمت الفرس من القادسیة قدم فلهم المدائن فانتهی المسلمون إلی دجلة و هی تطفح بماء لم یر مثله قط و إذا الفرس قد رفعوا السفن و المعابر إلی الجیزة الشرقیة و حرقوا الجسر فاغتم سعد و المسلمون إذ لم یجدوا إلی العبور سبیلا. فانتدب رجل من المسلمین فسبح فرسه و عبر فسبح المسلمون، ثم أمروا أصحاب السفن فعبروا الأثقال. فقالت الفرس: و اللّه ما تقاتلون إلا جنا فانهزموا.

حدثنی عباس بن هشام عن أبیه عن عوانة بن الحکم و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی: حدثنی أبو عمرو بن العلاء، قالا: وجه سعد بن أبی وقاص خالد بن عرفطة علی مقدمته فلم یرد سعد حتی فتح خالد ساباط، ثم قدم فأقام علی الرومیة حتی صالح أهلها علی أن یجلو من أحب منهم و یقیم من أقام علی الطاعة و المناصحة و أداء الخراج و دلاله المسلمین و لا ینطووا لهم علی غش و لم یجد معابر فدل علی مخاضة عند قریة الصیادین فأخاضوها الخیل فجعل الفرس یرمونهم فسلموا غیر رجل من طیء یقال له سلیل بن یزید بن مالک السنبسی لم یصب یومئذ غیره.

حدثنا عبد اللّه بن صالح، قال: حدثنی من أثق به عن المجالد بن سعید عن الشعبی إنه قال: أخذ المسلمون یوم المدائن جواری من جواری کسری جیء بهن من الآفاق فکن تصنعن له فکانت أمی إحداهن، قال: و جعل المسلمون یأخذون الکافور یومئذ فیلقونه فی قدورهم و یظنونه ملحا، قال الواقدی: کان فراغ سعد من المدائن و جلولاء فی سنة ست عشرة

.

فتوح البلدان، ص: ۲۶۰

یوم جلولاء الوقیعة

قالوا: مکث المسلمون بالمدائن أیاما، ثم بلغهم أن یزدجرد قد جمع جمعا عظیما و وجهه إلیهم و أن الجمع بجلولاء، فسرح سعد بن

أبی وقاص هاشم بن عتبة بن أبی وقاص إلیهم فی اثنی عشر ألفا، فوجدوا الأعاجم قد تحصنوا و خندقوا و جعلوا عیالهم و ثقلهم بخانقین و تعاهدوا أن لا یفروا و جعلت الأمداد تقدم علیهم من حلوان و الجبال، فقال المسلمون: ینبغی أن نعالجهم قبل أن تکثر أمدادهم فلقوهم و حجر بن عدی الکندی علی المیمنة، و عمر بن معدی کرب علی الخیل، و طلیحة بن خویلد علی الرجال، و علی الأعاجم یومئذ خرزاذ أخو رستم فاقتتلوا قتالا شدیدا لم یقتلوا مثله رمیا بالنبل و طعنا بالرماح حتی تقصفت و تجالدوا بالسیوف حتی انثنت، ثم أن المسلمین حملوا حملة واحدة قلعوا بها الأعاجم عن موقفهم و هزموهم فولوا هاربین و رکب المسلمون أکتافهم یقتلونهم قتلا ذریعا حتی حال الظلام بینهم ثم انصرفوا إلی معسکرهم، و جعل هاشم بن عتبة جریر بن عبد اللّه بجلولاء فی خیل کثیفة لیکون بین المسلمین و بین عدوهم، فارتحل یزدجرد من حلوان، و أقبل المسلمون یغیرون فی نواحی السواد من جانب دجلة الشرقی فأتوا مهروذ فصالح دهقانها هاشما علی جریب من دراهم علی أن لا یقتل أحدا منهم و قتل دهقان الدسکرة و ذلک أنه اتهمه بغش المسلمین و أتی البندبجین فطلب أهله الأمان علی أداء الجزیة و الخراج فأمنهم، و أتی جریر بن عبد اللّه خانقین و بها بقیة من الأعاجم فقتلهم و لم یبق من سواد دجلة ناحیة إلا غلب علیها المسلمون و صارت فی أیدیهم، و قال هشام بن الکلبی: کان علی الناس یوم جلولاء من قبل سعد عمرو بن عتبة ابن نوفل بن أهیب بن عبد مناف بن زهرة و أمه عاتکة بنت أبی وقاص،

فتوح البلدان، ص: ۲۶۱

قالوا: و انصرف سعد بعد جلولاء إلی المدائن فصیر بها جمعا، ثم مضی إلی ناحیة الحیرة و کانت وقعة جلولاء فی آخر سنة ست عشرة، قالوا: فأسلم جمیل بن بصیهری دهقان الفلالیج و النهرین و بسطام بن نرسی دهقان بابل و خطرنیة و الرفیل دهقان العال و فیروز دهقان نهر الملک و کوثی و غیرهم من الدهاقین، فلم یعرض لهم عمر بن الخطاب و لم یخرج الأرض من أیدیهم.

و أزال الجزیة عن رقابهم.

و حدثنی أبو مسعود الکوفی عن عوانة عن أبیه، قال: وجه سعد بن أبی وقاص هاشم بن عتبة بن أبی وقاص و معه الأشعث بن قیس الکندی فمر بالراذانات و أتی دقوقا و خانیجار فغلب علی ما هناک و فتح جمیع کورة بأجرمی و نفذ إلی نحو سن بارما و بوازیج الملک إلی حد شهر زور.

حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنی یحیی بن آدم، قال: أخبرنا ابن المبارک عن ابن لهیعة عن یزید بن أبی حبیب، قال: کتب عمر بن الخطاب إلی سعد بن أبی وقاص حین فتح السواد: أما بعد فقد بلغنی کتابک تذکر أن الناس سألوک أن تقسم بینهم ما أفاء اللّه علیهم، فإذا أتاک کتابی فانظر ما أجلب علیه أهل العسکر بخیلهم و رکابهم من مال أو کراع فأقسمه بینهم بعد الخمس و اترک الأرض و الأنهار لعمالها لیکون ذلک فی إعطیات المسلمین فإنک إن قسمتها بین من حضر لم یکن لمن یبقی بعدهم شیء.

و حدثنی الحسین، قال: حدثنا وکیع عن فضیل بن غزوان عن عبد اللّه ابن حازم، قال: سألت مجاهدا عن أرض السواد، فقال: لا نشتری و لا تباع، قال: نقول لأنها فتحت عنوة و لم تقسم فهی لجمیع المسلمین.

و حدثنی الولید بن صالح عن الواقدی عن ابن أبی سیرة عن صالح بن کیسان عن سلیمان بن یسار، قال: أقر عمر بن الخطاب السواد لمن فی أصلاب

فتوح البلدان، ص: ۲۶۲

الرجال و أرحام النساء و جعلهم ذمة تؤخذ منهم الجزیة و من أرضهم الخراج و هم ذمة لأرق علیهم، قال سلیمان: و کان الولید بن عبد الملک أراد أن یجعل أهل السواد فیئا فأخبرته بما کان من عمر فی ذلک فورعه اللّه عنهم.

حدثنی الحسین بن الأسود، قال: حدثنا یحیی بن آدم عن إسرائیل عن أبی إسحاق عن حارثة بن مضرب: أن عمر بن الخطاب أراد قسمة السواد بین المسلمین فأمر یحصلوا فوجد الرجل منهم نصیبه ثلاثة من الفلاحین فشاور أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی ذلک،

فقال على: دعهم يكونوا مادة للسلمين،

فبعث عثمان بن حنيف الأنصارى فوضع عليه ثمانية و أربعين و أربعة و عشرين و اثنى عشر.

حدثنا أبو نصر التمار، قال: حدثنا شريك عن الأجلح عن حبيب بن أبى ثابت عن ثعلبة بن يزيد عن على، قال: لو لا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم.

حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال: ليس لأهل السواد عهد و إنما نزلوا على الحكم.

حدثنا الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى صلب الزبيدى عن محمد بن قيس الأسدى عن الشعبى أنه سئل عن أهل السواد ألهم عهد، فقال: لم يكن لهم عهد فلما رضى منهم بالخراج صار لهم عهد.

حدثنا الحسين عن يحيى بن آدم عن شريك عن جابر عن عامر أنه قال:

ليس لأهل السواد عهد.

حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا ابن وهب المصرى، قال: حدثنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كان للمهاجرين مجلس فى المسجد فكان عمر يجلس معهم فيه و يحدثهم عما ينتهى إليه من أمر الآفاق فقال يوما: ما أدرى

فتوح البلدان، ص: ۲۶۳

كيف اصنع بالمجوس فوثب عبد الرحمن بن عوف، فقال: أشهد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنه قال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب.

حدثنا محمد بن الصباح البزاز، قال: حدثنا هشيم، قال: حدثنا إسماعيل ابن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم، قال: كانت بجيلة ربع الناس يوم القادسية و كان عمر جعل لهم ربع السواد، فلما وفد عليه جرير، قال: لو لا أنى قاسم مسئول لكنت على ما جعلت لكم و أنى أرى الناس قد كثروا فردوا ذلك عليهم ففعل و فعلوا، فأجازه عمر بثمانين دينارا قال: فقالت امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز: أن أبى هلك و سهمه ثابت فى السواد و أنى لن أسلم، فقال: لها يا أم كرز أن قومك قد أجابوا فقالت له ما أنا بمسلمة أو تحملنى على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء و تملأ يدى ذهبا ففعل عمر ذلك.

و حدثنى الحسين، قال: حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن قيس عن جرير، قال: كان عمر أعطى بجيلة ربع السواد فأخذوه ثلاث سنين، قال قيس: و وفد جرير بن عبد اللّه على عمر مع عمار بن ياسر، فقال عمر: لو لا أنى قاسم مسئول لتركتكم على ما كنتم عليه، و لكنى أرى أن تردوه ففعلوا فأجازه بثمانين دينارا الحسن بن عثمان الزيادى، قال: حدثنا عيسى بن يونس عن إسماعيل عن قيس قال: أعطى عمر جرير بن عبد اللّه أربعمائة دينار.

حدثنى حميد بن الربيع عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال صالح عمر بجيلة من ربع السواد على أن فرض لهم فى الفين من العطاء.

و حدثنى الوليد بن صالح عن الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن جرير ابن يزيد بن جرير بن عبد اللّه عن أبيه عن جده أن عمر جعل له و لقومه ربع ما غلبوا عليه من السواد فلما جمعت غنائم جلولاء طلب ربعه فكتب سعد إلى عمر يعلمه ذلك، فكتب عمر إن شاء جرير أن يكون إنما قاتل

فتوح البلدان، ص: ۲۶۴

و قومه على جعل كجعل المؤلفة قلوبهم فأعطوهم جعلهم و إن كانوا إنما قاتلوا للّه و احتسبوا ما عنده فهم من المسلمين لهم ما لهم و عليهم ما عليهم، فقال جرير صدق أمير المؤمنين وبر لا حاجة لنا بالربع.

حدثنى الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن عبد السلام بن حرب عن معمر عن على بن الحكم عن إبراهيم النخعى، قال: جاء رجل

إلى عمر بن الخطاب، فقال: إنى قد أسلمت فارفع عن أرضى الخراج، قال: أن أرضك أخذت عنوة.

حدثنا خلف بن هشام البزار، قال: حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمى، قال: لما افتتح عمر السواد قالوا له أقسمه بيننا فإنا فتحناه عنوة بسيوفنا فأبى، و قال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين و أخاف إن قسمته أن تتفاسدوا بينكم فى المياه، قال: فأقر أهل السواد فى أرضهم و ضرب على رؤسهم الجزية و على أرضهم الطسق و لم تقسم بينهم.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى أن عمر بن الخطاب بعث عثمان بن حنيف الأنصارى يمسح السواد فوجده ستة و ثلاثين ألف ألف جريب فوضع على كل جريب درهما و قفيزا قال القاسم: و بلغنى أن ذلك القفيز كان مكوكا لهم يدعى الشابر فان قال يحيى ابن آدم: هو المختوم الحجاجى.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنا أبو معاوية عن الشيبانى عن محمد بن عبد اللّه الثقفى، قال: وضع عمر على السواد على كل جريب عامر أو غامر يبلغه الماء درهما و قفيزا و على جريب الرطبة خمسة دراهم و خمسة أقفزة، و على جريب الشجر عشرة دراهم و عشرة أقفزة، و لم يذكر النخل، و على رؤس الرجال ثمانية و أربعين و أربعة و عشرين و اثنى عشر.

فتوح البلدان، ص: ۲۶۵

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصارى عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أبى مجلز لاحق بن حميد أن عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة و جيوشهم، و عبد اللّه ابن مسعود على قضائهم و بيت مالهم، و عثمان بن حنيف على مساحة الأرض و فرض لهم كل يوم شاة بينهم شطرها و سواقطها لعمار و الشطر الآخر بين هذين فمسح عثمان بن حنيف الأرض فجعل على جريب النخل عشرة دراهم و على جريب الكرم عشرة دراهم و على جريب القصب ستة دراهم و على جريب البر أربعة دراهم و على جريب الشعير درهمين، و كتب بذلك إلى عمر رحمه اللّه فأجازه.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال حدثنا يحيى بن آدم عن مندل العنزى عن الأعمش عن ابراهيم عن عمرو بن ميمون، قال: بعث عمر بن الخطاب حذيفة ابن اليمان على ما وراء دجلة و بعث عثمان بن حنيف على مادون دجلة فوضعا على كل جريب قفيزا و درهما.

حدثنا الحسين، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن مندل عن أبى إسحاق الشيبانى عن محمد بن عبد اللّه الثقفى، قال كتب المغيرة بن شعبة و هو على السواد أن قبلنا أصنافا من الغلة لها مزيد على الحنطة و الشعير فذكر الماش و الكروم و الرطبة و السماسم، قال: فوضع عليها ثمانية ثمانية و ألغى النخل.

و حدثنا خلف البزار، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش و حدثنى الحسين ابن الأسود عن يحيى بن آدم عن أبى بكر، قال: أخبرنى أبو سعيد البقال عن العيزار ابن حريث، قال: وضع عمر بن الخطاب على جريب الحبطة درهمين و جريبين و على جريب الشعير درهما و جريبا و على كل غامر يطق زرعه على الجريبين درهما.

فتوح البلدان، ص: ۲۶۶

و حدثنا خلف البزار عن أبى بكر بن عياش عن أبى سعيد عن العيزار ابن حريث، قال: وضع عمر على جريب الكرم عشرة دراهم و على جريب الرطبة عشرة دراهم و على جريب القطن خمسة دراهم و على النخلة من الفارسى درهما و على الدفلتين درهما.

حدثنى عمرو الناقد، قال: حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن أبى مجلز أن عمر وضع على جريب النخل ثمانية دراهم.

و حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن السرى بن إسماعيل عن الشعبى، قال: بعث عمر ابن الخطاب عثمان بن حنيف فوضع على أهل السواد لجريب الرطبة خمسة دراهم و لجريب الكرم عشرة دراهم، و لم يجعل على ما عمل تحته شيئا.

و حدثنى الوليد بن صالح عن الواقدى عن ابن أبى سبرة عن ابن رفاعة قال عمر بن عبد العزيز. كان خراج السواد على عهد عمر بن

الخطاب مائة ألف ألف درهم، فلما كان الحجاج صار إلى أربعين ألف ألف درهم.

و حدثنا الوليد عن الواقدى عن عبد اللّه بن عبد العزيز عن أيوب بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه، قال: ختم عثمان بن حنيف فى رقاب خمسمائة ألف و خمسين ألف علج و بلغ الخراج فى ولايته مائة ألف ألف درهم.

و حدثنى الوليد بن صالح، قال: حدثنا يونس بن أرقم المالكى، قال حدثنى يحيى بن أبى الأشعث الكندى عن مصعب بن يزيد أبى زيد الأنصارى عن أبيه، قال: بعثنى على بن أبى طالب على ما سقى الفرات، فذكر رساتيق و قرى فسمى نهر الملك، و كوثى، و بهرسير، و الرومقان، و نهرجوبر، و نهر درقيط و البهقباذات، و أمرنى أن أضع على كل جريب زرع غليظ البر درهما و نصفا و صاعا من طعام، و على كل جريب وسط درهما، و على كل جريب

فتوح البلدان، ص: ۲۶۷

من البر رقيق الزرع ثلثى درهم و على الشعير نصف ذلك، و أمرنى أن أضع على البساتين التى تجمع النخل و الشجر على كل جريب عشرة دراهم، و على جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين و دخل فى الرابعة و أطعم عشرة دراهم، و أن ألغى كل نخل شاذ عن القرى يأكله من مربه، و أن لا أضع على الخضراوات شيئا المقاثى، و الحبوب، و السماسم، و القطن، و أمرنى أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين و يتختمون بالذهب على الرجل ثمانية و أربعين درهما و على أوسطهم من التجار على رأس كل رجل أربعة و عشرين درهما فى السنة و أن أضع على الأكرة و سائر من بقى منهم على الرجل اثنى عشر درهما.

حدثنى حميد بن الربيع عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال: قلت للحسن ما هذه الطسوق المختلفة، فقال: كل قد وضع حالا بعد حال على قدر قرب الأرضين و الفرض من الأسواق و بعدها قال، و قال يحيى بن آدم:

و أما مقاسمة السواء فإن الناس سألوها السلطان فى آخر خلافة المنصور فقبض قبل أن تقاسموا ثم أمر المهدى بها فقوسموا فيها دون عقبة حلوان.

و حدثنى عبد اللّه بن صالح العجلى عن عبثر أبى زيد عن الثقات، قال:

مسح حذيفة سقى دجلة و مات بالمدائن، و قناطر حذيفة نسبت إليه و ذلك أنه نزل عندها، و يقال: جددها، و كان ذراعه و ذراع ابن حنيف ذراع اليد و قبضة و إبهاما ممدودة، و لما قوسم أهل السواد على النصف بعد المساحة التى كانت تمسح عليهم، قال بعض الكتاب: العشر الذى يؤخذ من القطائع هو عشر ما يكال خمس النصف الذى يؤخذ من الاستان فينبغى أن يوضع على الجريب مما تجرى عليه المساحة فى القطائع أيضا خمس ما يؤخذ من جريب الاستان فمضى الأمر على ذلك.

حدثنى أبو عبيدة قال: حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان عن

فتوح البلدان، ص: ۲۶۸

ميمون بن مهران أن عمر رحمه اللّه بعث حذيفة و ابن حنيف إلى خانقين، و كانت من أول ما افتتحوا فختما أعناق الذمة ثم قبضا الخراج.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال. حدثنا وكيع، قال: حدثنا عبد اللّه ابن الوليد قال: حدثنا رجل كان أبوه أخبر الناس بهذا السواد يقال له عبد الملك ابن أبى حرة عن أبيه. أن عمر بن الخطاب أصفى عشر أرضين من السواد فحفظت سبعا و ذهب عنى ثلاث، أصفى الآجام و مغايض الماء و أرض كسرى و كل دير يزيد، و أرض من قتل فى المعركة، و أرض من هرب، قال: و لم يزل ذلك ثابتا حتى أحرق الديوان أيام الحجاج بن يوسف فأخذ كل قوم ما يليهم.

و حدثنى أبو عبد الرحمن الجعفى، قال: حدثنا ابن المبارك عن عبد اللّه ابن الوليد عن عبد الملك بن أبى حرة عن أبيه قال. أصفى عمر بن الخطاب من السواد أرض من قتل فى الحرب و أرض من هرب، و كل أرض كسرى و كل أرض لأهل بيته، و كل مغيض ماء، و كل دير يزيد، و كل صافية اصطفاها كسرى. فبلغت صوافيه سبعة آلاف ألف درهم، فلما كانت وقعة الجماجم أحرق الناس

الديوان فأخذ كل قوم ما يليهم.

حدثنى الحسين و عمرو الناقد، قالا حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان عبد اللّه بن مسعود أرضا بالنهرين و أقطع عمار بن ياسر أسبينا و أقطع خباب بن الأرت صعنبا و أقطع سعدا قرية هرمز.

و حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلى عن إسماعيل عن إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى قال أقطع عثمان بن عفان طلحة بن عبد اللّه النشاستج و أقطع أسامة بن زيد أرضا باعها.

حدثنا شيبان بن فروخ، قال. حدثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن المهاجر

فتوح البلدان، ص: ۲۶۹

عن موسى بن طلحة أن عثمان بن عفان أقطع خمسة نفر من أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم منهم عبد اللّه بن مسعود، و سعد بن مالك الزهرى، و الزبير ابن العوام، و خباب بن الأرت، و أسامة بن زيد، قال: فرأيت ابن مسعود و سعدا فكان جارى يعطيان أرضهما بالثلث و الربع.

و حدثنى الوليد بن صالح عن محمد بن عمرو الأسلمى عن إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة، قال: أول من أقطع العراق عثمان بن عفان، أقطع قطائع من صوافى كسرى و ما كان من أرض الجالية فاقطع طلحة النشاستج و أقطع وائل بن حجر الحضرمى ما و إلى زرارة، و أقطع خباب بن الأرت أسبينا و أقطع عدى بن حاتم الطائى الروحاء، و أقطع خالد بن عرفطة أرضا عند حمام أعين و أقطع الأشعث بن قيس الكندى طيزناباذ، و أقطع جرير ابن عبد اللّه البجلى أرضه على شاطئ الفرات.

حدثنى الحسين بن الأسود عن يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال:

بلغنى أن عليا رحمه اللّه ألزم أهل أجمة برس أربعة آلاف درهم و كتب لهم بذلك كتابا فى قطعة أديم.

و حدثنى أحمد بن حماد الكوفى، قال: اجمة برس بحضرة صرح نمرود ببابل و فى الاجمة هوة بعيدة القعر يقال انها بئر كان آجر الصرح اتخذ من طينها و يقال: انها موضع خسف.

و حدثنى أبو مسعود و غيره أن دهاقين الأنبار سألوا سعد بن أبى وقاص أن يحفر لهم نهرا كانوا سألوا عظيم الفرس حفره لهم، فكتب إلى سعد بن عمرو ابن حرام يأمره بحفره لهم، فجمع الرجال لذلك فحفروه حتى انتهوا إلى جبل لم يمكنه شقه فتركوه، فلما ولى الحجاج العراق جمع الفعلة من كل ناحية و قال لقوامه: انظروا إلى قيمة ما يأكل رجل من الحفارين فى اليوم فإن كان وزنه

فتوح البلدان، ص: ۲۷۰

مثل وزن ما يقلع فلا تمتنعوا من الحفر فانفقوا عليه حتى استتموه، فنسب ذلك الجيل إلى الحجاج، و نسب النهر إلى سعد بن عمرو بن حرام، قال:

و أمرت الخيزران أم الخلفاء أن يحفر النهر المعروف بمحدود و سمته الريان و كان وكيلها جعله أقساما وحد كل قسم و وكل بحفره قوما فسمى محدودا.

فأما النهر المعروف بشيلى فإن بنى شيلى بن فرخزادان المروزى يدعون أن سابور حفره لجدهم حين رتبه بنغيا من طسوج الأنبار، و الذى يقول غيرهم أنه نسب إلى رجل يقال له شيلى كان متقبلا لحفره و كانت له عليه مبقلة فى أيام المنصور أمير المؤمنين، و أن هذا النهر كان قديما مندفنا فأمر المنصور بحضره فلم يستتم حتى توفى فاستتم فى خلافة المهدى، و يقال: أن المنصور كان أمر باحداث فوهة له فوق فوهته القديمة فلم يتم ذلك حتى أتمها المهدى رحمه اللّه.

ذكر تمصير الكوفة

حدثنى محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدى عن عبد الحميد ابن جعفر و غيره أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن

أبی وقاص یأمره أن یتخذ للمسلمین دار هجرة و قیروانا و أن لا یجعل بینه و بینهم بخرافاتی الأنبار و أراد أن یتخذها منزلا، فکثر علی الناس الذباب، فتحول إلی موضع آخر فلم یصلح فتحول إلی الکوفة فاختطها و أقطع الناس المنازل، و أنزل القبائل منازلهم و بنی مسجدها و ذلک فی سنة سبع عشرة.

و حدثنی علی بن المغیرة الأثرم «قال حدثنی أبو عبیدة معمر بن المثنی عن أشیاخه، قال: و أخبرنی هشام بن الکلبی عن أبیه و مشایخ الکوفیین قالوا، لما فرغ سعد بن أبی وقاص من وقعة القادسیة وجه إلی المدائن، فصالح أهل الرومیة و بهرسیر» ثم افتتح المدائن و أخذ أسبانبر و کرد بنداذ عنوة فأنزلها جندد فاحتووها، فکتب إلی سعد أن حولهم فحولهم إلی

فتوح البلدان، ص: ۲۷۱

سوق حکمة، و بعضهم یقول: حولهم إلی کویفة دون الکوفة، و قال الأثرم و قد قیل: التکوف الاجتماع، و قیل أیضا أن المواضع المستدیرة من الرمل تسمی کوفانی، و بعضهم یسمی الأرض التی فیها الحصباء مع الطین و الرمل کوفة، قالوا فأصابهم البعوض، فکتب سعد إلی عمر یعلمه أن الناس قد بعضوا و تأذوا بذلک فکتب إلیه عمر: أن العرب بمنزلة الإبل لا یصلحها إلا ما یصلح الإبل فارتد لهم موضعا عدنا و لا تجعل بینی و بینهم بحرا، و ولی الاختطاط للناس أبا الهیاج الأسدی عمرو بن مالک بن جنادة ثم ان عبد المسیح بن بقیلة أتی سعدا و قال له أدلک علی أرض انحدرت عن الفلاة و ارتفعت عن المباق فدله علی موضع الکوفة الیوم، و کان یقال لها سورستان.

فلما انتهی إلی موضع مسجدها أمر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم علی موقعه ثم علا بسهم آخر قبل مهب الشمال و أعلم علی موقعة ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب و أعلم علی موقعه ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم علی موقعه، ثم وضع مسجدها و دار أمارتها فی مقام العالی و ما حوله، و أسهم لنزار و أهل الیمن بسهمین علی أنه من خرج بسهمه أولا فله الجانب الأیسر و هو خیرهما، فخرج سهم أهل الیمن فصارت خططهم فی الجانب الشرقی و صارت خطط نزار فی الجانب الغربی من وراء تلک العلامات، و ترک ما دونها فناء للمسجد و دار الأمارة، ثم أن المغیرة بن شعبة وسعه و بناه زیاد فأحکمه و بنی دار الأمارة.

و کان زیاد یقول. أنفقت علی کل اسطوانة من أساطین مسجد الکوفة ثمانی عشرة و مائة، و بنی فیها عمرو بن حریث المخزومی بناء، و کان زیاد یستخلفه علی الکوفة إذا شخص إلی البصرة، ثم بنی العمال فیها فضیقوا

فتوح البلدان، ص: ۲۷۲

رحابها و اقنیتها، قال: و صاحب زقاق عمرو بالکوفة بنو عمرو بن حریث ابن عمرو بن عثمان بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم بن یقظة.

و حدثنی وهب بن بقیة الواسطی، قال: حدثنا یزید بن هارون عن داود بن أبی هند عن الشعبی، قال: کنا- یعنی أهل الیمن- اثنی عشر ألفا، و کانت نزار ثمانیة آلاف، ألا تری أنا أکثر أهل الکوفة و خرج سهمنا بالناحیة الشرقیة فلذلک صارت خططنا بحیث هی.

و حدثنی علی بن محمد المدائنی عن مسلمة بن محارب و غیره، قالوا: زاد المغیرة فی مسجد الکوفة و بناه ثم زاد فیه زیاد، و کان سبب إلقاء الحصی فیه و فی مسجد البصرة أن الناس کانوا یصلون فإذا رفعوا أیدیهم و قد تربت نفضوها، فقال زیاد. ما أخوفنی أن یظن الناس علی غابر الأیام أن نفض الأیدی سنة فی الصلاة فزاد فی المسجد و وسعه، و أمر بالحصی فجمع و ألقی فی صحن المسجد و کان الموکلون بجمعه یتعنتون الناس، و یقولون لمن وظفوه علیه ایتونا به علی ما نریکم و انتقوا منه ضروبا اختاروها فکانوا یطلبون ما أشبهها فأصابوا مالا فقیل: حبذا الأمارة و لو علی الحجارة. و قال الأثرم. قال أبو عبیدة: إنما قیل ذلک لأن الحجاج بن عتیک الثقفی أو ابنه تولی قطع حجارة أساطین مسجد البصرة من جبل الأهواز فظهر له مال فقال الناس. حبذا الأمارة و لو علی الحجارة. و قال أبو عبیدة. و کان تکویف الکوفة فی سنة ثمان عشرة قال: و کان زیاد اتخذ فی مسجد الکوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبد اللّه القصری.

و حدثنی حفص بن عمر العمری، قال. حدثنی الهیثم بن عدی الطائی، قال: أقام المسلمون بالمدائن و اختطوها و بنوا المساجد فیها،

ثم أن المسلمين استوخموها و استوبئوها، فكتب بذلك سعد بن أبى وقاص إلى عمر،

فتوح البلدان، ص: ۲۷۳

فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلا- غريبا فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر، و كان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى و الأقحوان و الشيح و القيصوم و الشقائق فاختطوها.

و حدثنى شيخ من الكوفيين. أن ما بين الكوفة و الحيرة كان يسمى الملطاط قال: و كانت دار عبد الملك بن عمير للضيفان أمر عمر أن يتخذ لمن يرد من الآفاق دارا فكانوا ينزلونها.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف عن محمد بن إسحاق، قال اتخذ سعد بن أبى وقاص بابا مبوبا من خشب و خص على قصره خصا من قصب، فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصارى حتى أحرق الباب و الخص و أقام سعدا فى مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلا خيرا.

و حدثنى العباس بن الوليد النرسى و ابراهيم العلاف البصرى، قالا:

حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة أن أهل الكوفة سعوا بسعد بن أبى وقاص إلى عمر، و قالوا: إنه لا يحسن الصلاة فقال سعد: أما أنا فكنت أصلى بهم صلاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، لا أخرم عنها، أركد فى الأوليين و أحذف فى الأخريين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا اسحاق، فأرسل عمر رجالا يسألون عنه بالكوفة، فجعلوا لا يأتون مسجدا من مساجدها إلا قالوا خيرا و أثنوا معروفا حتى أتوا مسجدا من مساجد بنى عبس، فقال رجل منهم يقال أبو سعدة: أما إذا سألتمونا عنه فإنه كان لا يقسم بالسوية، و لا يعدل فى القضية قال، فقال سعد. اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره، و أدم فقره و أعم بصره، و عرضه الفتن، قال عبد الملك فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء فى السكك، فإذا قيل له:

فتوح البلدان، ص: ۲۷۴

كيف أنت يا أبا سعدة، قال كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد قال العباس النرسى فى غير هذا الحديث: ان سعدا قال لأهل الكوفة اللهم لا ترض عنهم أميرا و لا ترضهم بأمير.

و حدثنى العباس النرسى، قال: بلغنى أن المختار بن أبى عبيد أو غيره، قال: حب أهل الكوفة شرف و بغضهم تلف.

و حدثنى الحسن بن عثمان الزيادى، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبى. أن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وفد على عمر بن الخطاب بعد فتح القادسية فسأله عن سعد و عن رضاء الناس عنه فقال:

تركته يجمع لهم جمع الذرة، و يشفق عليهم شفقة الأم البرة، أعرابى فى تمرته، نبطى فى جبايته، يقسم بالسوية و يعدل فى القضية و ينفذ بالسوية، فقال عمر: كأنكما تقارضتما إلينا، و قد كان سعد كتب يثنى على عمرو، قال: كلا يا أمير المؤمنين و لكنى أنبأت بما أعلم، قال يا عمرو: أخبرنى عن الحرب، قال: مرة المذاق، إذا قامت على ساق. من صبر فيها عرف.

و من ضعف عنها تلف، قال: فأخبرنى عن السلاح، قال: سل يا أمير المؤمنين عما شئت منه، قال: الرمح، قال: أخوك و ربما خانك قال: فالسهام، قال: رسل المنايا تخطئ و تصيب، قال: فالترس قال. ذاك المجن عليه تدور الدوائر قال: فالدرع قال: مشغلة للفارس متعبة للراجل، و أنها لحصن حصين.

قال و السيف قال: هناك ثكلتك أمك. فقال عمر: بل ثكلتك أمك. فقال عمرو الحمى أضرعتنى إليك قال و عزل عمر سعدا و ولى عمار بن ياسر فشكوه و قالوا ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله. و كانت ولايته الكوفة سنة و تسعة أشهر، فقال عمر. من عذيرى من أهل الكوفة ان استعملت عليهم القوى فجروه. و إن وليت عليهم الضعيف حقروه. ثم دعى المغيرة ابن شعبة فقال. إن وليتك الكوفة أتعود إلى شىء مما قرفت به. فقال: لا، و كان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة فولاه عمر الكوفة فلم

فتوح البلدان، ص: ۲۷۵

یزل علیها حتی توفی عمر، ثم أن عثمان بن عفان ولاها سعدا ثم عزله و ولی الولید بن عقبة بن أبی معیط بن أبی عمرو بن أمیة فلما قدم علیه قال له سعد: أما أن تکون کست بعدی أو أکون حمقت بعدک، ثم عزل الولید و ولی سعد بن العاصی بن سعید بن العاصی بن أمیة.

و حدثنی أبو مسعود الکوفی عن بعض الکوفیین قال سمعت مسعر ابن کدام یحدث، قال: کان مع رستم یوم القادسیة أربعة آلاف یسمون جند شهانشاه فاستأمنوا علی أن ینزلوا حیث أحبوا و یحالفوا من أحبوا و یفرض لهم فی العطاء فأعطوا الذی سألوه، و حالفوا زهرة بن حویة السعدی من بنی تمیم و أنزلهم سعد بحیث اختاروا، و فرض لهم فی ألف ألف، و کان لهم نقیب منهم یقال له دیلم فقیل حمراء دیلم، ثم أن زیاد سیر بعضهم إلی بلاد الشام بأمر معاویة فهم بها یدعون الفرس، و سیر منهم قوما إلی البصرة فدخلوا فی الأساورة الذین بها، قال أبو مسعود: و العرب تسمی العجم الحمراء، و یقولون جئت من حمراء دیلم کقولهم جئت من جهینة و أشباه ذلک، قال أبو مسعود و سمعت من یذکر أن هؤلاء الأساورة کانوا مقیمین بازاء الدیلم فلما غشیهم المسلمون بقزوین أسلموا علی مثل ما أسلم علیه أساورة البصرة و أتوا الکوفة فأقاموا بها.

و حدثنی المدائنی، قال: کان أبرویز وجه إلی الدیلم فأتی بأربعة آلاف و کانوا خدمه و خاصته، ثم کانوا علی تلک المنزلة بعده و شهدوا القادسیة مع رستم فلما قتل و انهزم المجوس اعتزلوا، و قالوا: ما نحن کهؤلاء و لا لنا ملجا و أثرنا عندهم غیر جمیل، و الرأی لنا أن ندخل معهم فی دینهم فنعز بهم فاعتزلوا، فقال سعد: ما لهؤلاء، فأتاهم المغیرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم و قالوا: ندخل فی دینکم فرجع إلی سعد فأخبره فأمنهم فأسلموا و شهدوا فتح المدائن مع سعد و شهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا فنزلوا الکوفة مع المسلمین.

فتوح البلدان، ص: ۲۷۶

و قال هشام بن محمد بن السائب الکلبی: جبانة السبیع نسبت إلی ولد السبیع بن سبع بن صعب الهمدانی، و صحراء أثیر نسبت إلی رجل من بنی أسد یقال له أثیر، و کان عبد الحمید نسب إلی عبد الحمید بن عبد الرحمن بن زید بن الخطاب عامل عمر بن عبد العزیز علی الکوفة، و صحراء بنی قرار نسبت إلی بنی قرار بن ثعلبة بن مالک بن حرب بن طریف بن النمر بن یقدم ابن عنزة بن أسد بن ربیعة بن نزار، قال: و کانت دار الرومیین مزبلة لأهل الکوفة تطرح فیها القمامات و الکساحات حتی استقطعها عنبسة بن سعید بن العاصی من یزید بن عبد الملک فاقطعه إیاها فنقل ترابها بمائة ألف و خمسین ألف درهم، و قال أبو مسعود. سوق یوسف بالحیرة نسب إلی یوسف بن عمر بن محمد بن الحکم بن أبی عقیل الثقفی بن عم الحجاج بن یوسف بن الحکم بن أبی عقیل، و هو عامل هشام علی العراق.

و أخبرنی أبو الحسن علی بن محمد و أبو مسعود قالا: حمام أعین نسب إلی أعین مولی سعد بن أبی وقاص، و أعین هذا هو الذی أرسله الحجاج ابن یوسف إلی عبد اللّه بن الجارود العبدی من رستقاباذ حین خالف و تابعه الناس علی إخراج الحجاج من العراق و مسئلة عبد الملک تولیة غیره، فقال له حین أدی الرسالة. لو لا أنک رسول لقتلتک. قال أبو مسعود و سمعت أن الحمام قبله کان لرجل من العباد یقال له جابر أخو حیان الذی ذکره الأعشی. و هو صاحب مسناة جابر بالحیرة فابتاعه من ورثته.

و قال ابن الکلبی و بیعة بنی مازن بالحیرة لقوم من الأزد من بنی عمرو ابن مازن من الأزد و هم من غسان، قال: و حمام عمر نسب إلی عمر بن سعد بن أبی وقاص.

قالوا و شهارسوج بحیلة بالکوفة إنما نسب إلی بنی بحلة و هم ولد مالک

فتوح البلدان، ص: ۲۷۷

ابن ثعلبة بن بهثة بن سلیم بن منصور و بجلة أمهم و هی غالبة علی نسبهم فغلط الناس فقالوا بحلة، و جبانة عرزم نسبت إلی رجل یقال له عرزم کان یضرب فیها اللبن و لبنها ردیء فیه قصب و خزف فربما وقع الحریق بها فاحترقت الحیطان.

و حدثنی ابن عرفة، قال: حدثنی إسماعیل بن علیة عن ابن عون أن ابراهیم النخعی أوصی أن لا یجعل فی قبره لبن عرزمی، و قد قال بعض أهل الکوفة أن عرزما هذا رجل من بنی نهد، و جبانة بشر نسبت إلی بشر بن ربیعة بن عمرو بن منارة بن قمیر الخثعمی الذی یقول:

تحن بباب القادسیة ناقتیو سعد بن وقاص علی أمیر

قال أبو مسعود: و کان بالکوفة موضع یعرف بعنترة الحجام و کان أسود فلما دخل أهل خراسان الکوفة کانوا یقولون حجام عنترة فبقی الناس علی ذلک و کذلک حجام فرج و ضحاک رواس و بطارحیان و یقال رستم و یقال صلیب و هو بالحیرة.

و قال هشام بن الکلبی: نسبت زرارة بن یزید بن عمرو بن عدس من بنی البکا ابن ربیعة بن عامر بن صعصعة و کانت منزله و أخذها منه معاویة بن أبی سفیان، ثم أصفیت بعد حتی أقطعها محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعی قال: و دار حکیم بالکوفة فی أصحاب الأنماط نسبت إلی حکیم بن سعد بن ثور البکای، و قصر مقاتل نسب إلی مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس بن ابراهیم ابن أیوب بن محروق أحد بنی امرئ القیس بن زید مناة بن تمیم، قال: و السوادیة بالکوفة نسبت إلی سواد بن زید عدی بن زید الشاعر العبادی وجده حماد بن زید بن أیوب بن محروق، و قریة أبی صلابة التی علی الفرات نسبت إلی صلابة ابن مالک بن طارق بن جبر بن همام العبدی، و اقساس مالک نسبت إلی

فتوح البلدان، ص: ۲۷۸

مالک بن قیس بن عبد هند بن لجم أحد بنی حذافة بن زهر بن إیاد بن نزار و دیر الأعور لرجل من إیاد من بنی أمیة بن حذافة کان یسمی الأعور و فیه یقول أبو داود الإیادی:

و دیر یقول له الرائد ون ویل أم دار الحذاقی دارا

و دیر قرة أحد بنی أمیة بن حذافة و إلیهم ینسب دیر السوا و السوا العدل کانوا یأتونه فیتناصفون فیه و یحلف بعضهم لبعض علی الحقوق، و بعض الرواة یقول السوا امرأة منهم، قال: و دیر الجماجم لأیاد و کانت بینهم و بین بنی بهراء ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة و بین و بنی القین بن جسر ابن شیع اللّه بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف حرب فقتل فیها من إیاد خلق فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدیر، و کان الناس بعد ذلک یحفرون فخرج جماجم فسمی دیر الجماجم: هذه روایة الشرقی بن القطامی، و قال محمد بن السائب الکلبی: کان مالک الرماح بن محرز الأیادی قتل قوما من الفرس و نصب جماجمهم عند الدیر فسمی دیر الجماجم، و یقال:

أن دیر کعب لایاد و یقال لغیرهم، و دیر هند لأم عمرو بن هند و هو عمرو ابن المنذر بن ماء السماء و أمه کندیة، و دار قمام بنت الحارث بن هانی الکندی و هی عند دار الأشعث ابن قیس قال: و بیعة بنی عدی نسبت إلی بنی عدی ابن الذمیل من لخم قالوا، و کانت طیزناباذ تدعی ضیزناباذ فغیروا اسمها و إنما نسبت إلی الضیزن بن معاویة بن العبید السلیحی، و اسم سلیح عمر بن طریف ابن عمران بن الحاف بن قضاعة و ربة الخضراء النضیر بنت الضیزن و أم الضیزن جیهلة بنت تزید بن حیدان بن عمر بن الحاف بن قضاعة، قال:

و الذی نسب إلیه مسجد سماک بالکوفة سماک بن مخرمة بن حمین الأسدی من بنی الهالک بن عمرو بن أسد و هو الذی یقول له الأخطل:

فتوح البلدان، ص: ۲۷۹ أن سماکا بنی مجدا لأسرتهحتی الممات و فعل الخیر یبتدر

قد کنت أحسبه قینا و أخبرهفالیوم طیر عن أثوابه الشرر

و کان الهالک أول من عمل الحدید، و کان ولد یعیرون بذلک، فقال سماک للأخطل: ویحک ما أعیاک أردت أن تمدحنی فهجوتنی، و کان هرب من علی ابن أبی طالب من الکوفة و نزل الرقة، قال ابن الکلبی بالکوفة محلة بنی شیطان و هو شیطان بن زهیر

بن شهاب بن ربیعة بن أبی سود بن مالک بن حنظلة بن مالک بن زید مناة من تمیم، و قال ابن الکلبی: موضع دار عیسی ابن موسی التی یعرف بها الیوم، کان للعلاء بن عبد الرحمن بن محرز بن حارثة ابن ربیعة بن عبد العزی بن عبد شمس بن عبد مناف، و کان العلاء علی ربع الکوفة أیام ابن الزبیر و سکة بن محرز تنسب إلیه و بالکوفة سکة تنسب إلی عمیرة بن شهاب بن محرز بن أبی شمر الکندی الذی کانت أخته عند عمر ابن سعد بن أبی وقاص فولدت له حفص بن عمر، و صحراء شبث نسبت إلی شبث بن ربعی الریاحی من بنی تمیم، قالوا: و دار حجیر بالکوفة نسبت إلی حجیر بن الجعد الجمحی، و قال: بئر المبارک فی مقبرة جعفی نسبت إلی المبارک ابن عکرمة بن حمیری الجعفی و کان یوسف بن عمر ولاه بعض السواد، و رحی عمارة نسبت إلی عمارة بن عقبة بن أبی معیط بن أبی عمرو بن أمیة، و قال جبانة سالم نسبت إلی سالم بن عمار بن عبد الحارث أحد بنی دارم بن نهار بن مرة ابن صعصعة بن معاویة بن بکر بن هوازن و بنو مرة بن صعصعة ینسبون إلی أمهم سلول بنت ذهل بن شیبان، قالوا: و صحراء البردخت نسبت إلی البردخت الشاعر الضبی و اسمه علی بن خالد، قالوا: و مسجد بنی عنز نسب إلی بنی عنز بن وائل بن قاسط، و مسجد بنی جذیمة نسب إلی بنی جذیمة بن مالک ابن نصر بن قعین بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد و یقال إلی بنی جذیمة

فتوح البلدان، ص: ۲۸۰

ابن رواحة العبسی و فیه حوانیت الصیارفة، قال: و بالکوفة مسجد نسب إلی بنی المقاصف بن ذکوان بن زبینة بن الحارث بن قطیعة بن عبس بن بغیض بن ریث بن غطفان بن سعد بن قیس بن عیلان و لم یبق منهم أحد، قال: و مسجد بنی بهدلة نسب إلی بنی بهدلة بن المثل بن معاویة من کندة، قال: و بئر الجعد بالکوفة نسب إلی الجعد مولی همدان، قال: و دار أبی ارطاة نسبت إلی أرطاة بن مالک البجلی، قال: و دار المقطع نسبت إلی المقطع بن سنین الکلبی بن خالد بن مالک، و له یقول ابن الرقاع:

علی ذی منار تعرف العین شخصه کما یعرف الأضیاف دار المقطع

قال: و قصر العدسیین فی طرف الحیرة لبنی عمار بن عبد المسیح بن قیس ابن حرملة بن علقمة بن عدس الکلبی نسبوا إلی جدتهم عدسة بنت مالک ابن عوف الکلبی و هی أم الرماح و المشظ ابنی عامر المذمم.

و حدثنی شیخ من أهل الحیرة، قال: وجد فی قراطیس هدم قصور الحیرة التی کانت لآل المنذر أن المسجد الجامع بالکوفة بنی ببعض نقض تلک القصور و حسبت لأهل الحیرة قیمة ذلک من جزیتهم.

و حدثنی أبو مسعود و غیره، قال کان خالد بن عبد اللّه بن أسد بن کرز القسری من بجیلة بنی لأمه بیعة هی الیوم سکة البرید بالکوفة و کانت أمه نصرانیة، و قال و بنی خالد حوانیت أنشأها و جعل سقوفها ازاجا معقودة بالآجر و الجص و حفر خالد النهر الذی یعرف بالجامع، و اتخذ بالقریة قصرا یعرف بقصر خالد و اتخذ أخوه أسد بن عبد اللّه القریة التی تعرف بسوق أسد و سوقها و نقل الناس إلیها فقیل سوق أسد، و کان العبر الآخر ضیعه عتاب بن ورقاء الریاحی، و کان معسکره حین شخص إلی خراسان والیا علیها عند سوقه هذا.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۱

قال أبو مسعود: و کان عمر بن هبیرة بن معیة الفزاری أیام ولایته العراق أحدث قنطرة الکوفة ثم أصلحها خالد بن عبد اللّه القسری و استوثق منها، و قد أصلحت بعد ذلک مرات قال، و قال بعض أشیاخنا: کان أول من بناها رجل من العباد من جعفی فی الجاهلیة، ثم سقطت فاتخذ فی موضعها جسرا، ثم بناها فی الإسلام زیاد بن أبی سفیان، ثم ابن هبیرة، ثم خالد بن عبد اللّه، ثم یزید بن عمر بن هبیرة، ثم أصلحت بعد بنی أمیة مرات.

حدثنی أبو مسعود و غیره، قالوا کان یزید بن عمر بن هبیرة بنی مدینة بالکوفة علی الفرات و نزلها و منها شیء یسیر لم یستتم فأتاه کتاب مروان یأمره باجتناب مجاورة أهل الکوفة فترکها و بنی القصر الذی یعرف بقصر ابن هبیرة بالقرب می جسر سورا، فلما ظهر أمیر المؤمنین أبو العباس نزل تلک المدینة و استتم مقاصیر فیها و أحدث فیها بناء و سماها الهاشمیة فکان الناس ینسبونها إلی ابن

هبيرة على العادة، فقال: ما أرى ذكر ابن يسقط عنها، فرفضها و بنى بحيالها الهاشمية و نزلها، ثم اختار نزول الأنبار فبنى بها مدينته المعروفة فلما توفى دفن بها، و استخلف أبو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة و استتم شيئا كان بقى منها و زاد فيها بناء و هيأها على ما أراد، ثم تحول منها إلى بغداد فبنى مدينته و مصر بغداد و سماها مدينة السلام و أصلح سورها القديم الذى يبتدئ من دجلة و ينتهى إلى الصراط، و بالهاشمية حبس المنصور عبد اللّه بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب بسبب ابنيه محمد و ابراهيم و بها قبره، و بنى المنصور بالكوفة الرصافة و أمر أبا الخصيب مرزوقا مولاه فبنى له القصر المعروف بأبى الخصيب على أساس قديم، و يقال: أن أبا الخصيب بناه لنفسه فكان المنصور يزوره فيه، و أما الخورنق فكان قديما فارسيا بناه النعمان بن امرئ القيس و هو ابن الشقيقة

فتوح البلدان، ص: ۲۸۲

بنت أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان لبهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذى الأكتاف، و كان بهرام جور فى حجره و النعمان هذا الذى ترك ملكه و ساح فذكره عدى بن زيد العبادى فى شعره، فلما ظهرت الدولة المباركة أقطع الخورنق إبراهيم بن سلمة أحد الدعاة بخراسان و هو جد عبد الرحمن بن إسحاق القاضى كان بمدينة السلام فى خلافة المأمون و المعتصم باللّه رحمهما اللّه، و كان مولى للرباب و إبراهيم أحدث فيه الخورنق فى خلافة أبى العباس و لم تكن قبل ذلك.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى، قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل الحضرمى عن مشايخ من أهل الكوفة أن المسلمين لما فتحوا المدائن أصابوا بها فيلا- و قد كانوا قتلوا ما لقيهم قبل ذلك من الفيلة فكتبوا فيه إلى عمر فكتب إليهم أن بيعوه أن وجدتم له مباعا فاشتراه رجل من أهل الحيرة فكان عنده يريه الناس و يجلله و يطوف به فى القرى فمكث عنده حينا، ثم أن أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبى معيط امرأة المغيرة بن شعبة و هى التى خلف عليها زياد بعده أحبت النظر إليه و هى تنزل دار أبيها فأتى به و وقف على باب المسجد الذى يدعى اليوم باب الفيل فجعلت تنظر إليه و وهبت لصاحبه شيئا و صرفته فلم يخط إلا خطى يسيرة حتى سقط ميتا فسمى الباب باب الفيل، و قد قيل أن الناظرة إليه امرأة الوليد بن عقبة بن أبى معيط، و قيل أن ساحرا أرى الناس أنه أخرج من هذا الباب فيلا على حمار و ذلك باطل، و قيل: أن الأجانة التى فى المسجد حملت على فيل و أدخلت من هذا الباب فسمى باب الفيل، و قال بعضهم: أن فيلا لبعض الولاة اقتحم هذا الباب فنسب إليه: و الخبر الأول أثبت هذه الأخبار.

و حدثنى أبو مسعود، قال: جبانة ميمون بالكوفة نسبت إلى ميمون

فتوح البلدان، ص: ۲۸۳

مولى محمد بن على بن عبد اللّه و هو أبو بشر بن ميمون صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب الشام، و صحراء أم سلمة نسبت إلى أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد اللّه بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم امرأة أبى العباس. و حدثنى أبو مسعود، قال: أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها و ألزم كل امرئ منهم للنفقة عليه أربعين درهما و كان ذاما لهم لميلهم إلى الطالبين و أرجافهم بالسلطان.

و حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عامر، قال: كتب عمر إلى أهل الكوفة رأس العرب. و حدثنا الحسين قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن نافع بن جبير بن مطعم، قال: قال عمر بالكوفة وجوه الناس. و حدثنا الحسين و إبراهيم بن مسلم الخوارزمى، قالا: حدثنا وكيع عن يونس بن أبى إسحاق عن الشعبى، قال: كتب عمر إلى أهل الكوفة إلى رأس الإسلام. و حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا وكيع عن قيس بن الربيع عن شمر بن عطية قال: قال عمر و ذكر الكوفة، فقال: هم رمح اللّه و كنز الإيمان و جمجمة العرب يحرزون ثغورهم و يمدون أهل الأمصار.

و حدثنا أبو نصر التمار، قال: حدثنا شريك بن عبد اللّه بن أبى شريك العامرى عن جندب عن سلمان قال: الكوفة قبة الإسلام، يأتى على الناس زمان لا يبقى مؤمن ألا و هويها أو يهوى قلبه إليها

.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۴

أمر واسط العراق

حدثنى عبد الحميد بن واسع الختلى الحاسب، قال: حدثنى يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح، قال: أول مسجد جامع بنى بالسواد مسجد المدائن بناه سعد و أصحابه ثم وسع بعد و أحكم بناؤه و جرى ذلك على يدى حذيفة ابن اليمان و بالمدائن مات حذيفة سنة ست و ثلاثين، ثم بنى مسجد الكوفة ثم مسجد الأنبار قال: و أحدث الحجاج مدينة واسط فى سنة ثلاث و ثمانين أو سنة أربع و ثمانين و بنى مسجدها و قصرها و قبة الخضراء بها، و كانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب، و بينها و بين الأهواز و البصرة و الكوفة مقدار واحد، و قال ابن القرية: بناه فى غير بلده و يتركها لغير ولده.

و حدثنى شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم. أن الحجاج لما فرغ من واسط كتب إلى عبد الملك بن مروان أنى اتخذت مدينة فى كرش من الأرض بين الجبل و المصرين و سميتها واسطا فلذلك سمى أهل واسط الكرشيين، و كان الحجاج قبل اتخاذه واسطا أراد نزول الصين من كسكر فحفر نهر الصين و جمع له الفعلة و أمر بأن يسلسوا لئلا يشذوا و يتبلطوا» ثم بدا له فأحدث واسطا فنزلها و احتفر النيل و الزابى و سماه زابيا لأخذه من الزابى القديم، و أحيا ما على هذين النهرين من الأرضين، و أحدث المدينة التى تعرف بالنيل و مصرها، و عمد إلى ضياع كان عبد اللّه بن دراج مولى معاوية بن أبى سفيان استخرجها له أيام ولايته خراج الكوفة مع المغيرة ابن شعبة من موات مرفوض و نقوض مياه و مغايض و آجام ضرب عليها المسنيات، ثم قلع قصبها فحازها لعبد الملك بن مروان و عمرها و نقل الحجاج إلى قصره و المسجد الجامع بواسط أبوابا من زندورد و الدوقرة و دار

فتوح البلدان، ص: ۲۸۵

وساط و دير ماسرجسان و شرايط فضج أهل هذه المدن، و قالوا: قد أومنا على مدننا و أموالنا فلم يلتفت إلى قولهم، قال: و حفر خالد بن عبد اللّه القسرى المبارك فقال الفرزدق:

كأنك بالمبارك بعد شهرتخوض غموره بقع الكلاب

ثم قال فى شعر له طويل:

أعطى خليفته بقوة خالدنهرا يفيض له على الأنهار

أن المبارك كاسمه يسقى بهحرث السواد و ناعم الجبار

و كأن دجلة حين أقبل مدهاناب يمد له بحبل قطار

و حدثنى محمد بن خالد بن عبد اللّه الطحان، قال: حدثنى مشايخنا أن خالد بن عبد اللّه القسرى كتب إلى هشام بن عبد الملك يستأذنه فى عمل قنطرة على دجلة فكتب إليه هشام، لو كان هذا ممكنا لسبق إليه الفرس فراجعه فكتب إليه: أن كنت متيقنا أنها تتم فاعملها فعملها و أعظم النفقة عليها فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه هشام ما كان أنفق عليها.

قالوا: و كان النهر المعروف بالبزاق قديما و كان يدعى بالنبطية البساق أى الذى يقطع الماء عما يليه و يجره إليه و هو نهر يجتمع إليه فضول مياه آجام السيب و ماء من ماء الفرات فقال الناس البزاق، فأما الميمون فأول من حفره وكيل لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور يقال له سعيد بن زيد، و كانت فوهته عند قرية تدعى قرية ميمون فحولت فى أيام الواثق باللّه على يدى عمر بن فرج الرخجى و سمى الميمون لئلا يسقط عنه ذكر اليمن.

و حدثنى محمد بن خالد، قال: أمر المهدى أمير المؤمنين بحفر نهر الصلة فحفر و أحيى ما عليه من الأرضين و جعلت غلته لصلات أهل الحرمين و النفقة هناك، و كان شرط لمن تألف إليه من المزارعين الشرط الذى هم عليه اليوم

فتوح البلدان، ص: ۲۸۶

خمسين سنة على أن يقاسموا بعد انقضاء الخمسين مقاسمة النصف، و أما نهر الأمير فنسب إلى عيسى بن على و هو فى قطيعته.

و حدثنا محمد بن خالد، قال: كان محمد بن القاسم أهدى إلى الحجاج من السند فيلا فأجيز البطائح فى سفينة و أخرج فى المشرعة التى تدعى مشرعة الفيل فسميت تلك المشرعة مشرعه الفيل و فرضة الفيل.

أمر البطائح

حدثنى جماعة من أهل العلم: أن الفرس كانت تتحدث بزوال ملكها و تروى فى آية ذلك زلازل و طوفان تحدث، و كانت دجلة تصب إلى دجلة البصرة التى تدعى العوراء فى أنهار متشعبة و من عمود مجراها الذى كان باقى مائها يجرى فيه و هو كبعض تلك الأنهار، فلما كان زمان قباذ بن فيروز انبثق فى أسافل كسكر بثق عظيم فأغفل حتى غلب ماؤه و غرق كثيرا من أرضين عامرة، و كان قباذ واهنا قليل التفقد لأمره، فلما ولى أنوشروان ابنه أمر بذلك الماء فردم بالمسنيات حتى عاد بعض تلك الأرضين إلى عمارة، ثم لما كانت السنة التى بعث فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عبد اللّه بن حذافة السهمى إلى كسرى أبرويز و هى سنة سبع من الهجرة، و يقال سنة ست زاد الفرات و دجلة زيادة عظيمة لم ير مثلها قبلها لا بعدها، و انبثقت بثوق عظام فجهد أبرويز أن يسكرها فغلبه الماء و مال إلى موضع البطائح فطفا على العمارات و الزروع فغرق عدة طساسيج كانت هناك، و ركب كسرى بنفسه لسد تلك البثوق و نثر الأموال على الأنطاع و قتل الفعلة بالكفاية، و صلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جسارا فى يوم فلم يقدر للماء على حيلة، ثم دخلت العرب أرض العراق و شغلت الأعاجم بالحروب فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت إليها و يعجز الداهقين عن سد

فتوح البلدان، ص: ۲۸۷

عظمها فاتسعت البطيحة و عرضت، فلما ولى معاوية بن أبى سفيان ولى عبد اللّه بن دراج مولاه خراج العراق و استخرج له من الأرضين بالبطائح ما بلغت غلته خمسة آلاف ألف و ذلك أنه قطع القصب و غلب الماء بالمسنيات، ثم كان حسان النبطى مولى بنى ضبة و صاحب حوض حسان بالبصرة و الذى تنسب إليه منارة حسان بالبطائح فاستخرج للحجاج أيام الوليد و لهشام بن عبد الملك أرضين من أراضى البطيحة، قالوا: و كان بكسكر قبل حدوث البطائح نهر يقال له الجنب، و كان طريق البريد إلى ميسان و دستميسان و إلى الأهواز فى شقه القبلى فلما تبطحت البطائح سمى ما استاجم من شق طريق البريد آجام البريد و سمى الشق الآخر اجام أغمر بثى، و فى ذلك الآجام الكبرى و النهر اليوم يظهر فى الأرضين الجامدة التى استخرجت حديثا.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن أشياخه، قالوا: حدثت البطائح بعد مهاجرة النبى صلى اللّه عليه و سلم و ملك الفرس أبرويز، و ذلك أنه انبثقت بثوق عظام عجز كسرى عن سدها و فاضت الأنهار حتى حدثت البطائح، ثم كان مد فى أيام محاربة المسلمين الأعاجم بثوق لم يعن أحد بسدها فاتسعت البطيحة لذلك و عظمت، و قد كان بنو أمية استخرجوا بعض أرضيها، فلما كان زمن الحجاج غرق ذلك لأن بثوقا انفجرت فلم يعان الحجاج سدها مضارة للدهاقين لأنه كان اتهمهم بممالأة ابن الأشعث حين خرج عليه و استخرج حسان النبطى لهشام أرضين من أرضى البطيحة أيضا.

و كان أبو الأسد الذى نسب إليه نهر أبى الأسد قائدا من قواد المنصور أمير المؤمنين ممن كان وجه إلى البصرة أيام مقام عبد اللّه بن على بها و هو الذى أدخل عبد اللّه بن على الكوفة.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۸

و حدثنى عمر بن بكير: أن المنصور رحمه اللّه وجه أبا الأسد مولى أمير المؤمنين فعسكر بينه و بين عسكر عيسى بن موسى حين كان يحارب ابراهيم ابن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب و هو حفر النهر المعروف بأبى أسد عند البطيحة، و قال غيره: أقام على فم النهر لأن السفن لم تدخله لضيقه عنها فوسعه و نسب إليه.

قال أبو مسعود: و قد انبثقت فی أیام الدولة المبارکة بثوق زادت فی البطائح سعة، و حدثت أیضا من الفرات آجام استخرج بعضها.
و حدثنی أبو مسعود عن عوانة، قال: انبثقت البثوق أیام الحجاج فکتب الحجاج إلی الولید بن عبد الملک یعلمه: أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم فاستکثرها الولید، فقال له مسلمة بن عبد الملک: أنا أنفق علیها علی أن تقطعنی الأرضین المنخفضة التی یبقی فیها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف ألف درهم یتولی إنفاقها ثقتک و نصیحک الحجاج فأجابه إلی ذلک فحصلت له أرضون من طساسیج متصلة فخفر السیبین و تألف الاکرة و المزارعین و عمر تلک الأرضین و ألجأ الناس إلیها ضیاعا کثیرة للتغزز به، فلما جاءت الدولة المبارکة و قبضت أموال بنی أمیة أقطع جمیع السیبین داود بن علی ابن عبد اللّه بن العباس، ثم ابتیع ذلک من ورثته بحقوقه و حدوده فصار من ضیاع الخلافة

.

فتوح البلدان، ص: ۲۸۹

أمر مدینة السلام

قالوا: و کانت بغداد قدیمة فمصرها أمیر المؤمنین المنصور رحمه اللّه و ابتنی بها مدینة و ابتدأها فی سنة خمس و أربعین و مائة فلما بلغه خروج محمد و ابراهیم بنی عبد اللّه بن حسن بن حسن عاد إلی الکوفة، ثم حول بیوت الأموال و الخزائن و الدواوین من الکوفة إلی بغداد سنة ست و أربعین و مائة و سماها مدینة السلام و استتم بناء حائط مدینته و جمیع أمره و بناء سور بغداد القدیم سنة سبع و أربعین و مائة و توفی سنة ثمان و خمسین و مائة بمکة و دفن عند بئر میمون الحضرمی حلیف بن أمیة، و بن المنصور للمهدی الرصافة فی الجانب الشرقی ببغداد، و کان هذا الجانب یدعی عسکر المهدی لأنه عسکر فیه حین خرج إلی الری، فلما قدم من الری و قد بدا للمنصور فی إنفاذه إلی خراسان للاقامة بها نزل الرصافة و ذلک فی سنة إحدی و خمسین و مائة و قد کان المنصور أمر فبنی للمهدی قبل إنزاله الجانب الشرقی قصره الذی یعرف بقصر الوضاح و بقصر المهدی و بالشرقیة، و هو مما یلی باب الکرخ، و الوضاح رجل من أهل الأنبار کان تولی النفقة علیه فنسب إلیه، و بنی المنصور مسجدی مدینة السلام، و بنی القنطرة الجدیدة علی الصراة، و ابتاع أرض مدینة السلام من قوم من أرباب القری بادوریا و قطربل و بهزبوق و نهربین و أقطعها أهل بیته و قواده و جنده و صحابته و کتابه، و جعل مجمع الأسواق بالکرخ و أمر التجار فابتنوا الحوانیت و ألزمهم الغلة.
و حدثنی العباس بن هشام الکلبی عن أبیه، قال: سمی المخرم ببغداد مخرما لأن مخرم بن شریح بن حزن الحارثی نزله، قال: و کان ناحیة قنطرة البردان للسری بن الحطیم صاحب الحطیمة التی تعرف ببغداد.
و حدثنی مشایخ من أهل بغداد: إن الصالحیة ببغداد نسبت إلی صالح بن
فتوح البلدان، ص: ۲۹۰
المنصور، قالوا: و الحربیة نسبت إلی حرب بن عبد اللّه البلخی، و کان علی شرط جعفر بن أبی جعفر بالموصل، و الزهیریة تعرف بباب التبن نسبت إلی زهیر بن محمد من أهل أبیورد، و عیساباذ نسبت إلی عیسی بن المهدی و کان فی حجر منازل الترکی و هو ابن الخیزران، و قصر عبودیة مما یلی براثا نسبت إلی رجل من الأزد یقال له عبدویه و کان من وجوه أهل الدولة، قالوا: و أقطع المنصور ببغداد سلیمان بن مجالد و مجالد سروی مولی لعلی بن عبد اللّه موضع داره و أقطع مهلهل بن صفوان قطیعه بالمدینة و إلیه ینسب درب مهلهل، و کان صفوان مولی علی بن عبد اللّه، و کان اسم مهلهل یحیی فاستنشده محمد بن علی شعرا فأنشده:
أ لیلتنا بذی حشم أنیری و هی لمهلهل فسماه مهلهلا، و محمد أعتقه و أقطع المنصور عمارة بن حمزة الناحیة المعروفة به خلف مربعة شبیب بن واج، و أقطع میمون أبا بشر ابن میمون قطیعة عند بستان القس ناحیة باب الشام، و طاقات بشر تنسب إلی بشر بن میمون: هذا، و کان میمون مولی علی بن عبد اللّه و اقطع شبیلا مولاه قطیعة عند دار یقطین و هناک مسجد یعرف بشبیل، و أقطع أم عبیدة و

هی حاضنة لهم و مولاة لمحمد بن علی قطیعة و إلیها تنسب طاقات أم عبیدة بقرب الجسر، و أقطع منیرة مولاة محمد بن علی و إلیها ینسب درب منیرة و خان منیرة فی الجانب الشرقی و أقطع ریشانة موضعا یعرف بمسجد بنی رغبان، مولی حبیب بن مسلمة الفهری یدخل فی قصر عیسی بن جعفر أو جعفر بن جعفر بن المنصور و درب مهرویه فی الجانب الشرقی نسب إلی مهرویه الرازی، و کان من سبی سنفاذ فأعتقه المهدی و لم یزل المنصور رحمه اللّه بمدینة السلام إلی آخر سنی خلافته، ثم حج منها و توفی بمکة، و نزلها بعده المهدی أمیر المؤمنین، ثم شخص منها إلی ماسبذان فتوفی بها، و کان أکثر نزوله من مدینة السلام بعیساباذ فی أبنیة بناها هناک، ثم

فتوح البلدان، ص: ۲۹۱

نزلها الهادی موسی بن المهدی فتوفی بها، و نزلها الرشید هارون بن المهدی ثم شخص عنها إلی الرافقة فأقام بها و سار منها إلی خراسان فتوفی بطوس، و نزلها محمد بن الرشید فقتل بها و قدمها المأمون عبد اللّه بن الرشید من خراسان فأقام بها ثم شخص عنها غازیا فمات بالفذندون و دفن بطرسوس، و نزلها أمیر المؤمنین المعتصم بالله ثم شخص عنها إلی القاطول فنزل قصر الرشید کان ابتناه حین حفر قاطوله الذی دعاه أبا الجند لقیام ما یسقی من الأرضین بأرزاق جنده، ثم بنی بالقاطول بناء نزله و دفع ذلک القصر إلی أشناس الترکی مولاه و هم بتمصیر ما هناک و ابتدأ بناء مدینة ترکها ثم رأی تمصیر سر من رأی فمصرها و نقل الناس إلیها و أقام بها، و بنی مسجدا جامعا فی طرف الأسواق و سماها سر من رأی، و نزل أشناس مولاه فیمن ضم إلیه من القواد کرخ فیروز، و أنزل بعض قواده الدور المعروفة بالعربایی و توفی رحمه اللّه بسر من رأی فی سنة سبع و عشرین و مائتین، و أقام هارون الواثق بالله بسر من رأی فی بناء بناه و سماه الهارونی حتی توفی به، ثم استخلف أمیر المؤمنین جعفر المتوکل علی اللّه رحمه اللّه فی ذی الحجة سنة اثنتین و ثلاثین و مائتین فأقام بالهارونی و بنی بناء کثیرا و أقطع الناس فی ظهر سر من رأی بالحائر الذی کان المعتصم بالله احتجره بها قطائع فاتسعوا بها و بنی مسجدا جامعا کبیرا و أعظم النفقة علیه و أمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنین فیها حتی نظر إلیها من فراسخ، فجمع الناس فیه و ترکوا المسجد الأول، ثم أنه أحدث مدینة سماها المتوکلیة و عمرها و أقام بها و أقطع الناس فیها القطائع و جعلها فیها بین الکوخ المعروف بفیروز و بین القاطول المعروف بکسری فدخلت الدور و القریة المعروفة بالماحوز فیها، و بنی بها مسجدا جامعا و کان من ابتدائه إیاها إلی أن نزلها أشهر و نزلها فی أول سنة ست و أربعین و مائتین ثم توفی بها رحمه اللّه فی شوال

فتوح البلدان، ص: ۲۹۲

سنة سبع و أربعین و استخلف فی هذه اللیلة المنتصر بالله فانتقل عنها إلی سر من رأی یوم الثلاثاء لعشر خلون من شوال و مات بها.

قالوا: کانت عیون الطف مثل عین الصید، و القطقطانة، و الرهیمة، و عین جمل و ذواتها للموکلین بالمسالح التی وراء السواد: و هی عیون خندق سابور الذی حفره بینه و بین العرب الموکلین بمسالح الخندق و غیرهم، و ذلک أن سابور أقطعهم أرضها فاعتموها من غیر أن یلزمهم لها خراجا، فلما کان یوم ذی قار و نصر اللّه العرب بنبیه صلی اللّه علیه و سلم غلبت العرب علی طائفة من تلک العیون و بقی فی أیدی الأعاجم بعضها، ثم لما قدم المسلمون الحیرة و هربت الأعاجم بعد أن طمت عامة ما فی أیدیهم منها و بقی الذی فی أیدی العرب فأسلموا علیه و صار ما عمروه من الأرضین عشریا، و لما مضی أمر القادسیة و المدائن دفع ما جلا عنه أهله من أراضی تلک العیون إلی المسلمین فأقطعوه فصارت عشریة أیضا و کذلک مجری عیون الطف و أرضیها مجری أعراض المدینة و قری نجد و کل صدقتها إلی عمال المدینة، فلما ولی إسحاق بن ابراهیم بن مصعب السواد للمتوکل علی اللّه ضمها إلی ما فی یده فتولی عمالة عشرها و صیرها سوادیة و هی علی ذلک إلی الیوم، و قد استخرج عیون اسلامیة مجری ما سقت عیونها من الأرضین هذا المجری.

و حدثنی بعض المشایخ: أن جملا مات عند عین الجمل فنسبت إلیه، و قال بعض أهل واسط أن المستخرج لها کان یسمی جملا، قالوا: و سمیت العین عین الصید لأن السمک یجتمع فیها.

و أخبرنی بعض الکریزین: أن عین الصید کانت مما طم فبینا رجل من المسلمین تحول فیما هناک إذ ساخت قوائم فرسه فیها فنزل عنه

فخفر فظهر له الماء فجمع قوما عاونوه على كشف التراب و الطين عنها و تنقيتها حتى

فتوح البلدان، ص: ۲۹۳

عادت إلى ما كانت عليه، ثم إنها صارت بعد إلى عيسى بن على، و كان عيسى ابتاعها من ولد حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، و كانت عنده منهم أم كلثوم بنت حسن بن حسن، و كان معاوية أقطع الحسن بن على عين صيد هذه عوضا من الخلافة مع غيرها، و كانت عين الرحبة مما طم قديما فرآها رجل من حجاج أهل كرمان و هى تبض فلما انصرف من حجه أتى عيسى بن موسى متنصحا فدله عليها فاستقطعها و أرضها و استخرجها له الكرمانى فاعتمل ما عليها من الأرضين و غرس النخل الذى فى طريق العذيب و على فراسخ من هيت عيون تدعى العرق تجرى هذا المجرى أعشارها إلى صاحب هيت.

حدثنى الأثرم عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء، قال: لما رأت العرب كثرة القرى و النخل و الشجر، قالوا: ما رأينا سوادا أكثر و السواد الشخص فتر لك سمى السواد سوادا.

و حدثنى القاسم بن سلام، قال. حدثنا محمد بن عبيد عن محمد بن أبى موسى قال: خرج على إلى السوق فرأى أهله قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم أن سوق المسلمين كمصلاهم من سبق إلى موضع فهو له يومه حتى يدعه.

حدثنى أبو عبيد، قال: حدثنى مروان بن معاوية عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه، قال: كنا نغدو إلى السوق فى زمن المغيرة بن شعبة فمن قعد فى موضع كان أحق به إلى الليل، فلما كان زياد قال: من قعد فى موضع كان أحق به ما دام فيه، قال مروان: و ولى المغيرة الكوفة مرتين لعمر مرة و مرة لمعاوية

.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۴

نقل ديوان الفارسية

و حدثنى المدائنى على بن محمد بن أبى سيف عن أشياخه. قالوا: لم يزل ديوان خراج السواد و سائر العراق بالفارسية، فلما ولى الحجاج العراق استكتب زادان فروخ بن بيرى و كان معه صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم يخط بين يديه بالعربية و الفارسية و كان أبو صالح من سبى سجستان فوصل زادان فروخ صالحا بالحجاج و خف على قلبه، فقال له ذات يوم:

إنك شبيبى إلى الأمير و أراه قد استخفنى و لا آمن أن يقدمنى عليك و أن تسقط، فقال: لا تظن ذلك هو أحوج إلى منه إليك لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى، فقال: و اللّه لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته، قال: فحول منه شطرا حتى أرى ففعل فقال له نمارض فتمارض فبعث إليه الحجاج طبيبه فلم ير به علة و بلغ زادان فروخ ذلك فأمره أن يظهر، ثم أن زادان فروخ قتل أيام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى و هو خارج من منزل كان فيه إلى منزله أو منزل غيره فاستكتب الحجاج صالحا مكانه فأعلمه الذى كان جرى بينه و بين زادان فروخ فى نقل الديوان فعزم الحجاج على أن يجعل الديوان بالعربية و قلد ذلك صالحا فقال له مردانشاه بن زادان فروخ كيف تصنع بدهويه و ششويه، قال: اكتب عشر و نصف عشر، قال: فكيف تصنع بويد، قال: اكتبه أيضا و الويد النيف و الزيادة تزاد، فقال: قطع اللّه أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية، و بذلت له مائة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان و يمسك عن ذلك فأبى و نقله، فكان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد يقول: للّه در صالح ما أعظم منته على الكتاب.

و حدثنى عمر بن شبة قال حدثنى أبو عاصم النبيل، قال: أنبأنا سهل بن أبى الصلت، قال، أجل الحجاج صالح بن عبد الرحمن أجلا حتى قلب الديوان

.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۵

فتح الجبال (حلوان)

قالوا: لما فرغ المسلمون من أمر جلولاء الوقيعة ضم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص إلى جرير بن عبد اللّه البجلى خيلا كثيفة و رتبه بجلولاء ليكون بين المسلمين و بين عدوهم ثم أن سعدا وجه إليهم زهاء ثلاثة آلاف من المسلمين و أمره أن ينهض بهم و بمن معه إلى حلوان، فلما كان بالقرب منها هرب يزدجرد إلى ناحية أصبهان ففتح جرير حلوان صلحا على أن كف عنهم و أمنهم على دمائهم و أموالهم و جعل لمن أحب منهم الهرب أن لا يعرض لهم، ثم خلف بحلوان جريرا مع عزرة بن قيس بن غزية البجلى و مضى نحو الدينور فلم يفتحها و فتح قرماسين على مثل ما فتح عليه حلوان و قدم حلوان فأقام بها واليا عليها إلى أن قدم عمار بن ياسر الكوفة فكتب إليه يعلمه أن عمر بن الخطاب أمره أن يمد به أبا موسى الأشعرى فخلف جرير عزرة ابن قيس على حلوان و سار حتى أتى أبا موسى الأشعرى فى سنة تسع عشرة.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن نجاد عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: لما قتل معاوية حجر بن عدى الكندى، قال أبى: لو رأى معاوية ما كان من حجوم عين قنطرة حلوان لعرف أن له غناء عظيما عن الإسلام، قال الواقدى: و قد نزل حلوان قوم من ولد جرير بن عبد اللّه فاعقابهم بها

.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۶

فتح نهاوند

قالوا: لما هرب يزدجرد من حلوان فى سنة تسع عشرة تكانبت الفرس و أهل الرى و قومس و أصبهان و همذان و الماهين و تجمعوا إلى يزدجرد و ذلك فى سنة عشرين فأمر عليهم مردانشاه ذا الحاجب و أخرجوا رأيتهم الدرفشكابيان، و كانت عدة المشركين يومئذ ستين ألفا و يقال مائة ألف، و قد كان عمار بن ياسر كتب إلى عمر بن الخطاب بخبرهم فهم أن يغزوهم بنفسه ثم خاف أن ينتشر أمر العرب بنجد و غيرها، و أشير عليه بأن يغزى أهل الشام من شامهم و أهل اليمن من يمنهم فخاف أن فعل ذلك أن تعود الروم إلى أوطانها و تغلب الحبشة على ما يليها، فكتب إلى أهل الكوفة يأمرهم أن يسير ثلثاهم و يبقى ثلثهم لحفظ بلدهم و ديارهم و بعث من أهل البصرة بعثا، و قال: لاستعملن رجلا يكون لأول ما يلقاه من الأسنة، فكتب إلى النعمان بن عمرو بن مقرن المزنى و كان مع السائب بن الأقرع الثقفى بتوليته الجيش، و قال: أن أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان فإن أصيب فجرير بن عبد اللّه البجلى فإن أصيب فالمغيرة بن شعبة فإن أصيب فالأشعث ابن قيس، و كان النعمان عاملا على كسكر و ناحيتها و يقال بل كان بالمدينة فولاه عمر أمر هذا الجيش مشافهة فشخص منها.

و حدثنى شيبان، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبى عمران الجوانى عن علقمة بن عبد اللّه عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فسأل ما ترى أ نبدأ بأصبهان أو بأذربيجان فقال الهرمزان: أصبهان الرأس و أذربيجان الجناحان، فإن قطعت الرأس سقط الجناحان و الرأس.

قال: فدخل عمر المسجد فبصر النعمان بن مقرن فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال: أما إنى سأستعملك، فقال النعمان: أما جابيا فلا و لكن غازيا قال

فتوح البلدان، ص: ۲۹۷

فأنت غاز فأرسله، و كتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه فأمدوه و فيهم المغيرة بن شعبة فبعث النعمان المغيرة إلى ذى الحاجبين عظيم

العجم بنهاوند فجعل يشق بسطه برمحه حتى قام بين يديه ثم قعد على سريره فأمر به فسحب، فقال إنى رسول، ثم التقى المسلمون و المشركون فسلسلوا كل عشرة فى سلسلة و كل خمسة فى سلسلة لئلا يفروا، قال: فرمونا حتى جرحوا منا جماعة و ذلك قبل القتال.

و قال النعمان: شهدت النبى صلى اللّه عليه و سلم فكان إذا لم يقاتل فى أول النهار انتظر زوال الشمس و هبوب الرياح و نزول النصر، ثم قال: إنى هاز لوائى ثلاث هزات، فأما أول هزة فليتوضأ الرجل بعدها و ليقض حاجته، و أما الهزة الثانية فلينظر الرجل بعدها إلى سيفه أو قال شعه و ليتهيأ و ليصلح من شأنه، و أما الثالثة فإذا كانت إن شاء اللّه فاحملوا و لا يلوين أحد على أحد، فهز لواءه ففعلوا ما أمرهم و ثقل درعه عليه فقاتل و قاتل الناس، فكان رحمه اللّه أول قتيل قال: و سقط الفارسى عن بغلته فانشق بطنه، قال فأتيت النعمان و به رمق فغسلت وجهه من أدواة ماء كانت معى فقال: من أنت قلت معقل قال: ما صنع المسلمون قلت: أبشر بفتح اللّه و نصره قال: الحمد للّه اكتبوا إلى عمر.

حدثنى شيبان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنى على بن زيد بن جدعان عن أبى عثمان النهدى، قال: أنا ذهبت بالبشارة إلى عمر فقال:

ما فعل النعمان قلت قتل قال: (إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) ثم بكى فقلت: قتل و اللّه فى آخرين لا أعلمهم قال و لكن اللّه يعلمهم.

و حدثنى أحمد بن ابراهيم، قال: حدثنا أبو أسامة و أبو عامر العقدى و سلم بن قتيبة جميعا عن شعبة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى، قال:

رأيت عمر بن الخطاب لما جاءه نعى النعمان بن مقرن وضع يده على رأسه و جعل يبكى.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۸

و حدثنا القاسم بن سلام، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه الأنصارى عن النهاس بن قهم عن القاسم بن عوف عن أبيه عن السائب بن الأقرع- أو عن عمر بن السائب عن أبيه شك الأنصارى- قال: زحف إلى المسلمين زحف لم ير مثله، فذكر حديث عمر فيما هم به من الغزو بنفسه و توليته النعمان بن مقرن و أنه بعث إليه بكتابه مع السائب و ولى السائب الغنائم، و قال:

لا ترفعن باطلا و لا تحبسن حقا ثم ذكر الواقعة، قال: فكان النعمان أول مقتول يوم نهاوند، ثم أخذ حذيفة الراية ففتح اللّه عليهم.

قال السائب: فجمعت تلك الغنائم ثم قسمتها، ثم أتانى ذو العوينتين فقال: إن كنز النخيرخان فى القلعة قال: فصعدتها فإذا أنا بسفطين فيهما جوهر لم أر مثله قط قال: فأقبلت إلى عمر و قد راث عنه الخبر و هو يتطوف المدينة، و يسأل، فلما رآنى قال: ويلك ما وراءك فحدثته بحديث الوقعة و مقتل النعمان و ذكرت له شأن السفطين فقال: اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين، فأقبلت بهما إلى الكوفة فأتانى شاب من قريش يقال له عمرو بن حريث فاشتراهما باعطية الذرية و المقاتلة، ثم انطلق بإحداهما إلى الحيرة فباعه بما اشتراهما به منى و فضل الآخر فكان ذلك أول لهوة مال اتخذه.

و قال بعض أهل الصيرة: اقتتلوا بنهاوند يوم الأربعاء و يوم الخميس ثم تحاجزوا ثم اقتتلوا يوم الجمعة، و ذكر من حديث الوقعة نحو حديث حماد ابن سلمة، و قال ابن الكلبى عن أبى مخنف: أن النعمان بن مقرن نزل الأسبيذهار و جعل على ميمنته الأشعث بن قيس، و على الميسرة المغيرة بن شعبة فاقتتلوا فقتل النعمان ثم ظفر المسلمون فسمى ذلك الفتح فتح الفتوح، قال: و كان فتح نهاوند فى سنة تسع عشرة يوم الأربعاء و يقال فى سنة عشرين.

فتوح البلدان، ص: ۲۹۹

و حدثنا الرفاعى قال حدثنا العبقرى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن و محمد قالا: كانت وقعة نهاوند سنة إحدى و عشرين.

و حدثنى الرفاعى، قال حدثنا العبقرى عن أبى معشر عن محمد بن كعب مثله، قالوا: و لما هزم الجيش الأعاجم و ظهر المسلمون و حذيفة يومئذ على الناس حاصر نهاوند فكان أهلها يخرجون فيقاتلون و هزمهم المسلمون، ثم أن سماك بن عبيد العبسى اتبع رجلا منهم ذات يوم و معه ثمانية فوارس فجعل لا يبرز إليه رجل منهم إلا قتله حتى لم يبق غير الرجل وحده فاستسلم و ألقى سلاحه فأخذه

أسيرا. فتكلم بالفارسية فدعى له سماك برجل يفهم كلامه فترجمه فإذا هو يقول: اذهب إلى أميركم حتى أصالحه عن هذه الأرض و أؤدى إليه الجزية و أعطيك على أسرك إياى ما شئت فإنك قد مننت على إذ لم تقتلنى فقال له و ما اسمك قال دينار فأنطلق به إلى حذيفة فصالحه على الخراج و الجزية و آمن أهل مدينته نهاوند على أموالهم و حيطانهم و منازلهم فسميت نهاوند ماه دينار و كان دينار يأتى بعد ذلك سماكا و يهدى إليه و يبره.

و حدثنى أبو مسعود الكوفى عن المبارك بن سعيد عن أبيه قال و كانت نهاوند من فتوح أهل الكوفة و الدينور من فتوح أهل البصرة فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا إلى أن يزادوا فى النواحى التى كان خراجها مقسوما فيهم فصيرت لهم الدينور و عوض أهل البصرة نهاوند لأنها من أصبهان فصار فضل ما بين خراج الدينور و نهاوند لأهل الكوفة فسميت نهاوند ماه البصرة و الدينور ماه الكوفة و ذلك فى خلافة معاوية.

و حدثنى جماعة من أهل العلم أن حذيفة بن اليمان و هو حذيفة بن حسيل بن جابر العبسى حليف بنى عبد الأشهل من الأنصار و أمه الرباب بنت كعب بن عدى من عبد الأشهل و كان أبو حذيفة قتل يوم أحد قتله

فتوح البلدان، ص: ۳۰۰

عبد اللّه بن مسعود الهذلى خطأ و هو يحسبه كافرا فأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بإخراج ديته فوهبه حذيفة للمسلمين و كان الواقدى يقول سمى حسيل اليمان لأنه كان يتجر إلى اليمن فإذا أتى المدينة قالوا قد جاء اليمانى.

و قال الكلبى: هو حذيفة بن حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة و جروة هو اليمان نسب إليه حذيفة و بنيهما آباء و كان قد أصاب فى الجاهلية دما و هرب إلى المدينة و حالف بنى عبد الأشهل فقال قومه هو يمان لأنه حالف اليمانية.

صلح الدينور و ماسبذان و مهرجا نقذف

قالوا: انصرف أبو موسى الأشعرى من نهاوند و قد كان سار بنفسه إليها على بعث أهل البصرة ممدا للنعمان بن مقرن فمر بالدينور فأقام عليها خمسة أيام قوتل منها يوما واحدا، ثم أن أهلها أقروا بالجزية و الخراج و سألوا الأمان على أنفسهم و أموالهم و أولادهم فأجابهم إلى ذلك و خلف بها عامله فى خيل ثم مضى إلى ماسبذان فلم يقاتله أهلها و صالحه أهل السيروان على مثل صلح الدينور و على أن يؤدوا الجزية و الخراج، و بث السرايا و فيهم فغلب على أرضها و قوم يقولون: أن أبا موسى فتح ماسبذان قبل وقعة نهاوند و بعث أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى السائب بن الأقرع الثقفى و هو صهره على ابنته و هى أم محمد بن السائب إلى الصيمرة مدينة مهرجا نقذف ففتحها صلحا على حقن الدماء و ترك السباء و الصفح عن الصفراء و البيضاء و على أداء الجزية و خراج الأرض و فتح جميع كور مهرجا نقذف، و أثبت الخبر أنه وجه السائب من الأهواز ففتحها.

فتوح البلدان، ص: ۳۰۱

حدثنى محمد بن عقبة بن مصرم الضبى عن أبيه عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخ من أهل الكوفة أن المسلمين لما غزوا الجبال فمروا بالقلة الشرقية التى تدعى سن سميرة، و سميرة امرأة من ضبة من بنى معاوية بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة من المهاجرات و كانت لها سن فسمى ذلك سن سميرة قال ابن هشام الكلبى و قناطر النعمان نسبت إلى النعمان بن عمرو بن مقرن المزنى عسكر عندها و هى قديمة.

و حدثنى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن عوانة قال: كان كثير بن شهاب بن الحصين بن ذى الغصة الحارثى عثمانيا يقع فى على بن أبى طالب و يثبط الناس عن الحسين و مات قبيل خروج المختار بن أبى عبيد أو فى أول أيامه، و له يقول المختار بن أبى عبيد فى سجعه: أما و رب السحاب، شديد العقاب، سريع الحساب، منزل الكتاب، لأنبشن قبر كثير بن شهاب، المفترى الكذاب، و كان معاوية ولاه الرى و دستبى حينا من قبله و من قبل زياد و المغيرة بن شعبة عامليه، ثم غلب عليه فحبسه بدمشق و ضربه حتى شخص شريح بن

هانئ المرادی إليه فی أمره فتخلصه، و كان يزيد بن معاوية قد حمد مشايعته و أتباعه لهواه فكتب إلى عبد اللّه بن زياد فی توليته ماسبذان و مهرجا نقذف و حلوان و الماهين و أقطعه ضياعا بالجبل فبنی قصره المعروف بقصر كثير، و هو من عمل الدينور، و كان زهرة بن الحارث بن منصور بن قيس بن كثير بن شهاب اتخذ بماسبذان ضياعا.

حدثنی بعض ولد خشرم بن مالك بن هبيرة الأسدی أن أول نزول الخشارمة ماسبذان كان فی آخر أيام بنی أمية نزع إليها جدهم من الكوفة.

و حدثنی العمری عن الهيثم بن عدی، قال: كان زياد فی سفر فانقطع سفشق قبائه فأخرج كثير بن شهاب إبرة كانت مغروزة فی قلنسوته و خيطا

فتوح البلدان، ص: ۳۰۲

كان معه فأصلح السفشق، فقال له زياد: أنت حازم و ما مثلك يعطل فولاه بعض الجبل.

فتح همذان

قالوا: وجه المغيرة بن شعبة و هو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر جرير بن عبد اللّه البجلی إلى همذان، و ذلك فی سنة ثلاث و عشرين فقاتله أهلها و دفع دونها فأصيبت عينه بسهم فقال: احتسبتها عند اللّه الذی زين بها وجهی و نور لی ما شاء ثم سلبنيها فی سبيله، ثم أنه فتح همذان على مثل صلح نهاوند و كان ذلك فی آخر سنة ثلاث و عشرين فقاتله أهلها و دفع عنها و غلب على أرضها فأخذها قسرا، و قال الواقدی: فتح جرير نهاوند فی سنة أربع و عشرين بعد ستة أشهر من وفاة عمر بن الخطاب رحمه اللّه و قد روى بعضهم أن المغيرة بن شعبة سار إلى همذان و على مقدمته جرير فافتتحها و إن المغيرة ضم همذان إلى كثير بن شهاب الحارثی.

و حدثنی عباس بن هشام عن أبيه عن جده و عوانة بن الحكم، أن سعد ابن أبی وقاص لما ولی الكوفة لعثمان بن عفان ولی العلاء بن وهب بن عبد ابن وهبان أحد بنی عامر بن لؤی ماه و همذان فغدر أهل همذان و نقضوا فقاتلهم ثم أنهم نزلوا على حكمه فصالحهم على أن يؤدوا خراج أرضهم و جزية الرءوس و يعطوه مائة ألف درهم للمسلمين، ثم لا يعرض لهم فی مال و لا حرمة و لا ولد و قال ابن الكلبی: و نسبت القلعة التی تعرف بماذران إلى السری بن نسير بن ثور العجلی و هو كان أناخ عليها حتى فتحها.

و حدثنی زياد بن عبد الرحمن البلخی عن أشياخ من أهل سيسر، قال سميت سيسر لأنها فی الخفاض من الأرض بين رؤس اكام ثلاثين فقيل

فتوح البلدان، ص: ۳۰۳

ثلاثون رأسا، و كانت سيسر تدعى سيسر صدخانية أی ثلاثون رأسا و مائة عين و بها عيون كثيرة تكون مائة عين، قالوا: و لم تزل سيسر و ما والاها مراعی لمواشی الأكراد و غيرهم، و كانت مروج لدواب المهدی أمير المؤمنين و أغنامه، و عليها مولى له يقال له سليمان بن قيراط صاحب صحراء قيراط بمدينة السلام، و شريك معه يقال له سلام الطيفوری، و كان طيفور مولى أبی جعفر المنصور وهبه للمهدی، فلما كثر الصعاليك و الذعار و انتشروا بالجبل فی خلافة المهدی أمير المؤمنين جعلوا هذه الناحية ملجأ لهم و حوزا فكانوا يقطعون و يأوون إليها و لا يطلبون لأنها حد همذان و الدينور و أذربيجان، فكتب سليمان بن قيراط و شريكه إلى المهدی بخبرهم و شكيا عرضهم لما فی أيديهم من الدواب و الأغنام، فوجه إليهم جيشا عظيما و كتب إلى سليمان و سلام يأمرهما ببناء مدينة يأويان إليها و أعوانهما و رعاتهما و يحصنان فيها الدواب و الأغنام ممن خافاه عليها، فبنيا مدينة سيسر و حصناها و أسكناها الناس، و ضم إليها رستاق ما ينهرج من الدينور و رستاق الجوذمة من أذربيجان من كورة برزة و رسطف و خابنجر فكورت بهذه الرساتيق، و وليها عامل مفرد و كان خراجها يؤدی إليه، ثم أن الصعاليك كثروا فی خلافة أمير المؤمنين الرشيد و شعثوا سيسر فأمر بمرمتها و

تحصينها و رتب فيها ألف رجل من أصحاب خاقان الخادم السغدى ففيها قوم من أولادهم.

ثم لما كان فى آخر أيام الرشيد وجه مرة بن أبى مرة الردينى العجلى على سيسر، فحاول عثمان الأودى مغالبته عليها فلم يقدر على ذلك و غلبه على ما كان فى يده من أذربيجان أو أكثر، و لم يزل مرة بن الردينى يؤدى الخراج عن سيسر فى أيام محمد الرشيد على مقاطعة قاطعه عليها إلى أن وقعت الفتنة ثم إنها أخذت من عاصم بن مرة فأخرجت من يده فى خلافة المأمون

فتوح البلدان، ص: ۳۰۴

فرجعت إلى ضياع الخلافة.

و حدثنى مشايخ من أهل المفازة و هى متاخمة لسيسر أن الجرشى لما ولى الجبل جلا أهل المفازة عنها فرفضوها، و كان للجرشى قائد يقال له همام بن هانئ العبدى فألجأ إليه أكثر أهل المفازة ضياعهم و غلب على ما فيها فكان يؤدى حق بيت المال فيها حتى توفى و ضعف ولده عن القيام بها فلما أقبل المأمون أمير المؤمنين من خراسان بعد قتل محمد بن زبيدة يريد مدينة السلام اعترضه بعض ولد همام و رجل من أهلها يقال له محمد بن العباس و أخبرا بقصتها و رضاء جميع أهلها أن يعطوه رقبتها و يكونوا مزارعين له فيها على أن يعزوا و يمتنعوا من الصعاليك و غيرهم فقبلها و أمر بتقويتهم و معونتهم على عمارتها و مصلحتها فصارت من ضياع الخلافة.

و حدثنى المدائنى أن ليلى الأخيلية أتت الحجاج فوصلها، و سألته أن يكتب لها إلى عامله بالرى فلما صارت بساوة ماتت فدفنت هناك.

فتح قم و قاشان و أصبهان

قالوا: لما انصرف أبو موسى عبد اللّه بن قيس الأشعرى من نهاوند سار إلى الأهواز فاستقرأها، ثم أتى «قم» و أقام عليها أياما ثم افتتحها، و وجه الأحنف بن قيس و اسمه الضحاك بن قيس التميمى إلى «قاشان» ففتحها عنوة ثم لحق به، و وجه عمر بن الخطاب عبد اللّه بن بديل بن ورقاء الخزاعى إلى «أصبهان» سنة ثلاث و عشرين، و يقال: بل كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى يأمره بتوجيهه فى جيش إلى أصبهان فوجهه ففتح عبد اللّه بن بديل جى صلحا بعد قتال على أن يؤدى أهلها الخراج و الجزية و على أن يؤمنوا على أنفسهم و أموالهم خلا ما فى أيديهم من السلاح، و وجه عبد اللّه بن بديل: الأحنف

فتوح البلدان، ص: ۳۰۵

ابن قيس و كان فى جيشه إلى اليهودية فصالحه أهلها على مثل ذلك الصلح و غلب ابن بديل على أرض أصبهان و طساسيجها و كان العامل عليها إلى أن مضت من خلافة عثمان سنة، ثم ولاها عثمان السائب بن الأقرع.

و حدثنى محمد بن سعد مولى بنى هاشم، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل عن سليمان بن مسلم عن خاله بشير بن أبى أمية أن الأشعرى نزل بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فأبوا، فعرض عليهم الجزية فصالحوه عليها فباتوا على صلح ثم أصبحوا على غدر فقاتلهم و أظهره اللّه عليهم، قال محمد بن سعد:

أحسبه عن أهل قم.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى الهيثم بن جميل عن حماد بن سلمة عن محمد بن إسحاق، قال وجه عمر بن بديل الخزاعى إلى أصبهان و كان مرزبانها مسنا يسمى الفادوسفان فحاصره و كاتب أهل المدينة فخذلهم عنه، فلما رأى الشيخ التياث الناس عليه اختار ثلاثين رجلا من الرماة يثق ببأسهم و طاعتهم، ثم خرج من المدينة هاربا يريد كرمان ليتبع يزدجرد و يلحق به فانتهى خبره إلى عبد اللّه بن بديل فاتبعه فى خيل كثيفة فالتفت الأعجمى إليه و قد علا شرفا فقال: اتق على نفسك فليس يسقط لمن ترى سهم فإن حملت رميناك و إن شئت أن تبارزنا بارزناك فبارز الأعجمى فضربه ضربة وقعت على قربوص سرجه فكسرته و قطعت اللبب، ثم قال له يا هذا ما أحب قتلك فإنى أراك عاقلا شجاعا فهل لك فى أن أرجع معك فأصالحك على أداء الجزية عن أهل بلدى فمن

أقام كان ذمـة و من هرب لم تعرض له و أدفع المدينـة إليك، فرجع ابن بـديل معه ففتح جى و وفى بما أعطاه و قال: يا أهل أصـبهان رأيتكم لئاما متخاذلين فكنتم أهلا لما فعلت بكم، قالوا: و سار ابن بـديل فى نواحى أصـبهان سـهلها و جبلها فغلب عليها، و عاملهم فى الخراج نحو ما عاملهم عليه أهل الأهواز. قالوا: و كان فتح أصبهان و أرضها فى

فتوح البلدان، ص: ۳۰۶

بعض سنة ثلاث و عشرين أو أربع و عشرين.

و قـد روى أن عمر بن الخطاب وجه عبـد اللّه بن بـديل فى جيش فوافى أبا موسـى و قد فتح «قم» و «قاشان» فغزوا جميعا «أصـبهان» و على مقدمـة أبى موسـى الأشـعرى الأحنف بن قيس ففتحا اليهوديـة جميعا على ما وصـفنا، ثم فتـح ابن بـديل «جى» و سارا جميعا فى أرض «أصبهان» فغلبا عليها، و أصح الأخبار أن أبا موسى فتح «قم» و «قاشان» و أن عبد اللّه بن بديل فتح «جى» و «اليهودية».

و حدثنى أبو حسان الزيادى عن رجل من ثقيف قال: كان لعثمان بن أبى العاصى الثقفى مشهد بأصبهان.

و حـدثنا محمـد بن يحيى التميمى عن أشـياخه، قـال: كـانت للأشـراف من أهـل أصـبهان معاقـل بجفربـاد من رسـتاق الثيمرة الكبرى ببهجاورسان و بقلعة تعرف بماربين فلما فتحت جى دخلوا فى الطاعة على أن يؤدوا الخراج و أنفوا من الجزية فأسلموا.

و قال الكلبى و أبو اليقظان: ولى الهذيل بن قيس العنبرى أصـبهان فى أيام مروان فمذ ذاك صار العنبريون إليها، قالوا: و كان جد أبى دلف، و أبو دلف القاسم بن عيسـى بن إدريس بن معقل العجلى يعالـج العطر و يحلب الغنم، فقدم الجبل فى عدة من أهله فنزلوا قرية من قرى همذان تدعى مس، ثم أنهم أثروا و اتخذوا الضـياع، و وثب إدريس بن معقل على رجل من التجار كان له عليه مال فخنقه، و يقال بل خنقه و أخـذ ماله، فحمل إلى الكوفـة و حبس بها فى ولايـة يوسف بن عمر الثقفى العراقى زمن هشام بن عبد الملك، ثم أن عيسـى بن إدريس نزل الكرج و غلب عليها و بنى حصنها و كان حصنا رثا، و قويت حال أبى دلف القاسم بن عيسى و عظم شأنه عند السلطان فكبر ذلك الحصن و مدن الكرج فقيل كرج أبى دلف و الكرج اليوم مصر من الأمصار.

فتوح البلدان، ص: ۳۰۷

و كـان المـأمون وجه على بن هشـام المروزى إلى قم و قـد عصـى أهلها و خالفوا و منعوا الخراج و أمره بمحاربتهم و أمـده بالجيوش ففعل و قتل رئيسـهم و هو يحيى بن عمران، و هـدم سور مدينتهم و ألصـقه بالأرض و جباها سـبعة آلاف ألف درهم و كسـرا، و كان أهلها قبل ذلك يتظلمون من ألفى ألف درهم، و قد نقضوا فى خلافة أبى عبد اللّه المعتز بالله بن المتوكل على اللّه فوجه إليهم موسى بن بغا عامله على الجبل لمحاربـة الطالبين الذين ظهروا بطبرسـتان ففتحت عنوة و قتل من أهلها خلق كثير، و كتب المعتز بالله فى حمل جماعة من وجوها.

مقتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان

قالوا: هرب يزدجرد من المدائن إلى حلوان ثم إلى أصـبهان، فلما فرغ المسـلمون من أمر نهاوند هرب من أصبهان إلى إصطخر فتوجه عبد اللّه بن بديل بن ورقاء بعد فتح أصـبهان لاتباعه فلم يقدر عليه، و وافى أبو موسـى الأشعرى إصطخر فرام فتحها فلم يمكنه ذلك و عاناها عثمان بن أبى العاصـى الثقفى فلم يقدر عليها، و قدم عبد اللّه بن عامر بن كريز البصـرة سـنة تسع و عشرين و قد افتتحت فارس كلها إلا إصـطخر و جور فهم يزدجرد بأن يأتى طبرستان و ذلك أن مرزبانها عرض عليه و هو بأصبهان أن يأتيها و أخبره بحصانتها ثم بـدا له فهرب إلى كرمان، و اتبعه بن عامر مجاشع بن مسـعود السـلمى و هرم بن حيان العبـدى فمضـى مجاشع فنزل بيمنـذ من كرمان، فأصـاب الناس الـدمق و هلك جيشه فلم ينـج إلا القليل فسـمى القصـر قصـر مجاشع، و انصـرف مجاشع إلى ابن عامر، و كان يزدجرد جلس ذات يوم بكرمان فدخل عليه مرزبانها

فتوح البلدان، ص: ۳۰۸

فلم يكلمه تيها فأمر بجر رجله و قال: ما أنت بأهل لولايـة قريـة فضـلا عن الملك و لو علم اللّه فيك خيرا ما صـيرك إلى هـذه الحال، فمضى إلى سجستان فأكرمه ملكها و عظمه فلما مضت عليه أيام سأله عن الخراج فتنكر له.

فلما رأى يزدجرد ذلك سار إلى خراسان، فلما صار إلى حـد مرو تلقاه ماهويه مرزبانها معظما مبجلا و قـدم عليه نيزك طرخان فحمله و خلع عليه و أكرمه فأقام نيزك عنده شـهرا ثم شـخص و كتب إليه يخطب ابنته فاحفظ ذلك يزدجرد و قال: اكتبوا إليه إنما أنت عبد من عبيـدى فما جرأك على أن تخطب إلى، و أمر بمحاسـبة ماهويه مرزبان مرو و سأله عن الأموال، فكتب ماهويه إلى نيزك يحرضـه عليه و يقول: هـذا الـذى قـدم مفلولا ـ طريـدا فمننت عليه ليرد عليه ملكه، فكتب إليـك بمـا كتب ثم تضافر على قتله و أقبل نيزك فى الأتراك حتى نزل الجنابذ فحاربوه فتكافا الترك، ثم عادت الديرة عليه فقتل أصحابه و نهب عسكره فأتى مدينة مرو فلم يفتح له فنزل عن دابته و مشـى حتى دخـل بيت طحـان على المرغـاب، و يقـال أن ماهويه بعث إليه رسـله حين بلغه خبره فقتلوه فى بيت الطحان، و يقال أنه دس إلى الطحان فأمره بقتله فقتله، ثم قال: ما ينبغى لقاتل ملك أن يعيش فأمر بالطحان فقتل، و يقال أن الطحان قدم له طعاما فأكل و أتاه بشـراب فشرب فسكر فلما كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه فبصر به الطحان فطمع فيه فعمد إلى رحا فألقاها عليه فلما قتله أخذ تاجه و ثيابه و ألقاه فى الماء ثم عرف ماهويه خبره فقتل الطحان و أهل بيته و أخذ التاج و الثياب.

و يقال: أن يزدجرد نـذر برسل ماهويه فهرب و نزل الماء فطلب من الطحان فقال: قـد خرج من بيتى فوجدوه فى الماء، فقال خلوا عنى أعطكم منطقتى و خاتمى و تاجى، فتغيبوا عنه و سألهم شيئا يأكل به خبزا

فتوح البلدان، ص: ۳۰۹

فأعطاهم بعضهم أربعة دراهم فضحك و قال: لقد قيل لى أنك ستحتاج إلى أربعة دراهم.

ثم أنه هجم عليه بعـد ذلك قوم وجههم ماهويه لطلبه فقال: لا تقتلونى و احملونى إلى ملك العرب لأصالحه عنى و عنكم فتأمنوا فأبوا ذلك و خنقوه بوتر ثم أخذوا ثيابه فجعلت فى جراب و ألقوا جثته فى الماء، و وقع فيروز ابن يزدجرد فيما يزعمون إلى الترك فزوجوه و أقام عندهم.

فتح الرى و قومس

حـدثنى العبـاس بن هشـام الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسـر و هو عامله على الكوفـة بعد شهرين من وقعه نهاونـد يـأمره أن يبعث عروة بن زيـد الخيـل الطـائى إلى الرى و دسـتبى فى ثمانيـة آلاـف ففعل، و سار عروة إلى ما هنـاك فجمعت له الـديلم و أمـدهم أهل الرى فقاتلوه فأظهره اللّه عليهم فقتلهم و اجتاحهم ثم خلف حنظلـة بن زيـد أخاه و قـدم على عمـار فسـأله أن يوجهه إلى عمر و ذلـك أنه كان القادم عليه بخبر الجسـر فأحب أن يأتيه بما يسـره فلما رآه عمر قال (إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ) فقال عروة: بل أحمد اللّه فقد نصـرنا و أظهرنا و حدثه بحديثه، فقال: هلا أقمت و أرسـلت قال: قد اسـتخلفت أخى و أحببت أن آتيك بنفسى فسماه البشير، و قال عروة:

برزت لأهل القادسية معلماو ما كل من يغشى الكريهة يعلم

و يوما بأكناف النخيلة قبلهاشهدت: فلم أبرح أدمى و أكلم

و أيقنت يوم الديلميين أننىمتى ينصرف وجهى إلى القوم يهزموا

محافظة أنى امرؤ ذو حفيظةإذا لم جد مستأخرا أتقدم

فتوح البلدان، ص: ۳۱۰

المنذر بن حسان بن ضـرار أحد بنى مالك بن زيد شـرك فى دم مهران يوم النخيلة، قالوا فلما انصـرف عروة بعث حذيفة على جيشـه سلمـة بن عمرو بن ضـرار الضبى و يقال البراء بن عازب و قـد كانت وقعة عروة كسـرت الديلم و أهل الرى فأناخ على حصن الفرخان

بن الزینبدی و العرب تسمیه الزینبی و کان یدعی عارین فصالحه ابن الزینبی بعد قتال علی أن یکونوا ذمة یؤدون الجزیة و الخراج و أعطاه عن أهل الری و قومس خمسمائة ألف علی أن لا یقتل منهم أحدا و لا یسبیه و لا یهدم لهم بیت ناری، و أن یکونوا أسوة أهل نهاوند فی خراجهم، و صالحه أیضا عن أهل دستی الرازی و کانت دستبی قسمین قسما رازیا و قسما همذانیا.

و وجه سلیمان بن عمرو الضبی و یقال البراء بن عازب إلی قومس خیلا- فلم یمتنعوا و فتحوا أبواب الدامغان، ثم لما عزل عمر بن الخطاب عمارا و ولی المغیرة بن شعبة الکوفة ولی المغیرة بن شعبة کثیر بن شهاب الحارثی الری و دستبی، و کان لکثیر أثر جمیل یوم القادسیة، فلما صاروا إلی الری وجد أهلها قد نقضوا فقاتلهم حتی رجعوا إلی الطاعة و أذعنوا بالخراج و الجزیة و غزا الدیلم فأوقع بهم و غزا البیر و الطیلسان.

فحدثنی حفص بن عمر العمری عن الهیثم بن عدی عن ابن عیاش الهمذانی و غیره أن کثیر بن شهاب کان علی الری و دستبی و قزوین، و کان جمیلا- حازما مقعدا فکان یقول ما من مقعد إلا- و هو عیال علی أهله سوای، و کان إذا رکب ثابت سویقتیه کالمحراثین، و کان إذا غزا أخذ کل امرئ ممن معه بترس و درع و بیضة و مسلة و خمس أبر و خیوط کتان و بمخفف و مقراض و مخلاة و تلیسة، و کان بخیلا، و کانت له جفنة توضع بین یدیه فإذا جاءه إنسان قال: لا أبا لک أ کانت لک علینا عین، و قال یوما یا غلام أطعمنا فقال: ما عندی

فتوح البلدان، ص: ۳۱۱

إلا- خبر و بقل، فقال: و هل اقتتلت فارس و الروم إلا علی الخبز و البقل، و ولی الری و دستبی أیضا أیام معاویة حینا، قال: و لما ولی سعد بن أبی وقاص الکوفة فی مرته الثانیة أتی الری و کانت ملتاثة فأصلحها و غزا الدیلم و ذلک فی أول سنة خمس و عشرین ثم انصرف.

و حدثنی بکر بن الهیثم عن یحیی بن ضریس قاضی الری، قال: لم تزل الری بعد أن فتحت أیام حذیفة تنتقض و تفتح حتی کان آخر من فتحها قرظة ابن کعب الأنصاری فی ولایة أبی موسی الکوفة لعثمان فاستقامت، و کان عمالها ینزلون حصن الزنبدی و یجمعون فی مسجد اتخذ بحضرته و قد دخل ذلک فی فصیل المحدثة، و کانوا یغزون الدیلم من دستبی، قال: و قد کان قرظة بعد ولی الکوفة لعلی و مات بها فصلی علیه علی رضی اللّه عنه.

و حدثنی عباس بن هشام عن أبیه عن جده، قال: ولی علی یزید بن حجبة ابن عامر بن تیم اللّه بن ثعلبة بن عکابة الری و دستبی فکسر الخراج فحبسه فخرج فلحق بمعاویة، و قد کان أبو موسی غزا الری بنفسه و قد نقض أهلها ففتحها علی أمرها الأول.

و حدثنی جعفر بن محمد الرازی، قال قدم أمیر المؤمنین المهدی فی خلافة المنصور فبنی مدینة الری التی الناس بها الیوم و جعل حولها خندقا و بنی فیها مسجدا جامعا جری علی ید عمار بن أبی الخصیب، و کتب اسمه علی حائطه فأرخ بناءها سنة ثمان و خمسین و مائة و جعل لها فصیلا یطیف به فارقین أجر و سماها المحمدیة فأهل الری یدعون المدینة الداخلة و یسمون الفصیل المدینة الخارجة و حصن الزنبدی فی داخل المحمدیة و کان المهدی قد أمر بمرمته و نزله و هو مطل علی المسجد الجامع و دار الأمارة و قد کان جعل بعد سجنا.

قال: و بالری أهل بیت یقال لهم بنو الحریش نزلوا بعد بناء المدینة، قال:

فتوح البلدان، ص: ۳۱۲

و کانت مدینة الری تدعی فی الجاهلیة أرازی فیقال أنه خسف بها و هی علی ست فراسخ من المحمدیة و بها سمیت الری، و قال و کان المهدی فی أول مقدمه الری نزل قریة یقال لها السیر و أن، قال و فی قلعة الفرخان یقول الشاعر الغطمش بن الأعور بن عمرو الضبی:

علی الجوسق الملعون بالری لا ینی‌علی رأسه داعی المنیة یلمع

قال بكر بن الهيثم: حدثنى يحيى بن ضريس القاضى، قال: كان الشعبى دخل الرى مع قتيبة بن مسلم، فقال له: ما أحب الشراب إليك فقال أهونه وجودا و أعزه فقدا قال: و دخل سعيد بن جبير الرى أيضا فلقيه الضحاك فكتب عنه التفسير.

قال: و كان عمرو بن معدى كرب الزبيدى غزا الرى أول ما غزيت فلما انصرف توفى فدفن فوق روذة و بوسنة بموضع يسمى كرمانشاهان و بالرى دفن الكسائى النحوى، و اسمه على بن حمزة، و كان شخص إليها مع الرشيد رحمه اللّه و هو يريد خراسان و بهامات الحجاج بن أرطاة، و كان شخص إليها مع المهدى و يكنى أبا أرطاة، و قال الكلبى: نسب قصر جابر بدستبى إلى جابر أحد بنى زيبان بن تيم اللّه بن ثعلبة.

قالوا: و لم تزل وظيفة الرى اثنى عشر ألف ألف درهم حتى مربها المأمون منصرفا من خراسان يريد مدينة السلام فأسقط من وظيفتها ألفى ألف درهم و أسجل بذلك لأهلها

.

فتوح البلدان، ص: ۳۱۳

فتح قزوين و نجبار

حدثنى عدة من أهل قزوين، و بكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الرى قالوا: و كان حصن قزوين بالفارسية كشوين و معناه الحد المنظور إليه أى المحفوظ و بينه و بين الديلم جبل، و لم يزل فيه لأهل فارس مقاتله من الأساورة يرابطون فيه فيدفعون الديلم إذا لم يكن بينهم هدنة و يحفظون بلدهم من متلصصيهم و غيرهم إذا جرى بينهم صلح، و كانت دستبى مقسومة بين الرى و همذان فقسم يدعى الرازى و قسم يدعى الهمذانى، فلما ولى المغيرة ابن شعبة الكوفة ولى جرير بن عبد اللّه همذان و ولى البراء بن عازب قزوين و أمره أن يسير إليها فإن فتحها اللّه على يده غزا الديلم منها، و إنما كان مغزاهم قبل ذلك من دستبى، فسار البراء و معه حنظلة بن زيد الخيل حتى أتى أبهر، فقام على حصنها و هو حصن بناه بعض الأعاجم على عيون سدها بجلود البقر و الصوف و اتخذ عليها دكة ثم أنشأ الحصن عليها فقاتلوه، ثم طلبوا الأمان فآمنهم على مثل ما آمن عليه حذيفة أهل نهاوند و صالحهم على ذلك و غلب على أراضى أبهر، ثم غزا أهل حصن قزوين، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم وجهوا إلى الديالمة يسئلونهم نصرتهم، فوعدوهم أن يفعلوا و حل البراء و المسلمون بعقوتهم فخرجوا لقتالهم و الديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يدا، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطى أهل أبهر فأنفقوا من الجزية و أظهروا الإسلام فقيل أنهم نزلوا على مثل ما نزل عليه أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاءوا، فنزلوا الكوفة، و حالفوا زهرة بن حوية فسموا حمراء الديلم، و قيل: انهم أسلموا و أقاموا بمكانهم و صارت أرضوهم عشرية، فرتب البراء معهم خمس مائة رجل من المسلمين معهم طليحة

فتوح البلدان، ص: ۳۱۴

ابن خويلد الأسدى و أقطعهم أرضين لا حق فيها لأحد، قال بكر و أنشدنى رجل من أهل قزوين لجد أبيه و كان مع البراء:

قد علم الديلم إذ تحارب‌حين أتى فى جيشه بن عازب

بأن ظن المشركين كاذب‌فكم قطعنا فى دجى الغياهب

من جبل و عر و من سباسب و غزا الديلم حتى أدوا إليه الأتاوة و غزا جيلان و البير و الطيلسان و فتح زنجان عنوة، و لما ولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية الكوفة لعثمان بن عفان غزا الديلم مما يلى قزوين، و غزا أذربيجان، و غزا جيلان و موقان و البير و الطيلسان، ثم انصرف، و ولى سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية بعد الوليد فغزا الديلم و مصر قزوين فكانت ثغر أهل الكوفة و فيها بنيانهم.

و حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى، قال: حدثنا خلف بن تميم، قال، حدثنا زائدة بن قدامة عن إسماعيل عن مرة الهمذانى، قال: قال

علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه من کره منکم أن یقاتل معنا معاویة فلیأخذ عطاءه و لیخرج إلی الدیلم فلیقاتلهم، قال: کنت فی النخت فأخذنا أعطیاتنا و خرجنا إلی الدیلم و نحن أربعة آلاف أو خمسة آلاف، و حدثنا عبد اللّه بن صالح العجلی عن ابن یملو عن سفیان، قال: أغزی علی رضی اللّه عنه الربیع بن خثیم الثوری الدیلم و عقد له علی أربعة آلاف من المسلمین.

و حدثنی بعض أهل قزوین، قال بقزوین مسجد الربیع بن خیثم معروف و کانت فیه شجرة یتمسح بها العامة و یقال أنه غرس سواکه فی الأرض فأورق حتی کانت الشجرة منه فقطعها عامل طاهر بن عبد للّه بن طاهر فی خلافة أمیر المؤمنین المتوکل علی اللّه خوفا من أن یفتتن بها الناس، قالوا: و کان موسی

فتوح البلدان، ص: ۳۱۵

الهادی لما صار إلی الری أتی قزوین فأمر ببناء مدینة بازائها، و هی تعرف بمدینة موسی، و ابتاع أرضا تدعی رستماباذ فوقفها علی مصالح المدینة، و کان عمرو الرومی مولاه یتولاها ثم تولاها بعده محمد بن عمرو، و کان المبارک الترکی بنی حصنا یسمی مدینة المبارک و بها قوم من موالیه.

و حدثنی محمد بن هارون الأصبهانی، قال: مر الرشید بهمذان و هو یرید خراسان و اعترضه أهل قزوین فأخبروه بمکانهم من بلاد العدو و غنائهم فی مجاهدته و سألوه النظر لهم و تخفیف ما یلزمهم من عشر غلاتهم فی القصبة فصیر علیهم فی کل سنة عشرة آلاف درهم مقاطعة، و کان القاسم بن أمیر المؤمنین الرشید ولی جرجان و طبرستان و قزوین فألجأ إلیه أهل زنجان ضیاعهم تعززا به و دفعا لمکروه الصعالیک و ظلم العمال عنهم، و کتبوا له علیها الأشریة و صاروا مزارعین له، و هی الیوم من الضیاع و کان القاقزان عشریا لأن أهله أسلموا علیه و أحیوه بعد الإسلام فألجأوه إلی القاسم أیضا علی أن جعلوا له عشرا ثانیا سوی عشر بیت المال فصار أیضا فی الضیاع و لم تزل دستبی علی قسمیها بعضها من الری و بعضها من همذان إلی أن سعی رجل ممن بقزوین من بنی تمیم یقال له حنظلة بن خالد یکنی أبا مالک فی أمرها حتی صیرت کلها إلی قزوین، فسمعه رجل من أهل بلده یقول کورتها و أنا أبو مالک فقال بل أفسدتها و أنت أبو هالک.

و حدثنی المدائنی و غیره: أن الأکراد عاثوا و أفسدوا فی أیام خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فبعث الحجاج عمرو بن هانئ العبسی فی أهل دمشق إلیهم فأوقع بهم و قتل منهم خلقا ثم أمره بغزو الدیلم فغزاهم فی اثنی عشر ألفا فیهم من بنی عجل و موالیهم من أهل الکوفة ثمانون منهم محمد ابن سنان العجلی فحدثنی عوف بن أحمد العبدی قال: حدثنی أبو حنش العجلی

فتوح البلدان، ص: ۳۱۶

عن أبیه، قال: أدرکت رجلا من التمیمیین العجلیین الذین وجههم الحجاج لمرابطة الدیلم فحدثنی قال رأیت من موالی بنی عجل رجلا یزعم أنه صلیبة فقلت: ان أباک کان لا یحب بنسبه فی العجم ولایة فی العرب بدلا فمن أین زعمت أنک صلیبه، فقال: أخبرتنی أمی بذلک فقلت هی مصدقة هی أعلم بأبیک.

قالوا: و کان محمد بن سنان العجلی نزل قریة من قری دستبی، ثم صار إلی قزوین فبنی دارا فی ربضها فعزله أهل الثغر، و قالوا: عرضت نفسک للتلف و عرضتنا للوهن ان نالک العدو بسوء، فلم یلتفت إلی قولهم فأمر ولده و أهل بیته فبنوا معه خارج المدینة، ثم انتقل الناس بعد فبنوا حتی تم ربض المدینة قالوا: و کان أبو دلف القاسم بن عیسی غزا الدیلم فی خلافة المأمون و هو وال فی خلافة المعتصم باللّه أیام ولایة الافشین الجبال ففتح حصونا منها اقلیسم صالح أهله علی أتاوة، و منها بومج فتحه عنوة، ثم صالح أهله علی أتاوة، و منها الأبلام، و منها انداق فی حصون أخر و أغزی الأفشین غیر أبی دلف ففتح أیضا من ایلم حصونا، و لما کانت سنة ثلاث و خمسین و مائتین وجه أمیر المؤمنین المعتز باللّه موسی بن بغا الکبیر مولاه إلی الطالبیین الذین ظهروا بالدیلم و ناحیة طبرستان، و کانت الدیالمة قد اشتملت علی رجل منهم یعرف بالکوکبی فغزا الدیلم و أوغل فی بلادهم و حاربوه فأوقع بهم و ثقلت وطأته علیهم و اشتدت نکایته. و أخبرنی رجل من أهل قزوین أن قبور هؤلاء الندماء براوند من عمل أصبهان و أن الشاعر إنما قال:

أ لم تعلما أنی براوند مفردا و حدثنی عبد اللّه بن صالح العجلی، قال: بلغنی أن ثلاثة نفر من أهل الکوفة کانوا فی جیش الحجاج الذی وجهه إلی الدیلم فکانوا یتنادمون ثلاثتهم و لا

فتوح البلدان، ص: ۳۱۷

یخالطون غیرهم فإنهم علی ذلک إذ مات أحدهم فدفنه صاحباه، و کانا یشربان عند قبره فإذا بلغته الکاس هرقاها علی قبره و بکیا، ثم أن الثانی مات فدفنه الباقی إلی جانبه، و کان یجلس عند قبریهما فیشرب، ثم یصب علی القبر الذی یلیه ثم علی الآخر و یبکی، فأنشد ذات یوم یقول:

خلیلی هبا طال ما قد رقدتماأجدکما ما تقضیان کراکما

أ لم تعلما أنی بقزوین مفردو ما لی فیها من خلیل سواکما

مقیما علی قبریکما لست بارحاطوال اللیالی أو یجیب صداکما

سأبکیکما طول الحیاة و ما الذیرد علی ذی لوعة أن بکاکما

ثم لم یلبث أن مات فدفن عند صاحبیه فقبورهم تعرف بقبور الندماء

فتح أذربیجان

حدثنا الحسین بن عمرو الأردبیلی عن واقد الأردبیلی عن مشایخ أدرکتهم أن المغیرة بن شعبة قدم الکوفة والیا من قبل عمر بن الخطاب و معه کتاب إلی حذیفة بن الیمان بولایة أذربیجان فأنفذه إلیه و هو بنهاوند و بقربها فسار حتی أتی أردبیل و هی مدینة أذربیجان و بها مرزبانها و الیه جبایة خراجها، و کان المرزبان قد جمع إلیه المقاتلة من أهل باجروان و میمذ و النریر و سراة و الشیز و المیانج و غیرهم فقاتلوا المسلمین قتالا شدیدا أیاما، ثم أن المرزبان صالح حذیفة عن جمیع أهل أذربیجان علی ثمانمائة ألف درهم وزن ثمانیة علی أن لا یقتل منهم أحدا و لا یسبیه و لا یهدم بیت نار و لا یعرض لأکراد البلاسجان و سبلان و ساترودان، و لا یمنع أهل الشیز خاصة من الزفن فی أعیادهم و إظهار ما کانوا یظهرونه، ثم أنه غزا موقان و جیلان فأوقع بهم و صالحهم علی أتاوة.

فتوح البلدان، ص: ۳۱۸

قالوا ثم عزل عمر حذیفة و ولی أذربیجان عتبة بن فرقد السلمی فأتاها من الموصل و یقال: بل أتاها من شهر زور علی السلق الذی یعرف الیوم بمعاویة الأودی، فلما دخل أردبیل وجد أهلها علی العهد و انتقضت علیه نواح فغزاها فظفر و غنم، و کان معه عمرو بن عتبة الزاهد.

و روی الواقدی فی إسناده: أن المغیرة بن شعبة غزا أذربیجان من الکوفة فی سنة اثنتین و عشرین حتی انتهی إلیها ففتحها عنوة و وضع علیها الخراج، و روی ابن الکلبی عن أبی مخنف: أن المغیرة غزا اذربیجان سنة عشرین ففتحها ثم أنهم کفروا فغزاها الأشعث بن قیس الکندی ففتح حصن باجروان و صالحهم علی صلح المغیرة و مضی صلح الأشعث إلی الیوم.

و کان أبو مخنف لوط بن یحیی یقول: أن عمر ولی سعدا ثم عمارا ثم المغیرة ثم رد سعدا و کتب إلیه و إلی أمراء الأمصار فی قدوم المدینة فی السنة التی توفی فیها فلذلک حضر سعد الشوری و أوصی القائم بالخلافة أن یرده إلی عمله، و قال غیره توفی عمر و المغیرة و الیه علی الکوفة و أوصی بتولیة سعد الکوفة و تولیة أبی موسی البصرة فولاهما عثمان ثم عزلهما.

و حدثنی المدائنی عن علی بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الزهری قال: لما هزم اللّه المشرکین بنهاوند رجع الناس إلی أمصارهم و بقی أهل الکوفة مع حذیفة فغزا أذربیجان فصالحوه علی مائة ألف.

و حدثنی المدائنی عن علی بن مجاهد عن عاصم الأحول عن أبی عثمان النهدی، قال: عزل عمر حذیفة عن أذربیجان، و استعمل علیها عتبة بن فرقد السلمی فبعث إلیه باخبصة قد أدرجها فی کرابیس، فلما وردت علیه قال أورق قالوا: لا قال: فما هی قال لطف بعث

به، فلما نظر إليه قال: ردوها عليه، و كتب إليه يا ابن أم عتبة إنك لتأكل الخبيص من غير كدك و لا كد أبيك، و قال عتبة

فتوح البلدان، ص: ۳۱۹

قدمت من أذربيجان وافدا على عمر فإذا بين يديه عضلة جزور.

و حدثنى المدائنى عن عبد اللّه بن القاسم عن فروة بن لقيط قال: لما قام عثمان بن عفان رضى اللّه عنه استعمل الوليد بن عقبة بن أبى معيط فعزل عتبة عن أذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة خمس و عشرين و على مقدمته عبد اللّه شبل الأحمسى فأغار على أهل موقان و البير و الطيلسان فغنم و سبى و طلب أهل كور أذربيجان الصلح فصالحهم صلح حذيفة، قال ابن الكلبى، ولى على ابن أبى طالب رضى اللّه عنه أذربيجان سعيد بن سارية الخزاعى ثم الأشعث بن قيس الكندى.

و حدثنى عبد اللّه بن معاذ العبقرى عن أبيه عن سعد بن الحكم بن عتبة عن زيد بن وهب، قال: لما هزم اللّه المشركين بنهاوند رجع أهل الحجاز إلى حجازهم و أهل البصرة إلى بصرتهم، و أقام حذيفة بنهاوند فى أهل الكوفة فغزا أذربيجان فصالحوه على ثمانمائة ألف درهم، فكتب عمر بن الخطاب إنكم بأرض طعام و لباسهم الميتة فلا تأكلوا الأذكياء و لا تلبسوا الأزكيا يريد الفراء.

و حدثنى العباس بن الوليد النرسى، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا عاصم الأحول عن أبى عثمان النهدى، قال: كنت مع عتبة بن فرقد حين افتتح أذربيجان فصنع سفطين من خبيص و ألبسهما الجلود و اللبود، ثم بعث بهما إلى عمر مع سحيم مولى عتبة، فلما قدم عليه، قال:

ما الذى جئت به أذهب أم ورق و أمر به فكشف عنه فذاق الخبيص، فقال: إن هذا لطيب أثر أكل المهاجرين أكل منه شبعه، قال: لا إنما هو شىء خصك به فكتب إليه.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۰

من عبد اللّه عمر أمير المؤمنين إلى عتبة بن فرقد أما بعد فليس كدك و لا كد أمك و لا كد أبيك لا تأكل إلا ما يشبع منه المسلمون فى رحالهم.

و حدثنى الحسين بن عمرو و أحمد بن مصلح الأزدى عن مشايخ من أهل أذربيجان، قالوا: قدم الوليد بن عقبة أذربيجان و معه الأشعث بن قيس، فلما انصرف الوليد ولاه أذربيجان فانتقضت فكتب إليه يستمده، فأمده بجيش عظيم من أهل الكوفة، فتتبع الأشعث بن قيس حانا حانا- و الحان الحائر فى كلام أهل أذربيجان، ففتحها على مثل صلح حذيفة و عتبة بن فرقد و أسكنها ناسا من العرب من أهل العطاء و الديوان و أمرهم بدعاء الناس إلى الإسلام، ثم تولى سعيد بن العاصى فغزا أهل أذربيجان فأوقع بأهل موقان و جيلان. و تجمع له بناحية أرم و بلوا نكرح خلق من الأرمن و أهل أذربيجان فوجه إليهم جرير بن عبد اللّه البجلى فهزمهم و أخذ رئيسهم فصلبه على قلعة باجروان، و يقال: أن الشماخ بن ضرار الثعلبى كان مع سعيد بن العاصى فى هذه الغزاة، و كان بكير بن شداد بن عامر فارس اطلال معهم فى هذه الغزاة و فيه يقول الشماخ:

و غنيت عن خيل بموقان أسلمتبكير بنى الشداخ فارس اطلال

و هو من بنى كنانة، و هو الذى سمع يهوديا فى خلافة عمر ينشد:

و أشعث غره الإسلام منىخلوت بعرسه ليلى النمام

فقتله ثم ولى على بن أبى طالب الأشعث أذربيجان، فلما قدمها وجد أكثرها قد أسلموا و قرأوا القرآن، فأنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء و الديوان من العرب و مصرها و بنى مسجدها إلا أنه وسع بعد ذلك، قال الحسين بن عمرو: و أخبرنى واقد أن العرب لما نزلت أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين و الشام و غلب كل قوم على ما أمكنهم و ابتاع

فتوح البلدان، ص: ۳۲۱

بعضهم من العجم الأرضين و ألجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين لهم، و قال الحسين كانت ورثان قنطرة كقنطرتى

وحش و أرشق التين اتخذتا حديثا أيام بابك فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم و أحيى أرضها و حصنها فصارت ضيعة له ثم قبضت مع ما قبض من ضياع بنى أمية لأم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور أمير المؤمنين، و هدم وكلاؤها سورها ثم رم و جدد قريبا، و كان الورثانى من مواليها، قال: و كانت برزند قرية فعسكر فيها الأفشين حيدر بن كاوس عامل أمير المؤمنين المعتصم بالله على أذربيجان و أرمينية و الجبل أيام محاربته الكافر بابك الخرمى و حصنها.

قالوا: و كانت المراغة تدعى اقراهروذ فعسكر مروان بن محمد و هو والى أرمينية و أذربيجان منصرفة من غزوة موقان و جيلان بالقرب منها، و كان فيها سرجين كثير فكانت دوابه و دواب أصحابه تمرغ فيها فجعلوا يقولون: ايتوا قرية المراغة، ثم حذف الناس قرية و قالوا: المراغة، و كان أهلها ألجئوها إلى مروان فابتناها و تالف و كلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز و عمروها، ثم إنها قبضت مع ما قبض من ضياع بنى أمية و صارت لبعض بنات الرشيد أمير المؤمنين، فلما عاث الوجناء الأزدى و صدقة بن على مولى الأزد فأفسدا و ولى خزيمة بن خازم بن خزيمة أرمينية و أذربيجان فى خلافة الرشيد بنى سورها و حصنها و مصرها و أنزلها جندا كثيفا، ثم لما ظهر بابك الخرمى بالبذ لجأ الناس إليها فنزلوها و تحصنوا فيها ورم سورها فى أيام المأمون عدة من عماله منهم أحمد بن الجنيد بن فرزندى، و على بن هشام، ثم نزل الناس ربضها و حصنها، و أما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حلبس أبو البعيث ثم ابنه محمد بن البعيث و بنى بها محمد قصورا، و كان قد خالف فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه فحاربه بغا الصغير مولى أمير المؤمنين حتى ظفر به و حمله إلى سر من رأى و هدم حائط مرند و ذلك القصر و البعيث

فتوح البلدان، ص: ۳۲۲

من ولد عتيب بن عمر بن وهب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، و يقال إنه عتيب بن عوف بن سنان و العتبيون يقول ذلك و اللّه أعلم.

و أما أرمية فمدينة قديمة يزعم المجوس أن زردشت صاحبهم كان منها و كان صدقة بن على بن صدقة بن دينار مولى الأزد حارب أهلها حتى دخلها و غلب عليها و بنى و أخوته بها قصورا، و أما تبريز فنزلها الرواد الأزدى ثم الوجناء بن الرواد و بنى بها و أخوته بناء و حصنها بسور فنزلها الناس معه، و أما الميانج و خلباثا فمنازل الهمدانيين، و قد مدن عبد اللّه بن جعفر الهمدانى محلته بالميانج و صبر السلطان بها منبرا، و أما كورة برزة فللأود و قصبتها لرجل منهم جمع الناس إليها و بنى بها حصنا و قد اتخذ بها فى سنة تسع و ثلاثين و مائتين منبر على كره من الأودى، و أما نريز فكانت قرية لها قصر قديم متشعث فنزلها مر بن عمرو الموصلى الطائى فبنى بها و أسكنها ولده، ثم أنهم بنوا بها قصورا و مدنوها و بنوا سوق جابروان و كبروه و أفرده السلطان لهم فصاروا يتولونه دون عامل أذربيجان فأما سراة فإن فيها من كندة جماعة أخبرنى بعضهم أنه من ولد من كان مع الأشعث بن قيس الكندى

.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۳

فتح الموصل

قالوا: ولى عمر بن الخطاب عتبة بن فرقد السلمى الموصل سنة عشرين فقاتله أهل نينوى فأخذ حصنها و هو الشرقى عنوة و عبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية و الإذن لمن أراد الجلاء فى الجلاء، و وجد بالموصل ديارات فصالحه أهلها على الجزية ثم فتح المرج و قراه و أرض باهذرى و باعذرى و حبتون و الحيانة و المعلة و داسير و جميع معاقل الأكراد و أتى بانعاثا من حزة ففتحها و أتى تل الشهارجة و السلق الذى يعرف ببنى الحرين صالح بن عبادة الهمدانى صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله و غلب عليه.

و أخبرنى معافى بن طاوس عن مشايخ من أهل الموصل قال كانت أرمية من فتوح الموصل فتحها عتبة بن فرقد و كان خراجها حينا إلى الموصل و كذلك الحور و خوى و سلماس، قال معافى: و سمعت أيضا أن عتبة فتحها حين ولى أذربيجان و اللّه أعلم.

و حدثنی العباس بن هشام الکلبی عن أبیه عن جده قال: أول من اختط الموصل و أسکنها العرب و مصرها هرثمة بن عرفجة البارقی.

حدثنی أبو موسی الهروی عن أبی الفضل الأنصاری عن أبی المحارب الضبی أن عمر بن الخطاب عزل عتبة عن الموصل و ولاها هرثمة بن عرفجة البارقی و کان بها الحصن و بیع النصاری و منازل لهم قلیلة عند تلک البیع و محلة الیهود فمصرها هرثمة فأنزل العرب منازلهم و اختط لهم ثم بنی المسجد الجامع.

و حدثنی المعافی بن طاوس، قال: الذی فرش الموصل بالحجارة ابن تلید

فتوح البلدان، ص: ۳۲۴

صاحب شرطة محمد بن مروان بن الحکم، و کان محمد والی الموصل و الجزیرة و أرمینیة و أذربیجان. قال الواقدی: ولی عبد الملک بن مروان ابنه سعید ابن عبد الملک بن مروان صاحب نهر سعید الموصل و ولی محمدا أخاه الجزیرة أرمینیة فبنی سعید سور الموصل و هو الذی هدمه الرشید حین مر بها، و قد کانوا خالفوا قبل ذلک و فرشها سعید بالحجارة و حدثت عن بعض أهل بابغیش أن المسلمین کانوا طلبوا غرة أهل ناحیة منها مما یلی دامیر یقال لها زران فأتوهم فی یوم عید لهم و لیس معهم سلاح فحالوا بینهم و بین قلعتهم و فتحوها، قالوا و لما اختط هرثمة الموصل و أسکنها العرب أتی الحدیثة و کانت قریة قدیمة فیها بیعتان و أبیات النصاری فمصرها و أسکنها قوما من العرب فسمیت الحدیثة لأنها بعد الموصل، و بنی نحوه حصنا و یقال أن هرثمة نزل الحدیثة أولا فمصرها و اختطها قبل الموصل و أنها إنما سمیت الحدیثة حین تحول إلیها من تحول من أهل الأنبار لما ولیهم ابن الرفیل أیام الحجاج ابن یوسف فعسفها، و کان فیهم قوم من أهل حدیثة الأنبار فبنوا بها مسجدا و سموا المدینة الحدیثة.

قالوا: و افتتح عتبة بن فرقد الطیرهان و تکریت، و آمن أهل حصن تکریت علی أنفسهم و أموالهم، و سار فی کورة باجرمی، ثم صار إلی شهرزور و حدثنی شیخ من أهل تکریت أنه کان معهم کتاب أمان و شرط لهم فخرقه الجرشی حین أخرب قری الموصل نرساباذ و هاعلة و ذواتها، و زعم الهیثم بن عدی أن عیاض بن غنم لما فتح بلدا أتی الموصل ففتح أحد الحصنین و اللّه تعالی أعلم

.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۵

فتح شهرزور و الصامغان و درابا‌ذ

حدثنی إسحاق بن سلیمان الشهرزوری، قال: حدثنا أبی عن محمد بن مروان عن الکلبی عن بعض آل عزرة البجلی أن عزرة بن قیس حاول فتح شهرزور و هو وال علی حلوان فی خلافة عمر فلم یقدر علیها فغزاها عتبة بن فرقد ففتحها بعد قتال علی مثل صلح حلوان، و کانت العقارب تصیب الرجل من المسلمین فیموت.

و حدثنی إسحاق عن أبیه عن مشایخهم، قال: صالح أهل الصامغان و درابا‌ذ عتبة علی الجزیة و الخراج علی أن لا یقتلوا و لا یسبوا و لا یمنعوا طریقا یسلکونه.

حدثنی أبو رجاء الحلوانی عن أبیه عن مشایخ شهرزور، قالوا:

شهرزور و الصامغان و درابا‌ذ من فتوح عتبة بن فرقد السلمی فتحها و قاتل الأکراد فقتل منهم خلقا، و کتب إلی عمر: أنی قد بلغت بفتوحی أذربیجان فولاه إیاه و ولی هرثمة بن عرفجة الموصل.

قالوا: و لم تزل شهرزور. و أعمالها مضمومة إلی الموصل حتی فرقت فی آخر خلافة الرشید فولی شهرزور و الصامغان و درابا‌ذ رجل مفرد و کان رزق عامل کل کورة من کور الموصل مائتی درهم فخط لهذه الکور ستمائة درهم

.

فتوح البلدان، ص: ۳۲۶

فتح جرجان و طبرستان و نواحیها

قالوا: ولی عثمان بن عفان رحمه اللّه سعید بن العاصی بن سعید بن العاصی ابن أمیة الکوفة فی سنة تسع و عشرین فکتب مرزبان طوس إلیه والی عبد اللّه بن عامر بن کریز بن ربیعة بن حبیب بن عبد شمس و هو علی البصرة یدعوهما إلی خراسان علی أن یملکه علیها أیهما غلب و ظفر فخرج ابن عامر یریدها و خرج سعید فسبقه ابن عامر فغزا سعید طبرستان، و معه فی غزاته فیما یقال الحسن و الحسین ابنا علی بن أبی طالب علیهم السلام، و قیل أیضا أن سعیدا غزا طبرستان بغیر کتان أتاه من أحد و قصد إلیها من الکوفة و اللّه أعلم. ففتح سعید طمیسة و نامنة، و هی قریة و صالح ملک جرجان علی مائتی ألف درهم، و یقال علی ثلاثمائة ألف بغلیة وافته، فکان یؤدیها إلی غزاة المسلمین و افتتح سعید سهل طبرستان و الرویان و دنباوند و أعطاه أهل الجبال مالا، و کان المسلمون یغزون طبرستان و نواحیها فربما أعطوا الأتاوة عفوا و ربما أعطوها بعد قتال.

و ولی معاویة بن أبی سفیان مصقلة بن هبیرة بن شبل أحد بنی ثعلبة ابن شیبان بن ثعلبة بن عکابة طبرستان و جمیع أهلها حرب و ضم إلیه عشرة آلاف، و یقال عشرین ألفا فکاده العدو و أروه الهیبة له حتی توغل بمن معه فی البلاد، فلما جاوروا المضایق أخذها العدو علیهم و هددوا الصخور من الجبال علی رؤوسهم فهلک ذلک الجیش أجمع و هلک مصقلة فضرب الناس به المثل فقالوا حتی یرجع مصقلة من طبرستان، ثم أن عبید اللّه بن زیاد بن أبی سفیان ولی محمد بن الأشعث بن قیس الکندی طبرستان فصالحهم و عقد لهم عقدا ثم أمهلوا له حتی دخل فأخذوا علیه المضایق و قتلوا

فتوح البلدان، ص: ۳۲۷

ابنه أبا بکر و فضحوه، ثم نجا فکان المسلمون یغزون ذلک الثغر و هم حذرون من التوغل فی أرض العدو.

و حدثنی عباس بن هشام الکلبی عن أبیه عن أبی مخنف و غیره، قالوا:

لما ولی سلیمان بن عبد الملک بن مروان الأمر ولی یزید بن المهلب بن أبی صفرة العراق فخرج إلی خراسان لسبب ما کان من التواء قتیبة بن مسلم و خلافه علی سلیمان و قتل وکیع بن أبی سود التمیمی إیاه، فعرض له صول الترکی فی طریقه و هو یرید خراسان، فکتب إلی سلیمان یستأذنه فی غزوه فأذن له فغزا جیلان و ساریة، ثم أتی دهستان و بها صول فحصرها و هو فی جند کثیف من أهل المصرین و أهل الشام و أهل خراسان، فکان أهل دهستان یخرجون فیقاتلونهم فألح علیهم یزید و قطع المواد عنهم ثم أن صول أرسل إلی یزید یسأله الصلح علی أن یؤمنه علی نفسه و ماله و أهل بیته و یدفع إلیه المدینة و أهلها و ما فیها فقبل یزید ذلک و صالحه علیه و وفی له و قتل یزید أربعة عشر ألفا من الترک و استخلف علیها و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی: أن صول قتل، و الخبر الأول أثبت.

و قال هشام بن الکلبی: أتی یزید جرجان فتلقاه أهلها بالأتاوة التی کان سعید بن العاصی صالحهم علیها فقبلها، ثم أن أهل جرجان نقضوا و غدروا فوجه إلیهم جهم بن زحر الجعفی ففتحها، قال و یقال، أنه سار إلی مرو فأقام بها شتوته ثم غزا جرجان فی مائة ألف و عشرین ألفا من أهل الشام و الجزیرة و المصرین و خراسان.

و حدثنی علی بن محمد المدائنی قال، أقام یزید بن المهلب بخراسان شتوة ثم غزا جرجان و کان علیها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترک و أحد طرفیه فی البحر، ثم غلبت الترک علیه و سموا ملکهم صول فقال یزید قبح اللّه

فتوح البلدان، ص: ۳۲۸

قتیبة ترک هؤلاء و هم فی بیضة العرب و أراد غزو الصین أو قال و غزا الصین و خلف یزید علی خراسان مخلد بن یزید.

قال: فلما صار إلی جرجان وجد صول قد نزل فی البحیرة فحصره ستة أشهر و قاتله مرارا فطلب الصلح علی أن یؤمنه علی نفسه و ماله و ثلاثمائة من أهل بیته و یدفع إلیه البحیرة بما فیها فصالحه، ثم سار إلی طبرستان و استعمل دهستان و البیاسان عبد اللّه بن معمر الیشکری و هو فی أربعة آلاف، و وجه ابنه خالد بن یزید و أخاه أبا عیینة بن المهلب إلی الأصبهبذ و هزمهما حتی ألحقهما بعسکر

یزید و کتب الأصبهبذ إلی المرزبان- و یقال المروزبان- إنا قد قتلنا أصحاب یزید فاقتل من قبلک من العرب فقتل عبد اللّه بن معمر الیشکری و من معه و هم غارون فی منازلهم، و بلغ الخبر یزید فوجه حیان مولی مصقلة و هو من سبی الدیلم فقال للأصبهبذ: إنی رجل منک و إلیک و أن فرق الدین بیننا و لست بآمن أن یأتیک من قبل أمیر المؤمنین و من جیوش خراسان مالا قبل لک به و لا قوام لک معه، و قد رزت لک یزید فوجدته سریعا إلی الصلح فصالحه، و لم یزل یخدعه حتی صالح یزید علی سبعمائة ألف درهم و أربعمائة و قر زعفرانا، فقال له الأصبهبذ: العشرة وزن ستة فقال: لا، و لکن وزن سبعة فأبی، فقال حیان: أنا أتحمل فضل ما بین الوزنین فتحمله و کان حیان من أنبل الموالی و سرواتهم و کان یکنی أبا معمر.

قال المدائنی: بلغ یزید نکث أهل جرجان و غدرهم فسار یریدها ثانیة، فلما بلغ المرزبان مسیره أتی و جاه فتحصن بها و حولها غیاض واشب فنزل علیها سبعة أشهر لا یقدر منها علی شیء و قاتلوه مرارا و نصب المنجنیق علیها، ثم أن رجلا دلهم علی طریق إلی قلعتهم و قال: لا بد من سلم جلود فعقد یزید لجهم بن زحر الجعفی، و قال: إن غلبت علی الحیاة فلا تغلبن علی الموت، و أمر

فتوح البلدان، ص: ۳۲۹

یزید أن تشعل النار فی الحطب فهالهم ذلک و خرج قوم منهم ثم رجعوا و انتهی جهم إلی القلعة فقاتله قوم ممن کان علی بابها فکشفهم عنه و لم یشعر العدو بعید العصر إلا بالتکبیر من ورائهم، ففتحت القلعة و أنزلوا علی حکم یزید فقادهم جهم إلی وادی جرجان و جعل یقتلهم حتی سالت الدماء فی الوادی و جرت و هو بنی مدینة جرجان، و سار یزید إلی خراسان فبلغته الهدایا، ثم ولی ابنه مخلدا خراسان و انصرف إلی سلیمان فکتب إلیه أن معه خمسة و عشرین ألف ألف درهم فوقع الکتاب فی یدی عمر بن عبد العزیز فأخذ یزید به و حبسه.

و حدثنی عباس بن هشام الکلبی عن أبیه عن أبی مخنف أو عوانة بن الحکم قال: سار یزید إلی طبرستان فاستجاش الأصبهبذ الدیلم فأنجدوه فقاتله یزید، ثم أنه صالحه علی نقد أربعة آلاف درهم و علی سبعمائة ألف درهم مثاقیل فی کل سنة و وقر أربعمائة جماز زعفرانا و أن یخرجوا أربعمائة رجل علی رأس کل رجل منهم ترس و طیلسان و خام فضة و نمرقة حریر، و بعض الرواة یقول: برنس، و فتح یزید الرویان و دنباوند علی مال و ثیاب و آنیة، ثم مضی إلی جرجان و قد غدر أهلها و قتلوا خلیفته و قدم أمامه جهم بن زحر بن قیس الجعفی فدخل المدینة و أهلها غارون و غافلون، و وافاه ابن المهلب فقتل خلقا من أهلها و سبی ذراریهم و صلب من قتل عن یمین الطریق و یساره و استخلف علیها جهما فوضع الجزیة و الخراج علی أهلها و ثقلت وطأته علیهم.

قالوا: و لم یزل أهل طبرستان یؤدون الصلح مرة و یمتنعون من أدائه أخری فیحاربون و یسالمون، فلما کانت أیام مروان بن محمد بن مروان بن الحکم غدروا و نقضوا حتی إذا استخلف أبو العباس أمیر المؤمنین وجه إلیهم عامله فصالحوه ثم أنهم نقضوا و غدروا و قتلوا المسلمین فی خلافة أمیر

فتوح البلدان، ص: ۳۳۰

المؤمنین المنصور فوجه إلیهم خازم بن خزیمة التمیمی و روح بن حاتم المهلبی و معهما مرزوق أبو الخصیب مولاه الذی نسب إلیه قصر أبی الخصیب بالکوفة فسألهما مرزوق حین طال علیها الأمر و صعب أن یضرباه و یحلقا رأسه و لحیته ففعلا، فخلص إلی الأصبهبذ فقال له: أن هذین الرجلین استغشانی و فعلا بی ما تری و قد هربت إلیک فان قبلت انقطاعی و أنزلتنی المنزلة التی أستحقها منک دللتک علی عورات العرب و کنت یدا معک علیهم، فکساه و أعطاه و أظهر الثقة به و المشاورة له فکان یریه أنه له ناصح و علیه مشفق، فلما اطلع علی أموره و عوراته کتب إلی خازم و روح بما احتاجا إلی معرفته من ذلک و احتال للباب حتی فتحه فدخل المسلمون المدینة و فتحوها و ساروا فی البلاد فدوخوها.

و کان عمر بن العلاء جزارا من أهل الری فجمع جمعا و قاتل سنفاذ حین خرج بها فأبلی و نکی فأوفده جهور بن مرار العجلی علی المنصور فقوده و حضنه و جعل له مرتبة، ثم أنه ولی طبرستان فاستشهد بها فی خلافة المهدی أمیر المؤمنین.

و افتتح محمد بن موسى بن حفص بن عمر بن العلاء و مايزديار بن قارن جبال شروين من طبرستان، و هى أمنع جبال و أصعبها و أكثرها أشبا و غياضا فى خلافة المأمون رحمه اللّه، ثم أن المأمون ولى مايزديار أعمال طبرستان و الرويان و دنباوند و سماه محمدا و جعل له مرتبة الأصبهبذ فلم يزل واليا حتى توفى المأمون، ثم استخلف أبو إسحاق المعتصم باللّه أمير المؤمنين فأقره على عمله ثم أنه كفر و غدر بعد ست سنين و أشهر من خلافته، فكتب إلى عبد اللّه بن طاهر بن الحسين بن مصعب عامله على خراسان و الرى و قومس و جرجان يأمره بمحاربته فوجه عبد اللّه إليه الحسن بن الحسين عمه فى رجال خراسان، و وجه المعتصم باللّه محمد بن ابراهيم بن

فتوح البلدان، ص: ۳۳۱

مصعب فيمن ضم إليه من جند الحضرة فلما توافت الجنود فى بلاده كاتب أخ له يقال له فوهيار بن قارن الحسن و محمدا و أعلمهما أنه معهما عليه و قد كان يحقد أشياء يناله بها من استخفاف و كان أهل عمله قد ملوا سيرته لتجبره و عسفه، فكتب الحسن يشير عليه بأن يكمن فى موضع سماه له، و قال لمايزديار: أن الحسن قد أتاك و هو بموضع كذا و ذكر غير ذلك الموضع و هو يدعوك إلى الأمان و يريد مشافهتك فيما بلغنى، فسار مايزديار يريد الحسن، فلما صار بقرب الموضع الذى الحسن كامن فيه آذنه فوهيار بمجيئه فخرج عليه فى أصحابه و كانوا متقطعين فى العياض فجعلوا ينتامون إليه و أراد مايزديار الهرب فآخذ فوهيار بمنطقته و انطوى عليه أصحاب الحسن فأخذوه سلما بغير عهد و لا عقد فحمل إلى سر من رأى فى سنة خمس و عشرين و مائتين فضرب بالسياط بين يدى المعتصم باللّه ضربا مبرحا، فلما رفعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمى على العقبة التى بحضرة مجلس الشرطة، و وثب بفوهيار بعض خاصة أخيه فقتل بطبرستان و افتتحت طبرستان سهلها و جبلها، فتولاها عبد اللّه بن طاهر و طاهر بن عبد اللّه من بعده.

فتوح كور دجلة

قالوا: كان سويد بن قطبة الذهلى، و بعضهم يقول قطبة بن قتادة يغير فى ناحية الخريبة من البصرة على العجم كما كان المثنى بن حارثة الشيبانى يغير بناحية الحيرة، فلما قدم خالد بن الوليد البصرة يريد الكوفة سنة اثنتى عشرة أعانه على حرب أهل الأبلة و خلف سويدا، و يقال أن خالدا لم يسر من البصرة حتى فتح الخريبة و كانت مسلحة للأعاجم فقتل و سبى و خلف بها رجلا من بنى سعد بن بكر بن هوازن يقال له شريح بن عامر، و يقال

فتوح البلدان، ص: ۳۳۲

أنه أتى نهر المرأة ففتح القصر صلحا صالحه عنه النوشجان بن جنسنسما و المرأة صاحبة القصر كامن دار بنت نرسى و هى ابنة عم النوشجان، و إنما سميت المرأة لأن أبا موسى الأشعرى كان نزل بها فزودته خبيصا فجعل يقول: أطعمونا من دقيق المرأة، و كان محمد بن عمر الواقدى ينكر أن يكون خالد بن الوليد أتى البصرة حين فرغ من أمر أهل اليمامة و البحرين و يقول:

قدم المدينة ثم سار منها إلى العراق على طريق فيد و الثعلبية و اللّه أعلم.

قالوا: فلما بلغ عمر بن الخطاب خبر سويد بن قطبة و ما يصنع بالبصرة رأى أن يوليها رجلا من قبله، فولاها عتبة بن غزوان بن جابر ابن وهب بن نسيب أحد بنى مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة و هو حليف بنى نوفل بن عبد مناف، و كان من المهاجرين الأولين، و قال له:

أن الحيرة قد فتحت و قتل عظيم من العجم يعنى مهران و وطئت خيل المسلمين أرض بابل فصر إلى ناحية البصرة و أشغل من هناك من أهل الأهواز و فارس و ميسان عن إمداد إخوانهم على إخوانك، فأتاها عتبة و انضم إليه سويد بن قطبة و من معه من بكر بن وائل و بنى تميم، و كانت بالبصرة سبع دساكر اثنتان بالخريبة و اثنتان بالزابوقة، و ثلاث فى موضع دار الأزد اليوم، ففرق عتبة أصحابه فيها و

نزل هو بالخريبة و كانت مسلحة للأعاجم ففتحها خالد بن الوليد فخلت منهم و كتب عتبة إلى عمر يعلمه نزوله و أصحابه بحيث نزلوا، فكتب إليه يأمره بأن ينزلهم موضعا قريبا من الماء و المرعى فأقبل إلى موضع البصرة، قال أبو مخنف و كانت ذات حصى و حجارة سود فقيل أنها بصرة، و قيل أنهم إنما سموها بصرة لرخاوة أرضها.

قالوا: و ضربوا بها الخيام و القباب و الفساطيط و لم يكن لهم بناء و أمد

فتوح البلدان، ص: ۳۳۳

عمر عتبة بهرثمة بن عرفجة البارقي و كان بالبحرين، ثم أنه صار بعد إلى الموصل قالوا: فغزا عتبة بن غزوان الابلة ففتحها عنوة، و كتب إلى عمر يعلمه ذلك و يخبره أن الابلة فرضة البحرين و عمان و الهند و الصين و أنفذ الكتاب مع نافع بن الحارث الثقفي.

و حدثني الوليد بن صالح، قال: حدثنا مرحوم العطار عن أبيه عن شويس العدوي، قال: خرجنا مع أمير الابلة فظفرنا بها ثم عبرنا الفرات فخرج إلينا أهل الفرات بمساحيهم فظفرنا بهم و فتحنا الفرات.

و حدثني عبد الواحد بن غياث، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن حميرى بن كراثة الربعي، قال: لما دخلوا الابلة وجدوا خبيز الحوارى فقالوا هذا الذى كان يقال أنه يسمن، فلما أكلوا منه جعلوا ينظرون إلى سواعدهم و يقولون و اللّه ما نرى سمنا، قال: و أصبت قميصا مجيبا من قبل صدره أخضر فكنت أحضر فيه الجمعة.

و حدثني المدائني عن جهم بن حسان، قال: فتح عتبة الابلة و وجه مجاشع ابن مسعود على الفرات و أمر المغيرة بالصلاة و شخص إلى عمر و حدثني المدائني عن أشياخه: أن ما بين الفهرج إلى الفرات صلح و سائر الابلة عنوة.

و حدثني عبد اللّه بن صالح المقرى، قال: حدثني عبدة بن سليمان عن محمد ابن إسحاق بن يسار قال: وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان حليف بني نوفل في ثمانمائة إلى البصرة و أمده بالرجال فنزل بالناس في خيم، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنتان: و بالزابوقة واحدة، و في الأزد اثنتان، و في تميم اثنتان، ثم أنه خرج إلى الأبلة فقاتل أهلها ففتحها عنوة، و أتى الفرات و على مقدمته مجاشع بن مسعود السلمي ففتحه

فتوح البلدان، ص: ۳۳۴

عنوة، و أتى المذار فخرج إليه مرزبانها فقاتله فهزمه اللّه و غرق عامة من معه و أخذ سلما فضرب عتبة عنقه، و سار عتبة إلى دستميسان و قد جمع أهلها للمسلمين و أرادوا المسير إليهم فرأى أن يعالجهم بالغزو ليكون ذلك أفت في أعضادهم و أملا لقلوبهم فلقيهم فهزمهم اللّه و قتل دهاقينهم و انصرف عتبة من فوره إلى أبرقباذ ففتحها اللّه عليه.

قالوا ثم استأذن عتبة عمر بن الخطاب في الوفادة عليه و الحج فأذن له فاستخلف مجامع بن مسعود السلمي، و كان غائبا عن البصرة و أمر المغيرة بن شعبة أن يقوم مقامه إلى قدومه، فقال: أتولى رجلا من أهل الوبر على رجل من أهل المدر و استعفى عتبة من ولاية البصرة فلم يعفه و شخص فمات في الطريق فولى عمر البصرة المغيرة بن شعبة، و قد كان الناس سألوا عتبة عن البصرة فأخبرهم بخصبها فسار إليها خلق من الناس.

و حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قال: كانت عند عتبة بن غزوان أزدة بنت الحارث بن كلدة، فلما استعمل عمر عتبة بن غزوان قدم معه نافع و أبو بكرة و زياد، ثم أن عتبة قاتل أهل مدينة الفرات فجعلت امرأته أزدة تحرض الناس على القتال و هي تقول: أن يهزموكم تولجوا فينا الغلف ففتح اللّه على المسلمين تلك المدينة، و أصابوا غنائم كثيرة، و لم يكن فيهم أحد يكتب و يحسب إلا زياد، فولى قسم ذلك المغنم، و جعل له كل يوم درهمان و هو غلام في رأسه ذؤابة، ثم أن عتبة شخص إلى عمر، و كتب إلى مجاشع بن مسعود يعلمه أنه قد خلفه و كان غائبا، و أمر المغيرة بن شعبة أن يصلى بالناس إلى قدوم مجاشع، ثم أن دهقان ميسان كفر و رجع عن الإسلام، فلقيه المغيرة بالمنعرج، فقتله و كتب المغيرة إلى عمر بالفتح منه فدعا عمر عتبة فقال أ لم تعلمنى

فتوح البلدان، ص: ۳۳۵

انک استخلفت مجاشعا، قال نعم، قال فإن المغيرة كتب إلى بكذا فقال أن مجاشعا كان غائبا فأمرت المغيرة أن يخلفه و يصلى بالناس إلى قدومه، فقال عمر: لعمرى لأهل المدر كانوا أولى بأن يستعملوا من أهل الوبر، ثم كتب إلى المغيرة بعهده على البصرة و بعث به إليه، فأقام المغيرة ما شاء اللّه، ثم أنه هوى المرأة.

و حدثنى عبد اللّه بن صالح عن عبدة عن محمد بن إسحاق قال: غزا المغيرة ميسان ففتحها عنوة بعد قتال شديد و غلب على أرضها، ثم أن أهل أبرقباذ غدروا ففتحها المغيرة عنوة.

و حدثنى روح بن عبد المؤمن، قال: حدثنى وهب بن جرير بن حازم عن أبيه، قال: فتح عتبة بن غزوان الأبلة و الفرات و أبرقباذ و دستميسان و فتح المغيرة ميسان و غدو أهل أبر قباذ ففتحها المغيرة، و قال على بن محمد المدائنى: كان الناس يسمون ميسان و دستميسان و الفرات و أبرقباذ ميسان قالوا: و كان من سبى ميسان أبو الحسن البصرى و سعيد بن يسار أخوه و كان اسمه يسار فيروز، فصار أبو الحسن لامرأة من الأنصار يقال لها الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك، و يقال كان لامرأة من بنى سلمة يقال لها جميلة امرأة أنس بن مالك.

و روى الحسن، قال: كان أبى و أمى لرجل من بنى النجار فتزوج امرأة من بن سلمة فساقهما إليها فى صداقها فأعتقتهما تلك المرأة فولاؤنا لها، و كان مولد الحسن بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر و خرج منها بعد صفين بسنة و مات بالبصرة سنة عشر و مائة و هو ابن تسع و ثمانين.

قالوا: أن المغيرة جعل يختلف إلى امرأة من بنى هلال يقال لها أم جميل بنت محجن بن الأفقم بن شعيثة بن الهزن، و قد كان لها زوج من ثقيف يقال له الحجاج بن عتيك فبلغ ذلك أبا بكرة بن مسروح مولى النبى صلى اللّه

فتوح البلدان، ص: ۳۳۶

عليه و سلم من مولدى ثقيف، و شبل بن معبد بن عبيد البجلى، و نافع بن الحارث بن كلدة الثقفى، و زياد بن عبيد، فرصدوه حتى إذا دخل عليها هجموا عليه فإذا هما عريانان و هو متبطنها، فخرجوا حتى أتوا عمر بن الخطاب فشهدوا عنده بما رأوا فقال عمر لأبى موسى الأشعرى: إنى أريد أن أبعثك إلى بلد قد عشش فيه الشيطان، قال: فأعنى بعدة من الأنصار فبعث معه البراء ابن مالك، و عمران بن الحصين أبا نجيد الخزاعى، و عوف بن وهب الخزاعى فولاه البصرة و أمره باشخاص المغيرة فأشخصه بعد قدومه بثلاث.

فلما صار إلى عمر جمع بينه و بين الشهود، فقال نافع بن الحارث:

رأيته على بطن المرأة يحتفر عليها و رأيته يدخل ما معه و يخرجه كالميل فى المكحلة، ثم شهد شبل بن معبد على شهادته، ثم أبو بكرة، ثم أقبل زياد رابعا فلما نظر إليه عمر قال: أما إنى أرى وجه رجل أرجو أن لا يرجم رجل من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم على يده و لا يخزى بشهادته.

و كان المغيرة قدم من مصر فأسلم و شهد الحديبية مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال زياد رأيت منظرا قبيحا و سمعت نفسا عاليا و ما أدرى أخالطها أم لا، و يقال لم يشهد بشىء فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا، فقال شبل أ تجلد شهود الحق و تبطل الحد،

فلما جلد أبو بكرة، قال: أشهد أن المغيرة زان. فقال عمر، حدوه، فقال على أن جعلتها شهادة فارجم صاحبك،

فحلف أبو بكرة ان لا يكلم زيادا أبدا، و كان أخاه لأمه سمية ثم أن عمر ردهم إلى مصرهم، و قد روى قوم أن أبا موسى كان بالبصرة فكتب إليه عمر بولايتها و أشخاص المغيرة، و الأول أثبت، و روى أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه كان امر سعد بن ابى وقاص رضى اللّه عنه أن يبعث عتبة ابن غزوان إلى البصرة ففعل، و كان نائف من مكاتبته إياه فلذلك استعفى

فتوح البلدان، ص: ۳۳۷

و أن عمر رضى اللّه عنه رده واليا فمات فى الطريق، و كانت ولاية أبى موسى البصرة فى سنة ست عشرة و يقال سنة سبع عشرة فاستقرى كور دجلة فوجد أهلها مذعنين بالطاعة فأمر بمساحتها و وضع الخراج عليها على قدر احتمالها، و الثبت أن أبا موسى ولى

البصرة فی سنة ست عشرة.

حدثنی شیبان بن فروخ الأبلی، قال: حدثنا أبو هلال الراسبی، قال:

حدثنا یحیی بن أبی کثیر أن کاتبا لأبی موسی کتب إلی عمر بن الخطاب من أبو موسی فکتب إلیه عمر إذا أتاک کتابی هذا فاضرب کاتبک سوطا و أعزله عن عملک.

تمصیر البصرة

حدثنی علی بن المغیرة الأثرم عن أبی عبیدة، قال: لما نزل عتبة بن غزوان الخریبة کتب إلی عمر بن الخطاب یعلمه نزوله إیاها و أنه لا بد للمسلمین من منزل یشتون به إذا شتوا، و یکنسون فیه إذا انصرفوا من غزوهم، فکتب إلیه أجمع أصحابک فی موضع واحد و لیکن قریبا من الماء و الرعی و اکتب إلی بصفته، فکتب إلیه إنی وجدت أرضا کثیرة القصبة فی طرف البر إلی الریف و دونها مناقع ماء فیها قصباء، فلما قرأ الکتاب، قال: هذه أرض نضرة قریبة من المشارب و المراعی و المختطب و کتب إلیه أن أنزلها الناس، فأنزلهم إیاها، فبنوا مساکن بالقصب و بنی عتبة مسجدا من قصب، و ذلک فی سنة أربع عشرة فیقال أنه تولی اختطاط المسجد بیده و یقال اختطه محجر بن الأدرع البهزی من سلیم، و یقال اختطه نافع بن الحارث بن کلدة حین خط داره، و یقال بل اختطه الأسود بن سریع التمیمی، و هو أول من قضی فیه، فقال له مجاشع و مجالد ابنا مسعود رحمک اللّه شهرت نفسک فقال: لا أعود، و بنی عتبة دار الأمارة دون المسجد فی الرحبة التی یقال لها الیوم رحبة بنی هاشم، و کانت تسمی الدهناء و فیها

فتوح البلدان، ص: ۳۳۸

السجن و الدیوان فکانوا إذا غزوا نزعوا ذلک القصب و حزموه و وضعوه حتی یرجعوا من العزو، فإذا رجعوا أعادوا بناءه فلم تزل الحال کذلک، ثم أن الناس اختطوا و بنوا المنازل، و بنی أبو موسی الأشعری المسجد و دار الأمارة بلبن و طین و سقفها بالعشب و زاد فی المسجد، و کان الإمام إذا جاء للصلاة بالناس تخطاهم إلی القبلة علی حاجر، فخرج عبد اللّه بن عامر ذات یوم من دار الأمارة یرید القبلة و علیه جبة خز دکناء فجعل الأعراب یقولون علی الأمیر جلد دب.

و حدثنی أبو محمد الثوری عن الأصمعی، قال: لما نزل عتبة بن غزوان الخریبة، ولد بها عبد الرحمن بن أبی بکرة، و هو أول مولود بالبصرة فنحر أبوه جزورا أشبع منها أهل البصرة، ثم لما استعمل معاویة بن أبی سفیان زیادا علی البصرة زاد فی المسجد زیادة کثیرة و بناء بالآجر و الجص و سقفه بالساج، و قال: لا ینبغی للإمام أن یتخطی الناس فحول دار الإمارة من الدهناء إلی قبلة المسجد فکان الإمام یخرج من الدار فی الباب الذی فی حائط القبلة، و جعل زیاد حین بنی المسجد و دار الإمارة یطوف فیها و ینظر إلی البناء ثم یقول لمن معه من وجوه أهل البصرة أ ترون خللا فیقولون ما نعلم بناء أحکم منه فقال بلی هذه الأساطین التی علی کل واحدة منها أربعة عقود لو کانت أغلظ من سائر الأساطین، و روی عن یونس بن حبیب النحوی، قال: لم یؤت من تلک الأساطین فقط تصدیع و لا عیب، و قال حارثة بن بدر الغدانی، و یقال بل قال ذلک البعیث المجاشعی:

بنی زیاد لذکر اللّه مصنعةمن الحجارة لم تعمل من الطین

لو لا تعاون أیدی الأنس ترفعهاإذا لقلنا من أعمال الشیاطین

و قال الولید بن هشام بن قحذم لما بنی زیاد المسجد جعل صفته المقدمة

فتوح البلدان، ص: ۳۳۹

خمس سواری و بنی منارته بالحجارة، و هو أول من عمل المقصورة و نقل دار الامارة إلی قبلة المسجد، و کان بناؤه إیاها لبن و طین حتی بناها صالح بن عبد الرحمن السجستانی مولی بنی تمیم فی ولایته خراج العراق لسلیمان بن عبد الملک بالآجر و الجص و زاد فیه عبید بن زیاد و فی مسجد الکوفة، و قال: دعوت اللّه أن یرزقنی الجهاد ففعل، و دعوته أن یرزقنی بناء مسجدی الجماعة بالمصرین

ففعل، و دعوته أن يجعلنى خلفا من زياد ففعل.

و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: لما بنى زياد المسجد أتى بسوارية من جبل الأهواز، و كان الذى تولى أمرها و قطعها الحجاج بن عتيك الثقفى و ابنه فظهر له مال فقيل حبذا الإمارة و لو على الحجارة فذهبت مثلا، قال و بعض الناس يقول: أن زيادا رأى الناس ينفضون أيديهم إذا تربت و هم فى الصلاة فقال: لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض الأيدى فى الصلاة سنة، فأمر بجمع الحصى و إلقائه فى المسجد فاشتد الموكلون بذلك على الناس و تعنتوهم و أروهم حصى انتقوه، فقالوا: ايتونا بمثله على مقاديره و ألوانه و ارتشوا على ذلك فقال القائل: حبذا الامارة و لو على الحجارة، و قال أبو عبيدة: و كان جانب المسجد الشمالى منزويا لأنه كانت هناك دار لنافع بن الحارث بن كلدة فأبى ولده بيعها، فلما ولى معاوية عبيد اللّه بن زياد البصرة قال عبيد اللّه لأصحابه: إذا شخص عبد اللّه بن نافع إلى أقصى ضيعته فأعلمونى ذلك، فشخص إلى قصره الأبيض الذى على البطيحة، فأخبر عبيد اللّه بذلك فبعث الفعلة فهدموا من تلك الدار ما سوى به تربيع المسجد، و قدم ابن نافع فضج إليه من ذلك فأرضاه بأن أعطاه بكل ذراع خمسة أذرع و فتح له فى الحائط خوخة إلى المسجد فلم تزل الخوخة فى حائطه حتى زاد المهدى أمير المؤمنين فى المسجد فأدخلت الدار كلها فيه، و أدخلت فيه أيضا دار الامارة فى خلافة الرشيد رحمه اللّه.

فتوح البلدان، ص: ۳۴۰

و قال أبو عبيدة لما قدم الحجاج بن يوسف العراق أخبر أن زيادا ابتنى دار الامارة بالبصرة فأراد أن يزيل اسمه عنها فهم ببنائها يجص و آجر فقيل له إنما تزيد اسمه فيها ثباتا و توكدا فهدمها و تركها، فبنيت عامة الدور حولها من طينها و لبنها و أبوابها فلم تكن بالبصرة دار إمارة حتى ولى سليمان بن عبد الملك، فاستعمل صالح ابن عبد الرحمن على خراج العراق فحدثه صالح حديث الحجاج و ما فعل فى دار الامارة فأمره بإعادتها فأعادها بالآجر و الجص على أساسها و رفع سمكها، فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه، و ولى عدى بن أرطاة الفزارى البصرة أراد عدى أن يبنى فوقها غرفا، فكتب إليه عمر: هبلتك أمك يا ابن أم عدى أ يعجز عنك منزل وسع زيادا و آل زياد، فأمسك عدى عن إتمام تلك الغرف و تركها فلما ولى سليمان بن على ابن عبد اللّه بن العباس البصرة لأبى العباس أمير المؤمنين بنى على ما كان عدى رفعه من حيطان الغرف بناء بطين ثم تركه و تحول إلى المربد فنزله، فلما استخلف الرشيد أدخلت الدار فى قبلة المسجد فليس اليوم للأمراء بالبصرة دار أمارة.

و قال الوليد بن هشام بن قحذم لم يزد أحد فى المسجد بعد ابن زياد حتى كان المهدى فاشترى دار نافع بن الحارث بن كلدة الثقفى، و دار عبيد اللّه بن أبى بكرة، و دار ربيعة بن كلدة الثقفى، و دار عمرو بن وهب الثقفى. و دار أم جميل الهلالية التى كان من أمرها و أمر المغيرة بن شعبة ما كان، و دورا غيرها فزادها فى المسجد أيام ولى محمد بن سليمان بن على البصرة، ثم أمر هارون أمير المؤمنين الرشيد عيسى بن جعفر بن المنصور أيام ولايته البصرة أن يدخل دار الامارة فى المسجد ففعل.

و قال الوليد بن هشام أخبرنى أبى عن أبيه، و كان يوسف بن عمر ولاه ديوان جند العرب، قال: نظرت فى جماعة مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين

فتوح البلدان، ص: ۳۴۱

ألفا و وجدت عيالهم مائة ألف و عشرين ألف عيل، و وجدت العرب مقاتلة الكوفة ستين ألفا و عيالهم ثمانين ألفا.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى فى اسناده، قال: كان عتبة بن غزوان مع سعد بن أبى وقاص، فكتب إليه عمر أن اضرب قيروانك بالكوفة و وجه عتبة بن غزوان إلى البصرة فخرج فى ثمانمائة فضرب خيمة من أكسية و ضرب الناس معه و أمده عمر بالرجال، فلما كثروا بنى رهط منهم سبع دساكر من لبن منها بالخريبة اثنتان، و بالزابوقة واحدة، و فى بنى تميم اثنتان و فى الأزد اثنتان، ثم أن عتبة خرج إلى الفرات بالبصرة فافتتحه ثم رجع إلى البصرة، و كان سعد يكاتب عتبة فغمه ذلك، فاستأذن عمر فى الشخوص إليه فلحق به و استخلف المغيرة بن شعبة، فلما قدم المدينة شكا إلى عمر تسلط سعد عليه يقال له: و ما عليك أن تقر بالامارة لرجل

من قریش له صحبة و شرف فأبی الرجوع و أبی عمر إلا رده، فسقط عن راحلته فی الطریق فمات فی سنة ست عشرة و کان محجر بن الأدرع اختط مسجد البصرة و لم یبنه فکان یصلی فیه غیر مبنی فبناه عتبة بقصب ثم بناه أبو موسی الأشعری و بنی بعده.

حدثنی الحسین بن علی بن الأسود العجلی، قال: حدثنا یحیی بن آدم قال حدثنا أبو معاویة عن الشیبانی عن محمد بن عبد اللّه الثقفی، قال: کان بالبصرة رجل یکنی أبا عبد اللّه، و یقال له نافع، و کان أول من افتلا الفلا بالبصرة فأتی عمر فقال له: أن بالبصرة أرضا لیست من أرض الخراج و لا تضر بأحد من المسلمین. فکتب له أبو موسی إلی عمر بذلک. فکتب له عمر إلیه أن یقطعه إیاها.

و حدثنا سعید بن سلیمان. قال: حدثنا عباد بن العوام عن عوف الأعرابی قال: قرأت کتاب عمر إلی أبی موسی أن أبا عبد اللّه سألنی أرضا علی شاطئ

فتوح البلدان، ص: ۳۴۲

دجلة یفتلی فیها خیله فإن کانت فی غیر أرض الجزیة و لا یجزأ إلیها ماء الجزیة فأعطه إیاها، و قال عباد: بلغنی أنه نافع بن الحارث بن کلدة طبیب العرب، و قال الولید بن هشام بن قحذم: وجدت کتابا عندنا فیه: بسم اللّه الرحمن الرحیم من عبد اللّه عمر أمیر المؤمنین إلی المغیرة بن شعبة، سلام علیک فإنی أحمد إلیک اللّه الذی لا إله إلا هو، أما بعد فإن أبا عبد اللّه ذکر أنه زرع بالبصرة فی امارة ابن غزوان و افتلی أولاد الخیل حین لم یفتلها أحد من أهل البصرة، و أنه نعم ما أری فأعنه علی زرعه و علی خیله، فإنی قد أذنت له أن یزرع، و آته أرضه التی زرع إلا أن تکون أرضا علیها الجزیة من أرض الأعاجم أو یصرف إلیها ماء أرض علیها الجزیة، و لا تعرض له إلا بخیر، و السلام علیک و رحمة اللّه، و کتب معیقیب بن أبی فاطمة فی صفر سنة سبع عشرة، و قال الولید بن هشام: أخبرنی عمی عن ابن شبرمة أنه قال: لو ولیت البصرة لقبضت أموالهم لأن عمر بن الخطاب لم یقطع بها أحدا إلا أبا بکرة و نافع بن الحارث و لم یقطع عثمان بالبصرة إلا عمران بن حصین، و ابن عامر أقطعه داره، و حمران مولاه قال: و قد أقطع زیاد عمران قطیعة أیضا فیما یقال.

و قال هشام بن الکلبی: أول دار بنیت بالبصرة دار نافع بن الحارث ثم دار معقل بن یسار المزنی و کان عثمان بن عفان أخذ دار عثمان بن أبی العاصی الثقفی، و کتب أن یعطی أرضا بالبصرة فأعطی أرضه المعروفة بشط عثمان بحیال الابلة و کانت سبخة فاستخرجها و عمرها، و إلی عثمان بن أبی العاصی ینسب باب عثمان بالبصرة، قالوا: کان حمران بن أبار للمسیب بن نجبة الفزاری أصابه بعین التمر فابتاعه منه عثمان بن عفان و علمه الکتاب و اتخذه کاتبا فوجد علیه لأنه کان وجهه للمسلمة عن ما رفع علی الولید بن عقبة بن أبی معیط فارتشی منه و کذب ما قیل فیه، فتیقن عثمان صحة ذلک بعد فوجد علیه، و قال: لا یساکننی أبدا

فتوح البلدان، ص: ۳۴۳

و خیره بلدا یسکنه غیر المدینة فاختار البصرة، و سأله أن یقطعه بها دارا و ذکر ذرعا کثیرا فاستکثره عثمان و قال لابن عامر: أعطه دارا مثل بعض دورک فأقطعه داره التی بالبصرة، قالوا: و دار خالد بن طلیق الخزاعی القاضی کانت لأبی الجراح القاضی صاحب سجن ابن الزبیر اشتراها له سلم بن زیاد، لأنه هرب من سجن ابن الزبیر، قال ابن الکلبی: سکة بنی سمرة بالبصرة کان صاحبها عتبة بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبیب بن عبد شمس ابن عبد مناف، و مسجد عاصم نسب إلی عاصم أحد بنی ربیعة بن کلاب بن ربیعة بن عامر بن صعصعة، و دار أبی نافع بالبصرة نسبت إلی أبی نافع مولی عبد الرحمن أبی بکرة.

و قال القحذمی: کانت دار أبی یعقوب الخطابی لسحامة بن عبد الرحمن ابن الأصم الغنوی مؤذن الحجاج. و هو ممن قاتل مع یزید بن المهلب فقتله مسلمة بن عبد الملک یوم العقر. و هی إلی جانب دار المغیرة بن شعبة، قالوا:

و دار طارق نسبت إلی طارق بن أبی بکرة و قبالتها خطة بن أبی العاصی الثقفی و دار زیاد بن عثمان کان عبید اللّه بن زیاد اشتراها لابن أخیه زیاد بن عثمان و تلیها الخطة التی منها دار بابة بنت أبی العاصی، و کانت دار سلیمان بن علی لسلم ابن زیاد فغلب علیها بلال بن أبی بردة أیام ولایته البصرة لخالد بن عبد اللّه، ثم جاء سلیمان بن علی فنزلها قالوا و کانت دار موسی بن أبی المختار مولی

ثقیف لرجل من بنی دارم فأراد فیروز حصین ابتیاعها منه بعشرة آلاف، فقال:

ما کنت لا بیع جوارک بمائة ألف فأعطاه عشرة آلاف و أقر الدار فی یده. و قال أبو الحسن: أراد الدارمی بیع داره فقال أبیعها بعشرة آلاف درهم خمسة آلاف ثمنها و خمسة آلاف لجوار فیروز. فبلغ فیروز ذلک فقال: أمسک علیک دارک و أعطاه عشرة آلاف درهم. و دار ابن تبع نسبت إلی عبد الرحمن بن تبع الحمیری

فتوح البلدان، ص: ۳۴۴

و کان علی قطائع زیاد، و کان دمون من أهل الطائف، فتزوج أبو موسی ابنته فولدت له أبا بردة، و لدمون خطة بالبصرة و له یقول أهل البصرة: الرفاء و البنون، و خبز و کمون، فی بیت الدمون.

و قال القحذمی و غیره: کان أول حمام اتخذ بالبصرة حمام عبد اللّه بن عثمان ابن أبی العاصی الثقفی، و هو موضع بستان سفیان بن معاویة الذی بالخریبة و عند قصر عیسی بن جعفر، ثم الثانی حمام فیل مولی زیاد، ثم الثالث حمام مسلم ابن أبی بکرة فی بلالاباذ، و هو الذی صار لعمرو بن مسلم الباهلی، فمکثت البصرة دهرا و لیس بها إلا هذه الحمامات.

و حدثنی المدائنی قال، قال أبو بکرة لابنه مسلم: یا بنی و اللّه ما تلی عملا و ما أراک تقصر عن إخوتک فی المنفعة، فقال: إن کتمت علی أخبرتک، قال فإنی أفعل، قال: فإنی أغتل من حمامی هذا فی کل یوم ألف درهم و طعاما کثیرا، ثم أن مسلما مرض فأوصی إلی أخیه عبد الرحمن بن أبی بکرة و أخبره بغلة حمامه، فأفشی ذلک و استأذن السلطان فی بناء حمام، و کانت الحمامات لا تبنی بالبصرة إلا بإذن الولاة فأذن له، فاستأذن عبید اللّه بن أبی بکرة فأذن له، و استأذن الحکم ابن أبی العاصی فأذن له، و استأذن سیاه الأسواری فأذن له، و استأذن الحصین ابن أبی الحر العنبری فأذن له و استأذنت ربطة بنت زیاد فأذن لها، و استأذنت لبابة بنت أوفی الجرشی فأذن لها فی حمامین أحدهما فی أصحاب البقاء، و الآخر فی بنی سعد، و استأذن المنجاب بن راشد الضبی فأذن له. و أفاق مسلم بن أبی بکرة من مرضه و قد فسدت علیه غلة حمامه فجعل یلعن عبد الرحمن و یقول ما قطع اللّه رحمه.

قالوا: و کان فیل حاجب زیاد و مولاه رکب معه أبو الأسود الدؤلی و أنس بن زنیم. و کان علی برذون هملاج و هما علی فرسی سوء قطوفین

فتوح البلدان، ص: ۳۴۵

فأدرکهما الحسد، فقال أنس: أجزیا أبا الأسود قال: هات، فقال:

لعمر أبیک ما حمام کسری‌علی الثلثین من حمام فیل

فقال أبو الأسود: فتوح البلدان ؛ ص۳۴۵

و ما إرقاصنا حول الموالی‌بسنتنا علی عهد الرسول

و قال أبو مفرغ لطلحة الطلحات و هو طلحة بن عبد اللّه بن خلف:

تمنینی طلیحة ألف ألف‌لقد منیتنی أملا بعیدا

فلست لماجد حر و لکن‌لسمراء التی تلد العبیدا

و لو أدخلت فی حمام فیل‌و ألبست المطارف و البرودا

و قال بعضهم و قد حصرته الوفاة:

یا رب قائلة یوما و قد لغبت‌کیف الطریق إلی حمام منجاب

یعنی حمام المنجاب بن راشد الضبی و قال عباس مولی بنی أسامة:

ذکرت البند فی حمام عمروفلم أبرح إلی بعد العشاء

و حمام بلج نسب إلی بلج بن نشبة السعدی الذی یقول له زیاد:

و محترس من مثله و هو حارس و قال هشام بن الكلبى قصر أوس بالبصرة نسب إلى أوس بن ثعلبة بن رقى أحد بنى تيم اللّه بن ثعلبة بن عكابة و هو من وجوه من كان بخراسان و قد تقلد بها أمورا جسيمة و هو الذى مر بتدمر فقال فى صنميها:

فتأتى أهل تدمر حين آنى‌ألما تسأما طول القيام

فكائن مر من دهر و دهرلأهلكما و عام بعد عام

و قصر أنس نسب إلى أنس بن مالك الأنصارى خادم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، قال: و الذى بنى منارة بنى أسيد حسان بن سعد منهم، و القصر الأحمر لعمرو بن عتبة بن أبى سفيان و هو اليوم لآل عمر بن

فتوح البلدان، ص: ۳۴۶

حفص بن قبيصة بن أبى صفرة، و قصر المسيرين كان لعبد الرحمن بن زياد، و كان الحجاج سير عيال من خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندى إليه فحبسهم فيه، و هو قصر فى جوف قصر و يتلوه قصر عبيد اللّه بن زياد و إلى جانبه جوسق.

قال القحذمى: و قصر النواهق هو قصر زياد سماه الشطار بذلك، و قصر النعمان كان للنعمان بن صهبان الراسبى الذى حكم بين مضر و ربيعة أيام مات يزيد بن معاوية، قال: و زاد عبيد اللّه بن زياد للنعمان بن صهبان فى قصره هذا فقال: بئس المال هذا يا أبا حاتم إن كثر الماء غرقت، و إن قل عطشت فكان كما قال: قل الماء فمات كل من ثم، و قصر زربى نسب إلى زربى مولى عبد اللّه بن عامر، و كان قيما على خيله فكانت الدار لدوابه. و قصر عطية نسب إلى عطية الأنصارى، و مسجد بنى عباد نسب إلى بنى عباد بن رضاء بن شقرة بن الحارث بن تميم بن مر، و كانت دار عبد اللّه بن خازم السلمى لعمته دجاجة أم عبد اللّه بن عامر فأقطعته إياها و هو عبد اللّه بن خازم بن أسماء بن الصلت و هى دجاجة بنت أسماء.

و حدثنى المدائنى عن أبى بكر الهذلى و العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة، قالا: قدم الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه فى أهل البصرة فجعل يسألهم رجلا رجلا و الأحنف فى ناحية البيت فى بت لا يتكلم فقال له عمر: أمالك حاجة؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، أن مفاتح الخير بيد اللّه و إن إخواننا من أهل الأمصار نزلوا منازل الأمم الخالية بين المياه العذبة و الجنان الملتفة، و إنا نزلنا سبخة بشاشة لا يجف نداها و لا ينبت مرعاها، ناحيتها قبل المشرق البحر الأجاج، و من قبل المغرب الفلاة، فليس لنا زرع و لا ضرع تأتينا منافعنا و ميرتنا فى مثل مرىء النعامة، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين، و تخرج المرأة

فتوح البلدان، ص: ۳۴۷

لذلك فتربق ولدها كما يربق العنز يخاف بادرة العدو و أكل السبع، فالا ترفع خسيستنا، و تجبر فاقتنا نكن كقوم هلكوا، فألحق عمر ذرارى أهل البصرة فى العطاء، و كتب إلى أبى موسى يأمره أن يحفر لهم نهوا.

فحدثنى جماعة من أهل العلم، قالوا: كان لدجلة العوراء و هى دجلة البصرة خور، و الخور طريق للماء لم يحفره أحد يجرى فيه ماء الأمطار إليها و يتراجع ماؤها فيه عند المد و ينضب فى الجزر، و كان طوله قدر فرسخ، و كان لحده مما يلى البصرة غورة واسعة تسمى فى الجاهلية الأجانة و سمته العرب فى الإسلام الجزارة و هو على مقدار ثلاثة فراسخ من البصرة بالذرع الذى يكون به نهر الأبلة كله أربعة فراسخ و منه يبتدئ النهر الذى يعرف اليوم بنهر الآجانة فلما أمر عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه أبا موسى الأشعرى أن يحتفر لأهل البصرة نهرا ابتدأ الحفر من الأجانة و قادة ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة فصار طول نهر الأبلة أربعة فراسخ. ثم إنه أنطم منه ما بين البصرة و بثق الحيرى و ذلك على قدر فرسخ من البصرة.

و كان زياد بن أبى سفيان واليا على الديوان و بيت المال من قبل عبد اللّه ابن عامر بن كريز، و عبد اللّه يومئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان، فأشار على بن عامر أن ينفذ حفر نهر الأبلة من حيث انطم حتى يبلغ به البصرة، و كان يربث ذلك و يدافع به.

فلما شخص بن عامر إلى خراسان و استخلف زيادا أقر حفر أبى موسى الأشعرى على حاله و حفر النهر من حيث أنطم حتى بلغ به البصرة، و ولى ذلك عبد الرحمن بن أبى بكرة، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه و الماء يكاد يسقيه، و قدم ابن عامر

من خراسان فغضب على زياد، و قال: إنما أردت أن تذهب بذكر النهر دونى فتباعد ما بينهما حتى ماتا

فتوح البلدان، ص: ۳۴۸

و تباعد بسببه ما بين أولادهما، فقال يونس بن حبيب النحوى: أنا أدركت ما بين آل زياد و آل ابن عامر متباعدا.

و حدثنى الأثرم عن أبى عبيدة، قال: قاد أبو موسى الأشعرى نهر الابلة من موضع الأجانة إلى البصرة، و كان شرب الناس قبل ذلك من مكان يقال له دير قاووس فوهته فى دجلة فوق الأبلة بأربعة فراسخ يجرى فى سباخ لا عمارة على حافاته، و كانت الأرواح تدفنه، قال: و لما حفر زياد فيض البصرة بعد فراغه من إصلاح نهر الأبلة قدم ابن عامر من خراسان فلامه، و قال: أردت أن تذهب بشهرة هذا النهر و ذكره، فتباعد ما بينهما و بين أهلهما بذلك السبب، و قال أبو عبيدة: كان احتفاره الفيض من لدن دار فيل مولى زياد و حاجبه إلى موضع الجسر.

و روى محمد بن سعد عن الواقدى و غيره أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى بحفر النهر الآخر و أن يجريه على يد معقل بن يسار المزنى فنسب إليه، و قال الواقدى توفى معقل بالبصرة فى ولاية عبيد اللّه بن زياد البصرة لمعاوية، و قال الوليد بن هشام القحذمى، و على بن محمد بن أبى سيف المدائنى. كلم المنذر بن الجارود العبدى معاوية بن أبى سفيان فى حفر نهر ثار، فكتب إلى زياد فحفر نهر معقل، فقال قوم: جرى على يد معقل بن يسار فنسب إليه، و قال آخرون: بل أجراه زياد على يد عبد الرحمن بن أبى بكرة أو غيره، فلما فرغ منه و أرادوا فتحه بعث زياد معقل بن يسار ففتحه تبركا به لأنه من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال الناس: نهر معقل، فذكر القحذمى أن زيادا أعطى رجلا ألف درهم، و قال له: أبلغ دجلة و سل عن صاحب هذا النهر من هو، فإن قال لك رجل:

إنه نهر زياد فأعطه الألف، فبلغ دجلة ثم رجع فقال: ما لقيت أحدا إلا يقول: هو نهر معقل، فقال زياد: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ»

فتوح البلدان، ص: ۳۴۹

قالوا: و نهر دبيس نسب إلى رجل فصار يقال له دبيس كان يقصر الثياب عليه، و بثق الحيرى نسب إلى نبطى من أهل الحيرة، و يقال كان مولى لزياد، قالوا: و كان زياد لما بلغ بنهر معقل قبته التى يعرض فيها الجند رده إلى مستقبل الجنوب حتى أخرجه إلى أصحاب الصدقة بالجبل فسمى ذلك العطف نهر دبيس، و حفر عبد اللّه بن عامر نهره الذى عند دار فيل، و هو الذى يعرف بنهر الأساورة، و قال بعضهم: الأساورة حفروه، و نهر عمرو:

نسب إلى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان، و نهر أم حبيب نسب إلى أم حبيب بنت زياد. و كان عليه قصر كثير الأبواب فسمى الهزاردر، و قال على بن محمد المدائنى: تزوج شيرويه الأسوارى مرجانة أم عبيد اللّه بن زياد فبنى لها قصرا فيه أبواب كثيرة فسمى هزاردر.

و قال أبو الحسن قال قوم: سمى هزاردر لأن شيرويه اتخذ فى قصره ألف باب، و قال بعضهم: نزل ذلك الموضع ألف أسوار فى ألف بيت أنزلهم كسرى فقيل هزاردر، و نسب نهر حرب إلى حرب بن سلم بن زياد و كان عبد الأعلى بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن عامر أدعى أن الأرض التى كانت عليه كانت لابن عامر و خاصم فيها حربا، فلما توجه القضاء لعبد الأعلى أتاه حرب فقال له: خاصمتك فى هذا النهر و قد ندمت على ذلك و أنت شيخ العشيرة و سيدها فهو لك، فقال عبد الأعلى بن عبد اللّه: بل هو لك فانصرف حرب فلما كان العشى جاء موالى عبد الأعلى و نصحاؤه فقالوا: و اللّه ما أتاك حرب حتى توجه لك القضاء عليه، فقال: و اللّه لا رجعت فيما جعلت له أبدا، و النهر المعروف بيزيدان: نسب إلى يزيد بن عمر الأسيدى صاحب شرطة عدى بن أرطاة، و كان رجل أهل البصرة فى زمانه.

و قالوا: أقطع عبد اللّه بن عامر بن كريز عبد اللّه بن عمير بن عمرو بن مالك الليثى و هو أخوه لأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية ثمانية

فتوح البلدان، ص: ۳۵۰

آلاف جریب فحفر لها النهر الذی یعرف بنهر ابن عمیرة، قالوا: و کان عبد اللّه بن عامر حفر نهر أم عبد اللّه دجاجة و یتولاه غیلان بن خرشة الضبی و هو النهر الذی قال حارثة بن بدر الغدانی لعبد اللّه بن عامر و قد سایره لم أر أعظم برکة من هذا النهر یستقی منه الضعفاء من أبواب دورهم و یأتیهم منافعهم فیه إلی منازلهم، و هو مغیض لمیاههم، ثم أنه ساير زیادا بعد ذلک فی ولایته فقال ما رأیت نهرا شرا منه ینز منه دورهم و یبغضون له فی منازلهم و یغرق فیه صبیانهم.

و روی قوم أن غیلان بن خرشة القائل هذا: و الأول أثبت، و نهر سلم نسب إلی سلم بن زیاد أبی سفیان، و کان عبد اللّه بن عامر حفر نهرا تولاه نافذ مولاه فغلب علیه فقیل نهر نافذ، و هو لآل الفضل بن عبد الرحمن ابن عباس بن ربیعة بن الحارث بن عبد المطلب، قال أبو الیقظان: أقطع عثمان بن عفان العباس بن ربیعة بن الحارث دارا بالبصرة و أعطاه مائة ألف درهم، و کان عبد الرحمن بن عباس یلقب رائض البغال لجودة رکوبه لها و تابعه الناس بعد هرب ابن الأشعث إلی سجستان فهرب من الحجاج، و طلحتان نهر طلحة ابن أبی نافع مولی طلحة بن عبید اللّه، و نهر حمیدة نسب إلی امرأة من آل عبد الرحمن بن سمرة بن حبیب بن عبد شمس یقال حمید و هی امرأة عبد العزیز بن عبد اللّه بن عامر، و خیرتان لخیرة بنت ضمرة القشیریة امرأة المهلب و لها مهلبان کان المهلب وهبه لها، و یقال: بل کان لها فنسب إلی المهلب و هی أم أبی عیینة ابنه، و جبیران لجبیر بن حیة، و خلفان قطیعة عبد اللّه بن خلف الخزاعی أبی طلحة الطلحات، طلیقان لآل عمران بن حصین الخزاعی من ولد خالد بن طلیق بن محمد بن عمران و کان خالد ولی قضاء البصرة.

و قال القحذمی نهرمرة لابن عامر ولی حفره له مرة مولی أبی بکر الصدیق فغلب علی ذکره، و قال أبو الیقظان و غیره: نسب نهر مرة إلی مرة

فتوح البلدان، ص: ۳۵۱

ابن أبی عثمان مولی عبد الرحمن بن أبی بکر الصدیق، و کان سریا سأل عائشة أم المؤمنین أن تکتب له إلی زیاد و تبدأ به فی عنوان کتابها فکتبت له إلیه بالوصایة به و عنونته: إلی زیاد بن أبی سفیان من عائشة أم المؤمنین، فلما رأی زیاد أنها قد کاتبته و نسبته إلی أبی سفیان سر بذلک و أکرم مرة و ألطفه، و قال للناس: هذا کتاب أم المؤمنین إلی فیه و عرضه علیهم لیقرءوا عنوانه، ثم أقطعه مائة جریب علی نهر الابلة و أمره فحفر لها نهرا فنسب إلیه، و کان عثمان بن مرة من سراة أهل البصرة و قد خرجت القطیعة من أیدی ولده و صارت لآل الصفاق بن حجر بن بجیر العقوی من الأزد.

قالوا: و درجاه جنک من أموال ثقیف، و إنما قیل له ذلک لمنازعات کانت فیه، و جنک بالفارسیة صخب إنسان: نسب إلی أنس بن مالک فی قطیعة من زیاد. نهر بشار نسب إلی بشار بن مسلم بن عمرو الباهلی أخی قتیبة، و کان أهدی إلی الحجاج فرسا فسبق علیه فأقطعه سبعمائة جریب و یقال أربعمائة جریب فحفر لها النهر، و نهر فیروز نسب إلی فیروز حصین، و یقال إلی باشکار کان یقال له فیروز، و قال القحذمی: نسب إلی فیروز مولی ربیعة بن کلدة الثقفی، و نهر العلاء نسب إلی العلاء بن شریک الهذلی أهدی إلی عبد الملک شیئا أعجبه فأقطعه مائة جریب، و نهر ذراع نسب إلی ذراع النمری من ربیعة و هو أبو هارون بن ذراع، و نهر حبیب نسب إلی حبیب ابن شهاب الشامی التاجر فی قطیعة من زیاد و یقال من عثمان، و نهر أبی بکرة نسب إلی أبی بکرة بن زیاد.

و حدثنی العقوی الدلال قال: کانت الجزیرة بین النهرین سبخة فاقطعها معاویة بعض بنی أخوته، فلما قدم الفتی لینظر إلیها أمر زیاد بالماء فأرسل فیها فقال الفتی: إنما أقطعنی أمیر المؤمنین بطیحة لا حاجة لی فیها فابتاعها زیاد منه

فتوح البلدان، ص: ۳۵۲

بمائتی ألف درهم و حفر أنهارها و أقطع منها روادان لرواد بن أبی بکرة، و نهر الراء صیدت فیه سمکة تسمی الراء فسمی بها و علیه أرض حمران الذی أقطعه إیاها معاویة، نهر مکحول نسب إلی مکحول بن عبید اللّه الأحمسی و هو ابن عم شیبان صاحب مقبرة شیبان بن عبد اللّه الذی کان علی شرطة ابن زیاد، و کان مکحول یقول الشعر فی الخیل فکانت قطیعة من عبد الملک بن مروان، و قال القحذمی نهر مکحول نسب إلی مکحول بن عبد اللّه السعدی.

و قال القحذمی شط عثمان اشتراه عثمان بن أبی العاصی الثقفی من عثمان ابن عفان بمال له بالطائف، و یقال أنه اشتراه بدار له بالمدینة فزادها عثمان ابن عفان فی المسجد و أقطع عثمان بن أبی العاصی أخاه حفص بن أبی العاصی حفصان، و أقطع أبا أمیة بن أبی العاصی أخاه أمیتان، و أقطع الحکم بن أبی العاصی حکما، و أقطع أخاه المغیرة مغیرتان، قال: فکان نهر الأرحاء لأبی عمرو بن أبی العاصی الثقفی.

و قال المدائنی: أقطع زیاد فی الشط الجموم و هی زیادان، و قال لعبد اللّه ابن عثمان أنی لا أنفذ إلا ما عمرتم، و کان یقطع الرجل القطیعة و یدعه سنتین فإن عمرها و إلا أخذها منه، فکانت الجموم لأبی بکرة ثم صارت لعبد الرحمن ابن أبی بکرة، أزرقان نسب إلی الأزرق بن مسلم مولی بنی حنیفة، و نسب محمدان إلی محمد بن علی بن عثمان الحنفی، زیادان نسب إلی زیاد مولی بنی الهیثم، و هو جد مؤنس بن عمران بن جمیع بن یسار وجد عیسی بن عمر النحوی و حاجب بن عمر لأمهما، و نهر أبی الخصیب نسب إلی أبی الخصیب مرزوق مولی المنصور أمیر المؤمنین، و نهر الأمیر بالبصرة حفره المنصور ثم وهبه لابنه جعفر فکان یقال نهر أمیر المؤمنین، ثم قیل نهر الأمیر ثم ابتاعه الرشید، و أقطع منه و باع و نهر ربا للرشید نسب إلی سورجی و القرشی کان عبید اللّه بن عبد الأعلی الکریزی و عبید اللّه بن عمر بن الحکم

فتوح البلدان، ص: ۳۵۳

الثقفی اختصما فیه ثم اصطلحا علی أن أخذ کل واحد منهما نصفه فقیل القرشی و العربی، و القندل خور من أخوار دجلة سده سلیمان بن علی و علیه قطیعة المنذر بن الزبیر بن العوام و فیه نهر النعمان بن المنذر صاحب أقطعه أیام کسری و کان هناک قصر للنعمان، و نهر مقاتل نسب إلی مقاتل ابن جاریة بن قدامة السعدی، و عمیران نسب إلی عبد اللّه بن عمیر اللیثی، و سیحان کان للبرامکة و هم سموه سیحان، و الجوبرة صید فیها الجوبرة فسمیت بذلک، حصینان لحصین بن أبی الحر العنبری، عبید لان لعبید اللّه بن أبی بکرة، عبیدان لعبید بن کعب النمیری، منقذان لمنقذ بن علاج السلمی، عبد الرحمانان کان لأبی بکرة بن زیاد فاشتراه أبو عبد الرحمن مولی هشام، و نافعان لنافع بن الحارث الثقفی، و أسلمان لأسلم بن زرعة الکلابی، و حمرانان لحمران بن أبان مولی عثمان، و قتیبتان لقتیبة بن مسلم، و خشخشان لآل الخشخاش العنبری.

و قال القحذمی: نهر البنات بنات زیاد أقطع کل بنت ستین جریبا و کذلک کان یقطع العامة، و قال: أمر زیاد عبد الرحمن بن تبع الحمیری، و کان علی قطائعه أن یقطع نافع بن الحارث الثقفی ما مشی فمشی فانقطع شسعه فجلس، فقال حسبک، فقال: لو علمت لمشیت إلی الابلة فقال:

دعنی حتی أرمی بنعلی فرمی بها حتی بلغت الاجانة، سعیدان لآل سعید بن عبد الرحمن بن عباد بن أسید و کانت سلیمانان قطیعة لعبید بن قسیط صاحب الطوف أیام الحجاج فرابط بها رجل من الزهاد یقال له سلیمان بن جابر فنسبت إلیه، و عمران لعمر بن عبید اللّه بن معمر التیمی، و فیلان لفیل مولی زیاد، و خالدان نسب إلی خالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسید بن أبی العیص بن أمیة، نهر یزید الإباضی و هو یزید بن عبد اللّه الحمیری، المسماریة قطیعة مسمار مولی زیاد و له بالکوفة ضیعة، قال القحذمی و کان

فتوح البلدان، ص: ۳۵۴

بلال بن أبی بردة الذی فتق نهر معقل فی فیض البصرة، و کان قبل ذلک مکسورا یفیض إلی القبة التی کان زیاد یعرض فیها الجند و احتفر بلال نهر بلال و جعل علی جنبتیه حوانت و نقل إلیها السوق و جعل ذلک لیزید بن خالد القسری، قالوا: و حفر بشیر بن عبید اللّه بن أبی بکرة المرغاب و سماه باسم مرغاب مرو، و کانت القطیعة التی فیها المرغاب لهلال بن أحوز المازنی أقطعه إیاها یزید بن عبد الملک و هی ثمانیة آلاف جریب فحفر بشیر المرغاب و السواقی و المعترضات بالتغلب و قال هذه قطیعة لی و خاصمه حمیری بن هلال فکتب خالد بن عبد اللّه القسری إلی مالک بن المنذر بن الجارود و هو علی أحداث البصرة أن خل بین الحمیری و بین المرغاب و أرضه، و ذلک أن بشیرا أشخص إلی خالد فتظلم فقبل قوله، و کان عمرو بن یزید الأسیدی یعنی بحمیری و یعینه فقال

لمالک بن المنذر أصلحک اللّه لیس هذا خل إنما هو حل بین حمیری و بین المرغاب، قال: و کانت لصعصعة بن معاویة عم الأحنف قطیعة بحیال المرغاب و إلی جنبها فجاء معاویة بن معاویة معینا لحمیری، فقال بشیر هذا مسرح إبلنا و بقرنا و حمیرنا و دوابنا و غنمنا فقال معاویة: أمن أجل تلط بقرة عقفاء و اتان ودیق ترید أن تغلبنا علی حقنا، و جاء عبد اللّه بن أبی عثمان بن عبد اللّه بن خالد بن أسید فقال:

أرضنا و قطیعتنا فقال له معاویة أسمعت بالذی تخطی النار فدخل اللهب فی استه فأنت هو، قالوا: و کانت سویدان لعبید اللّه بن أبی بکرة قطیعة مبلغها أربعمائة جریب فوهبها لسوید بن منجوف السدوسی، و ذلک أن سویدا مرض و عاده ابن أبی بکرة فقال له کیف تجدک، قال صالحا إن شئت قال:

قد شئت فما ذاک، قال: إن أعطیتنی مثل الذی أعطیت ابن معمر فلیس علی بأس فأعطاه سویدان فنسبت إلیه.

قال المدائنی: حفر یزید بن المهلب نهر یزید فی قطیعة لعبید اللّه بن أبی

فتوح البلدان، ص: ۳۵۵

بکرة، فقال لبشیر بن عبید اللّه اکتب لی کتابا بأن هذا النهر فی حقی، قال:

لا- و لئن عزلت لأخاصمنک، جبران لآل کلثوم بن جبر نهر ابن أبی برذعة نسب إلی أبی برذعة بن عبید اللّه بن أبی بکرة، و المسرقانان قطیعة لآل أبی بکرة و أصلها مائة جریب فمسحها مساح المنصور ألف جریب فأقروا فی أیدی آل أبی بکرة منها مائة و قبضوا الباقی، قطیعة همیان لهمیان بن عدی السدوسی، کثیران لکثیر بن سیار، بلالان لبلال بن أبی بردة کانت القطیعة لعباد بن زیاد فاشتراها، شبلان لشبل بن عمیرة بن یثربی الضبی، نهر سلم نسب إلی سلم بن عبید اللّه بن أبی بکرة، النهر الرباحی نسب إلی رباح مولی آل جدعان، سبخة عائشة إلی عائشة بنت عبد اللّه بن خلف الخزاعی، قالوا: و احتفر کثیر بن عبد اللّه السلمی و هو أبو العاج عامل یوسف بن عمر الثقفی علی البصرة نهرا من نهر ابن عتبة إلی الخستل فنسب إلیه، نهر أبی شداد نسب إلی أبی شداد مولی زیاد، بثق سیار لفیل مولی زیاد و لکن القیم علیه کان سیار مولی بنی عقیل فغلب علیه أرض الأصبهانیین شرا من بعض العرب، و کان هؤلاء الأصبهانیون قوما أسلموا و هاجروا إلی البصرة، و یقال أنهم کانوا مع الأساورة الذین صاروا بالبصرة، و دار ابن الأصبهانی بالبصرة نسبت إلی عبد اللّه بن الأصبهانی و کان له أربعمائة مملوک لقی المختار مع مصعب و هو علی میمنته.

حدثنی عباس بن هشام عن أبیه عن بعض آل الأهتم، قال: کتب یزید ابن عبد الملک إلی عمر بن هبیرة أنه لیست لأمیر المؤمنین بأرض العرب خرصة فسر علی القطائع فخذ فضولها لأمیر المؤمنین فجعل عمر یأتی القطیعة فیسأل عنها ثم یمسحها حتی وقف علی أرض، فقال: لمن هذه فقال صاحبها لی فقال و من أین هی لک فقال:

و رثناهن عن أباء صدقو یورثها إذا متنا بنینا

فتوح البلدان، ص: ۳۵۶

قال: ثم أن الناس ضجوا من ذلک فأمسک، قالوا: صلتان نسب إلی الصلت بن حریث الحنفی، و قاسمان قطیعة القاسم بن عباس بن ربیعة بن الحارث بن عبد المطلب ورثه إیاها أخوه عون، و نهر خالدان الأجمة لآل خالد بن أسید و آل أبی بکرة و نهر ماسوران کان فیه رجل شریر یسعی بالناس و یبحث علیهم فنسب النهر إلیه، و الماسور بالفارسیة الجریر الشریر، جبیران أیضا، قطیعة جبیر بن أبی زید من بنی عبد الدار، معقلان قطیعة معقل بن یسار من زیاد، و ولده یقولون: من عمرو لم یقطع عمر أحدا علی النهرین، جندلان لعبید اللّه بن جندل الهلالی، نهر التوت قطیعة عبد اللّه ابن نافع بن الحارث الثقفی و قال القحذمی: کان نهر سلیمان بن علی لحسان ابن أبی حسان النبطی، و النهر الغوثی کان علیه صاحب مسلحة یقال له غوث فنسب إلیه، و قال بعضهم جعل مغیثا للمرغاب فسمی الغوث ذات الحفافین علی نهر معقل، و دجلة کانت لعبد الرحمن بن أبی بکرة فاشتراها عربی التمار مولی أمة اللّه بنت أبی بکرة، نهر أبی سبرة الهذلی، قطیعة حریانان قطیعة حرب بن عبد الرحمن بن الحکم بن أبی العاصی، قطیعة الحباب للحباب بن یزید المجاشعی، نهر

جعفر كان لجعفر مولى سلم ابن زياد، و كان خراجيا، بثق شيرين نسب إلى شيرين امرأة كسرى ابن هرمز.

و قال القحذمى و المدائنى: كانت مهلبان التى تعرف فى الديوان بقطيعة عمر بن هبيرة لعمر بن هبيرة أقطعه إياها يزيد بن عبد الملك حين قبض مال يزيد بن المهلب و أخوته و ولده و كانت للمغيرة بن المهلب و فيها نهر كان زادان فروخ حفره فعرف به و هى اليوم لآل سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب رفع إلى أبى العباس أمير المؤمنين فيها فأقطعه إياها فخاصمه آل المهلب فى أمرها فقال: كانت المغيرة فقالوا: نحن نجيز ذلك مات المغيرة بن المهلب قبل

فتوح البلدان، ص: ۳۵۷

أبيه فورثت ابنته النصف فلك ميراثك من أمك و رجع الباقى إلى أبيه فهو بين الورثة. قال: و للمغيرة ابن. قالوا: و مالك و لابن المغيرة؟ أنت لا ترثه! إنما هو خالك فلم يعطهم شيئا و هى ألف و خمسمائة جريب.

كوسجان نسب إلى عبد اللّه بن عمرو الثقفى الكوسج. و قال المدائنى:

كانت كوسجان لأبى بكرة فخاصمه أخوه نافع فخرجا إليها و كل واحد منهما يدعيها و خرج إليها عبد اللّه بن عمرو الكوسج فقال لهما: أراكما تختصمان فحكمانى فحكماه. فقال: قد حكمت بها لنفسى فسلماها له. قال: و يقال أنه لم يكن للوسج شرب فقال لأبى بكرة و نافع: اجعلا لى شربا بقدر وثبة فأجاباه إلى ذلك فيقال أنه وثب ثلاثين ذراعا.

قالوا: و بالفرات أرضون أسلم أهلها عليها حين دخلها المسلمون و أرضون خرجت من أيدى أهلها إلى قوم مسلمين بهبات و غير ذلك من أسباب الملك فصيرت عشرية و كانت خراجية فردها الحجاج إلى الخراج. ثم ردها عمر بن عبد العزيز إلى الصدقة. ثم ردها عمر بن هبيرة إلى الخراج. فلما ولى هشام بن عبد الملك رد بعضها إلى الصدقة. ثم أن المهدى أمير المؤمنين جعلها كلها من أراضى الصدقة. و قال جعفر: إن كان لأم جعفر بنت مجزاة بن ثور السدوسى امرأة أسلم صاحب أسلمان.

قال القحذمى: حدثنى أرقم بن ابراهيم أنه نظر إلى حسان النبطى يشير من الجسر، و معه عبد الأعلى بن عبد اللّه بحوز كل شىء من حد نهر الفيض لولد هشام بن عبد الملك، فلما بلغ دار عبد الأعلى رفع الذرع. فلما كانت الدولة المباركة قبض ذلك أجمع فوقف أبو جعفر الجبان فيما وقف على أهل المدينة و أقطع المهدى العباسة ابنته امرأة محمد بن سليمان الشرقى عبادان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان من عبد الملك بن مروان و بعضها فيما يقال من زياد

فتوح البلدان، ص: ۳۵۸

و كان حمران من سبى عين التمر يدعى أنه من التمر بن قاسط فقال الحجاج ذات يوم و عنده عباد بن حصين الحبطى: ما يقول حمران لئن انتمى إلى العرب و لم يقل أن أباه أبى و أنه مولى لعثمان لأضربن عنقه، فخوج عباد من عند الحجاج مبادرا فأخبر حمران بقوله، فوهب له غربى النهر و حبس الشرقى فنسب إلى عباد بن الحصين، و قال: هشام بن الكلبى: كان أول من رابط بعبادان عباد بن الحصين، قال: و كان الربيع بن صبح الفقيه و هو مولى بنى سعد جمع مالا- من أهل البصرة فحصن به عبادان و رابط فيها، و الربيع يروى عن الحسن البصرى، و كان خرج غازيا إلى الهند فى البحر فمات فدفن فى جزيرة من الجزائر فى سنة ستين و مائة.

قال القحذمى: خالدان القصر، و خالدان هبساء كانا لخالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد، و خالدان ليزيد بن طلحة الحنفى و يكنى أبا خالد، قال: و نهر عدى كان خورا من نهر البصرة حتى فتقه عدى بن أرطاة الفزارى عامل عمر ابن عبد العزيز من بثق شيرين، قال: و كان سليمان أقطع يزيد بن المهلب ما اعتمل من البطيحة فاعتمل الشرقى و الجبان و الخست و الريحية و مغيرتان و غيرها فصارت حوزا فقبضها يزيد بن عبد الملك ثم أقطعها هشام ولده ثم حيزت بعده.

قال القحذمى: و كان الحجاج أقطع خيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب عباسان فقبضها يزيد بن عبد الملك فأقطعها العباس بن الوليد بن عبد الملك، ثم قبضت فأقطعها أبو العباس أمير المؤمنين سليمان بن على، قال:

و كانت القاسمية مما نضب عنه الماء فافتعل القاسم بن سليمان مولى زياد كتابا ادعى أنه من يزيد بن معاوية باقطاعه إياها، الخالية

لخالد بن صفوان بن الأهتم كانت للقاسم بن سليمان المالكية لمالك بن المنذر بن الجارود، الحاتمية لحاتم بن قبيصة بن المهلب.

فتوح البلدان، ص: ۳۵۹

حدثنى جماعة من أهل البصرة. قالوا: كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز و أمر أهل البصرة أن يكتبوا فى حفر نهر لهم فكتب إليه وكيع ابن أبى سود التميمى. أنك إن لم تحفر لنا نهرا فما البصرة لنا بدار، و يقال:

أن عديا التمس فى ذلك الإضرار ببهز بن يزيد بن المهلب فنفعه. قالوا فكتب عمر يأذن له فى حفر نهر فحفر نهر عدى و خرج الناس ينظرون إليه فحمل عدى الحسن البصرى على حمار كان عليه و جعل يمشى.

قالوا: و لما قدم عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز عاملا على العراق من قبل يزيد بن الوليد أتاه أهل البصرة فشكوا إليه ملوحة مائهم. و حملوا إليه قارورتين فى أحدهما ماء البصرة و فى الأخرى ماء من ماء البطيحة فرأى بينهما فصلا فقالوا: أنك إن حفرت لنا نهرا شربنا من هذا العذب. فكتب بذلك إلى يزيد فكتب إليه يزيد أن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق ما كان فى أيدينا فأنفقه عليه. فحفر النهر الذى يعرف بنهر عمرو. قال رجل ذات يوم فى مجلس بن عمرو اللّه أنى أحسب نفقة هذا النهر تبلغ ثلاثمائة ألف أو أكثر فقال ابن عمر. لو بلغت خراج العراق لأنفقته عليه.

قالوا. و كانت الولاة و الأشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة و يحتفرون الصهاريج. و كان للحجاج بها صهريج معروف يجتمع فيه ماء المطر و كان لابن عامر و زياد و ابن زياد صهاريج يبيحونها الناس.

قالوا: و بنى المنصور رحمه اللّه بالبصرة فى دخلته الأولى قصره الذى عند الحبس الأكبر و ذلك فى سنة اثنتين و أربعين و مائة و بنى فى رحلته الثانية المصلى بالبصرة و قال القحذمى: الحبس الأكبر إسلامى، قالوا: و وقف محمد بن سليمان بن على ضيعة له على أحواض اتخذها بالبصرة فغلتها تنفق على دواليبها و إبلها و مصلحتها.

فتوح البلدان، ص: ۳۶۰

و حدثنى روح بن عبد المؤمن عن عمه أبى هشام عن أبيه، قال: وفد أهل البصرة على ابن عمر بن عبد العزيز بواسط فسألوه حفر نهر لهم فحفر لهم نهر ابن عمر، و كان الماء الذى يأتى نزرا قليلا، و كان عظم ماء البطيحة يذهب فى نهر الدير، فكان الناس يستعذبون من الابلة حتى قدم سليمان بن على البصرة و اتخذ المغيثة و عمل مسنياتها على البطيحة فحجز الماء عن نهر الدبر و صرفه إلى نهر ابن عمرو أنفق على المغيثة ألف ألف درهم، فقال: شكا أهل البصرة إلى سليمان ملوحة الماء و كثره ما يأتيهم من ماء البحر فسكر القندل فعذب ماؤهم قال: و اشترى سليمان بن على موضع السجن من ماله فى دار ابن زياد فجعله سجنا و حفر الحوض الذى فى الدهناء و هى رحبة بنى هاشم.

و حدثنى بعض أهل العلم بضياع البصرة، قال: كان أهل الشعيبة من الفرات جعلوها لعلى بن أمير المؤمنين الرشيد فى خلافة الرشيد على أن يكونوا مزارعين له فيها و يخفف مقاسمتهم فتكلم فيها فجعلت عشرية من الصدقة و قاسم أهلها على ما رضوا به و قام له بأمرها شعيب بن زياد الواسطى الذى لبعض ولده دار بواسط على دجلة فنسبت إليه.

و حدثنى عدة من البصريين منهم روح بن عبد المؤمن، قالوا لما اتخذ سليمان بن على المغيثة أحب المنصور أن يستخرج ضيعة من البطيحة فأمر باتخاذ السبيطة فكره سليمان بن على و أهل البصرة ذلك، و اجتمع أهل البصرة إلى باب عبد اللّه بن على و هو يومئذ عند أخيه سليمان هاربا من المنصور فصاحوا يا أمير المؤمنين انزل إلينا نبايعك، فكفهم سليمان و فرقهم و أوفد إلى المنصور سوار بن عبد اللّه التميمى ثم العنزى و داود بن أبى هند مولى بنى بشير و سعيد بن أبى عروبة و اسم أبى عروبة بهران فقدموا عليه و معهم صورة البطيحة فأخبروه أنهم يتخوفون أن يملح ماءهم، فقال: ما أراه

فتوح البلدان، ص: ۳۶۱

كما ظننتم و أمر بالإمساك، ثم أنه قدم البصرة فأمر باستخراج السبيطة فاستخرجت له فكانت منها أجمة لرجل من الدهاقين يقال له

سبیط، فحبس عنه الوکیل الذی قلد القیام بأمر الضیعة و استخراجها بعض ثمنها و ضربه فلم یزل علی باب المنصور یطالب بما بقی له من ثمن أجمعته و یختلف فی ذلک إلی دیوانه حتی مات فنسبت الضیعة إلیه بسبب أجمته فقیل السبیطیة.

و قالوا قنطرة قرة بالبصرة نسبت إلی قرة بن حیان الباهلی، و کان عندها نهر قدیم ثم اشترته أم عبد اللّه بن عامر فتصدقت به مغیضا لأهل البصرة و ابتاع عبد اللّه بن عامر السوق فتصدق به، قالوا و مر عبید اللّه بن زیاد یوم نعی یزید بن معاویة علی نهر أم عبد اللّه فإذا هو بنخل فأمر به فعقر، و هدم حمام حمران بن أبان و موضعه الیوم یعمل فیه الرباب.

قالوا: و مسجد الحامرة نسب إلی قوم قدموا الیمامة عجم من عمان ثم صاروا منها إلی البصرة علی حمیر فأقاموا بحضرة هذا المسجد، و قال بعضهم بنوه ثم جدد بعد.

و حدثنی علی الأثرم عن أبی عبیدة عن أبی عمرو بن العلاء، قال: کان قیس بن مسعود الشیبانی علی الطف من قبل کسری فهو اتخذ المنجشانیة علی ستة أمیال من البصرة و جرت علی ید عضروط یقال له منجشان فنسبت إلیه، قال: و فوق ذلک روضة الخیل کانت مهارته ترعی فیها.

و قال ابن الکلبی: نسب الماء الذی یعرف بالحوأب إلی الحوأب بنت کلب بن وبرة، و کانت عند مر بن أد بن طابخة، و نسب حمی ضریة إلی ضریة بنت ربیعة بن نزار و هی أم حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، قالوا نسب حلوان إلی حلوان هذا

.

فتوح البلدان، ص: ۳۶۲

أمر الأساورة و الزط

حدثنی جماعة من أهل العلم، قالوا: کان سیاه الأسواری علی مقدمة یزدجرد، ثم أنه بعث به إلی الأهواز فنزل الکلبانیة و أبو موسی الأشعری محاصر السوس، فلما رأی ظهور الإسلام و عز أهله و أن السوس قد فتحت و الأمداد متتابعة إلی أبی موسی أرسل إلیه: إنا قد أحببنا الدخول معکم فی دینکم علی أن نقاتل عدوکم من العجم معکم و علی أنه إن وقع بینکم اختلاف لم نقاتل بعضکم مع بعض، و علی أنه ان قاتلنا العرب منعتمونا منهم و أعنتمونا علیهم، و علی أن ننزل بحیث شئنا من البلدان و نکون فیمن شئنا منکم، و علی أن نلحق بشرف العطاء و یعقد لنا بذلک الأمیر الذی بعثکم، فقال أبو موسی بل لکم ما لنا و علیکم ما علینا، قالوا لا نرضی، فکتب أبو موسی بذلک إلی عمر فکتب إلیه عمر، أن أعطهم جمیع ما سألوا، فخرجوا حتی لحقوا بالمسلمین و شهدوا مع أبی موسی حصار تستر فلم یظهر منهم نکایة، فقال لسیاه یا عون ما أنت و أصحابک کما کنا نظن، فقال له أخبرک أنه لیست بصائرنا کبصائرکم و لا لنا فیکم حرم نخاف علیها و نقاتل، و إنما دخلنا فی هذا الدین فی بدء أمرنا تعوذا و ان کان اللّه قد رزق خیرا کثیرا، ثم فرض لهم فی شرف العطاء، فلما صاروا إلی البصرة سألوا أی الأحیاء أقرب نسبا إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فقیل: بنو تمیم و کانوا علی أن یحالفوا الأزد فترکوهم و حالفوا بنی تمیم، ثم خطت لهم خططهم فنزلوا و حفروا نهرهم و هو یعرف بنهر الأساورة، و یقال أن عبد اللّه بن عامر حفره.

و قال أبو الحسن المدائنی: أراد شیرویه الأسواری أن ینزل فی بکر بن وائل مع خالد بن معمر و بنی سدوس فأبی سیاه ذلک فنزلوا فی بنی تمیم و لم

فتوح البلدان، ص: ۳۶۳

یکن یومئذ الأزد بالبصرة و لا عبد شمس، قال فانضم إلی الأساورة السیابجة و کانوا قبل الإسلام بالسواحل و کذلک الزط و کانوا بالطفوف یتتبعون الکلأ فلما اجتمعت الأساورة و الزط و السیابجة تنازعتهم بنو تمیم فرغبوا فیهم فصارت الأساورة فی بنی سعد و الزط و السیابجة فی بنی حنظلة فأقاموا معهم یقاتلون المشرکین و خرجوا مع ابن عامر إلی خراسان و لم یشهدوا معهم الجمل و صفین و لا

شیئا من حروبهم حتی کان یوم مسعود، ثم شهدوا بعد یوم مسعود الربذة، و شهدوا أمر ابن الأشعث معه فأضربهم الحجاج فهدم دورهم و حط أعطیاتهم و أجلی بعضهم، و قال: کان فی شرطکم أن لا تعینوا بعضنا علی بعض.

و قد روی: أن الأساورة لما انحازوا إلی الکلبانیة وجه أبو موسی إلیهم الزبیر بن زیاد الحارثی فقاتلهم، ثم أنهم استأمنوا علی أن یسلموا و یحاربوا العدو و یحالفوا من شاءوا و ینزلوا بحیث أحبوا، قالوا: و انحاز إلی هؤلاء الأساورة قوم من مقاتلة الفرس ممن لا أرض له فلحقوا بهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها فی النواحی فصاروا معهم و دخلوا فی الإسلام.

و قال المدائنی: لما توجه یزدجرد إلی أصبهان دعا سیاه فوجه إلی إصطخر فی ثلاثمائة فیهم سبعون رجلا من عظمائهم و أمره أن ینتخب من أحب من أهل کل بلد و مقاتلته، ثم اتبعه یزدجرد، فلما صار بإصطخر وجهه إلی السوس و أبو موسی محاصر لها، و وجهه الهرمزان إلی تستر فنزل سیاه الکلبانیة، و بلغ أهل السوس أمر یزدجرد و هربه فسألوا أبا موسی الصلح فصالحهم فلم یزل سیاه مقیما بالکلبانیة حتی سار أبو موسی إلی تستر فتحول سیاه فنزل بین رامهرمز و تستر حتی قدم عمار فجمع سیاه الرؤساء الذین خرجوا معه من أصبهان، فقال: قد علمتم بما کنا نتحدث به من أن

فتوح البلدان، ص: ۳۶۴

هؤلاء القوم سیغلبون علی هذه المملکة و یروا دوابهم فی إیوان إصطخر و أمرهم فی الظهور علی ما ترون فانظروا لأنفسکم و ادخلوا فی دینهم فأجابوه إلی ذلک فوجه شیرویه فی عشرة إلی أبی موسی فأخذوا میثاقا علی ما وصفنا من الشرط و أسلموا.

و حدثنی غیر المدائنی عن عوانة، قال: حالفت الأساورة الأزد ثم سألوا عن أقرب الحیین من الأزد و بنی تمیم نسبا إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم و الخلفاء و أقربهم مددا فقیل بنو تمیم فحالفوهم و سید بنی تمیم یومئذ الأحنف بن قیس و قد شهد وقعة الربذة أیام ابن الزبیر جماعة من الأساورة فقتلوا خلقا بعدتهم من النشاب و لم یخطئ لأحد منهم رمیة، و أما السیابجة و الزط و الاندغار فإنهم کانوا فی جند الفرس ممن سبوه و فرضوا له من أهل السند و من کان سبیا من أولی الغزاة، فلما سمعوا بما کان من أمر الأساورة أسلموا و أتوا أبا موسی فأنزلهم البصرة کما أنزل الأساورة.

و حدثنی روح بن عبد المؤمن، قال حدثنی یعقوب بن الحضرمی عن سلام، قال: أتی الحجاج بخلق من زط السند و أصناف ممن بها من الأمم معهم أهلوهم و أولادهم و جواميسهم فأسکنهم بأسافل کسکر، قال روح: فغلبوا علی البطیحة و تناسلوا بها، ثم أنه ضوی إلیهم قوم من أباق العبید و موالی باهله و خولة محمد بن سلیمان بن علی و غیرهم، فشجعوهم علی قطع الطریق و مبارزة السلطان بالمعصیة، و إنما کانت غایتهم قبل ذلک أن یسألوا الشیء الطفیف و یصیبوا غرة من أهل السفینة فیتناولوا منها ما أمکنهم اختلاسه، و کان الناس فی بعض أیام المأمون قد تحاموا الاجتیاز بهم و انقطع عن بغداد جمیع ما کان یحمل إلیها من البصرة فی السفن فلما استخلف المعتصم بالله تجرد لهم، و ولی محاربتهم رجلا من أهل خراسان یقال له عجیف بن عنبثة، و ضم إلیه من

فتوح البلدان، ص: ۳۶۵

القواد و الجند خلقا و لم یمنعه شیئا طلبه من الأموال، فرتب بین البطائح و مدینة السلام خیلا مضمرة ملهوبة الأذناب، و کانت أخبار الزط تأتیه بمدینة السلام فی ساعات من النهار أو أول اللیل و أمر عجیفا فسکر عنهم الماء بالمؤن العظام حتی أخذوا فلم یشذ منهم أحد و قدم بهم إلی مدینة السلام فی الزواریق فجعل بعضهم بخانقین و فرق سائرهم فی عین زربة و الثغور.

قالوا: و کانت جماعة السیابجة موکلین ببیت مال البصرة، یقال أنهم أربعون، و یقال أربعمائة، فلما قدم طلحة بن عبید اللّه و الزبیر بن العوام البصرة و علیها من قبل علی بن أبی طالب عثمان بن حنیف الأنصاری أبوا أن یسلموا بیت المال إلی قدوم علی رضی اللّه عنه فأتوهم فی السحر فقتلوهم و کان عبد اللّه بن الزبیر المتولی لأمرهم فی جماعة تسرعوا إلیهم معه، و کان علی السیابجة یومئذ أبو سالمة الزطی، و کان رجلا صالحا، و قد کان معاویة نقل من الزط و السیابجة القدماء إلی سواحل الشام و انطاکیة بشرا، و قد کان الولید بن عبد الملک نقل قوما من الزط إلی انطاکیة و ناحیتها.

قالوا: و كان عبيد اللّه بن زياد سبى خلقا من أهل بخارى و يقال بل نزلوا على حكمه، و يقال بل دعاهم إلى الأمان و الفريضة فنزلوا على ذلك و رغبوا فيه فأسكنهم البصرة، فلما بنى الحجاج مدينة واسط نقل كثيرا منهم إليها فمن نسلهم اليوم بها قوم منهم خالد الشاطر المعروف بابن مارقلى، قال و لاندغار من ناحية كرمان مما يلى سجستان

.

فتوح البلدان، ص: ۳۶۶

فتح كور الأهواز

قالوا: غزا المغيرة بن شعبة سوق الأهواز فى ولايته حين شخص عتبة بن غزوان من البصرة فى آخر سنة خمس عشرة و أول سنة ست عشرة فقاتله البيرواز دهقانها ثم صالحه على مال ثم أنه نكث، فغزاها أبو موسى الأشعرى حين ولاه عمر بن الخطاب البصرة بعد المغيرة، فافتتح سوق الأهواز عنوة و فتح نهرتيرى عنوة، و ولى ذلك بنفسه فى سنة سبع عشرة.

و قال أبو مخنف و الواقدى فى روايتهما: قدم أبو موسى البصرة فاستكتب زيادا، و اتبعه عمر بن الخطاب بعمران بن الحصين الخزاعى و صيره على تعليم الناس الفقه و القرآن، و خلافة أبى موسى إذا شخص عن البصرة، فسار أبو موسى إلى الأهواز، فلم يزل يفتح رستاقا رستاقا و نهرا نهرا، و الأعاجم تهرب من بين يديه فغلب على جمع أرضها إلا السوس، و تستر و مناذر، و رامهرمز.

و حدثنى الوليد بن صالح، قال: حدثنى مرحوم العطار عن أبيه عن شويس العدوى، قال: أتينا الأهواز و بها ناس من الزط و الأساورة فقاتلناهم قتالا شديدا فظفرنا بهم فأصبنا سبيا كثيرا اقتسمناهم، فكتب إلينا عمر أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلوا ما فى أيديكم من السبى و اجعلوا عليهم الخراج فرددنا السبى و لم نملكهم.

قالوا: و سار أبو موسى إلى مناذر، فحاصر أهلها فاشتد قتالهم فكان المهاجر بن زياد الحارثى أخو الربيع بن زياد بن الديان فى الجيش فأراد أن يشرى نفسه و كان صائما، فقال الربيع لأبى موسى: أن المهاجر عزم على أن يشرى نفسه و هو صائم، فقال أبو موسى: عزمت على كل صائم أن يفطر

فتوح البلدان، ص: ۳۶۷

أولا يخرج إلى القتال، فشرب المهاجر شربة ماء، و قال: قد أبررت عزمة أميرى و اللّه ما شربتها من عطش، ثم راح فى السلاح فقاتل حتى استشهد أخذ أهل مناذر رأسه و نصبوه على قصرهم بين شرفتين، و له يقول القائل:

و فى مناذر لما جاش جمعهمراح المهاجر فى حل بأجمال

و البيت بيت بنى الديان نعرفهفى آل مذحج مثل الجوهر الغالى

و استخلف أبو موسى الأشعرى الربيع بن زياد على مناذر و سار إلى السوس، ففتح الربيع مناذر عنوة، فقتل المقاتلة، و سبى الذرية و صارت مناذر الكبرى و الصغرى فى أيدى المسلمين، فولاهما أبو موسى عاصم بن قيس بن الصلت السلمى، و ولى سوق الأهواز سمرة بن جندب الفزارى حليف الأنصار و قال قوم: أن عمر كتب إلى أبى موسى و هو محاصر مناذر يأمره أن يخلف عليها و يسير إلى السوس فخلف الربيع بن زياد.

حدثنى سعدويه، قال: حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن المهلب بن أبى صفرة، قال حاصرنا مناذر فأصبنا سبيا، فكتب عمر: أن مناذر كقرية من القرى السواد فردوا عليهم ما أصبتم.

قالوا. و سار أبو موسى إلى السوس فقاتل أهلها ثم حاصرهم حتى نفد ما عندهم من الطعام فضرعوا إلى الأمان، و سأل مرزبانهم أن يؤمن ثمانون منهم على أن يفتح باب المدينة و يسلمها فسمى الثمانين و أخرج نفسه منهم فأمر به أبو موسى فضربت عنقه و لم يعرض للثمانين، و قتل من سواهم من المقاتلة و أخذ الأموال و سبى الذرية، و رأى أبو موسى فى قلعتهم بيتا و عليه ستر فسأل عنه فقيل أن فيه

جثة دانيال النبى عليه السلام و على أنبياء اللّه و رسله، فأنهم كانوا أقحطوا فسألوا أهل بابل دفعه إليهم ليستسقوا به ففعلوا، و كان بختنصر سبى دانيال و أتى به بابل فقبض بها، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر

فتوح البلدان، ص: ۳۶۸

فكتب إليه عمر أن كفنه و أدفنه فسكر أبو موسى نهرا حق إذا انقطع دفنه ثم أجرى الماء عليه.

حدثنى أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: حدثنا مروان بن معاوية عن حميد الطويل عن حبيب عن خالد بن زيد المزنى، و كانت عينه أصيبت بالسوس قال: حاصرنا مدينتها، و أميرنا أبو موسى فلقينا جهدا ثم صالحه دهقانها على أن يفتح له المدينة و يؤمن له مائة من أهله ففعل، و أخذ عهد أبى موسى، فقال له: أعزلهم فجعل يعزلهم و أبو موسى يقول لأصحابه:

إنى لأرجو أن يغلبه اللّه على نفسه فعزل المائة و بقى عدو اللّه، فأمر به أبو موسى أن يقتل فنادى: رويدك أعطيك مالا كثيرا فأبى و ضرب عنقه.

قالوا: و هادن أبو موسى أهل رامهرمز، ثم انقضت هدنتهم فوجه إليهم أبا مريم الحنفى فصالحهم على ثمانمائة ألف درهم.

حدثنى روح بن عبد المؤمن، قال: حدثنى يعقوب عن أبى عاصم الرامهرمزى، و كان قد بلغ المائة أو قاربها، قال: صالح أبو موسى أهل رامهرمز على ثمانمائة ألف أو تسعمائة ألف، ثم أنهم غدروا ففتحت بعد عنوة ففتحها أبو موسى فى آخر أيامه.

قالوا: و فتح أبو موسى سرق على مثل صلح رامهرمز، ثم أنهم غدروا فوجه إليها حارثة بن بدر الغدانى فى جيش كثيف فلم يفتحها، فلما قدم عبد اللّه بن عامر فتحها عنوة، و قد كان حارثة ولى سرق بعد ذلك، و فيه يقول أبو الأسود الدؤلى:

أحار بن بدر قد وليت أمارةفكن جرزا فيها تخون و تسرق

فإن جميع الناس: اما مكذبيقول بما تهوى: و اما مصدق

يقولون أقوالا بظن و شبهةفإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

و لا تعجزن فالعجز أسوء عادةفحظك من مال العراقين سرق

فتوح البلدان، ص: ۳۶۹

فلما بلغ الشعر حارثة قال:

جزاك اله الناس خير جزائهفقد قلت معروفا و أوصيت كافيا

أمرت بحزم لو أمرت بغيرهلألفيتنى فيه لأمرك عاصيا

قالوا: و سار أبو موسى إلى تستر و بها شوكة العدو وحدهم، فكتب إلى عمر يستمده، فكتب عمر إلى عمار بن ياسر يأمره بالمسير إليه فى أهل الكوفة فقدم عمار جرير بن عبد اللّه البجلى، و سار حتى تستر، و على ميمنته يعنى ميمنة أبى موسى البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، و على ميسرته مجزأة بن ثور السدوسى، و على الخيل أنس بن مالك، و على ميمنة عمار البراء بن عازب الأنصارى، و على ميسرته حذيفة بن اليمان العبسى، و على خيله قرظة بن كعب الأنصارى، و على رجالته النعمان بن مقرن المزنى، فقاتلهم أهل تستر قتالا شديدا، و حمل أهل البصرة و أهل الكوفة حتى بلغوا ناب تستر فضاربهم البراء بن مالك على الباب حتى استشهد رحمه اللّه و دخل الهرمزان و أصحابه المدينة بشر حال، و قد قتل منهم فى المعركة تسعمائة و أسر ستمائة ضربت أعناقهم بعد و كان الهرمزان من أهل مهرجا نقذف، و قد حضر وقعة جلولاء مع الأعاجم، ثم أن رجلا من الأعاجم استأمن إلى المسلمين على أن يدلهم على أن يدلهم على عورة المشركين فأسلم و اشترط أن يفرض لولده و يفرض له، فعاقده أبو موسى على ذلك، و وجه رجلا- من شيبان يقال له أشرس بن عوف فخاض به دجيل على عرق من حجارة ثم علا به المدينة و أراه الهرمزان، ثم رده إلى العسكر، فندب أبو موسى أربعين رجلا- مع مجزأة بن ثور و أتبعهم مائتى رجل و ذلك فى الليل و المستأمن يقدمهم فأدخلهم المدينة، فقتلوا الحرس و كبروا على سور المدينة فلما سمع ذلك الهرمزان هرب إلى قلعته و كانت موضع خزانته و أمواله، و عبر أبو موسى حين أصبح حتى دخل

المدينة فاحتوى عليها، و قال الهرمزان

فتوح البلدان، ص: ۳۷۰

ما دل العرب على عورتنا إلا بعض من معنا ممن رأى إقبال أمرهم و أدبار أمرنا، و جعل الرجل من الأعاجم يقتل أهله و ولده و يلقيهم فى دجيل خوفا من أن يظفر بهم العرب، و طلب الهرمزان الأمان و أبى أبو موسى أن يعطيه ذلك إلا على حكم عمر فنزل على ذلك، و قتل أبو موسى من كان فى القلعة ممن لا أمان له و حمل الهرمزان إلى عمر فاستحياه و فرض له، ثم أنه اتهم بممالأة أبى لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة على قتل عمر رضى اللّه عنه فقال عبيد اللّه بن عمر أمض بنا ننظر إلى فرس لى فمضى و عبيد اللّه خلفه فضربه بالسيف و هو غافل فقتله.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا مروان بن معاوية عن حميد عن أنس، قال حاصرنا تستر فنزل الهرمزان فكنت الذى أتيت به إلى عمر بعث بى أبو موسى فقال له عمر: تكلم فقال: أ كلام حى أم كلام ميت، فقال: تكلم لا بأس فقال الهرمزان: كنا معشر العجم ما خلى اللّه بيننا و بينكم نقضيكم و نقلتكم فلما كان اللّه معكم لم يكن لنا بكم يدان، فقال عمر: ما تقول يا أنس، قلت تركت خلفى شوكة شديدة و عدوا كلبا، فإن قتلته بئس القوم من الحياة فكان أشد لشوكتهم و أن استحييته طمع القوم فى الحياة، فقال عمر: يا أنس سبحان اللّه، قاتل البراء بن مالك، و مجزأة بن ثور السدوسى، قلت: فليس لك إلى قتله سبيل، قال: و لم أعطاك أصبت منه، قلت: و لكنك قلت له لا بأس فقال: متى لتجيئن معك بمن شهد و إلا بدأت بعقوبتك، قال:

فخرجت من عنده فإذا الزبير بن العوام قد حفظ الذى حفظت فشهد لى فخلى سبيل الهرمزان فأسلم و فرض له عمر.

و حدثنى اسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى، قال: كفيتك أن تستر كانت صلحا فكفرت فسار إليها المهاجرون فقتلوا المقاتلة و سبوا الذرارى فلم يزالوا فى أيدى سادتهم حتى كتب عمر خلوا ما فى أيديكم.

فتوح البلدان، ص: ۳۷۱

قال: و سار أبو موسى إلى جنديسابور و أهلها منخوبون فطلبوا الأمان فصالحهم على أن لا يقتل منهم أحدا و لا يسبيه و لا يعرض لأموالهم سوى السلاح ثم أن طائفة من أهلها توجهوا إلى الكلبانية، فوجه إليهم أبو موسى الربيع بن زياد فقتلهم و فتح الكلبانية، و استأمنت الأساوره فأمنهم أبو موسى فأسلموا، و يقال، أنهم استأمنوا قبل ذلك فلحقوا بأبى موسى و شهدوا تستر و اللّه أعلم.

و حدثنى عمر بن حفص العمرى عن أبى حذيفة عن أبى الأشهب عن أبى رجاء، قال: فتح الربيع بن زياد الثيبان من قبل أبى موسى عنوة ثم غدروا ففتحها منجوف بن ثور السدوسى، قال: و كان مما فتح عبد اللّه بن عامر سنبيل و الزط، و كان أهلهما قد كفروا، فاجتمع إليهم أكراد من هذه الأكراد، و فتح أيذج بعد قتال شديد، و فتح أبو موسى السوس و تستر و دورق عنوة، و قال المدائنى: فتح ثات ابن ذى الحرة الحميرى قلعة ذى الرناق.

حدثنى المدائنى عن أشياخه و عمر بن شبة عن مجالد بن يحيى أن مصعب بن الزبير: ولى مطرف بن سيدان الباهلى أحد بنى جآوة شرطته فى بعض أيام ولايته العراق لأخيه عبد اللّه بن الزبير فأتى مطرف بالنابى بن زياد بن ظبيان أحد بنى عائش بن مالك بن تيم اللّه بن ثعلبة بن عكابة و برجل من بنى نمير قطعا الطريق فقتل النابى و ضرب النميرى بالسياط و تركه، فلما عزل مطرف عن الشرطة و ولى الأهواز جمع عبيد اللّه بن زياد بن ظبيان له جمعا و خرج يريده فالتقيا فتواقفا و بينهما نهر فعبر مطرف بن سيدان فعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف فى طلبه، فسار حتى صار إلى الموضع الذى يعرف اليوم بعسكر مكرم فلم يلق بن ظبيان و لحق بن ظبيان بعبد الملك بن مروان و قاتل معه مصعبا فقتله و احتز رأسه، و نسب

فتوح البلدان، ص: ۳۷۲

عسكر مكرم إلى مكرم بن مطرف هذا، قال البعيث السكرى.

سقينا ابن سيدان بكأس رويةكفتنا و خير الأمر ما كان كافيا

و يقال أيضا أن عسكر مكرم إنما نسب إلى مكرم بن الفزر أحد بنى جعونة بن الحارث بن نمير و كان الحجاج وجهه لمحاربة خرزاد بن باس حين عصى و لحق بإيذج و تحصن فى قلعة تعرف به، فلما طال عليه الحصار نزل مستخفيا متنكرا ليلحق بعبد الملك، فظفر به مكرم و معه درتان فى قلنسوته فأخذه و بعث به إلى الحجاج فضرب عنقه.

و ذكروا: أنه كانت عند عسكر مكرم قرية قديمة وصل بها البناء بعد، ثم لم يزل يزاد فيه حتى كثر فسمى ذلك أجمع عسكر مكرم و هو اليوم مصر جامع.

و حدثنى أبو مسعود عن عوانة، قال ولى عبد اللّه بن الزبير البصرة حمزة ابن عبد اللّه بن الزبير فخرج إلى الأهواز، فلما رأى جبلها قال: كأنه قيقعان، و قال الثورى الأهواز سمى بالفارسية هو زمسير، و إنما سميت الأخواز فغيرها الناس، فقالوا: الأهواز، و أنشد الأعرابى:

لا ترجعنى إلى الأخواز ثانيةو قعقعان الذى فى جانب السوق

و نهر بط الذى أمسى يؤرقنىفيه البعوض بلسب غير تشفيق

فما الذى وعدته نفسه طمعامن الحصينى أو عمرو بمصدوق

و قال نهر البط نهر كانت عنده مراع للبط فقالت العامة: نهر بط كما قالوا: دار بطيخ، و سمعت من يقول: أن النهر كان لامرأة تسمى البطئة فنسب إليها ثم حذف.

حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن اللّه عن الزهرى، قال:

افتتح عمر السواد و الأهواز عنوة فسئل عمر قسمة ذلك، فقال: فما لمن جاء من المسلمين بعدنا فأقرهم على منزلة أهل الذمة.

فتوح البلدان، ص: ۳۷۳

و حدثنى المدائنى عن على بن حماد و سحيم بن حفص و غيرهما، قالوا قال أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق كلمة رفع فيها على عمال الأهواز و غيرهم إلى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه.

أبلغ أمير المؤمنين رسالةفأنت أمين اللّه فى النهى و الأمر

و أنت أمين اللّه فينا، و من يكنأمينا لرب العرش يسلم له صدرى

فلا تدعن أهل الرساتيق و القرىيسيغون مال اللّه فى الآدم الوفر

فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابهو أرسل إلى جزء و أرسل إلى بشر

و لا تنسين النافعين كليهماو لا ابن غلاب من سراة بنى نصر

و ما عاصم منها بصفر عيابهو ذاك الذى فى السوق مولى بنى بدر

و أرسل إلى النعمان و اعرف حسابهو صهر بنى غزوان أنى لذو خبر

و شبلا فسله المال و ابن محرشفقد كان فى أهل الرساتيق ذا ذكر

فقاسمهم أهلى فداؤك أنهمسيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر

و لا تدعونى للشهادة: أننىأغيب و لكنى أرى عجب الدهر

نؤوب إذا آبوا و نغزوا إذا غزوافإنى لهم وفر: و لسنا أولى وفر

إذا التاجر الدارى جاء بفارةمن المسك راحت فى مفارقهم تجرى

فقاسم عمر هؤلاء الذين ذكرهم أبو المختار شطر أموالهم حتى أخذ نعلا و ترك نعلا، و كان فيهم أبو بكرة، فقال: أنى لم آل لك شيئا، فقال له: أخوك على بيت المال و عشور الابلة و هو يعطيك المال تتجر به فأخذ منه عشرة آلاف، و يقال: قاسمه شطر ماله، و قال الحجاج الذى ذكره الحجاج بن عتيك الثقفى و كان على الفرات و جزء بن معاوية عم الأحنف كان على سرق، و بشر ابن المحتفز كان على جنديسابور، و النافعان نفيع أبو بكرة و نافع بن الحرث ابن كلدة أخوه، و ابن غلاب خالد بن الحرث من بنى دهمان

کان علی بیت

فتوح البلدان، ص: ۳۷۴

المال بأصبهان و عاصم بن قیس بن الصلت السلمی کان علی مناذر و الذی فی السوق سمرة بن جندب علی سوق الأهواز، و النعمان بن عدی بن نضلة بن عبد العزی بن حرثان أحد بنی عدی بن کعب بن لؤی کان علی کور دجلة، و هو الذی یقول:

من مبلغ الحسناء أن خلیلهابمیسان یسقی فی زجاج و حنتم

إذا شئت غنتنی دهاقین قریةو صناجة تجذو علی کل منسم

لعل أمیر المؤمنین یسوءهتنادمنا بالجوسق المنهدم

فلم بلغ عمر شعره، قال: إی و اللّه إنه لیسوءنی ذلک و عزله، و صهر بنی غزوان مجاشع بن مسعود السلمی کانت عنده بنت عتبة بن غزوان و کان علی أرض البصرة و صدقاتها، و شبل بن معبد البجلی ثم الأحمسی کان علی قبض المغانم، و ابن محرش أبو مریم الحنفی کان علی رام هرمز، قال عوسجة ابن زیاد الکاتب أقطع الرشید أمیر المؤمنین عبید اللّه بن المهدی مزارعة الأهواز فدخل فیها شبهة فرفع فی ذلک قوم إلی المأمون فأمر بالنظر فیها و الوقوف علیها، فما لم تکن فیه شبهه أنفذ و ما شک فیه سمی المشکوک فیه و ذلک معروف بالأهواز.

فتح کور فارس و کرمان

قالوا: کان العلاء بن الحضرمی و هو عامل عمر بن الخطاب علی البحرین وجه هرثمة بن عرفجة البارقی من الأزد، ففتح جزیرة فی البحر مما یلی فارس، ثم کتب عمر إلی العلاء أن یمد به عتبة بن فرقد السلمی ففعل، ثم لما ولی عمر عثمان بن أبی العاصی الثقفی البحرین و عمان فدوخهما و اتسقت له طاعة أهلهما وجه أخاه الحکم بن أبی العاصی فی البحر إلی فارس فی جیش عظیم من عبد القیس و الأزد و تمیم و بنی ناجیة و غیرهم، ففتح جزیرة أبر کاوان، ثم صار إلی

فتوح البلدان، ص: ۳۷۵

توج و هی من أرض أردشیر خره، و معنی أردشیر خره بهاء أردشیر، و فی روایة أبی مخنف: أن عثمان بن أبی العاصی نفسه قطع البحر إلی فارس فنزل توج ففتحها و بنی بها المساجد و جعلها دارا للمسلمین و أسکنها عبد القیس و غیرهم فکان یغیر منها علی أرجان و هی متاخمة لها، ثم أنه شخص عن فارس إلی عمان و البحرین لکتاب عمر إلیه فی ذلک و استخلف أخاه الحکم، و قال غیر أبی مخنف: أن الحکم فتح توج و أنزلها المسلمین من عبد القیس و غیرهم سنة تسع عشرة، و قالوا: أن شهرک مرزبان فارس و والیها أعظم ما کان من قدوم العرب فارس و اشتد علیه و بلغته نکایتهم و بأسهم و ظهورهم علی کل من لقوه من عدوهم فجمع جمعا عظیما و سار بنفسه حتی أتی راشهر من أرض سابور و هی بقرب توج، فخرج إلیه الحکم بن أبی العاصی و علی مقدمته سوار بن همام العبدی فاقتتلوا قتالا شدیدا و کان هناک واد قد و کل به شهرک رجلا من نقابه فی جماعة و أمره أن لا یجتازه هارب من أصحابه إلا قتله فأقبل رجل من شجعاء الأساورة مولیا من المعرکة، فأراد الرجل قتله، فقال له: لا تقتلنی فإنما نقاتل قوما منصورین: اللّه معهم، و وضع حجرا فرماه ففلقه، ثم قال: أ تری هذا السهم الذی فلق الحجر و اللّه ما کان لیخدش بعضهم لو رمی به، قال: لا بد من قتلک: فبینا هو فی ذلک إذ أتاه الخبر بقتل شهرک و کان الذی قتله سوار ابن همام العبدی حمل علیه فطعنه فأرداه عن فرسه و ضربه بسیفه حتی فاضت نفسه و حمل ابن شهرک علی سوار فقتله، و هزم اللّه المشرکین و فتحت راشهر عنوة، و کان یومها فی صعوبته و عظیم النعمة علی المسلمین فیه کیوم القادسیة و توجه بالفتح إلی عمر بن الخطاب عمرو بن الأهتم التمیمی، فقال:

جئت الإمام باسراع لأخبرهبالحق من خبر العبدی سوار

أخبار أروع میمون نقیبتهمستعمل فی سبیل اللّه مغوار

فتوح البلدان، ص: ۳۷۶

و قال بعض أهل توج: أن توج مصرت بعد مقتل شهرک و اللّه أعلم، قالوا: ثم أن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه کتب إلی عثمان بن أبی العاصی فی إتیان فارس فخلف علی عمله أخاه المغیرة، و یقال: هو حفص بن أبی العاصی و کان جزلا و قدم توج فنزلها فکان یغزو منها ثم یعود إلیها، و کتب عمر إلی أبی موسی و هو بالبصرة یأمره أن یکانف عثمان بن أبی العاصی و یعاونه فکان یغزو فارس من البصرة ثم یعود إلیها، و بعث عثمان بن أبی العاصی هرم بن حیان العبدی إلی قلعة یقال لها شبیر ففتحها عنوة بعد حصار و قتال. و قال بعضهم: فتح هرم قلعة الستوج عنوة و أتی عثمان جره من سابور ففتحها و أرضها بعد ان قاتله أهلها صلحا علی أداء الجزیة و الخراج و نصح المسلمین، و فتح عثمان بن أبی العاصی کازرون من سابور و غلب علی أرضها، و فتح عثمان النوبندجان من سابور أیضا و غلب علیها و اجتمع أبو موسی و عثمان بن أبی العاصی فی آخر خلافة عمر رضی اللّه عنه ففتحا أرجان صلحا علی الجزیة و الخراج و فتحا شیراز و هی من أرض أردشیر خره علی أن یکونوا ذمة یؤدون الخراج إلا من أحب منهم الجلاء و لا یقتلوا و لا یستعبدوا، و فتحا سینیز من أرض أردشیر خره و ترک أهلها عمارا للأرض، و فتح عثمان حصن جنابا بأمان، و أتی عثمان بن أبی العاصی درابجرد، و کانت شادر و أن علمهم و دینهم و علیها الهربذ فصالحه الهربذ علی مال أعطاه إیاه و علی أن أهل درابجرد کلهم أسوة من فتحت بلاده من أهل فارس، و اجتمع له جمع بناحیة جهرم ففضهم، و فتح أرض جهرم، و أتی عثمان فصالحه عظیمها علی مثل صلح درابجرد، و یقال أن الهربذ صالح علیها أیضا، و أتی عثمان بن أبی العاصی مدینة سابور فی سنة ثلاث و عشرین و یقال فی سنة أربع و عشرین قبل أن تأتی أبا موسی ولایته البصرة من قبل عثمان بن عفان فوجد أهلها هائبین للمسلمین و رأی أخو شهرک

فتوح البلدان، ص: ۳۷۷

فی منامه کأن رجلا من العرب دخل علیه فسلبه قمیصه فنخب ذلک قلبه فامتنع قلیلا ثم طلب الأمان و الصلح، فصالحه عثمان علی أن لا یقتل أحدا و لا یسبیه، و علی أن تکون له ذمة و یعجل مالا. ثم أن أهل سابور نقضوا و غدروا ففتحت فی سنة ست و عشرین فتحها عنوة أبو موسی و علی مقدمته عثمان ابن أبی العاصی.

و قال معمر بن المثنی و غیره: کان عمر بن الخطاب أمر أن یوجه الجارود العبدی سنة اثنتین و عشرین إلی قلاع فارس فلما کان بین جره و شیراز تخلف عن أصحابه فی عقبة هناک سحرا لحاجته و معه أدوات فأحاطت به جماعة من الأکراد فقتلوه فسمیت تلک العقبة عقبة الجارود.

قالوا: و لما ولی عبد اللّه بن عامر بن کریز البصرة من قبل عثمان بن عفان بعد أبی موسی الأشعری سار إلی إصطخر فی سنة ثمان و عشرین فصالحه ماهک عن أهلها، ثم خرج یرید جور، فلما فارقها نکثوا و قتلوا عامله علیهم، ثم لما فتح جور کر علیهم ففتحها، قالوا: و کان هرم بن حیان مقیما علی جور و هی مدینة أردشیر خره، و کان المسلمون یعانونها ثم ینصرفون عنها فیعاونون إصطخر و یغزون نواحی کانت تنتقض علیهم، فلما نزل ابن عامر بها قاتلوه ثم تحصنوا ففتحها بالسیف عنوة، و ذلک فی سنة تسع و عشرین و فتح ابن عامر أیضا السکاریان و فشجاتن، و هی الفیشجان من درابجرد و لم تکونا دخلتا فی صلح الهربذ و انتقضتا.

و حدثنی جماعة من أهل العلم: أن جور غزیت عدة سنین فلم یقدر علیها حتی فتحها ابن عامر، و کان سبب فتحها أن بعض المسلمین قام یصلی ذات لیلة و إلی جانبه جراب له فیه خبز و لحم، فجاء کلب فجره وعدا به حتی دخل المدینة من مدخل لها خفی فظاهر المسلمون بذلک المدخل حتی دخلوا منه و فتحوها،

فتوح البلدان، ص: ۳۷۸

قالوا: و لما فرغ عبد اللّه بن عامر من فتح جور کر علی أهل إصطخر و فتحها عنوة بعد قتال شدید و رمی بالمناجیق و قتل بها من الأعاجم أربعین ألفا و أفنی أکثر أهل البیوتات و وجوه الأساورة، و کانوا قد لجأوا إلیها، و بعض الرواة یقول أن ابن عامر رجع إلی إصطخر حین بلغه نکثهم ففتحها ثم صار إلی جور و علی مقدمته هرم بن حیان ففتحها، و روی الحسن بن عثمان الزیادی أن أهل

إصطخر غدروا فی ولایة عبد اللّه بن عباس رضی اللّه عنهما العراق لعلی رضی اللّه عنه ففتحها.

و حدثنی العباس بن هشام عن أبیه عن أبی مخنف، قال: توجه ابن عامر إلی إصطخر، و وجه علی مقدمته عبید اللّه بن معمر التیمی فاستقبله أهل إصطخر برامجرد فقاتلهم فقتلوه فدفن فی بستان برامجرد، و بلغ ابن عامر الخبر فأقبل مسرعا حتی واقعهم و علی میمنته أبو برزة نضلة بن عبد اللّه الأسلمی، و علی میسرته معقل بن یسار المزنی، و علی الخیل عمران بن الحصین الخزاعی و علی الرجال خالد بن المعمر الذهبی فقاتلهم فهزمهم حتی أدخلهم إصطخر و فتحها اللّه عنوة، فقتل فیها نحوا من مائة ألف و أتی درابجرد ففتحها و کانت منتقضة ثم وجه إلی کرمان.

حدثنی عمر الناقد، قال: حدثنا مروان بن معاویة الفزاری عن عاصم الأحول عن فضیل بن زید الرقاشی، قال: حاصرنا شهریاج شهرا جرارا و کنا ظننا إنا سنفتحها فی یومنا فقاتلنا أهلها ذات یوم و رجعنا إلی معسکرنا و تخلف عبد مملوک منافرا ظنوه فکتب لهم أمانا و رمی به إلیهم فی سهم، قال: فرحنا للقتال و قد خرجوا من حصنهم، فقالوا: هذا أمانکم، فکتبنا بذلک إلی عمر فکتب إلینا أن العبد المسلم من المسلمین ذمته کذمتهم فلینفذ أمانه فأنفذناه.

و حدثنی القاسم بن سلام، قال: حدثنا أبو النضر عن شعبة عن عاصم

فتوح البلدان، ص: ۳۷۹

عن الفضیل، قال: کنا مصافی العدو بسیراف ثم ذکر نحو ذلک. و حدثنا سعدویه، قال: حدثنا عباد بن العوام عن عاصم الأحول عن الفضیل بن زید الرقاشی، قال: حاصر المسلمون حصنا فکتب عبد أمانا و رمی به إلیهم فی مشقص فقال المسلمون: لیس أمانه بشیء، فقال القوم: لسنا نعرف الحر من العبد، فکتاب بذلک إلی عمر، فکتب أن عبد المسلمین منة ذمته ذمتهم.

و أخبرنی بعض أهل فارس: أن حصن سیراف یدعی سوریانج فسمته العرب شهریاج، و بفسا قلعة تعرف بخرشة بن مسعود من بنی تمیم، ثم من بنی شقرة کان مع ابن الأشعث فتحصن فی هذه القلعة، ثم أو من فمات بواسط و له عقب بفسا.

و أما کرمان فام عثمان بن أبی العاصی الثقفی لقی مرزبانها فی جزیرة ابرکاوان و هو فی خف فقتله فوهن أمر أهل کرمان و نخبت قلوبهم فلما صارا ابن عامر إلی فارس وجه مجاشع بن مسعود السلمی إلی کرمان فی طلب یزدجرد، فأتی بیمنذ فهلک جیشه بها، ثم لما توجه ابن عامر یرید خراسان ولی مجاشعا کرمان ففتح بیمنذ عنوة و استبقی أهلها و أعطاهم أمانا و بها قصر یعرف بقصر مجاشع، و فتح مجاشع بروخروة و أتی الشیرجان و هی مدینة کرمان و أقام علیها أیاما یسیرة و أهلها متحصنون و قد خرجت لهم خیل فقاتلهم ففتحها عنوة و خلف بها رجلا ثم أن کثیرا من أهلها جلوا عنها، و قد کان أبو موسی الأشعری وجه الربیع بن زیاد ففتح ما حول الشیرجان و صالح أهل بم و الاندغار، فکفر أهلها و نکثوا، فافتتحها مجاشع بن مسعود و فتح جیرفت عنوة و سار فی کرمان فدوخها، و أتی القفص و تجمع له بهرموز خلق ممن جلا من الأعاجم فقاتلهم فظفر بهم و ظهر علیهم، و هرب کثیر من أهل کرمان فرکبوا البحر و لحق بعضهم بمکران و أتی بعضهم

فتوح البلدان، ص: ۳۸۰

سجستان، فأقطعت العرب منازلهم و أرضیهم فعمروها و أدوا العشر فیها و احتفروا القنی فی مواضع منها، و ولی الحجاج قطعن بن قبیصة بن مخارق الهلالی فارس و کرمان و هو الذی انتهی إلی نهر فلم یقدر أصحابه علی اجازته، فقال: من جاز فله ألف درهم فجازوه فوفی لهم فکان ذلک أول یوم سمیت الجائزة فیه، قال الشاعر و هو الجحاف بن حکیم:

فدی للأکرمین بنی هلال‌علی علاتهم أهلی و مالی

هم سنوا الجوائز فی معدفصارت سنة أخری اللیالی

رماحهم تزید علی ثمانو عشر حین تختلف العوالی

و کان قبیصة بن مخارق من أصحاب النبی صلی اللّه علیه و سلم، و فی قطن یقول الشاعر:

کم من أمیر قد أصبت حباءو آخر حظی من امارته الحزن

فهل قطن إلا کمن کان قبلهفصبرا علی ما جاء یوما به قطن

قالوا: و کان ابن زیاد ولی شریک بن الأعور الحارثی- و هو شریک بن الحارث- کرمان، و کتب لیزید بن زیاد بن ربیعة بن مفرغ الحمیری إلیه فأقطعه أرضا بکرمان فباعها بعد هرب بن زیاد من البصرة، و ولی الحجاج الحکم بن نهیک الهجیمی کرمان بعد أن کان ولاه فارس فبنی مسجد أرجان و دار أمارتها

.

فتوح البلدان، ص: ۳۸۱

فتح سجستان و کابل

حدثنی علی بن محمد و غیره أن عبد اللّه بن عامر بن کریز بن ربیعة بن حبیب بن عبد شمس توجه یرید خراسان سنة ثلاثین فنزل بعسکره شق الشیرجان من کرمان و وجه الربیع بن زیاد بن أنس بن الدیان الحارثی إلی سجستان فسار حتی نزل الفهرج، ثم قطع المفازة، و هی خمسة و سبعون فرسخا، فأتی رستاق زالق و بین زالق و بین سجستان خمسة فراسخ و زالق حصن، فأغار علی أهله فی یوم مهرجان فأخذ دهقانه فافتدی نفسه بأن رکز عنزة ثم غمرها ذهبا و فضة و صالح الدهقان علی حقن دمه.

و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی صالحه علی أن یکون بلده کبعض ما افتتح من بلاد فارس و کرمان، ثم أتی قریة یقال لها: کرکویه علی خمسة أمیال من زالق فصالحوه و لم یقاتلوه، ثم نزل رستاقا یقال له هیسون فأقام له أهله النزل و صالحوه علی غیر قتال، ثم أتی زالق و أخذ الأدلاء منها إلی زرنج و سار حتی نزل الهندمند، و عبر وادیا یترع منه یقال له نوق و أتی ذوشت و هی من زرنج علی ثلثی میل فخرج إلیه أهلها فقاتلوه قتالا شدیدا و أصیب رجال من المسلمین، ثم کر المسلمون و هزموهم حتی اضطروهم إلی المدینة بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظیمة، ثم أتی الربیع ناشروز و هی قریة فقاتل أهلها و ظفر بهم و أصاب بها عبد الرحمن أبا صالح بن عبد الرحمن الذی کتب للحجاج مکان زادانفروخ ابن نیری، و ولی خراج العراق لسلیمان بن عبد الملک و أمه فاشترته امرأة من بنی تمیم ثم من بنی مرة بن عبید بن مقاعس بن عمرو بن کعب بن سعد ابن زید مناة بن تمیم یقال لها عبلة، ثم مضی من ناشروذ إلی شرواذ و هی قریة فغلب علیها و أصاب بها جد إبراهیم بن بسام فصار لابن عمیر

فتوح البلدان، ص: ۳۸۲

اللیثی، ثم حاصر مدینة زرنج بعد أن قاتله أهلها فبعث إلیه أبرویز مرزبانها یستأمنه لیصالحه فأمر بجسد من أجساد القتلی فوضع له فجلس علیه و اتکأ علی آخر و أجلس أصحابه علی أجساد القتلی، و کان الربیع آدم أفوه طویلا فلما رآه المرزبان هاله فصالحه علی ألف و صیف مع کل و صیف جام من ذهب و دخل الربیع المدینة ثم أتی سناروذ و هو واد فعبره و أتی القریتین، و هناک مربط فرس رستم فقاتلوه فظفر، ثم قدم زرنج فأقام بها سنتین، ثم أتی ابن عامر و استخلف بها رجلا من بنی الحارث بن کعب فأخرجوه و أغلقوها، و کانت ولایة الربیع سنتین و نصفا، و سبی فی ولایته هذه أربعین ألف رأس، و کان کاتبه الحسن البصری، ثم ولی ابن عامر عبد الرحمن بن سمرة بن حبیب بن عبد شمس سجستان، فأتی زرنج فحصر مرزبانها فی قصره فی یوم عید لهم فصالحه علی ألفی ألف درهم و ألفی وصیف و غلب ابن سمرة علی ما بین زرنج و کش من ناحیة الهند و غلب من ناحیة طریق الرخج علی ما بینه و بین بلاد الدوار، فلما انتهی إلی بلاد الدوار حصرهم فی حبل الزور ثم صالحهم فکانت عدة من معه من المسلمین ثمانیة آلاف فأصاب کل رجل منهم أربعة آلاف، و دخل علی الزور و هو صنم من ذهب عیناه یاقوتتان فقطع یده و أخذ الیاقوتتین، ثم قال للمرزبان: دونک الذهب و الجوهر، و إنما أردت أن أعلمک أنه لا یضر و لا ینفع و فتح بست و زابل بعهد.

حدثنی الحسین بن الأسود قال: حدثنا وکیع عن حماد بن زید عن یحیی ابن عتیق عن محمد بن سیرین أنه کره سبی زابل و قال: أن

عثمان ولث لهم ولثا، قال وكيع: عقد لهم عقدا و هو دون العهد، قالوا: و أتى عبد الرحمن زرنج فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان، ثم استخلف أمير بن أحمر اليشكرى و انصرف من سجستان، لأمير يقول، زياد الأعجم:

لو لا أمير هلكت يشكرو يشكر هلكى على كل حال

فتوح البلدان، ص: ۳۸۳

ثم أن أهل زرنج أخرجوا أميرا و أغلقوها، و لما فرغ على بن أبى طالب عليه السلام من أمر الجمل خرج حسكة بن عتاب الحبطى و عمران بن الفصيل البرجمى فى صعاليك من العرب حتى نزلوا زالق و قد نكث أهلها، فأصابوا منها مالا، و أخذوا جد البخترى الأصم بن مجاهد مولى شيبان، ثم أتوا زرنج و قد خافهم مرزبانها فصالحهم و دخلوها و قال الراجز:

بشر سجستان بجوع و حربابن الفصيل و صعاليك العرب

لا فضة يغنيهم و لا ذهب و بعث على بن أبى طالب عبد الرحمن بن جزء الطائى إلى سجستان فقتله حسكة، فقال على: لأقتلن من الحبطات أربعة آلاف، فقيل له: أن الحبطات لا يكونون خمسمائة.

و قال أبو مخنف: و بعث على رضى اللّه عنه عون بن جعدة بن هبيرة المخزومى إلى سجستان فقتله بهدالى اللص الطائى فى طريق العراق، فكتب على إلى عبد اللّه بن العباس يأمره أن يولى سجستان رجلا فى أربعة آلاف فوجه ربعى بن الكاس العنبرى فى أربعة آلاف و خرج معه الحصين بن أبى الحر و اسم أبى الحر مالك بن الخشخاش العنبرى، و ثات بن ذى الحرة الحميرى، و كان على مقدمته، فلما وردوا سجستان قاتلهم حسكة فقتلوه و ضبط ربعى البلاد فقال راجزهم.

نحن الذين اقتحموا سجستانعلى بن عتاب و جند الشيطان

يقدمنا الماجد عبد الرحمنإنا وجدنا فى منير الفرقان

أن لا نوالى شيعة ابن عفان و كان ثابت يسمى عبد الرحمن، و كان فيروز حصين ينسب إلى حصين ابن أبى الحر و هذا هو من سبى سجستان، ثم لما ولى معاوية بن أبى سفيان

فتوح البلدان، ص: ۳۸۴

استعمل ابن عامر على البصرة، فولى عبد الرحمن بن سمرة سجستان فأتاها و على شرطته عباد بن الحصين الحبطى و معه من الأشراف عمر بن عبيد اللّه بن معمر التيمى، و عبد اللّه بن خازم السلمى و قطرى بن الفجاءة، و المهلب بن أبى صفرة فكان يغزو البلد قد كفر أهلها فيفتحه عنوة أو يصالح أهله حتى بلغ كابل، فلما صار إليها نزل بها فحاصر أهلها أشهرا و كان يقاتلهم و يرميهم بالمنجنيق حتى ثلث ثلثة عظيمة، فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين حتى أصبح فلم يقدروا على سدها، و قاتل بن خازم معه عليها فلما أصبح الكفرة خرجوا يقاتلون المسلمين فضرب بن خازم فيلا كان معهم فسقط على الباب الذى خرجوا منه فلم يقدروا غلقه فدخلها المسلمون عنوة، و قال أبو مخنف: الذى عقر الفيل المهلب و كان الحسن البصرى يقول: ما ظنت أن رجلا يقوم مقام ألف حتى رأيت عباد بن الحصين.

قالوا: و وجه عبد الرحمن بن سمرة ببشارة الفتح عمر بن عبيد اللّه بن معمر و المهلب بن أبى صفرة، ثم خرج عبد الرحمن فقطع وادى نسل، ثم أتى خواش و قوزان بست ففتحها عنوة، و سار إلى رزان فهرب أهلها غلب عليها، ثم سار إلى خشك فصالحه أهلها، ثم أتى الرخج فقاتلوه فظفر بهم و فتحها، ثم سار إلى ذابلستان فقاتلوه و قد كانوا نكثوا ففتحها و أصاب سبيا، و أتى كابل و قد نكث أهلها ففتحها، ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن سمرة سجستان من قبله و بعث إليه بعهده فلم يزل عليها حتى قدم زياد البصرة فأقره أشهرا ثم ولاها الربيع بن زياد و مات ابن سمرة بالبصرة سنة خمسين و صلى عليها زياد و هو الذى

قال له النبى صلى اللّه عليه و سلم «لا تسأل الأمارة فإنك أوتيتها عن غير مسئلة أعنت عليها و إن أعطيتها عن مسئلة و كلت إليها و إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منها فأت الذى هو خير و كفر عن يمينك»

و کان عبد الرحمن قدم بغلمان من سبی کابل فعملوا له مسجدا فی قصره بالبصرة علی بناء کابل.

فتوح البلدان، ص: ۳۸۵

قالوا: ثم جمع کابل شاه للمسلمین و أخرج من کان منهم بکابل و جاء رتبیل فغلب علی ذابلستان و الرخج حتی انتهی إلی بست، فخرج الربیع بن زیاد فی الناس فقاتل رتبیل ببست، و هزمه و اتبعه حتی أتی الرخج فقاتله بالرخج و مضی ففتح بلاد الداور، ثم عزل زیاد بن أبی سفیان الربیع بن زیاد الحارثی و ولی عبید اللّه بن أبی بکرة سجستان فغزا، فلما کان برزان بعث إلیه رتبیل یسأله الصلح عن بلاده و بلاد کابل علی ألف ألف و مائتی ألف، فأجابه إلی ذلک و سأله أن یهب له مائتی ألف تفعل فتم الصلح علی ألف ألف درهم، و وفد عبید اللّه علی زیاد فأعلمه ذلک فأمضی الصلح، ثم رجع عبید اللّه بن أبی بکرة إلی سجستان فأقام بها إلی أن مات زیاد، و ولی سجستان بعد موت زیاد عباد بن زیاد من قبل معاویة، ثم لما ولی یزید بن معاویة ولی سلم بن زیاد خراسان و سجستان فولی سلم أخاه یزید بن زیاد سجستان، فلما کان موت یزید أو قبل ذلک بقلیل غدر أهل کابل و نکثوا و أسروا أبا عبیدة بن زیاد فسار إلیهم یزید بن زیاد فقاتلهم و هم بجنزة فقتل یزید بن زیاد و کثیر ممن کان معه و انهزم سائر الناس، و کان فیمن استشهد زید بن عبد اللّه بن أبی ملیکة بن عبد اللّه بن جدعان القرشی، و صلة بن أشیم أبو الصهباء العدوی زوج معاذة العدویة، فبعث سلم بن زیاد طلحة بن عبد اللّه بن خلف الخزاعی الذی یعرف بطلحة الطلحات ففدی أبا عبیدة بخمسمائة ألف درهم، و سار طلحة من کابل إلی سجستان والیا علیها من قبل سلم بن زیاد فجبی و أعطی زواره و مات بسجستان و استخلف رجلا من بنی یشکر فأخرجته المضریة و وقعت العصبیة و غلب کل قوم علی مدینتهم فطمع فیهم رتبیل، ثم قدم عبد العزیز بن عبد اللّه بن عامر والیا علی سجستان من قبل القباع، و هو الحارث بن عبد اللّه بن أبی ربیعة المخزومی فی أیام ابن الزبیر فأدخلوه مدینة زرنج و حاربوا رتبیل فقتله أبو عفراء

فتوح البلدان، ص: ۳۸۶

عمیر المازنی و انهزم المشرکون، و أرسل عبد العزیز بن ناشرة التمیمی إلی عبد العزیز أن خذ جمیع ما فی بیت المال و انصرف ففعل، و أقبل ابن ناشرة حتی دخل زرنج و مضی وکیع بن أبی سود التمیمی فرد عبد العزیز و أدخله المدینة حین فتحت للحطابین و أخرج بن ناشرة فجمع جمعا فقاتله عبد العزیز ابن عبد اللّه و معه وکیع فعثر بابن ناشرة فرسه فقتل، فقال أبو حزابة، و یقال حنظلة بن عرادة.

ألا لا فتی بعد ابن ناشرة الفتیو لا شیء إلا قد تولی و أدبرا

أ کان حصادا للمنایا ازدرعنهفهلا ترکن النبت ما کان أخضرا

فتی حنظلی ما تزال یمینهتجود بمعروف و تنکر منکرا

لعمری: لقد هدت قریش عروشنابأروع نفاح العشیات أزهرا

و استعمل عبد الملک بن مروان أمیة بن عبد اللّه بن خالد بن أسید بن أبی العیص علی خراسان فوجه ابنه عبد اللّه بن أمیة علی سجستان و عقد له علیها و هو بکرمان، فلما قدمها غزا رتبیل الملک بعد رتبیل الأول المقتول، و قد کان هاب المسلمین فصالح عبد اللّه حین نزل بست علی ألف ألف ففعل و بعث إلیه بهدایا و رقیق فأبی قبول ذلک، و قال: ان ملأ لی هذا الرواق ذهبا و إلا فلا صلح بینی و بینه، و کان غزاء فخلی له رتبیل البلاد حتی إذا أو غل فیها أخذ علیه الشعاب و المضایق و طلب إلیهم أن یخلوا عنه و لا یأخذ منهم شیئا فأبی ذلک و قال: بل تأخذ ثلاثمائة ألف درهم صلحا و تکتب لنا بها کتابا و لا تغزو بلاد ناما کنت الیا و لا تحرق و لا تخرب ففعل، و بلغ عبد الملک بن مروان ذلک فعزله، ثم و لما ولی الحجاج بن یوسف العراق وجه عبید اللّه بن أبی بکرة إلی سجستان فحار و وهن، و أتی الرخج و کانت البلاد مجدبة فسار حتی نزل بالقرب من کابل و انتهی إلی شعب فأخذه علیه العدو و لحقهم رتبیل فصالحهم عبید اللّه علی أن

فتوح البلدان، ص: ۳۸۷

یعطوه خمسمائة ألف درهم و یبعث إلیه بثلاثة من ولده نهار و الحجاج و أبی بکرة رهناء و یکتب لهم کتابا أن لا یغزوهم ما کان والیا، فقال له شریح بن هانئ الحارثی: اتق اللّه و قاتل هؤلاء القوم فإنک إن فعلت ما ترید أن تفعله أوهنت الإسلام بهذا الثغر، و کنت قد فررت من الموت الذی إلیه مصیرک فاقتتلوا و حمل شریح فقتل و قاتل الناس فأفلتوا و هم مجهودون و سلکوا مفازة بست فهلک کثیر من الناس عطشا و جوعا و مات عبید اللّه بن ابی بکرة کمدا لما نال الناس و أصابهم، و یقال أنه اشتکی أذنه فمات و استخلف علی الناس ابنه أبا برذعة، ثم أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث خلع و خرج إلی سجستان مخالفا لعبد الملک بن مروان و الحجاج فهادن رتبیل و صار إلیه، ثم أن رتبیل أسلمه خوفا من الحجاج، و ذلک أنه کتب إلیه یتوعده فألقی نفسه فوق جبل و یقال من فوق سطح و سقط معه الذی کان یحفظه و کان قد سلسل نفسه معه فمات، فأتی الحجاج برأسه فصالح الحجاج رتبیل علی أن لا یغزوه سبع سنین، و یقال تسع سنین علی أن یؤدی بعد ذلک فی کل سنة بتسعمائة ألف درهم عروضا، فلما انقضت السنون ولی الحجاج الأشهب بن بشر الکلبی سجستان فعاسر رتبیل فی العرض التی أداها فکتب إلی الحجاج یشکوه إلیه فعزله الحجاج.

قالوا: ثم لما ولی قتیبة بن مسلم الباهلی خراسان و سجستان فی أیام الولید ابن عبد الملک ولی أخاه عمرو بن مسلم سجستان فطلب الصلح من رتبیل دراهم مدرهمة فذکر أنه لا یمکنه إلا ما کان فارق علیه الحجاج من العروض، فکتب عمرو بذلک إلی قتیبة فسار قتیبة إلی سجستان، فلما بلغ رتبیل قدومه أرسل إلیه أنا لم نخلع یدا من الطاعة و إنما فارقتمونا علی عروض فلا تظلمونا، فقال قتیبة للجند: أقبلوا منه العروض فانه ثغر مشئوم فرضوا بها، ثم انصرف قتیبة إلی خراسان بعد أن ذرع زرعا فی أرض زرنج لییأس العدو من

فتوح البلدان، ص: ۳۸۸

انصرافه فیذعن له فلما حصد ذلک الزرع منعت منه الأفاعی فأمر به فأحرق و استخلف قتیبة علی سجستان ابن عبد اللّه بن عمیر اللیثی أخی عبد اللّه بن عامر لأمه، ثم ولی سلیمان بن عبد الملک و ولی یزید بن المهلب العراق فولی یزید مدرک بن المهلب أخاه سجستان فلم یعطه رتبیل شیئا، ثم ولی معاویة بن یزید فرضخ له ثم ولی یزید بن عبد الملک فلم یعط رتبیل عماله شیئا، قال ما فعل قوم کانوا یأتونا خماص البطون سود الوجوه من الصلاة نعالهم خوص، قالوا:

انقرضوا، قال: أولئک أو فی منکم عهدا و أشد بأسا، و إن کنتم أحسن منهم وجوها، و قیل له ما بالک کنت تعطی الحجاج الأتاوة و لا تعطیناها، فقال:

کان الحجاج رجلا لا یظفر فیما أنفق إذا ظفر ببغیته و لو لم یرجع إلیه درهم و أنتم لا تنفقون درهما إلا إذا طمعتم فی أن یرجع إلیکم مکانه عشرة، ثم لم یعط أحدا من عمال بنی أمیة و لا عمال أبی مسلم علی سجستان من تلک الأتاوة شیئا.

قالوا: و لما استخلف المنصور أمیر المؤمنین ولی معن بن زائدة الشیبانی سجستان فقدمها و بعث عماله علیها و کتب إلی رتبیل یأمره بحمل الأتاوة التی کان الحجاج صالح علیها، فبعث بابل و قباب ترکیة و رقیق و زاد فی قیمة ذلک للواحد ضعفه، فغضب معن و قصد الرخج و علی مقدمته یزید بن مزید فوجد رتبیل قد خرج عنها و مضی إلی ذابلستان لیصیف بها، ففتحها و أصاب سبایا کثیرة، و کان فیهم فرج الرخجی و هو صبی و أبوه زیاد فکان فرج یحدث أن معنا رأی غبارا ساطعا أثارته حوافر حمیر و حشیة فظن أن جیشا قد أقبل نحوه لیحاربه و یتخلص السبی و الأسری من یده فوضع السیف فیهم فقتل منهم عدة کثیرة ثم أنه تبین أمر الغبار و رأی الحمیر فأمسک، و قال فرج: لقد رأیت أبی حین أمر معن بوضع السیف فینا و قد حنی علی و هو یقول اقتلونی و لا تقتلوا ابنی.

قالوا: و کانت عدة من سبی و أسر زهاء ثلاثین ألفا فطلب ماوند خلیفة

فتوح البلدان، ص: ۳۸۹

رتبیل الأمان علی أن یحمله إلی أمیر المؤمنین، فآمنه و بعث به إلی بغداد مع خمسة آلاف من مقاتلهم فأکرمه المنصور و فرض له وقوده، قالوا: و خاف معن الشتاء و هجومه فانصرف إلی بست، و أنکر قوم من الخوارج سیرته فاندسوا مع فعلة کانوا یبنون فی منزله بناء، فلما بلغوا التسقیف احتالوا لسیوفهم فجعلوها فی حزم القصب ثم دخلوها علیه قبته و هو یحتجم ففتکوا به وشق بعضهم بطنه

بخنجر كان معه، و قال أحدهم و ضربه على رأسه أبو الغلام الطاقى و الطاق رستاق بقرب زرنج فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج منهم أحد، ثم أن يزيد قام بأمر سجستان، و اشتدت على العرب و العجم من أهلها وطأته فاحتال بعض العرب فكتب على لسانه إلى المنصور كتابا يخبره فيه إن كتب المهدى إليه قد حيرته و أدهشته و يسأله أن يعفيه من معاملته، فأغضب ذلك المنصور و شتمه و أقر المهدى كتابه فعزله و أمر بحبسه و بيع كل شىء له، ثم أنه كلم فيه فأشخص إلى مدينة السلام فلم يزل بها مخبوءا حتى لقيه الخوارج على الجسر فقاتلهم فتحرك أمره قليلا ثم توجه إلى يوسف البرم بخراسان فلم يزل فى ارتفاع و لم يزل عمال المهدى و الرشيد رحمهما اللّه يقبضون الأتاوة من رتبيل سجستان على قدر قوتهم و ضعفهم و يولون عمالهم النواحى التى قد غلب عليها الإسلام و لما كان المأمون بخراسان أديت إليه الأتاوة مضعفة و فتح كابل و أظهر ملكها الإسلام و الطاعة و أدخلها عامله و اتصل إليها البريد فبعث إليه منها بأهليلج غض ثم استقامت بعد ذلك حينا.

و حدثنى العمرى عن الهيثم بن عدى، قال: كان فى صلحات سجستان القديمة أن لا يقتل لهم ابن عرس لكثرة الأفاعى عندهم قال، و قال: أول من دعا أهل سجستان إلى رأى الخوارج رجل من بنى تميم يقال له عاصم أو ابن عاصم

.

فتوح البلدان، ص: ۳۹۰

فتوح خراسان

قالوا: وجه أبو موسى الأشعرى عبد اللّه بن بديل بن ورقاء الخزاعى غازيا فأتى كرمان و مضى حتى بلغ الطبسين و هما حصنان يقال لأحدهما طبس و للآخر كرين، و هما جرم فيهما نخل و هما بابا خراسان، فأصاب مغنما و أتى قوم من أهل الطبسين عمر بن الخطاب فصالحوه على ستين ألفا، و يقال خمسة و سبعين ألفا و كتب لهم كتابا.

و يقال: بل توجه عبد اللّه بن بديل من أصبهان من تلقاء نفسه، فلما استخلف عثمان بن عفان ولى عبد اللّه بن عامر بن كريز البصرة فى سنة ثمان و عشرين و يقال فى سنة تسع و عشرين و هو ابن خمس و عشرين سنة فافتتح من أرض فارس ما افتتح ثم غزا خراسان فى سنة ثلاثين و استخلف على البصرة زياد بن أبى سفيان و بعث على مقدمته الأحنف بن قيس، و يقال عبد اللّه ابن حازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب السلمى، فأقر صلح الطبسين، و قدم ابن عامر الأحنف بن قيس إلى قوهستان، و ذلك أنه سأل عن أقرب مدينة إلى الطبسين فدل عليها فلقيته الهياطلة و هم أتراك، و يقال بل هم قوم من أهل فارس كانوا يلوطون فنفاهم فيروز إلى هراة فصاروا مع الأتراك فكانوا معاونين لأهل قوهستان فهزمهم و فتح قوهستان عنوة، و يقال بل ألجأهم إلى حصنهم ثم قدم عليه ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم.

و قال معمر بن المثنى: كان المتوجه إلى قوهستان أمير بن أحمر اليشكرى و هى بلاد بكر بن وائل إلى اليوم، و بعث ابن عامر يزيد الجرشى أبا سالم بن يزيد إلى رستاق زام من نيسابور ففتحه عنوة، و فتح باخرز و هو رستاو من نيسابور، و فتح أيضا جوبن و سبى سبيا و وجه ابن عامر الأسود بن كلثوم

فتوح البلدان، ص: ۳۹۱

العدوى عدى الرباب و كان ناسكا إلى بيهق و هو رستاق من نيسابور فدخل بعض حيطان أهله من ثلمة كانت فيه و دخلت معه طائفة من المسلمين و أخذ العدو عليهم تلك الثلمة فقاتل الأسود حتى قتل و من معه، و قام بأمر الناس بعده أدهم بن كلثوم فظفر و فتح بيهق، و كان الأسود يدعو ربه أن يحشره من بطون السباع و الطير فلم يواره أخوه و دفن من استشهد من أصحابه، و فتح ابن عامر بشت من نيسابور و أشبندورخ و زاوة و خواف و اسبرائن و أرغيان من نيسابور، ثم أتى أبر شهر و هى مدينة نيسابور فحصر أهلها أشهرا و كان على كل ربع منها رجل موكل به. و طلب صاحب ربع من تلك الأرباع الأمان على أن يدخل المسلمين المدينة فأعطيه و

أدخلهم إياها ليلا- ففتحوا الباب و تحصن مرزبانها فى القهندز و معه جماعة فطلب الأمان على أن يصالحه من جميع نيسابور على وظيفة يؤديها فصالحه على ألف ألف درهم و يقال سبعمائة ألف درهم. و ولى نيسابور حين فتحها قيس بن الهيثم السلمى و وجه ابن عامر عبد اللّه بن خازم السلمى إلى حمراتدز من نسا و هو رستاق ففتحه، و أتاه صاحب نسا فصالحه على ثلاثمائة ألف درهم، و يقال على احتمال الأرض من الخراج على أن لا يقتل أحدا و لا يسبيه.

و قدم بهمنة عظيم أبيورد على ابن عامر فصالحه على أربعمائة ألف و يقال وجه إليها ابن عامر عبد اللّه بن خازم فصالح أهلها على أربعمائة ألف درهم، و وجه عبد اللّه بن عامر عبد اللّه بن خازم إلى سرخس فقاتلهم، ثم طلب زاذويه مرزبانها الصلح على إيمان مائة رجل، و أن يدفع إليه النساء فصارت ابنته فى سهم ابن خازم و اتخذها و سماها ميثاء، و غلب ابن خازم على أرض سرخس، و يقال أنه صالحه على أن يؤمن مائة نفس فسمى له المائة و لم يسم نفسه فقتله و دخل سرخس عنوة، و وجه ابن خازم من سرخس يزيد بن

فتوح البلدان، ص: ۳۹۲

سالم مولى شريك بن الأعور إلى كيف و بينة ففتحها، و أنى كنازتك مرزبان طوس ابن عامر فصالحه عن طوس على ستمائة ألف درهم، و وجه ابن عامر جيشا إلى هراة عليه أوس بن ثعلبة بن رقى، و يقال خليد بن عبد اللّه الحنفى فبلغ عظيم هراة ذلك فشخص إلى ابن عامر و صالحه عن هراة و بادغيس و بوشنج غير طاغون و باغون فإنهما فتحا عنوة، و كتب له ابن عامر:

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما أمر به عبد اللّه بن عامر عظيم هراة و بوشنج و بادغيس، أمره بتقوى اللّه، و مناصحة المسلمين، و إصلاح ما تحت يديه من الأرضين، و صالحه عن هراة سهلها و جبلها على أن يؤدى من الجزية ما صالحه عليه، و أن يقسم ذلك على الأرضين عدلا بينهم، فمن منع ما عليه فلا عهد له و لا ذمة، و كتب ربيع بن نهشل و ختم ابن عامر.

و يقال أيضا: أن ابن عامر سار بنفسه فى الدهم إلى هراة فقاتل أهلها ثم صالحه مرزبانها عن هراة و بوشنج و بادغيس على ألف ألف درهم، و أرسل مرزبان مرو الشاهجان يسأل الصلح فوجه ابن عامر إلى مرو حاتم بن النعمان الباهلى فصالحه على ألفى ألف و مائتى ألف درهم، و قال بعضهم ألف ألف درهم و مائتى ألف جريب من بر و شعير، و قال بعضهم ألف ألف و مائة ألف أوقية و كان فى صلحم أن يوسعوا للمسلمين فى منازلهم و أن عليهم قسمة المال و ليس على المسلمين إلا قبض ذلك و كانت مرو صلحا كلها إلا قرية منها يقال لها السنج فإنها أخذت عنوة.

و قال أبو عبيدة صالحه على و صائف و وصفاء و دواب و متاع، و لم يكن عند القوم يومئذ عين و كان الخراج كله على ذلك حتى ولى يزيد بن معاوية فصيره مالا، و وجه عبد اللّه بن عامر الأحنف بن قيس نحو طخارستان، فأتى الموضع الذى يقال له قصر الأحنف و هو حصن من مرو الروذ، و له رستاق

فتوح البلدان، ص: ۳۹۳

عظيم يعرف برستاق الأحنف و يدعى بشق الجرذ فحصر أهله فصالحوه على ثلاثمائة ألف، فقال الأحنف أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه و يقيم فيكم حتى انصرف فرضوا، و كان الصلح عن جميع الرستاق و مضى الأحنف إلى مرو الروذ فحصر أهلها و قاتلوهم قتالا شديدا فهزمهم المسلمون فاضطروهم إلى حصنهم، و كان المرزبان من ولد باذام صاحب اليمن أو ذا قرابة له، فكتب إلى الأحنف: انه دعانى إلى الصلح إسلام باذام فصالحه على ستين ألفا، و قال المدائنى: قال قوم ستمائة ألف، و قد كانت للأحنف خيل سارت و أخذت رستاقا يقال له بغ و استاقت منه مواشى فكان الصلح بعد ذلك.

و قال أبو عبيدة: قاتل الأحنف أهل مرو الروذ مرات، ثم أنه مر برجل يطبخ قدرا لأصحابه أو يعجن عجينا فسمعه يقول: إنما نبتغى للأمير أن يقاتلهم من وجه واحد من داخل الشعب، فقال فى نفسه: الرأى ما قاله الرجل فقاتلهم و جعل المرغاب عن يمينه و الجبل عن يساره، و المرغاب نهر يسيح بمرو الروذ ثم يغيض فى رمل ثم يخرج بمرو الشاهجان فهزمهم و من معهم من الترك ثم طلبوا الأمان فصالحه.

و قال غير أبى عبيدة: جمع أهل طخارستان للمسلمين فاجتمع أهل الجوزجان و الطالقان و الفارياب و من حولهم فبلغوا ثلاثين ألفا و جاءهم أهل الصغانيان و هم فى الجانب الشرقى من النهر فرجع الأحنف إلى قصره فوفى له أهله و خرج ليلا فسمع أهل خباء يتحدثون و رجلا يقول. الرأى للأمير أن يسير إليهم فيناجزهم حيث لقيهم فقال رجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن. ليس هذا برأى و لكن الرأى أن ينزل بين المرغاب و الجبل فيكون المرغاب عن يمينه و الجبل عن يساره فلا يلقى من عدوه و ان كثروا

فتوح البلدان، ص: ۳۹۴

إلا مثل عدة أصحابه، فرأى ذلك صوابا ففعله و هو فى خمسة آلاف من المسلمين أربعة آلاف من العرب و ألف من مسلمى العجم فالتقوا و هز رايته و حمل و حملوا فقصد ملك الصغانيان للأحنف، فأهوى له بالرمح فانتزع الأحنف الرمح من يده، و قاتل قتالا شديدا، فقتل ثلاثة ممن معهم الطبول منهم كان يقصد قصد صاحب الطبل فيقتله، ثم أن اللّه ضرب وجوه الكفار فقتلهم المسلمون قتلا ذريعا و وضعوا السلاح أنى شاءوا منهم و رجع الأحنف إلى مرو الروذ، و لحق بعض العدو بالجوزجان فوجه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمى فى خيل: و قال: يا بنى تميم تحابوا و تبادلوا تعتدل أموركم و ابدءوا بجهاد بطونكم و فروجكم يصلح لكم دينكم، و لا تغلوا يسلم لكم جهادكم، فسار الأقرع فلقى العدو بالجوزجان فكانت فى المسلمين جولة، ثم كروا فهزموا الكفرة، و فتحوا الجوزجان عنوة، و قال ابن الغريزة النهشلى:

سقى صوب الصحاب إذا استهلت‌مصارع فتية بالجوزجان

إلى القصرين من رستاق حوف‌أفادهم هناك الأقرعان

و فتح الأحنف مطالقان صلحا و فتح الفارياب، و يقال بل فتحها أمير ابن أحمر، ثم سار الأحنف إلى بلخ و هى مدينة طخارى فصالحهم أهلها على أربعمائة ألف و يقال سبعمائة ألف، و ذلك أثبت، فاستعمل على بلخ أسيد ابن المتشمس، ثم سار إلى خارزم و هى من سقى النهر جميعا و مدينتها شرقية فلم يقدر عليها فانصرف إلى بلخ و قد جبى أسيد صلحها.

و قال أبو عبيدة: فتح ابن عامر ما دون النهر، فلما بلغ أهل ما وراء النهر أمره طلبوا إليه أن يصالحهم ففعل، فيقال أنه عبر النهر حتى أتى موضعا موضعا و قيل بل أتوه فصالحوه و بعث من قبض ذلك، فأتته الدواب و الوصفاء و الوصائف و الحرير و الثياب، ثم أنه أحرم شكر اللّه و لم يذكر غيره عبوره

فتوح البلدان، ص: ۳۹۵

النهر و مصالحته أهل الجانب الشرقى، و قالوا: أنه أهل بعمرة و قدم على عثمان و استخلف قيس بن الهيثم فسار قيس بعد شخوصه فى أرض طخارستان فلم يأت بلدا منها إلا صالحه أهله فأذعنوا له حتى أتى سمنجان فامتنعوا فحصرهم حتى فتحها عنوة، و قد قيل أن ابن عامر جعل خراسان بين ثلاثة الأحنف ابن قيس و حاتم بن النعمان الباهلى و قيس بن الهيثم، و الأول أثبت، ثم أن ابن خازم افتعل عهدا على لسان بن عامر و تولى خراسان فاجتمعت بها جموع الترك ففضهم ثم قدم البصرة قبل قتل عثمان.

و حدثنى الحسين بن الأسود، قال: حدثنا وكيع بن الجراح عن ابن عون عن محمد بن سيرين أن عثمان بن عفان عقد لمن وراء النهر، قالوا و قدم ماهويه مرزبان مرو على بن أبى طالب فى خلافته و هو بالكوفة فكتب له إلى الدهاقين و الأساورة و الدهشلارين أن يؤدوا إليه الجزية فانتقضت عليهم خراسان فبعث جعدة بن هبيرة المخزومى و أمه أم هانئ بنت أبى طالب فلم يفتحها و لم تزل خراسان ملتاثة حتى قتل على عليه السلام، قال أبو عبيدة أول عمال على خرسان عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة ثم جعدة بن هبيرة بن أبى وهب ابن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

قالوا: و استعمل معاوية بن أبى سفيان قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت السلمى على خراسان فلم يعرض لأهل النكث، و جبى أهل الصلح فكان عليها سنة أو قريبا منها، ثم عزله و ولى خالد بن المعمر فمات بقصر مقاتل أو بعين التمر، و يقال أن معاوية ندم على توليته فبعث إليه بثوب مسموم و يقال بل دخلت فى رجله زجاجة فنزف منها حتى مات، ثم ضم معاوية إلى عبد اللّه بن عامر مع

البصرة خراسان، فولى بن عامر قيس بن الهيثم السلمى خراسان و كان أهل بادغيس و هراة و بوشنج و بلخ على نكثهم

فتوح البلدان، ص: ۳۹۶

فسار إلى بلخ فأخرب نوبهارها، و كان الذى تولى ذلك عطاء بن السائب مولى بنى الليث و هو الخشل، و إنما سمى عطاء الخشل و اتخذ قناطر على ثلاثة أنهار من بلخ على فرسخ فقيل قناطر عطاء، ثم أن أهل بلخ سألوا الصلح و مراجعة الطاعة فصالحهم قيس ثم قدم على ابن عامر فضربه مائة و حبسه.

و استعمل عبد اللّه بن خازم فأرسل إليه أهل هراة و بوشنج و بادغيس، فطلبوا الأمان و الصلح فصالحهم، و حمل إلى بن عامر مالا و ولى زياد بن أبى سفيان البصرة فى سنة خمس و أربعين، فولى أمير بن أحمر مرو، و خليد بن عبد اللّه الحنفى أبر شهر، و قيس بن الهيثم مرو الروذ، و الطالقان، و الفارياب و نافع بن خالد الطاحى من الأزدهراة، و بادغيس، و بوشنج و قادس من أنواران فكان أمير أول من أسكن العرب مرو، ثم ولى زياد الحكم ابن عمرو الغفارى، و كان عفيفا و له صحبة و إنما قال لحاجبه فيل ايتنى بالحكم و هو يريد الحكم بن أبى العاصى الثقفى، و كانت أم عبد اللّه بنت عثمان بن أبى العاصى عنده فأتاه بالحكم بن عمرو، فلما رآه تبرك به، و قال رجل صالح من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فولاه خراسان فمات بها فى سنة خمسين و كان الحكم أول من صلى من وراء النهر.

و حدثنى أبو عبد الرحمن الجعفى، قال: سمعت عبد اللّه بن المبارك يقول لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب معنا الحديث أ تدرى من فتح بلادك قال لا- قال: فتحها الحكم بن عمرو الغفارى، ثم ولى زياد بن أبى سفيان الربيع ابن زياد الحارثى سنة إحدى و خمسين خراسان، و حول معه من أهل المصريين زهاء و خمسين ألفا بعيالاتهم، و كان فيهم بريدة بن الحصيب الأسلمى أبو عبد اللّه و بمرو توفى أيام يزيد بن معاوية، و كان أيضا أبو برزة الأسلمى عبد اللّه ابن نضلة و بهامات و أسكنهم دون النهر، و الربيع أول من أمر الجند بالتناهد

فتوح البلدان، ص: ۳۹۷

و لما بلغه مقتل حجر بن عدى الكندى غمه ذلك، فدعا بالموت فسقط من يومه فمات، و ذلك سنة ثلاث و خمسين و استخلف عبد اللّه ابنه فقاتل أهل آمل و هى آمويه و زم، ثم صالحهم و رجع إلى مرو فمكث بها شهرين ثم مات، و مات زياد فاستعمل معاوية عبيد اللّه بن زياد على خراسان و هو ابن خمس و عشرين سنة فقطع النهر فى أربعة و عشرين ألفا فأتى بيكند، و كانت خاتون بمدينة بخارى، فأرسلت إلى الترك تستمدهم فجاءها منهم دهم فلقيهم المسلمون فهزموهم و حووا عسكرهم و أقبل المسلمون يخربون و يحرقون، فبعث إليهم خاتون تطلب الصلح و الأمان فصالحها على ألف ألف و دخل المدينة، و فتح رامدين و بيكند و بينهما فرسخان، و رامدين تنسب إلى بيكند، و يقال إنه فتح الصغانيان و قدم معه البصرة بخلق من أهل بخارى ففرض لهم ثم ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان فقطع النهر، و كان أول من قطعه بجنده فكان معه رفيع أبو العالية الرياحى و هو مولى لامرأة من بنى رياح فقال رفيع أبو العالية رفعة و علو.

فلما بلغ خاتون عبوره النهر حملت إليه الصلح و أقبل أهل السغد و الترك و أهل كش و نسف و هى نخشب إلى سعيد فى مائة ألف و عشرين ألفا فالتقوا ببخارى و قد ندمت خاتون على أدائها الأتاوة و نكثت العهد، فحضر عبد لبعض أهل تلك الجموع فانصرف بمن معه فانكسر الباقون، فلما رأت خاتون ذلك أعطته الرهن و أعادت الصلح و دخل سعيد مدينة بخارى، ثم غزا سعيد ابن عثمان سمرقند فأعانته خاتون بأهل بخارى، فنزل على باب سمرقند و حلف أن لا يبرح أو يفتحها و يرمى قهندزها، فقاتل أهلها ثلاثة أيام و كان أشد قتالهم فى اليوم الثالث ففقئت عينه و عين المهلب بن أبى صفرة، و يقال أن عين المهلب فقئت بالطالقان، ثم لزم العدو المدينة و قد فشت فيهم الجراح، و أتاه رجل فدله على قصر فيه أبناء ملوكهم و عظمائهم فسار إليهم و حصرهم،

فتوح البلدان، ص: ۳۹۸

فلما خاف أهل المدينة أن يفتح القصر عنوة و يقتل من فيه طلبوا الصلح فصالحهم على سبعمائة ألف درهم و على أن يعطوه رهنا من أبناء عظمائهم، و على أن يدخل المدينة و من شاء و يخرج من الباب الآخر فأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم، و يقال أربعين، و يقال ثمانين و رمى القهندز فثبت الحجر فى كوته ثم انصرف، فلما كان بالترمذ حملت إليه خاتون الصلح و أقام على الترمذ حتى فتحها صلحا، ثم لما قتل عبد اللّه بن خازم السلمى أتى موسى ابنه ملك الترمذ فأجاره و ألجأه و قوما كانوا معه فأخرجه عنها و غلب عليها و هو مخالف، فلما قتل صارت فى أيدى الولاة ثم انتقض أهلها ففتحها قتيبة بن مسلم، و فى سعيد يقول مالك ابن الريب:

هبت شمال خريق أسقطت ورقاو اصفر بالقاع بعد الخضرة الشيح

فارحل هديت و لا نجعل غنيمتناثلجا يصفقه بالترمذ الريح

إن الشتاء عدو ما نقاتلهفاقفل هديت و ثوب الدق مطروح

و يقال أن هذه الأبيات لنهار بن توسعة فى قتيبة و أولها:

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بهافكل باب من الخيرات مفتوح

فاستبدلت قتبا جعدا أناملهكأنما وجهه بالجل منضوح

و كان قثم بن العباس بن عبد المطلب مع سعيد بن عثمان فتوفى بسمرقند، و يقال استشهد بها، فقال عبد اللّه بن العباس حين بلغته وفاته شتان ما بين مولده و مقبره فأقبل يصلى فقيل له ما هذا، فقال: أما سمعتم اللّه يقول:

(وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ) و حدثنى عبد اللّه بن صالح، قال: حدثنا شريك عن جابر عن الشعبى، قال: قدم قثم على سعيد بن عثمان بخراسان، فقال له سعيد: أعطيك من المغنم ألف سهم، فقال: لا و لكن أعطنى سهما لى و سهما لفرسى، قال: و مضى سعيد بالرهن الذين أخذهم من السند حتى ورد بهم المدينة، فدفع ثيابهم و مناطقهم إلى

فتوح البلدان، ص: ۳۹۹

مواليه و ألبسهم جباب الصوف و ألزمهم السقى و السوانى و العمل فدخلوا عليه مجلسه ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم، و فى سعيد يقول مالك بن الريب:

و ما زلت يوم السغد ترعد واقفامن الجبن حتى خفت أن تتنصرا

و قال خالد بن عقبه بن أبى معيط:

ألا إن خير الناس نفسا و والداسعيد بن عثمان قتيل الأعاجم

فإن تكن الأيام أردت صروفهاسعيدا فمن هذا من الدهر سالم

و كان سعيد احتال لشريكه فى خراج خراسان فأخذ منه مالا فوجه معاوية من لقيه بحلوان فأخذ المال منه، و كان شريكه أسلم بن زرعة، و يقال إسحاق بن طلحة بن عبيد اللّه، و كان معاوية قد خاف سعيدا على خلعه و لذلك عاجله بالعزل، ثم ولى معاوية عبد الرحمن بن زياد خراسان، و كان شريفا و مات معاوية و هو عليها، ثم ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد فصالحه أهل خارزم على أربعمائة ألف و حملوها إليه و قطع النهر و معه امرأته أم محمد بنت عبد اللّه بن عثمان بن أبى العاصى الثقفى، و كانت أول عربية عبر بها النهر و أتى سمرقند فأعطاه أهلها ألف دية، و ولد له ابن سماه السغدى، و استعارت امرأة من امرأة صاحب السغد حليها فكسرته عليها و ذهبت به، و وجه سلم بن زياد و هو بالسغد جيشا إلى خجندة و فيهم أعشى همدان فهزموا فقال الأعشى:

ليت خيلى يوم الخجندة لم يهزم و غودرت فى المكر سليبا تحضر الطير مصرعى و تروحت إلى اللّه فى الدماء خضيبا ثم رجع سلم إلى مرو ثم غزا منها فقطع النهر و قتل بندون السغدى، و قد كان السغد جمعت له فقاتلها، و لما مات يزيد بن معاوية التاث الناس على سلم و قالوا: بئس ما ظن ابن سميه أن ظن أنه يتأمر علينا فى الجماعة و الفتنة كما قيل لأخيه عبيد اللّه بالبصرة فشخص عن خراسان و أتى عبد اللّه بن الزبير فأغرمه

فتوح البلدان، ص: ۴۰۰

أربعة آلاف ألف درهم و حبسه، و كان سلم يقول: ليتنى أتيت الشام و لم آنف من حدمة أخى عبيد اللّه بن زياد، فكنت أغسل رجله و لم آت ابن الزبير فلم يزل بمكة حتى حصر ابن الزبير الحجاج بن يوسف فنقب السجن و صار إلى الحجاج ثم إلى عبد الملك، فقال له عبد الملك: أما و اللّه لو أقمت بمكة ما كان لها وال غيرك، و لا كان بها عليك أمير و ولاه خراسان، فلما قدم البصرة مات بها.

قالوا: و قد كان عبد اللّه بن خازم السلمى تلقى سلم بن زياد منصرفه من خراسان بنيسابور، فكتب له سلم عهدا على خراسان و أعانه بمائة ألف درهم، فاجتمع جمع كثير من بكر بن وائل و غيرهم، فقالوا: على ما يأكل هؤلاء خراسان دوننا فأغاروا على ثقل ابن خازم فقاتلوهم عنه فكفوا.

و أرسل سليمان بن مرثد أحد بنى سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة من المراثد بن ربيعة إلى ابن خازم أن العهد الذى معك لو استطاع صاحبه أن يقيم بخراسان لم يخرج عنها و يوجهك، و أقبل سليمان فنزل بمشرعة سليمان و نزل ابن خازم بمرو، و اتفقا على أن يكتبا إلى ابن الزبير فأيهما أمره فهو الأمير ففعلا، فولى ابن الزبير عبد اللّه بن خازم خراسان فقدم إليه بعهده عروة بن قطبة بعد ستة أشهر فأبى سليمان أن يقبل ذلك، و قال: ما ابن الزبير بخليفة و إنما هو رجل عائذ بالبيت فحاربه ابن خازم و هو فى ستة آلاف و سليمان فى خمسة عشر ألفا فقتل سليمان قتله قيس بن عاصم السلمى و احتز رأسه و أصيب من أصحاب ابن خازم رجال، و كان شعار ابن خازم حمر لا ينصرون، و شعار سليمان يا نصر اللّه اقترب، و اجتمع فل سليمان إلى عمر بن مرثد بالطالقان، فسار إليه ابن خازم فقاتله فقتله، و اجتمعت ربيعة إلى أوس بن ثعلبة بهراة فاستخلف ابن خازم موسى ابنه و سار إليه، و كانت بين أصحابهما وقائع، و اغتنمت الترك ذلك فكانت تغير

فتوح البلدان، ص: ۴۰۱

حتى بلغت قرب نيسابور و دس ابن خازم إلى أوس من سمه فمرض، و اجتمعوا للقتال فحض ابن خازم أصحابه فقال: اجعلوه يومكم و اطعنوا الخيل من مناخرها فإنه لم يطعن فرس قط فى منخره إلا أدبر فاقتتلوا قتالا شديدا، و أصابت أوسا جراحة و هو عليل فمات منها بعد أيام، و ولى ابن خازم ابنه محمدا هراة، و جعل على شرطته بكير ابن و شاح و صفت له خراسان.

ثم أن بنى تميم هاجوا بهراة و قتلوا محمدا فظفر أبوه بعثمان بن بشر بن المختفز فقتله صبرا، و قتل رجلا من بنى تميم فاجتمع بنو تميم فتناظروا، و قالوا ما نرى هذا يقلع عنا فيصير جماعة منا إلى طوس فإذا خرج إليهم خلعه من بمرو منا، فمضى بجير بن وقاء الصريمى من بنى تميم إلى طوس فى جماعة فدخلوا الحصن ثم تحولوا إلى أبرشهر و خلعوا ابن خازم فوجه ابن خازم ثقله مع ابنه موسى إلى الترمذ، و لم يأمن عليه من بمرو من بنى تميم، و ورد كتاب عبد الملك بن مروان على ابن خازم بولاية خراسان فأطعم رسوله الكتاب، و قال: ما كنت لألقى اللّه و قد نكثت بيعة ابن حوارى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و بايعت ابن طريده، فكتب عبد الملك إلى بكير بن و شاح بولايته خراسان فخاف ابن خازم أن يأتيه فى أهل مرو، و قد كان بكير خلع ابن خازم، و أخذ السلاح و بيت المال و دعى أهل مرو إلى بيعة عبد الملك فبايعوه، فمضى ابن خازم يريد ابنه موسى و هو بالترمذ فى عياله و ثقله فاتبعه بحير فقاتله بقرب مرو، و دعيا و كيف بن الدورقية القريعى، و اسم أبيه عميرة و أمه من سبى دورق نسب إليه بدرعه و سلاحه فلبسه و خرج فحمل على ابن خازم و معه بجير بن وقاء فطعناه و قعد وكيع على صدره، و قال: يا لثارات دويلة و دويلة أخو وكيع لأمه، و كان مولى لبنى قريع قتله ابن خازم فتنخم ابن خازم فى وجهه، و قال لعنك اللّه أ تقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوى كفا من نوى، و قال وكيع:

فتوح البلدان، ص: ۴۰۲ ذق يا ابن عجلى مثل ما قد أذقتنىو لا تحسبنى كنت عن ذاك غافلا

عجلى أم ابن خازم و كان يكنى أبا صالح، و كنية وكيع بن الدورقية أبو ربيعة و قتل مع عبد اللّه بن خازم ابناه عنبسة و يحيى و طعن طهمان مولى ابن خازم، و هو جد يعقوب بن داود كاتب أمير المؤمنين المهدى بعد أبى عبيد اللّه، و أتى بكير بن وشاح برأس ابن

خازم فبعث به إلى عبد الملك بن مروان فنصبه بدمشق، و قطعوا يده اليمنى و بعثوا بها إلى ولد عثمان بن بشر ابن المحتفز المزنى.

و كان وكيع جافيا عظيم الخلقة صلى يوما و بين يديه نبت فجعل يأكل منه فقيل له: أ تأكل و أنت تصلى، فقال: ما كان اللّه أحرم نبتا أنبته بماء السماء على طين الثرى، و كان يشرب الخمر فعوتب عليها، فقال: فى الخمر تعاتبونى و هى تجلو بولى حتى تصيره كالفضة.

قالوا: و غضب قوم لابن خازم و وقع الاختلاف، و صارت طائفة مع بكير بن وشاح، و طائفة مع بجير، فكتب وجوه أهل خراسان و خيارهم إلى عبد الملك يعلمونه أنه لا تصلح خراسان بعد الفتنة إلا برجل من قريش، فولى أمية بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية خراسان، فولى بكير ابن و شاح طخارستان، ثم ولاه غزو ما وراء النهر: ثم عزم أمية على غزو بخارى ثم إتيان موسى بن عبد اللّه بن خازم بالترمذ فانصرف بكير إلى مرو و أخذ ابن أمية فحبسه و دعى الناس إلى خلع أمية فأجابوه، و بلغ ذلك أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة و اتخذ السفن. و قد كان بكير أحرقها و رجع و ترك موسى بن عبد اللّه فقدم فقاتله بكير. ثم صالحه على أن يوليه أى ناحية شاء، ثم بلغ أمية أنه يسعى فى خلعه بعد ذلك، فأمر إذا دخل داره أن يأخذ فدخلها فأخذ و أمر بحبسه فوثب به بجير بن وقاء فقتله.

فتوح البلدان، ص: ۴۰۳

و غزا أمية الختل و قد نقضوا بعد أن صالحهم سعيد بن عثمان فافتتحها، أن الحجاج بن يوسف ولى خراسان مع العراقين، قولى خراسان المهلب بن أبى صفرة، و اسمه ظالم بن سراق بن صبح بن العتيك من الأزد، و يكنى أبا سعيد سنة تسع و تسعين فغزى كثيرة، و فتح الختل و قد انتقضت، و فتح خجندة فأدت إليه السغد الأتاوة، و غزاكش و نسف و رجع فمات بزاغول من مرو الروذ بالشوصة، و كان بدء علته الحزن على ابنه المغيرة بن المهلب و استخلف المهلب ابنه يزيد بن المهلب فغازا مغازى كثيرة و فتح البتم على يد مخلد بن يزيد بن المهلب.

و ولى الحجاج يزيد بن المهلب و صار عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب إلى هراة فى فل ابن الأشعث و غيرهم، و كان خرج مع ابن الأشعث فقتل الرقاد العتكى و جبى الخراج فسار إليه يزيد فاقتتلوا فهزمهم يزيد و أمر بالكف عن اتباعهم و لحق الهاشمى بالسند، و غزا يزيد خارزم و أصاب سبيا فلبس الجند ثياب السبى فماتوا من البرد، ثم ولى الحجاج المفضل بن المهلب بن أبى صفرة ففتح بادغيس و قد انتقضت و شومان و آخرون و أصاب غنائم قسمها بين الناس.

قالوا: و كان موسى بن عبد اللّه بن خازم السلمى بالترمذ، فأتى سمرقند فأكرمه ملكها طرخون، فوثب رجل من أصحابه على رجل من السغد فقتله فأخرجه و من معه و أتى صاحب كش. ثم أتى الترمذ و هو حصن فنزل على دهقان الترمذ و هيأ له طعاما فلما أكل اضطجع. فقال له الدهقان:

أخرج فقال: لست أعرف منزلا مثل هذا. و قاتل أهل الترمذ حتى غلب عليها. فخرج دهقانها و أهلها إلى الترك يستنصرونهم فلم ينصروهم. و قالوا:

لعنكم اللّه فما ترجون بجبر أتاكم رجل فى مائة و أخرجكم عن مدينتكم و غلبكم عليها.

فتوح البلدان، ص: ۴۰۴

ثم تتام أصحاب موسى إليه ممن كان مع أبيه و غيرهم، و لم يزل صاحب الترمذ و أهلها بالترك حتى أعانوا و أطافوا جميعا بموسى و من معه فبيتهم موسى و حوى عسكرهم و أصيب من المسلمين ستة عشر رجلا، و كان ثابت و حريث ابنا قطبة الخزاعيان مع موسى فاستجاشا طرخون و أصحابه لموسى فأنجده و أنهض إليه بشرا كثيرا فعظمت دالتهما عليه و كانا الآمرين و الناهيين فى عسكره فقيل له إنما لك الاسم و هذان صاحبا العسكر و الأمر، و خرج إليه من أهل الترمذ خلق من الهياطلة و الترك و اقتلوا قتالا شديدا فغلبهم المسلمون و من معهم فبلغ ذلك الحجاج، فقال: احمد للّه الذى نصر المنافقين على المشركين، و جعل موسى من رؤس من قاتله جوسقين عظيمين، و قتل حريث بن قطبة بنشابة أصابته فقال أصحاب موسى لموسى: قد أراحنا اللّه من حريث فأرحنا من ثابت فإنه لا

یصفو عیش معه، و بلغ ثابتا ما یخوضون فیه فلما استثبته لحق بحشورا و استنجد طرخون فأنجده، فنهض إلیه موسی فغلب علی ربض المدینة، ثم کبرت أمداد السغد فرجع إلی الترمذ فتحصن بها و أعانه أهل کش و نسف و بخاری فحصر ثابت موسی و هو فی ثمانین ألفا فوجه موسی یزید بن هزیل کالمعزی لزیاد القصیر الخزاعی و قد أصیب بمصیبة فالتمس الغرة من ثابت فضربه بالسیف علی رأسه ضربة عاش بعدها سبعة أیام ثم مات و ألقی یزید نفسه فی نهر الصغانیان فنجا و قام طرخون بأمر أصحابه فبیتهم موسی فرجعت الأعاجم إلی بلادها، و کان أهل خراسان یقولون: ما رأینا مثل موسی قاتل مع أبیه سنتین لم یفل، ثم أتی الترمذ فغلب علیها و هو فی عدة یسیرة و أخرج ملکها عنها ثم قاتل الترک و العجم فهزمهم و أوقع بهم فلما عزل یزید ابن المهلب و تولی المفضل بن المهلب خراسان وجه عثمان بن مسعود، فسار حتی نزل جزیرة بالترمذ تدعی الیوم جزیرة عثمان، و هو فی خمسة عشر ألفا

فتوح البلدان، ص: ۴۰۵

فضیق علی موسی و کتب إلی طرخون فقدم علیه، فلما رأی موسی الذی ورد علیه خرج من المدینة و قال لأصحابه الذین خلفهم فیها: أن قتلت فادفعوا المدینة إلی مدرک بن المهلب و لا تدفعوها إلی ابن مسعود، و حال الترک و السغد بین موسی و الحصن و عثر به فرسه فسقط فارتدف خلف مولی له، و جعل یقول: الموت کریه فنظر إلیه عثمان فقال وثبة موسی و رب الکعبة و قصد له حتی سقط و مولاه فانطووا علیه فقتلوه و قتل أصحابه فلم ینج منهم إلا رقیة بن الحرفانه دفعه إلی خالد بن أبی برزة الأسلمی، و کان الذی أجهز علی موسی بن عبد اللّه و اصل بن طیسلة العنبری، و دفعت المدینة إلی مدرک ابن المهلب و کان قتله فی آخر سنة خمس و ثمانین و ضرب رجل ساق موسی و هو قتیل فلما ولی قتیبة قتله.

قالوا: ثم ولی الحجاج قتیبة بن مسلم الباهلی خراسان، فخرج یرید آخرون فلما کان بالطالقاه تلقاه دهاقین بلخ فعبروا معه النهر فأتاه حین عبر النهر ملک الصغانیان بهدایا و مفتاح من ذهب و أعطاه الطاعة و دعاه إلی نزول بلاده و کان ملک آخرون و شومان قد ضیق علی ملک الصغانیان و غزاه فلذلک أعطی قتیبة ما أعطاه و دعاه إلی ما دعاه إلیه، و أتی قتیبة ملک کفیان بنحو ما أتاه به ملک الصغانیان و سلما إلیه، بلدیهما، فانصرف قتیبة إلی مرو و خلف أخاه صالحا علی ما وراء النهر ففتح صالح کاسان و اورشت، و هی من فرغانة و کان نصر بن سیار معه فی جیشه و فتح بیعنخر و فتح خشکت من فرغانة و هی مدینتها القدیمة، و کان آخر من فتح کاسان و أورشت، و قد انتقض أهلها نوح بن أسد فی خلافة أمیر المؤمنین المنتصر باللّه رحمه اللّه.

قالوا: و أرسل ملک الجوزجان إلی قتیبة فصالحه علی أن یأتیه فصار إلیه، ثم رجع فمات بالطالقان. ثم غزا قتیبة بیکند سنة سبع و ثمانین و معه

فتوح البلدان، ص: ۴۰۶

نیزک فقطع النهر من زم إلی بیکند، و هی أدنی مدائن بخاری إلی النهر فغدروا و استنصروا السغد فقاتلهم و أغار علیهم و حصرهم فطلبوا الصلح ففتحها عنوة و غزا قتیبة تومشکت و کرمینیة سنة ثمان و ثمانین و استخلف علی مرو بشار بن مسلم أخاه فصالحهم و افتتح حصونا صغارا و غزا قتیبة بخاری ففتحها علی صلح، و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی أتی قتیبة بخاری فاحترسوا منه، فقال دعونی أدخلها فأصلی رکعتین فأذنوا له فی ذلک فاکمن لهم قوما، فلما دخلوا کاثروا أهل الباب و دخلوا فأصاب فیها مالا عظیما و غدر بأهلها، قال:

و أوقع قتیبة بالسغد و قتل نیزک بطخارستان و صلبه و افتتح کش و نسف و هی نخشب صلحا.

قالوا: و کان ملک خارزم ضعیفا، و کان أخوه خر زاد قد ضاده و قوی علیه، فبعث ملک خارزم إلی قتیبة أنی أعطیک کذا و کذا و أدفع إلیک المفاتیح علی أن تملکنی علی بلادی دون أخی، و خارزم ثلاث مدائن یحاط بها فارقین و مدینة الفیل أحصنها.

و قال علی بن مجاهد إنما مدینة الفیل سمرقند، فنزل الملک أحصن المدائن و بعث إلی قتیبة بالمال الذی صالحه علیه و بالمفاتیح فوجه قتیبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلی خرزاد فقاتله و ظفر بأربعة آلاف أسیر فقتلهم، و ملک ملک خارزم الأول علی ما شرط له،

فقال له أهل مملكته:

أنه ضعيف و وثبوا عليه فقتلوه، فولى قتيبة أخاه عبيد اللّه بن مسلم خوارزم، و غزا قتيبة سمرقند، و كانت ملوك السغد تنزلها قديما، ثم نزلت اشتيخن، فحصر قتيبة أهل سمرقند و التقوا مرارا فاقتتلوا، و كتب ملك السغد إلى ملك الشاش و هو مقيم بالطاربند، فأتاه فى خلق من مقاتلته فلقيهم المسلمون فاقتتلوا أشد قتال، ثم أن قتيبة أوقع بهم و كسرهم فصالحه غوزك على الفى ألف و مائتى ألف درهم فى كل عام و على أن يصلى فى المدينة فدخلها و قد اتخذ له غوزك طعاما فأكل و صلى و اتخذ مسجدا و خلف بها جماعة من

فتوح البلدان، ص: ۴۰۷

المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير، و يقال: أنه صالح قتيبة على سبعمائة ألف درهم و ضيافة المسلمين ثلاثة أيام، و كان فى صلحه بيوت الأصنام و النيران فأخرجت الأصنام فسلبت حليتها و أحرقت، و كانت الأعاجم تقول أن فيها أصناما من استخف بها هلك فلما حرقها قتيبة بيده أسلم منهم خلق، فقال المختار بن كعب الجعفى فى قتيبة:

دوخ السغد بالقبائل حتى ترك السغد بالعراء قعودا

و قال أبو عبيدة و غيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة دخل مدينتهم و أسكنها المسلمين على غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فان قضى بإخراج المسلمين أخرجوا فنصب لهم جميع بن حاضر الباجى فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء فكره أهل مدينة سمرقند الحرب و أقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم.

و قال الهيثم بن عدى: حدثنى ابن عياش الهمذانى، قال: فتح قتيبة عامة الشاش و بلغ أسبيجاب، و قيل كان فتح حصن أسبيجاب قديما ثم غلب عليه الترك و معهم قوم من أهل الشاش، ثم فتحه نوح بن أسد فى خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله و بنى حوله سورا يحيط بكروم أهله و مزارعهم.

و قال أبو عبيدة معمر بن المثنى فتح قتيبة خارزم و فتح سمرقند عنوة، و قد كان سعيد بن عثمان صالح أهلها ففتحها قتيبة بعده و لم يكونوا نقضوا و لكنه استقل صلحهم، قال: و فتح بيكند و كش و نسف و الشاش، و غزا فرغانة ففتح بعضها و غزا السغد و أشر و سنة، قالوا: و كان قتيبة مستوحشا من سليمان بن عبد الملك و ذلك أنه سعى فى بيعة عبد العزيز بن الوليد فأراد دفعها عن سليمان، فلما مات الوليد. و قام سليمان خطب الناس فقال

فتوح البلدان، ص: ۴۰۸

أنه قد وليكم هبنقة العائشى، و ذلك أن سليمان كان يعطى و يصطنع أهل النعم و اليسار و يدع من سواهم، و كان هبنقة و هو يزيد بن ثروان يؤثر سمان ابله بالعلف و المرعى، و يقول: أنا لا أصلح ما أفسد اللّه و دعا الناس إلى خلعه فلم يجبه أحد إلى ذلك فشتم بنى تميم و نسبهم إلى الغدر، و قال لستم بنى تميم و لكنكم بنى ذميم، و ذم بنى بكر بن وائل، و قال: يا أخوة مسلمة، و ذم الأزد فقال بدلتم الرماح بالمراد و بالسفن أعنة الحصن، و قال:

يا أهل السافلة و لا أقول أهل العالية لأضعنكم بحيث وضعكم اللّه، قال:

فكتب سليمان إلى قتيبة بالولاية و أمره بإطلاق كل من فى حبسه و أن يعطى الناس أعطياتهم و يأذن لمن أراد القفول فى القفول و كانوا متطلعين إلى ذلك و أمر رسوله باعلام الناس ما كتب به، فقال قتيبة: هذا من تدبيره على و قام فقال: أيها الناس إن سليمان قد مناكم مخ أعضاد البعوض و أنكم ستدعون إلى بيعة أنور صبى لا تحل ذبيحته و كانوا حنقين عليه لشتمه إياهم فاعتذر من ذلك، و قال: انى غضبت فلم أدر ما قلت و ما أردت لكم إلا الخير فتكلموا، و قالوا: إن أذن لنا فى القفول كان خيرا له.

و إن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه، و بلغه ذلك فخطب الناس فعدد إحسانه إليهم و ذم قلة وفائهم له و خلافهم عليه و خوفهم بالأعاجم

الـذين اسـتظهر بهم عليهم، فأجمعوا على حربه و لم يجيبوه بشـيء و طلبوا إلى الحصـين بن المنذر أن يولوه أمرهم فأبى و أشار عليهم بوكيع بن حسـان بن قيس بن أبى سود بن كلب بن عوف بن مالك بن غدانـة بن يربوع بن حنظلـة التميمى، و قال: لا يقوى على هـذا الأمر غيره لأنه أعرابى جاف تطيعه عشيرته و هو من بنى تميم و قد قتل قتيبة بنى الأهتم فهم يطلبونه بدمائهم فسعوا إلى وكيع فأعطاهم يده فبايعوه، و كان السفير بينه و بينهم قبل ذلك حيان مولى مصقلة و بخراسان يومئذ من مقاتلة أهل البصرة أربعون

فتوح البلدان، ص: ۴۰۹

ألفا و من أهل الكوفة سبعة آلاف و من الموالى سبعة آلاف، و إن وكيعا تمارض و لزم منزله فكان قتيبة يبعث إليه و قد طلى رجليه و ساقه بمغرة فيقول أنا عليل لا تمكننى الحركـة، و كان إذا أرسل إليه قوما يأتونه به تسـللوا و أتوا وكيعا فأخبروه فـدعا وكيع بسـلاحه و برمـح و أخذ خمار أم ولده فعقده عليه، و لقيه رجل يقال له إدريس فقال له يا أبا مطرف أنك تريد أمرا و تخاف ما قد أمنك الرجل منه فاللّه اللّه، فقال وكيع: هـذا إدريس رسول إبليس أ قتيبة يؤمننى و اللّه لا آتيه حتى أوتى برأسه، و دلف نحو فسـطاط قتيبة و تلاحق به و قتيبة فى أهل بيته و قوم وفوا له فقال صالح أخوه لغلامه:

هـات قوسـى، فقـال له بعضـهم و هو يهزأ به: ليس هـذا يوم قوس و رماه رجل من بنى ضـبة فأصاب رهابته فصـرع و أدخل الفسـطاط فقضـى و قتيبة عند رأسه و كان قتيبة يقول لحيان و هو على الأعاجم أحمل فيقول لم يأن ذلك بعد و حملت العجم على العرب، فقال حيان: يا معشـر العجم لم تقتلون أنفسـكم لقتيبة أ لحسن بلائه عندكم فانحاز بهم إلى بنى تميم و تهايج الناس و صبر مع قتيبة أخوته و أهـل بيته و قوم من أبناء ملوك السـغد أنفوا من خـذلانه و قطعت أطناب الفسـطاط و أطناب الفازة فسـقطت على قتيبـة و سـقط عمود الفـازة على هـامته فقتله فـاحتز رأسه عبـد اللّه بن علوان، و قـال قوم منهم هشام بن الكلبى: بل دخلوا عليه فسـطاطه فقتله جهم بن زحر الجعفى و ضـربه سعد بن مجد و احتز رأسه بن علوان، قالوا: و قتل معه جماعة من أخوته و أهل بيته و أم ولده الصماء و نجا ضرار بن مسـلم أمنه بنو تميم، و أخـذت الأزد رأس قتيبـة و خاتمه و أتى وكيع برأس قتيبـة فبعث به إلى سـليمان مع سـليط بن عطية الحنفى. و أقبل الناس يسـلبون باهلة فمنع من ذلك، و كتب وكيع إلى أبى مجاز لاحق بن حميدة بعهده على مرو فقبله و رضـى الناس به، و كان قتيبة يوم قتل ابن خمس و خمسين سنة، و لما قبل وكيع بن أبى سود بصارم بخراسان

فتوح البلدان، ص: ۴۱۰

و ضـبطها فأراد سـليمان توليته إياها فقيل له أن وكيعا ترفعه الفتنـة و تضـعه الجماعـة و فيه جفاء و إعرابيـة، و كان وكيع يدعو بطسـت فيبول و الناس ينظرن إليه فمكث تسـعة أشـهر حتى قـدم عليه يزيد بن المهلب، و كان بالعراق، فكتب إليه سـليمان أن يأتى خراسان و بعث إليه بعهـده فقـدم يزيـد مخلدا ابنه فحاسب وكيعا و حبسه، و قال له: أد مال اللّه فقال: أو خازنا للّه كنت، و غزا مخلد البتم ففتحها ثم نقضوا بعـده فتركهم و مـال عنهم فطمعوا فى انصـرافه، ثم كر عليهم حتى دخلهـا و دخلها جهم بن زحر و أصاب بها مالا و أصـناما من ذهب فأهل البتم ينسبون إلى ولائه، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كانوا يرون أن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الأهتم أبا خاقان قد كتب إلى الحجاج يسـعى بقتيبـة و يخبر بما صار إليه من المال و هو يومئذ خليفة قتيبة على مرو، و كان قتيبة إذا غزا اسـتخلفه على مرو، فلما كانت غزوة بخارى و ما يليها و اسـتخلفه أتاه بشـير أحد بنى الأهتم، فقال له: أنك قد انبسـطت إلى عبد اللّه و هو ذو غوائل حسود فلا نأمنه أن يعزلك فيسـتفسدنا قال إنما قلت هـذا حسدا لابن عمك، قال فليكن عذرى عندك فإن كان ذلك عذرتنى و غزا، فكتب بما كتب به إلى الحجـاج فطوى الحجـاج كتـابه فى كتـابه إلى قتيبـة، فجـاء الرسول حتى نزل السـكة بمرو و جاوزهـا، و لم يـأت عبـد اللّه فـأحس بالشـر فهرب فلحق بالشـام فمكث زمنا يبيع الخمر و الكتانيات فى رزمـة على عنقه يطوف بها، ثم أنه وضع خرقـة و قطنـة على إحدى عينيه ثم عصـبها و اكتنى بأبى طينة، و كان يبيع الزيت فلم يزل على هذه الحال حتى هلك الوليد بن عبد الملك، و قام سليمان فألقى عنه ذاك الـدنس و الخرقـة و قام بخطبـة تهنئة لسـليمان و وقوعا فى الحجاج و قتيبة، و كان قد بايع لعبد العزيز بن الوليد و خلع سليمان فتفرق الناس و هم يقولون: أبو طينة الزيات أبلغ الناس، فلما انتهى إلى قتيبة كتاب ابن الأهتم إلى الحجاج و قد فاته عكر على

فتوح البلدان، ص: ۴۱۱

بنی عمه و بنیه، و کان أحدهم شیبة أبو شبیب فقتل تسعه أناسی منهم أحدهم بشیر:

فقال له بشیر: اذکر عذری عندک فقال قدمت رجلا و أخرت رجلا یا عدو اللّه فقتلهم جمیعا، و کان وکیع بن أبی سود قبل ذلک علی بنی تمیم بخراسان فعزله عنهم قتیبة و استعمل رجلا من بنی ضرار الضبی، فقال حین قتلهم: قتلنی اللّه أنا أقتله و یفقدوه فلم یصل الظهر و لا العصر، فقالوا له: أنک لم تصل، فقال:

و کیف أصلی لرب قتل منا عامتهم صبیان و لم یغضب لهم.

و قال أبو عبیدة: غزا قتیبة مدینة فیل ففتحها، و قد کان أمیة بن عبد اللّه بن خالد بن أسید فتحها ثم نکثوا و رامهم یزید بن المهلب فلم یقدر علیها، فقال کعب الأشقری:

أعطتک فیل بأیدیها و حق لهاو رامها قبلک الفجاجة الصلف

یعنی یزید بن المهلب، قالوا: و لما استخلف عمر بن عبد العزیز کتب إلی ملوک ما وراء النهر یدعوهم إلی الإسلام فأسلم بعضهم، و کان عامل عمر علی خراسان الجراح بن عبد اللّه الحکمی فأخذ مخلد بن یزید و عمال یزید فحبسهم و وجه الجراح عبد اللّه بن معمر الیشکری إلی ما وراء النهر فأوغل فی بلاد العدو و هم بدخول الصین فأحاطت به الترک حتی افتدی منهم و تخلص و صار إلی الشاش، و رفع عمر الخراج علی من أسلم بخراسان و فرض لمن أسلم و ابتنی الخانات، ثم بلغ عمر عن الجراح عصبیة و کتب إلیه أنه لا یصلح أهل خراسان إلا السیف فأنکر ذلک و عزله و کان علیه دین فقضاه، و ولی عبد الرحمن بن نعیم الغامدی حرب خراسان و عبد الرحمن بن عبد اللّه القشیری خراجها.

قال و کان الجراح بن عبد اللّه یتخذ نقرا من فضة و ذهب و یصیرها تحت

فتوح البلدان، ص: ۴۱۲

بساط فی مجلسه علی أوزان مختلفة، فإذا دخل علیه الداخل من أخوته و المعتزین به رمی إلی کل امرئ منهم مقدار ما یؤهل له، ثم ولی یزید بن عبد الملک فولی مسلمة بن عبد الملک العراق و خراسان، فولی مسلمة سعید بن عبد العزیز بن الحارث بن الحکم بن أبی العاص بن أمیة خراسان و سعید هذا یلقب حذیفة، و ذلک أن بعض دهاقین ما وراء النهر دخل علیه و علیه معصفر و قد رجل شعره، فقال: هذا حذیفة یعنی دهقانه، و کان سعید صهر مسلمة علی ابنته فقدم سعید سورة بن الحر الحنظلی، ثم ابنه فتوجه إلی ما وراء النهر فنزل اشتیخن و قد صارت الترک إلیها فحاربهم و هزمهم و منع الناس من طلبهم حینا، ثم لقی الترک ثانیة فهزموهم و أکثروا القتل فی أصحابه و ولی سعید نصر بن سیار و فی سعید یقول الشاعر:

فسرت إلی الأعداء تلهو بلعبةفایرک مشهور و سیفک مغمد

و شخص قوم من وجوه أهل خراسان إلی مسلمة یشکون سعیدا فعزله و ولی سعید بن عمر الجرشی خراسان، فلما قدمها أمر کاتبه بقراءة عهده و کان لحانا، فقال سعید: أیها الناس أن الأمیر بریء مما تسمعون من هذا اللحن و وجه إلی السغد یدعوهم إلی الفئة و المراجعة و کف عن مهایجتهم حتی أنته رسله بإقامتهم علی خلافة فزحف إلیهم فانقطع عن عظیمهم زهاء عشرة آلاف رجل، و فارقوهم مائلین إلی الطاعة، و افتتح الجرشی عامة حصون السغد و نال من العدو نیلا شافیا.

و کان یزید بن عبد الملک ولی عهده هشام بن عبد الملک و الولید بن یزید بعده، فلما مات یزید بن عبد الملک قام هشام فولی عمر بن هبیرة الفزاری العراق فعزل الجرشی و استعمل علی خراسان مسلم بن سعید فغزا افشین فصالحه علی ستة آلاف رأس و دفع إلیه قلعته ثم انصرف إلی مرو، و ولی

فتوح البلدان، ص: ۴۱۳

طخارستان نصر بن سیار فخالفه خلق من العرب فأوقع بهم ثم سفرت بینهم السفراء فاصطلحوا.

و استعمل هشام خالد بن عبد اللّه القسری علی العراق فولی أسد بن عبد اللّه أخاه خراسان و بلغ ذلک مسلم بن سعید، فسار حتی أتی فرغانة فأناخ علی مدینتها فقطع الشجر و أخرب العمارة و انحدر علیه خاقان الترک فی عسکره فارتحل عن فرغانة و سار فی یوم واحد ثلاث مراحل حتی قامت دوابه و تطرفت الترک عسکره فقاب بعض الشعراء:

غزوت بنا من خشیة العزل عاصیافلم تنج من دنیا معن غرورها

و قدم أسد سمرقند فاستعمل علیها الحسن بن أبی العمرطة، فکانت الترک تطرف سمرقند و تغیر، و کان الحسن ینفر کلما أغاروا فلا یلحقهم، فخطب ذات یوم فدعا علی الترک فی خطبته، فقال: اللهم أقطع آثارهم و عجل أقدارهم و أنزل علیهم الصبر فشتمه أهل سمرقند، و قالوا: لا بل أنزل اللّه علینا الصبر و زلزل أقدامهم.

و غزا أسد جبال نمرود فصالحه نمرود و أسلم و غزا الختل، فلما قدم بلخ أمر ببناء مدینتها و نقل الدواوین إلیها و صار إلی الختل فلم یقدر منها علی شیء و أصاب الناس ضر و جوع و بلغه عن نصر بن سیار کلام فضربه و بعث به إلی خالد مع ثلاثة نفر اتهموا بالشغب، ثم شخص أسد عن خراسان و خلف علیها الحکم بن عوانة الکلبی، و استعمل هشام أشرس بن عبد اللّه السلمی علی خراسان، و کان معه کاتب نبطی یسمی عمیرة و یکنی أبا أمیة فزین له الشر فزاد أشرس وظائف خراسان و استخف بالدهاقین، و دعا أهل ما وراء النهر إلی الإسلام و أمر بطرح الجزیة عمن أسلم فسارعوا إلی الإسلام و انکسر الخراج، فلما رأی أشرس ذلک أخذ المسألة فأنکروا ذلک و ألاحوا منه

فتوح البلدان، ص: ۴۱۴

و غضب لهم ثابت قطنة الأزدی، و إنما قیل له قطنة لأن عینه فقئت فکان یضع علیها قطنة فبعث إلیهم أشرس من فرق جمعهم و أخذ ثابتا فحبسه ثم خلاه بکفالة و وجهه فی وجه فخرجت علیه الترک فقتلته.

و استعمل هشام فی سنة اثنتی عشرة و مائة الجنید بن عبد الرحمن المری علی خراسان فلقی الترک فحاربهم و وجه طلائع له فظفروا بابن خاقان و هو سکران یتصید، فأخذوه فأتوا به الجنید بن عبد الرحمن فبعث به إلی هشام، و لم یزل یقاتل الترک حتی دفعهم، فکتب إلی هشام یستمده فأمده بعمرو بن مسلم فی عشرة آلاف رجل من أهل البصرة و بعبد الرحمن بن نعیم فی عشرة آلاف من أهل الکوفة و حمل إلیه ثلاثین ألف قناة و ثلاثین ألف ترس و أطلق یده فی الفریضة ففرض لخمسة عشر ألف رجل، و کانت للجنید مغاز و انتشرت دعاة بنی هشام فی ولایته و قوی أمرهم و کانت وفاة الجنید بمرو، و ولی هشام خراسان عاصم بن عبد اللّه بن یزید الهلالی، و قال أبو عبیدة معمر بن المثنی التاثت نواح من طخارستان ففتحها الجنید بن عبد الرحمن و ردها إلی صلحها و مقاطعتها.

قال: و کان نصر بن سیار غزا اشر و سنة أیام مروان بن محمد فلم یقدر علی شیء منها، فلما استخلف أمیر المؤمنین العباس رحمه اللّه و من بعده من الخلفاء کانوا یولون عمالهم فینقصون حدود أرض العدو و أطرافها و یحاربون من نکث البیعة و نقض العهد من أهل القبالة و یعیدون مصالحة من امتنع من الوفاء بصلحه بنصب الحرب له.

قالوا: و لما استخلف المأمون أمیر المؤمنین أغزی السغد و أشروسنة و من انتقض علیه من أهل فرغانة الجند و ألح علیهم بالحروب و بالغارات أیام مقامه بخراسان و بعد ذلک، و کان مع تسریته الخیول إلیهم یکاتبهم بالدعاء إلی الإسلام و الطاعة و الترغیب فیهما.

فتوح البلدان، ص: ۴۱۵

و وجه إلی کابل شاه جیشا فأدی الأتاوة و أذعن بالطاعة و اتصل إلیها البرید حتی حمل إلیها منها إهلیلج وصل رطبا، و کان کاوس ملک اشروسنة کتب إلی الفضل بن سهل المعروف بذی الریاستین، و هو وزیر المأمون و کاتبه یسأله الصلح علی مال یؤدیه علی أن لا یغزی المسلمین بلده فأجیب إلی ذلک، فلما قدم المأمون رحمه اللّه إلی مدینة السلام امتنع کاوس من الوفاء بالصلح، و کان له قهرمان أثیر عنده قد زوج ابنته من الفضل بن کاوس فکان یفرط الفضل عنده و یقربه من قبله و یذم حیدر بن کاوس المعروف بالأفشین و یشنعه، فوثب حیدر علی القرمان فقتله علی باب کنب مدینتهم و هرب إلی هاشم بن محوز الختلی، و کان هاشم ببلده

مملکا علیه، فسأله أن یکتب إلی أبیه فی الرضی علیه، و کان کاوس قد زوج أم جنید حین قتل قهرمانه طرادیس و هرب ببعض دهاقینه.

فلما بلغ حیدر ذلک أظهر الإسلام و شخص إلی مدینة السلام، فوصف للمأمون سهولة الأمر فی أشر و سنة و هون علیه ما یهوله الناس من خبروها و وصف له طریقا مختصرة إلیها، فوجه المأمون أحمد بن أبی خالد الأحول الکاتب لغزوها فی جیش عظیم، فلما بلغ کاوس إقباله نحوه بعث الفضل ابن کاوس إلی الترک یستنجدهم فأنجده منهم الدهم، و قدم أحمد بن أبی خالد بلد أشر و سنة فأناخ علی مدینتها قبل موافاة الفضل بالأتراک فکان تقدیر کاوس فیه أن یسلک الطریق البعیدة و أنه لا یعرف هذه الطریق المختصرة فسقط فی یده و نخب قلبه فاستسلم و خرج فی الطاعة و بلغ الفضل خبره فانحاز بالأتراک إلی مفازة هناک ثم فارقهم و سار جلدا حتی أتی أباه فدخل فی أمانه و هلک الأتراک عطشا، و ورد کاوس مدینة السلام فأظهر الإسلام و ملکه المأمون علی بلاده، ثم ملک حیدر ابنه و هو الأفشین بعده، و کان المأمون رحمه اللّه یکتب إلی عماله علی خراسان فی غزو من لم یکن علی

فتوح البلدان، ص: ۴۱۶

الطاعة و الإسلام من أهل ما وراء النهر، و یوجه رسله فیفرضون لمن رغب فی الدیوان و أراد الفریضة من أهل تلک النواحی و أبناء ملوکهم و یستمیلهم بالرغبة فإذا و ردوا بابه شرفهم و أسنی صلاتهم و أرزاقهم، ثم استخلف المعتصم بالله فکان علی مثل ذلک حتی صار حل شهود عسکره من جند أهل ما وراء النهر من السغد و الفراغنة و الأشروسنة و أهل الشاش و غیرهم، و حضر ملوکهم بابه و غلب الإسلام علی ما هناک، و صار أهل تلک البلاد یغزون من وراءهم من الترک، و أعزی عبد اللّه بن طاهر ابنه طاهر بن عبد اللّه بلاد الغوزیة، ففتح مواضع لم یصل إلیها أحد قبله.

و حدثنی العمری عن الهیثم بن عدی عن ابن عیاش أن قتیبة أسکن العرب ما وراء النهر حتی أسکنهم أرض فرغانة و الشاش.

فتوح السند

أخبرنا علی بن محمد بن عبد اللّه بن أبی سیف، قال: ولی عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه عثمان بن أبی العاصی الثقفی البحرین و عمان سنة خمس عشرة فوجه أخاه الحکم إلی البحرین و مضی إلی عمان فأقطع جیشا إلی تانه، فلما رجع الجیش کتب إلی عمر یعلمه ذلک، فکتب إلیه عمر: یا أخا ثقیف حملت دودا علی عود و إنی أحلف بالله لو أصیبوا لأخذت من قومک مثلهم، و وجه الحکم أیضا إلی بروص، و وجه أخاه المغیرة بن أبی العاصی إلی خور الدیبل، فلقی العدو فظفر، فلما ولی عثمان بن عفان رضی اللّه عنه، و ولی عبد اللّه بن عامر بن کریز العراق کتب إلیه یأمره أن یوجه إلی ثغر الهند من یعلم علمه و ینصرف إلیه بخبره فوجه حکیم بن جبلة العبدی، فلما رجع أوفده إلی عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: یا أمیر المؤمنین قد عرفتها و تنحرتها، قال فصفها لی، قال: ماؤها و شل

فتوح البلدان، ص: ۴۱۷

و ثمرها دفل و لصها بطل، إن قل الجیش فیها ضاعوا، و إن کثروا جاعوا، فقال له عثمان: أ خابر أم ساجع، قال: بل خابر فلم یغزها أحدا، فلما کان آخر سنة ثمان و ثلاثین و أول سنة تسع و ثلاثین فی خلافة علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه توجه إلی ذلک الثغر الحارث بن مرة العبدی متطوعا بإذن علی فظفر و أصاب مغنما و سبیا و قسم فی یوم واحد ألف رأس، ثم إنه قتل و من معه بأرض القیقان إلا قلیلا و کان مقتله فی سنة اثنتین و أربعین و القیقان من بلاد السند مما یلی خراسان، ثم غزا ذلک الثغر المهلب بن أبی صفرة فی أیام معاویة سنة أربع و أربعین فأتی بنة و الأهواز و هما بین الملتان و کابل فلقیه العدو فقاتله و من معه، و لقی المهلب ببلاد القیقان ثمانیة عشر فارسا من الترک علی خیل محذوفة فقاتلوه فقتلوا جمیعا، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الأعاجم أولی بالتمشیر منا فحذف الخیل فکان أول من حذفها من المسلمین و فی بنة یقول الأزدی:

أ لم تر أن الأزد ليلة بيتوابنبة كانوا خير جيش المهلب

ثم ولى عبد اللّه بن عامر فى زمن معاوية بن أبى سفيان عبد اللّه بن سوار العبدى، و يقال ولاه معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فأصاب مغنما، ثم وفد إلى معاوية و أهدى إليه خيلا قيقانية و أقام عنده، ثم رجع إلى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه و فيه يقول الشاعر:

و ابن سوار على عدتهموقد النار و قتال السغب

و كان سخيا لم يوقد أحد نارا غير ناره فى عسكره، فرأى ذات ليلة نارا فقال: ما هذه، فقالوا: امرأة نفساء يعمل لها خبيص فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثا و ولى زياد بن أبى سفيان فى أيام معاوية سنان بن سلمة بن المحبق الهذلى، و كان فاضلا متألها، و هو أول من أحلف الجند بالطلاق فأتى الثغر ففتح مكران عنوة و مصرها و أقام بها و ضبط البلاد، و فيه يقول الشاعر:

فتوح البلدان، ص: ۴۱۸ رأيت هذيلا أحدثت فى يمينهاطلاق نساء ما يسوق لها مهرا

لهان على حلفة ابن محبقإذا رفعت أعناقها حلقا صفرا

و قال ابن الكلبى: كان الذى فتح مكران حكيم بن جبلة العبدى، ثم استعمل زياد على الثغر راشد بن عمرو الجديدى من الأزد فأتى مكران، ثم غزا القيقان فظفر، ثم غزا الميد فقتل، و قام بأمر الناس سنان بن سلمة فولاه زياد الثغر فأقام به سنتين، و قال أعشى همدان فى مكران:

و أنت تسير إلى مكرانفقد شحط الورد و المصدر

و لم تك حاجتى مكرانو لا الغزو فيها و لا المتجر

و حدثت عنها و لم آتهافما زالت من ذكر آخر

بأن الكثير بها جائعو أن القليل بها معور

و غزا عباد بن زياد ثغر الهند من سجستان فأتى سناروذ ثم أخذ على حوى كهز إلى الروذبار من أرض سجستان إلى الهندمند فنزل كش و قطع المفازة حتى أتى القندهار فقاتل أهلها فهزمهم و فلهم و فتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين، و رأى قلانس أهلها طوالا فعمل عليها فسميت العبادية و قال ابن مفرغ:

كم بالجروم و أرض الهند من قدمو من سرائنك قتلى لا هم قبروا

بقندهار و من تكتب منيتهبقندهار يرجم دونه الخبر

ثم ولى زياد المنذر بن الجارود العبدى و يكنى أبا الأشعث ثغر الهند، فغزا البوقان و القيقان فظفر المسلمون و غنموا و بث السرايا فى بلادهم، و فتح قصدار و سبابها، و كان سنان قد فتحها إلا أن أهلها انتقضوا، و بها مات فقال الشاعر:

حل بقصدار فأضحى بهافى القبر لم يغفل مع الغافلين

فتوح البلدان، ص: ۴۱۹ للّه قصدار و أعنابهاأى فتى دنيا أجنت و دين

ثم ولى عبيد بن زياد بن حرى الباهلى، ففتح اللّه تلك البلاد على يده و قاتل بها قتالا شديدا فظفر و غنم، و قال قوم: أن عبيد اللّه بن زياد ولى سنان ابن سلمة، و كان حرى على سراياه و فى حرى بن حرى يقول الشاعر:

لو لا طعانى بالبوقان ما رجعتمنه سرايا ابن حرى باسلاب

و أهل البوقان اليوم مسلمون و قد بنى عمران بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى بها مدينة سماها البيضاء و ذلك فى خلافة المعتصم بالله، و لما ولى الحجاج ابن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى العراق ولى سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى مكران و ذلك الثغر فخرج عليه معاوية و محمد ابنا الحارث العلافيان فقتل و غلب العلافيان على الثغر و اسم علاف هو ربان بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة، و هو أبو جرم، فولى الحجاج مجاعة بن سعر التميمى ذلك الثغر فغزا مجاعة فغنم و فتح طوائف من

قندابيل، ثم أتم فتحها محمد ابن القاسم و مات مجاعة بعد سنة بمكران قال الشاعر:

ما من مشاهدك التى شاهدتهاإلا يزينك ذكرها مجاعا

ثم استعمل الحجاج بعد مجاعة محمد بن هارون بن ذراع النمرى فأهدى إلى الحجاج فى ولايته ملك جزيرة الياقوت نسوة ولدن فى بلاده مسلمات و مات آباؤهن و كانوا تجارا فأراد التقرب بهن، فعرض للسفينة التى كنا فيها قوم من ميد الديبل فى بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهن و كانت من بنى يربوع يا حجاج، و بلغ الحجاج ذلك فقال: يا لبيك فأرسل إلى داهر يسأله تخلية النسوة. فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم، فأغزى الحجاج عبيد اللّه بن نبهان الديبل فقتل، فكتب إلى بديل بن طهفة البجلى و هو بعمان يأمره أن يسير إلى الديبل، فلما لقيهم نفر به فرسه فأطاف به العدو

فتوح البلدان، ص: ۴۲۰

فقتلوه و قال بعضهم قتله زط البدهة، قال: و إنما سميت هذه الجزيرة جزيرة الياقوت لحسن وجوه نسائها، ثم ولى الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل فى أيام الوليد بن عبد الملك فغزا السند، و كان محمد بفارس و قد أمره أن يسير إلى الرى و على مقدمته أبو الأسود جهم بن زحر الجعفى فرده إليه و عقد له على ثغر السند و ضم إليه ستة آلاف من جند أهل الشام و خلقا من غيرهم و جهزه بكل ما احتاج إليه حتى الخيوط و المال، و أمره أن يقيم بشيراز حتى يتتام إليه أصحابه و يوافيه ما عدله، فعمد الحجاج إلى القطن المحلوج فنقع فى الخل الخمر الحاذق، ثم جفف فى الظل فقال: إذا صرتم إلى السند فان الخل بها ضيق فانقعوا هذا القطن فى الماء ثم اطبخوا به و اصطبغوا، و يقال أن محمدا لما صار إلى الثغر كتب يشكو ضيق الخل عليهم فبعث إليه بالقطن المنقوع فى الخل، فسار محمد بن القاسم إلى مكران فأقام بها أياما ثم أتى قنزبور ففتحها ثم أتى ارمائيل ففتحها و كان محمد بن هارون بن ذراع قد لقيه فانضم إليه و سار معه فتوفى بالقرب منها فدفن بقنيل، ثم سار محمد بن القاسم من ارمائيل و معه جهم بن زحر الجعفى فقدم الديبل يوم جمعة و وافته سفن كان حمل فيها الرجال و السلاح و الأداة فخندق حين نزل الديبل، و ركزت الرماح على الخندق، و نشرت الأعلام، و أنزل الناس على راياتهم، و نصب منجنيقا تعرف بالعرس كان يمد فيها خمسمائة رجل، و كان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل و على الدقل راية حمراء إذا هبت الريح أطافت بالمدينة و كانت تدور و البد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ فى بناء لهم فيه صنم لهم أو أصنام يشهر بها و قد يكون الصنم فى داخل المنارة أيضا و كل شىء أعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد، و الصنم بد أيضا، و كانت كتب الحجاج ترد على محمد و كتب محمد ترد عليه بصفة ما قبله و استطلاع رأيه فيما يعمل به فى كل ثلاثة أيام، فورد على محمد من الحجاج

فتوح البلدان، ص: ۴۲۱

كتاب ان أنصب العرس و اقصر منها قائمة و لتكن مما يلى المشرق ثم ادع صاحبها فمره أن يقصد برميته للدقل الذى وصفت لى فرمى الدقل فكسر فاشتد طرة الكفر من ذلك، ثم أن محمدا ناهضهم و قد خرجوا إليه فهزمهم حتى ردهم، و أمر بالسلاليم فوضعت و صعد عليها الرجال، و كان أولهم صعودا رجل من مراد من أهل الكوفة ففتحت عنوة، و مكث محمد يقتل من فيها ثلاثة أيام و هرب عامل داهر عنها و قتل سادنى بيت آلهتهم، و اختط محمد للمسلمين بها و بنى مسجدا و أنزلها أربعة آلاف.

قال محمد بن يحيى: فحدثنى منصور بن حاتم النحوى مولى آل خالد بن أسيد أنه رأى الدقل الذى كان على منارة البد مكسورا، و أن عنبسة بن إسحاق الضبى العامل كان على السند فى خلافة المعتصم بالله رحمه اللّه هدم أعلى تلك المنارة و جعل فيها سجنا و ابتدأ فى مرمة المدينة بما نقض من حجارة تلك المناورة فعزل قبل استتمام ذلك، و ولى بعده هارون بن أبى خالد المرور و ذى فقتل بها.

قالوا: و أتى محمد بن القاسم البيرون و كان أهلها بعثوا سمنيين منهم إلى الحجاج فصالحوه فأقاموا لمحمد العلوفة و أدخلوه مدينتهم و وفوا بالصلح و جعل محمد لا يمر بمدينة إلا فتحها حتى عبر نهرا دون مهران فأتاه سمنية سريبدس فصالحوه عمن خلفهم و وظف

علیهم الخراج و سار إلی سهیان ففتحها، ثم سار إلی مهران فنزل فی وسطه فبلغ ذلک داهر و استعد لمحاربته و بعث محمد بن القاسم محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفی إلی سدوسا فی خیل و حمارات، فطلب أهلها الأمان و الصلح و سفر بینه و بینهم السمنیة فأمنهم و وظف علیهم خرجا و أخذ منهم رهنا و انصرف إلی محمد و معه من الزط أربعة آلاف فصاروا مع محمد، و ولی سدوسان رجلا، ثم أن محمدا احتال لعبور مهران حتی عبره مما یلی بلاد راسل ملک قصة من الهند علی جسر عقده و داهر

فتوح البلدان، ص: ۴۲۲

مستخف به لاه عنه و لقیه محمد و المسلمون و هو علی فیل و حوله الفیلة و معه التکاکره فاقتتلوا قتالا شدیدا لم یسمع بمثله و ترجل داهر و قاتل فقتل عند المساء و انهزم المشرکون فقتلهم المسلمون کیف شاءوا و کان الذی قتله فی روایة المدائنی رجلا من بنی کلاب و قال:

الخیل تشهد یوم داهر و القناو محمد بن القاسم بن محمد

أنی فرجت الجمع غیر معردحتی علوت عظیمهم بمهند

فترکته تحت العجاج مجدلامتعفر الخدین غیر مؤسد

فحدثنی منصور بن حاتم، قال: داهر و الذی قتله مصوران ببروص و بدیل بن طهفة مصور بقند و قبره بالدیبل.

و حدثنی علی بن محمد المدائنی عن أبی محمد الهندی عن أبی الفرج قال:

لما قتل داهر غلب محمد بن القاسم علی بلاد السند، و قال ابن الکلبی: کان الذی قتل داهر القاسم بن ثعلبة بن عبد اللّه بن حصن الطائی.

قالوا و فتح محمد بن القاسم راور عنوة و کانت بها امرأة لداهر فخافت أن تؤخذ فأحرقت نفسها و جواریها و جمیع مالها، ثم أتی محمد بن القاسم بزهمناباذ العتیقة و هی علی رأس فرسخین من المنصورة، و لم تکن المنصورة یومئذ إنما کان موضعا غیضة، و کان فل داهر ببرهمناباذ هذه فقاتلوه ففتحها محمد عنوة و قتل بها ثمانیة آلاف و قیل ستة و عشرین ألفا و خلف فیها عامله و هی الیوم خراب، و سار محمد یرید الرور و بغرور فتلقاه أهل ساوندری فسألوه الأمان فأعطاهم إیاه و اشترط علیهم ضیافة المسلمین و دلالتهم و أهل ساوندری الیوم مسلمون، ثم تقدم إلی بسمد فصالح أهلها علی مثل صلح ساوندری و انتهی محمد إلی الرور و هی من مدائن السند و هی علی جبل فحصرهم

فتوح البلدان، ص: ۴۲۳

أشهرا ففتحها صلحا علی أن لا یقتلهم و لا یعرض لبدهم و قال: ما البد إلا ککنائس النصاری و الیهود و بیوت نیران المجوس و وضع علیهم الخراج بالروروینی مسجدا، و سار محمد إلی السکة و هی مدینة دون بیاس ففتحها و السکة الیوم خراب، ثم قطع نهر بیاس إلی الملتان فقاتله أهل الملتان فأبلی زائدة بن عمیر الطائی، و انهزم المشرکون فدخلوا المدینة و حصرهم محمد و نفدت أزواد المسلمین فأکلوا الحمر، ثم أتاهم رجل مستأمن فدلهم علی مدخل الماء الذی منه شربهم و هو ماء یجری من نهر بسمد فیصیر فی مجتمع له مثل البرکة فی المدینة و هم یسمونه البلاح فغوره، فلما عطشوا نزلوا علی الحکم فقتل محمد المقاتلة و سبی الذریة و سبی سدنة البد و هم ستة آلاف، و أصابوا ذهبا کثیرا فجمعت تلک الأموال فی بیت یکون عشرة أذرع فی ثمانی أذرع یلقی ما أودعه فی کوة مفتوحة فی سطحه فسمیت الملتان، فرج بیت الذهب و الفرج الثغر و کان بد الملتان بدا تهدی إلیه الأموال و ینذر له النذور و یحج إلیه السند فیطوفون به و یحلقون رؤسهم و لحاهم عنده، و یزعمون أن صنما فیه هو أیوب النبی صلی اللّه علیه و سلم.

قالوا: و نظر الحجاج فإذا هو قد أنفق علی محمد بن القاسم ستین ألف ألف و وجد ما حمل إلیه عشرین و مائة ألف ألف، فقال: شفینا غیظنا و أدرکنا ثارنا و ازددنا ستین ألف ألف درهم و رأس داهر، و مات الحجاج فأتت محمدا وفاته فرجع عن الملتان إلی الرورو بغرور، و کان قد فتحها فأعطی الناس و وجه إلی البیلمان جیشا فلم یقاتلوا و أعطوا الطاعة و سالمه أهل سرست و هی مغزی أهل

البصرة اليوم و أهلها الميد الذى يقطعون فى البحر، ثم أتى محمد الكيرج فخرج إليه دوهر فقاتله فانهزم العدو و هرب دوهر، و يقال قتل و نزل أهل المدينة على حكم محمد فقتل و سبى قال الشاعر:

نحن قتلنا داهرا و دوهرا* و الخيل تردى منسرا فمنسرا

فتوح البلدان، ص: ۴۲۴

و مات الوليد بن عبد الملك، و ولى سليمان بن عبد الملك فاستعمل صالح ابن عبد الرحمن على خراج العراق، و ولى يزيد بن أبى كبشة السكسكى السند فحمل محمد بن القاسم مقيدا مع معاوية بن المهلب، فقال محمد متمثلا:

أضاعونى و أى فتى أضاعوا* ليوم كريهة و سداد ثغر فبكى أهل الهند على محمد و صوروه بالكيرج فحبسه صالح بواسط فقال:

فلئن ثويت بواسط و بأرضهارهن الحديد مكبلا مغلولا

فلرب فتية فارس قد رعتهاو لرب قرن قد تركت قتيلا

و قال:

لو كنت جمعت القرار لوطئتإناث أعدت للوغى و ذكور

و ما دخلت خيل السكاسك أرضناو لا كان من عك على أمير

و لا كنت للعبد المزونى تابعافيا لك دهر بالكرام عثور

فعذبه صالح فى رجال من آل أبى عقيل حتى قتلهم، و كان الحجاج قتل آدم أخا صالح، و كان يرى رأى الخوارج، و قال حمزة بن بيض الحنفى:

إن المروءة و السماحة و الندىلمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجةيا قرب ذلك سوددا من مولد

و قال آخر:

ساس الرجال لسبع عشرة حجةو لداته عن ذاك فى أشغال

و مات يزيد بن أبى كبشة بعد قدومه أرض السند بثمانية عشر يوما و استعمل سليمان بن عبد الملك حبيب بن المهلب على حرب السند فقدمها و قد رجع ملوك الهند إلى ممالكهم فرجع حليشة بن داهر إلى برهمناباذ و نزل حبيب على شاطئ مهران فأعطاه أهل الرور الطاعة و حارب قوما فظفر

فتوح البلدان، ص: ۴۲۵

بهم، ثم مات سليمان بن عبد الملك و كانت خلافة عمر بن عبد العزيز بعده فكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام و الطاعة على أن يملكهم و لهم ما للمسلمين و عليهم ما عليهم، و قد كانت بلغتهم سيرته و مذهبه فأسلم حليشة و الملوك و تسموا بأسماء العرب، و كان عمرو بن مسلم الباهلى عامل عمر على ذلك الثغر فغزا بعض الهند فظفر و هرب بنو المهلب إلى السند فى أيام يزيد ابن عبد الملك فوجه إليهم هلال بن أحوز التميمى فلقيهم فقتل مدرك بن المهلب بقندابيل و قتل المفضل و عبد الملك و زياد و مروان و معاوية بنى المهلب و قتل معاوية بن يزيد فى آخرين.

و ولى الجنيد بن عبد الرحمن المرى من قبل عمر بن هبيرة الفزارى ثغر السند، ثم ولاه إياه هشام بن عبد الملك فلما قدم خالد بن عبد اللّه القسرى العراق كتب هشام إلى الجنيد يأمره بمكاتبته فأتى الجنيد الديبل، ثم نزل شط مهران فمنعه حليشة العبور و أرسل إليه أنى قد أسلمت و ولانى الرجل الصالح بلادى و لست آمنك فأعطاه رهنا و أخذ منه رهنا بما على بلاده من الخراج، ثم أنهما ترادا الرهن و كفر حليشة و حارب و قيل أنه لم يحارب و لكن الجنيد يجنى عليه، فأتى الهند فجمع جموعا و أخذ السفن و استعد للحرب فسار إليه الجنيد فى السفن فالتقوا فى بطيحة الشرقى فأخذ حليشة أسيرا و قد جنحت سفينته فقتله و هرب صصه بن داهر و هو يريد أن

یمضی إلی العراق فیشکو غدر الجنید، فلم یزل الجنید یؤنسه حتی وضع یده فی یده فقتله و غزا الجنید الکیرج، و کانوا قد نقضوا فاتخذ کباشا نطاحة فصک بها حائط المدینة حتی ثلمه و دخلها عنوة فقتل و سبی و غنم و وجه العمال إلی مرمد و المندل و دهنج و بروص، و کان الجنید یقول القتل فی الجزع أکبر منه فی الصبر، و وجه الجنید جیشا إلی أزین و وجه حبیب بن مرة فی جیش إلی أرض المالیة فأغاروا علی أزین و غزوا بهریمد فحرقوا ربضها، و فتح الجنید

فتوح البلدان، ص: ۴۲۶

البیلمان و الجرز، و حصل فی منزله سوی ما أعطی زواره أربعین ألف ألف و حمل مثلها قال جریر:

أصبح زوار الجنید و صحبه یحیون صلت الوجه حما مواهبه

و قال أبو الجویریة:

لو کان یقعد فوق الشمس من کرم قوم بإحسانهم أو مجدهم قعدوا

محسدون علی ما کان من کرم لا ینزع اللّه منهم ماله حسدوا

ثم ولی بعد الجنید تمیم بن زید العتبی فضعف و وهن و مات قریبا من الدیبل بماء یقال له ماء الجوامیس، و إنما سمی ماء الجوامیس لأنه یهرب بها إلیه من دباب زرق تکون بشاطئ مهران، و کان تمیم من أسخیاء العرب وجد فی بیت المال بالسند ثمانیة عشر ألف ألف درهم طاطریة فاسرع فیها، و کان قد شخص معه فی الجند فتی من بنی یربوع یقال له خنیس و أمه من طیء إلی الهند فأتت الفرزدق فسألته أن یکتب إلی تمیم فی اقفاله و عاذت بقبر غالب أبیه، فکتب الفرزدق إلی تمیم:

أتتنی فعاذت یا تمیم بغالب و بالحفرة السافی علیها ترابها

فهب لی خنیسا و اتخذ فیه منة لحوبة أم ما یسوغ شرابها

تمیم بن زید لا تکونن حاجتی بظهر و لا یجفی علیک جوابها

فلا تکثر الترداد فیها فإننی ملول لحاجات بطیء طلابها

فلم یدر ما اسم الفتی أهو خنیش أم خنیس فأمر أن یقفل کل من کان اسمه علی مثل هذه الحروف، و فی أیام تمیم خرج المسلمون عن بلاد الهند و رفضوا مراکزهم فلم یعودوا إلیها إلی هذه الغایة، ثم ولی الحکم بن عوانة الکلبی و قد کفر أهل الهند إلا أهل قصة فلم یر للمسلمین ملجأ یلجأون إلیه فبنی من وراء البحیرة مما یلی الهند مدینة سماها المحفوظة و جعلها مأوی لهم

فتوح البلدان، ص: ۴۲۷

و معاذا و مصرها، و قال لمشایخ کلب من أهل الشام ما ترون أن نسمیها، فقال بعضهم دمشق، و قال بعضهم حمص، و قال رجل منهم سمها تدمر، فقال: دمر اللّه علیک یا أحمق و لکنی أسمیها المحفوظة و نزلها، و کان عمرو ابن محمد بن القاسم مع الحکم، و کان یفوض إلیه و یقلده جسیم أموره و أعماله، فأغزاها من المحفوظة، فلما قدم علیه و قد ظفر أمره فبنی دون البحیرة مدینة و سماها المنصورة فهی التی ینزلها العمال الیوم، و تخلص الحکم ما کان فی أیدی العدو مما غلبوا علیه و رضی الناس بولایته، و کان خالد یقول وا عجبا و لیت فتی العرب فرفض یعنی تمیما و ولیت أبخل الناس فرضی به، ثم قتل الحکم بها، ثم کان العمال بعد یقاتلون العدو فیأخذون ما استطف لهم و یفتحون الناحیة قد نکث أهلها، فلما کان أول الدولة المبارکة ولی أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم مغلسا البعدی ثغر السند و أخذ علی طخارستان و سار حتی صار إلی منصور ابن جمهور الکلبی و هو بالسند فلقیه منصور فقتله و هزم جنده، فلما بلغ أبا مسلم ذلک عقد لموسی بن کعب التمیمی ثم وجهه إلی السند، فلما قدمها کان بینه و بین منصور بن جمهور مهران، ثم التقیا فهزم منصورا و جیشه و قتل منظورا أخاه و خرج منصور مفلولا ـ هاربا حتی ورد الرمل فمات عطشا، و ولی موسی السند فرم المنصورة و زاد فی مسجدها و غزا و افتتح، و ولی أمیر المؤمنین المنصور رحمه اللّه هشام بن عمرو التغلبی السند ففتح ما استغلق، و وجه عمرو بن جمل فی بوارج إلی نارند و وجه إلی ناحیة الهند فافتتح قشمیرا و أصاب سبابا و رقیقا کثیرا، و فتح الملتان و

کان بقندابیل متغلبة من العرب فأجلاهم عنها، و أتی القندهار فی السفن ففتحها و هدم البد و بنی موضعه مسجدا، فأخصبت البلاد فی ولایته فتبرکوا به و دوخ الثغر و حکم أموره، ثم ولی ثغر السند عمر بن حفص بن عثمان هزار مرد ثم داود بن یزید بن حاتم، و کان معه أبو الصمة

فتوح البلدان، ص: ۴۲۸

المتغلب الیوم و هو مولی لکندة، و لم یزل أمر ذلک الثغر مستقیما حتی ولیه بشر بن داود فی خلافة المأمون فعصی و خالف فوجه إلیه غسان بن عباد و هو رجل من أهل سواد الکوفة فخرج بشر إلیه فی الأمان و ورد به مدینة السلام، و خلف غسان علی الثغر موسی بر یحیی بن خالد بن برمک، فقتل باله ملک الشرقی و قد بذل له خمسمائة ألف درهم علی أن یستبقه، و کان باله هذا التوی علی غسان و کتب إلیه فی حضور عسکره فیمن حضره من الملوک فأبی ذلک، و أثر موسی أثرا حسنا و مات سنة إحدی و عشرین و استخلف ابنه عمران بن موسی فکتب إلیه أمیر المؤمنین المعتصم بالله بولایة الثغر فخرج إلی القیقان و هم زط فقاتلهم فغلبهم، و بنی مدینة سماها البیضاء و أسکنها الجند، ثم أتی المنصورة و صار منها إلی قندابیل و هی مدینة علی جبل و فیها متغلب یقال له محمد بن الخلیل فقاتله و فتحها و حمل رؤساءها إلی قصدار، ثم غزا المید و قتل منهم ثلاثة آلاف و سکر سکرا یعرف بسکر المید و عسکر عمران علی نهر الرور ثم نادی بالزط الذین بحضرته فأتوه فختم أیدیهم و أخذ الجزیة منهم و أمرهم بأن یکون مع کل رجل منهم إذا اعترض علیه کلب، فبلغ الکلب خمسین درهما، ثم غزا المید و معه وجوه الزط، فحفر من البحر نهرا أجراه فی بطیحتهم حتی ملح ماءهم و شن الغارات علیهم، ثم وقعت العصبیة بین النزاریة و الیمانیة فمال عمران إلی الیمانیة فسار إلیه عمر بن عبد العزیز الهباری فقتله و هو غار، و کان جد عمر هذا ممن قدم السند مع الحکم بن عوانة الکلبی.

و حدثنی منصور بن حاتم، قال: کان الفضل بن ماهان مولی بنی سامة فتح سندان و غلب علیها و بعث إلی المأمون رحمه اللّه بفیل و کاتبه و دعا له فی مسجد جامع اتخذه بها، فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار

فتوح البلدان، ص: ۴۲۹

فی سبعین بارجة إلی مید الهند فقتل منهم خلقا و افتتح فالی و رجع إلی سندان و قد غلب علیها أخ له یقال له ماهان بن الفضل، و کاتب أمیر المؤمنین المعتصم بالله و أهدی إلیه ساجا لم یر مثله عظما و طولا، و کانت الهند فی أمر أخیه فمالوا علیه فقتلوه و صلبوه، ثم أن الهند بعد غلبوا علی سندان فترکوا مسجدها للمسلمین یجمعون فیه و یدعون للخلیفة.

و حدثنی أبو بکر مولی الکریزیین: أن بلدا یدعی العسیفان بین قشمیر و الملتان، و کابل، کان له ملک عاقل، و کان أهل ذلک البلد یعبدون صنما قد بنی علیه بیت و أبدوه، فمرض ابن الملک فدعی سدنة ذلک البیت، فقال لهم: أدعوا الصنم أن یبرئ ابنی فغابوا عنه ساعة، ثم أتوه فقالوا قد دعوناه و قد أجابنا إلی ما سألناه فلم یلبث الغلام أن مات، فوثب الملک علی البیت فهدمه و علی الصنم فکسره و علی السدنة فقتلهم، ثم دعا قوما من تجار المسلمین فعرضوا علیه التوحید فوحد و أسلم، و کان ذلک فی خلافة أمیر المؤمنین المعتصم بالله رحمه اللّه.

فی أحکام أرض الخراج

قال بشر بن غیاث، قال أبو یوسف: إنما أرض أخذت عنوة مثل السواد، و الشام. و غیرهما فإن قسمها الإمام بین من غلب علیها فهی أرض عشر و أهلها رقیق، و أن لم یقسمها الإمام وردها للمسلمین عامة، کما فعل عمر بالسواد فعلی رقاب أهلها الجزیة، و علی الأرض، و لیسوا برقیق، و هو قول أبی حنیفة، و حکی الواقدی عن سفیان الثوری مثل ذلک، و قال الواقدی قال مالک بن أنس، و ابن أبی ذئب: إذا أسلم کافر من أهل العنوة أقرت أرضه فی یده یعمرها و یؤدی الخراج عنها و لا اختلاف فی ذلک و قال مالک و ابن

فتوح البلدان، ص: ۴۳۰

أبى ذئب، و سفيان الثورى، و ابن أبى ليلى عن الرجل يسلم من أهل العنوة الخراج فى الأرض و الزكاة من الزرع بعد الخراج، و هو قول الأوزاعى، و قال أبو حنيفة و أصحابه لا يجتمع الخراج و الزكاة على رجل، و قال مالك، و ابن أبى ذئب، و سفيان، و أبو حنيفة: إذا زرع الرجل أرضه الخراجية مرات فى السنة لم يؤخذ منه إلا خراج واحد، و قال ابن أبى ليلى: يؤخذ منه الخراج كلما أدركت له غلة، و هو قول ابن أبى سبرة، و أبى شمر، و قال أبو الزناد، و مالك، و أبو حنيفة، و سفيان، و يعقوب، و ابن أبى ليلى، و ابن أبى سبر، و زفر، و محمد بن الحسن، و بشر بن غياث: إذا عطل رجل أرضه قيل له أزرعها و أد خراجها و إلا فادفعها إلى غيرك يزرعها. فأما أرض العشر فانه لا يقال له فيها شىء إن زرع أخذت منه الصدقة، و إن أبى فهو أعلم، و قالوا: إذا عطل رجل أرضه سنتين ثم عمرها أدى خراجا واحدا و قال أبو شمر: يؤدى الخراج للسنتين.

و قال أبو حنيفة، و سفيان، و مالك، و ابن أبى ذئب، و أبو عمرو الأوزاعى: إذا أصابت الغلات آفة أو غرق سقط الخراج عن صاحبها و إذا كانت أرض من أراضى الخراج لعبد أو مكاتب او امرأة فإن أبا حنيفة قال عليها الخراج فقط، و قال سفيان، و بن أبى ذئب. و مالك: عليها الخراج و فيما بقى من الغلة العشر.

و قال أبو حنيفة، و الثورى فى أرض الخراج بنى مسلم أو ذمى فيها بناء من حوانيت أو غيرها أنه لا شىء عليه فإن جعلها بستانا ألزم الخراج و قال مالك و ابن أبى ذئب: نرى إلزامه الخراج لأن انتفاعه بالبناء كانتفاعه بالزرع فأما أرض العشر فهو أعلم ما اتخذ فيها. و قال أبو يوسف فى أرض موات من أرض العنوة يحييها المسلم إنها له و هى أرض خراج إن كانت تشرب من ماء الخراج فإن استنبط لها عينا أو سقاها من ماء السماء فهى أرض عشر، و قال بشر: هى أرض عشر شربت من ماء الخراج أو غيره. و قال أبو حنيفة. و الثورى

فتوح البلدان، ص: ۴۳۱

و أصحابهما و مالك، و بن أبى ذئب، و الليث بن سعد فى أرض الخراج التى لا تنسب إلى أحد تقعد المسلمون فيها فيتبايعون و يجعلونها سوقا أنه لا خراج عليهم فيها، و قال أبو يوسف: إذا كانت فى البلاد سنة أعجمية قديمة لم يغيره الإسلام و لم يبطلها فشكاها قوم إلى الإمام لما ينالهم من مضرتها فليس له أن يغيرها، و قال مالك، و الشافعى: يغيرها و إن قدمت لأن عليه نفى كل سنة جائرة سنها أحد من المسلمين فضلا عن ما سن أهل الكفر.

العطاء فى خلافة عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه

حدثنا عبد اللّه بن صالح بن مسلم العجلى، قال: حدثنا إسماعيل بن المجالد عن أبيه مجالد بن سعيد عن الشعبى قال: لما افتتح عمر العراق و الشام و جبى الخراج جمع أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فقال إنى قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله، فقالوا نعم رأيت الرأى يا أمير المؤمنين، قال:

فبمن أبدأ قالوا: بنفسك، قال لا و لكنى أضع نفسى حيث وضعها اللّه.

و أبدأ بآل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ففعل فكتب عائشة أم المؤمنين يرحمها اللّه فى اثنى عشر ألفا، و كتب سائر أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم فى عشرة آلاف، و فرض لعلى بن أبى طالب فى خمسة آلاف، و فرض مثل ذلك لمن شهد بدرا من بنى هاشم.

و حدثنى عبد الأعلى بن حماد النرسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الحجاج ابن أرطاة عن حبيب بن أبى ثابت أن أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم كن يتتابعن إلى العطاء، محمد بن سعد عن الواقدى عن عائذ بن يحيى عن أبى الحويرث عن جبير بن الحويرث بن نقيذ أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه استشار المسلمين فى تدوين الديوان، فقال له على بن أبى طالب: تقسم كل سنة

فتوح البلدان، ص: ۴۳۲

ما اجتمع إليك من مال و لا تمسك منه شيئا، و قال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس و أن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ حسبت أن ينتشر الأمر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا و جندوا جندا فدون

دیوانا و جند جندا، فأخذ بقوله فدعا عقیل ابن أبی طالب و مخرمة بن نوفل و جبیر بن مطعم، و کانوا من لسان قریش فقال: اکتبوا الناس علی منازلهم فبدءوا ببنی هاشم، اتبعوهم أبا بکر و قومه ثم عمر و قومه علی الخلافة، فلما نظر إلیه عمر، قال: وددت و اللّه أنه هکذا و لکن ابدءوا بقرابة النبی صلی اللّه علیه و سلم الأقرب فالأقرب حتی تضعوا عمر حیث وضعه اللّه تعالی، محمد عن الواقدی عن أسامة بن زید بن أسلم عن أبیه عن جده، قال: جاءت بنو عدی إلی عمر فقالوا: أنت خلیفة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و خلیفة أبی بکر، و أبو بکر خلیفة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فلو جعلت نفسک حیث جعلک هؤلاء القوم الذین کتبوا.

قال: بخ بخ بنی عدی أردتم الاکل علی ظهری و أن أهب حسناتی لکم: لا و اللّه حتی تأتیکم الدعوة، و أن یطبق علیکم الدفتر- یعنی و لو أن تکتبوا آخر الناس أن لی صاحبین سلکا طریقا فإن خالفتهما خولف أبی، و اللّه ما أدرکنا الفضل فی الدنیا و ما نرجو الثواب علی عملنا إلا بمحمد صلی اللّه علیه و سلم فهو شرفنا و قومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب، و اللّه لئن جاءت الأعاجم بعمل و جئنا بغیر عمل لهم أولی بمحمد منا یوم القیامة، فان من قصر به عمله لم یسرع به نسبه، محمد بن سعد عن الواقدی عن محمد ابن عبد اللّه عن الزهری عن سعید عن قوم آخرین سماهم الواقدی، دخل حدیث بعضهم فی حدیث بعض، قالوا: لما أجمع عمر علی تدوین الدیوان و ذلک فی المحرم سنة عشرین بدأ ببنی هاشم فی الدعوة، ثم الأقرب فالأقرب برسول اللّه

فتوح البلدان، ص: ۴۳۳

صلی اللّه علیه و سلم فکان القوم إذا استووا فی القرابة قدم أهل السابقة، ثم انتهی إلی الأنصار فقالوا بمن نبدأ فقال ابدءوا برهط سعد بن معاذ الأشهلی من الأوس ثم الأقرب فالأقرب لسعد، و فرض عمر لأهل الدیوان ففضل أهل السوابق و المشاهد فی الفرائض، و کان أبو بکر قد سوی بین الناس فی القسم فقیل لعمر فی ذلک، فقال: لا أجعل من قاتل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کمن قاتل معه، فبدأ بمن شهد بدرا من المهاجرین و الأنصار و فرض لکل رجل منهم خمسة آلاف درهم فی کل سنة حلیفهم و مولاهم معهم بالسواء، و فرض لمن کان له إسلام کاسلام أهل بدر و من مهاجرة الحبشة ممن شهد أحدا أربعة آلاف درهم لکل رجل، و فرض لأبناء البدریین ألفین ألفین إلا حسنا و حسینا فإنه ألحقهما بفریضة أبهما لقرابتهما برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، ففرض لکل واحد منهما خمسة آلاف، و فرض للعباس بن عبد المطلب خمسة آلاف لقرابته برسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و قال بعضهم:

فرض له سبعة آلاف درهم، و قال سائرهم لم یفضل أحدا علی أهل بدر إلا أزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم فإنه فرض لهن اثنی عشر ألفا اثنی عشر ألفا و ألحق بهن جویریة بنت الحارث و صفیة بنت حیی بن أخطب، و فرض لمن هاجر قبل الفتح لکل رجل منهم ثلاثة آلاف درهم و فرض لمسلمة الفتح لکل رجل منهم ألفین و فرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرین کفرائض مسلمة الفتح، و فرض لعمر بن أبی سلمة أربعة آلاف. فقال محمد بن عبد اللّه بن جحش: لم تفضل عمر علینا فقد هاجر آباؤنا و شهدوا بدرا. فقال عمر: أفضله لمکانه من النبی صلی اللّه علیه و سلم فلیأت الذی یستغیث بأم مثل أم سلمة أغیثه. و فرض لأسامة ابن زید أربعة آلاف. فقال عبد اللّه بن عمر: فرضت لی فی ثلاثة آلاف و فرضت لاسامة فی أربعة آلاف و قد شهدت ما لم یشهد أسامة. فقال عمر:

فتوح البلدان، ص: ۴۳۴

زدته لأنه کان أحب إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم منک، و کان أبوه أحب إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من أبیک، ثم فرض للناس علی منازلهم و قراءتهم القرآن و جهادهم، ثم جعل من بقی من الناس بابا واحدا، فالحق من جاءه من المسلمین بالمدینة فی خمسة و عشرین دینارا لکل رجل، و فرض لآخرین معهم، و فرض لأهل الیمن و قیس بالشام و العراق لکل رجل ما بین ألفین إلی ألف إلی تسعمائة إلی خمسمائة إلی ثلاثمائة و لم ینقص أحدا من ثلاثمائة و قال: لئن کثر المال لا فرض لکل رجل أربعة آلاف درهم ألفا لسفره و ألفا لسلاحه و ألفا یخلفه لأهله و ألفا لفرسه و نعله، و فرض لنساء مهاجرات فرض لصفیة بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم و لأسماء بنت عمیس ألف درهم و لأم کلثوم بنت عقبة ألف درهم، و لأم عبد اللّه بن مسعود ألف درهم.

و قال الواقدی: فقد روی أنه فرض للنساء المهاجرات ثلاثة آلاف درهم لکل واحدة، قال الواقدی فی إسناده: و أمر عمر فکتب له

عمال أهل العوالی، فکان یجری علیهم القوت، ثم کان عثمان فوسع علیهم فی القوت و الکسوة، و کان عمر یفرض للمنفوس مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتی درهم، فإذا بلغ زاده، و کان إذا أتی باللقیط فرض له مائة، و فرض له رزقا یأخذه ولیه کل شهر بقدر ما یصلحه ثم ینقله من سنة إلی سنة، و کان یوصی بهم خیرا و یجعل رضاعهم و نفقتهم من بیت المال.

و حدثنا محمد بن سعد عن الواقدی، قال حدثنی: حزام بن هشام الکعبی عن أبیه، قال: رأیت عمر بن الخطاب یحمل دیوان خزاعة حتی ینزل قدید فتأتیه بقدید فلا یغیب عنه امرأة بکر و لا ثیب فیعطیهن فی أیدیهن، ثم یروح فینزل عسفان فیفعل ذلک أیضا حتی توفی، محمد بن سعد عن الواقدی عن أبی بکر بن أبی سبرة عن محمد بن زید، قال: کان دیوان حمیر علی عهد عمر علی

فتوح البلدان، ص: ۴۳۵

حده، محمد بن سعد قال: حدثنا الواقدی، قال: حدثنی عبید اللّه بن عمر العمری عن جهم بن أبی جهم، قال قدم خالد بن عرفطة العذری علی عمر، فسأله عما وراءه، فقال: ترکتهم یسألون اللّه لک أن یزید فی عمرک من أعمارهم ما وطئ أحد القادسیة إلا و عطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة، و ما من مولود ذکرا کان أو أنثی إلا الحق فی مائة و جریبین فی کل شهر، قال عمر:

إنما هو حقهم و أنا أسعد بأدائه إلیهم لو کان من مال الخطاب ما أعطیتهموه، و لکن قد علمت أن فیه فضلا، فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنما فجعلها بسوادهم فإذا خرج عطاؤه ثانیة ابتاع الرأس و الرأسین فجعله فیها فإن بقی أحد من ولده کان لهم شیء قد اعتقدوه، فإنی لا أدری ما یکون بعدی، و إنی لأعم بنصیحتی من طوقنی اللّه أمره،

فإن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، قال: من مات غاشا لرعیته لم یرح ریح الجنة.

و حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن محمد بن عمرو عن الحسن، قال:

کتب عمر إلی حذیفة أن أعط الناس أعطیتهم و أرزاقهم، فکتب إلیه انا قد فعلنا و بقی شیء کثیر، فکتب إلیه: أنه فیئهم الذی أفاءه اللّه علیهم لیس هو لعمر و لا لآل عمر فأقسمه بینهم قال: و حدثنا وهب بن بقیة و محمد بن سعد، قالا: حدثنا یزید بن هارون، قال: أنبأنا محمد بن عمر عن أبی سلیمة عن أبی هریرة أنه قدم علی عمر من البحرین، قال: فلقیته فی صلاة العشاء الآخرة فسلمت علیه، فسألنی عن الناس، ثم قال لی: ما جئت به، قلت: جئت بخمسمائة ألف، قال: هل تدری ما تقول قلت:

جئت بخمسمائة ألف، قال: ما ذا تقول؟ قلت مائة ألف و مائة ألف، و مائة ألف، فعددت خمسا، فقال: أنک ناعس، فأرجع إلی أهلک فنم، فإذا أصبحت فأتنی، قال أبو هریرة فغدوت إلیه فقال ما جئت به قلت خمسمائة ألف، قال: أطیب؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذاک

فتوح البلدان، ص: ۴۳۶

فقال للناس: أنه علینا مال کثیر، فإن شئتم أن نعده لکم عددا، و إن شئتم أن نکیله لکم کیلا فقال له رجل. یا أمیر المؤمنین أنی قد رأیت هؤلاء الأعاجم یدونون دیوانا یعطون الناس علیه، قال: فدون الدیوان و فرض للمهاجرین الأولین فی خمسة آلاف، و للأنصار فی أربعة آلاف، و لأزواج النبی صلی اللّه علیه و سلم فی اثنی عشر ألفا.

قال یزید، قال محمد: فحدثنی ابن خصیفة عن عبد اللّه بن رافع عن برزة بنت رافع، قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلی زینب بنت جحش بالذی لها، فلما أدخل إلیها، قالت: غفر اللّه لعمر، غیری من أخواتی کانت أقوی علی قسم هذا منی، قالوا: هذا کله لک، قالت: سبحان اللّه و استترت منه بثوب، ثم قالت صبوه و اطرحوا علیه ثوبا. ثم قالت لی: ادخلی یدیک و اقبضی منه قبضة فاذهبی بها إلی بنی فلان و بنی فلان من ذوی رحمها و أیتام لها.

فقسمته حتی بقیت منه بقیة تحت الثوب. قالت برزة بنت رافع: فقلت غفر اللّه لک یا أم المؤمنین، و اللّه لقد کان لنا فی هذا المال حق، قالت فلکم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسمائة و ثمانین درهما، ثم رفعت یدها إلی السماء فقالت اللهم لا یدرکنی عطاء لعمر بعد عامی هذا، قال فماتت.

حدثنا أبو عبید، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن اللیث عن محمد بن عجلان، قال: لما دون عمر الدواوین. قال: بمن نبدأ قالوا:

بنفسک قال:

لا أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أما منا فبرهطه نبدأ ثم بالأقرب فالأقرب.

حدثنا عمرو الناقد. قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ألحق الحسن و الحسين بأبيهما ففرض لهما خمسة آلاف درهم و حدثنا الحسين بن على بن الأسود. قال: حدثنا وكيع عن سفيان الثورى عن جعفر بن محمد عن أبيه. قال: لما وضع عمر الديوان استشار

فتوح البلدان، ص: ۴۳۷

الناس بمن يبدأ، فقالوا: ابدأ بنفسک. قال لا و لكنى أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. فبدأ بهم.

حدثنا الحسين بن الأسود. قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى إسحاق عن مصعب بن أسعد: أن عمر فرض لأهل بدر فى ستة آلاف ستة آلاف. و فرض لأمهات المؤمنين فى عشرة آلاف عشرة آلاف.

و فضل عائشة بألفين لحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إياها. و فرض لصفية و جويرية فى ستة آلاف ستة آلاف. و فرض لنساء من المهاجرات فى ألف ألف. منهن أم عبد و هى أم عبد اللّه بن مسعود.

حدثنا الحسين. قال حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم. قال: فرض لأهل عمر بدر عربهم و مواليهم فى خمسة آلاف خمسة آلاف. و قال لأفضلنهم على من سواهم.

حدثنا الحسين. حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عامر. قال كان فيهم خمسة من العجم. منهم تميم الدارى. و بلال. قال وكيع. الدار من لحم و لكنى الشعبى قال هذا.

حدثنا الحسين. قال حدثنا وكيع عن سفيان عن الأسود بن قيس عن شيخ لهم. قال: سمعت عمر يقول لئن بقيت إلى قابل لألحقن سفلة المهاجرين فى ألفين ألفين.

و حدثنا أبو عبيد. قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح المصرى عن الليث بن سعد عن عبد الرحمن بن خالد الفهمى عن ابن شهاب: ان عمر حين دون الدواوين فرض لأزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم اللاتى نكح نكاحا اثنى عشر ألف درهم اثنى عشر ألف درهم. و فرض لجويرية و صفية بنت حيى بن أخطب ستة آلاف درهم ستة آلاف درهم. لأنهما كانتا مما أفاء اللّه على رسوله.

فتوح البلدان، ص: ۴۳۸

و فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا خمسة آلاف خمسة آلاف، و فرض للأنصار الذين شهدوا بدرا أربعة آلاف أربعة آلاف، و عم بفريضته كل صريح و حليف و مولى شهد بدرا فلم يفضل أحدا على أحد.

حدثنا عمرو الناقد و أبو عبيد، قال: حدثنا أحمد بن يونس عن أبى خيثمة قال: حدثنا أبو إسحاق عن مصعب بن سعد: أن عمر فرض لأهل بدر من المهاجرين و الأنصار ستة آلاف ستة آلاف، و فرض لنساء النبى صلى اللّه عليه و سلم عشرة آلاف عشرة آلاف، و فضل عليهن عائشة ففرض لها اثنى عشر ألف درهم، و فرض لجويرية و صفية ستة آلاف ستة آلاف، و فرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس، و أسماء بنت أبى بكر، و أم عبد اللّه بن مسعود ألفا ألفا.

حدثنا الحسين بن الأسود، قال حدثنا وكيع عن محمد بن قيس الأسدى قال: حدثنى والدتى أم الحكم أن عليا الحقها مائة من العطاء.

و حدثنا الحسين قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن الشيبانى عن يسير بن عمرو: أن سعدا فرض لمن قرأ القرآن فى ألفين ألفين، قال: فكتب إليه عمر لا تعط على القرآن أحدا.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب: أن عمر جعل عمرو بن العاصى فى مائتين لأنه أمير، و عمير بن وهب الجمحى فى مائتين، لصبره على الضيق، و بسر بن أبى أرطاة فى مائتين، لأنه صاحب فتح. و قال رب فتح قد فتحه اللّه على يده، فقال أبو عبيد: يعنى بهذا العدد الدنانير.

و قال أبو عبيد: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر كتب إلى عمرو بن العاصى أن افرض لمن بايع تحت الشجرة فى مائتين من العطاء، قال: يعنى مائتى دينار، و أبلغ ذلك لنفسك بأمارتك، و افرض لخارجة بن حذافة فى شرف العطاء لشجاعته.

فتوح البلدان، ص: ۴۳۹

و حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان: أن عمر فضل أسامة بن زيد على عبد اللّه بن عمر فلم يزل الناس لعبد اللّه حتى كلم عمر، فقال: أ تفضل على من ليس بأفضل منى؟ فرضت له فى ألفين ولى فى ألف و خمسمائة درهم! فقال عمر: فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من عمر، و أن أسامة كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من عبد اللّه بن عمر.

و حدثنى يحيى بن معين، قال. حدثنا يحيى بن سعيد عن خارجة بن مصعب عن عبيد اللّه بن عمر عن نافع أو غيره عن ابن عمر أنه كلم أباه فى تفضيل أسامة عليه فى العطاء، و قال: و اللّه ما سبقنى إلى شىء، فقال عمر: أن أباه كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من أبيك، و أنه كان أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم منك.

حدثنا محمد بن الصباح البزار: حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن، قال:

أن قوما قدموا على عامل لعمر بن الخطاب فأعطى العرب منهم و ترك الموالى فكتب إليه عمر: أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم و السلام.

حدثنا أبو عبيد حدثنا خالد بن عمرو عن إسرائيل عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد أن عمر جعل عطاء عمار بن ياسر ستة آلاف درهم.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا خالد عن إسرائيل عن إسماعيل بن سميع عن مسلم البطين: أن عمر جعل عطاء سلمان أربعة آلاف درهم.

و حدثنا روح بن عبد المؤمن، قال: حدثنى يعقوب عن حماد عن حميد عن أنس، قال: فرض عمر للهرمزان فى ألفى من العطاء.

حدثنى العمرى، قال حدثنى أبو عبد الرحمن الطائى عن المجالد عن الشعبى، قال: لما هم عمر بن الخطاب فى سنة عشرين بتدين الدواوين، دعا بمخرمة بن نوفل

فتوح البلدان، ص: ۴۴۰

و جبير بن مطعم، فأمرهما أن يكتبا الناس على منازلهم فكتبوا بنى هاشم، ثم اتبعوهم، أبا بكر و قومه، و عمر و قومه. فلما نظر عمر فى الكتاب، قال: وددت أتى فى القرابة برسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كذا ابدءوا بالأقرب فالأقرب، ثم ضعوا عمر بحيث وضعه اللّه، فشكر العباس بن عبد المطلب رحمه اللّه على ذلك و قال: وصلتك رحم، قال فلما وضع عمر الديوان، قال أبو سفيان بن حرب: أ ديوان مثل ديوان بنى الأصفر، أنك إن فرضت للناس اتكلوا على الديوان و تركوا التجارة، فقال عمر: لا بد من هذا فقد كثر فى المسلمين، قال: و فرض عمر لدهقان نهر الملك و لابن النخيرخان، و لخالد و جميل ابنى بصبهرى دهقان الفلاليج، و لبسطام بن نرسى دهقان بابل و خطرنية، و للرفيل دهقان العال، و الهرمزان، و لجفينة العبادى فى ألف ألف، و يقال أنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين.

و حدثنا أبو عبيد عن إسماعيل بن عياش عن أرطاة بن المنذر عن حكيم ابن عمير أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء الأجناد و من أعتقتم من الحمراء فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم و عليهم ما عليهم، و أن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فأجعلهم اسوتهم فى العطاء.

حدثنا هشام بن عمار عن بقية عن أبى بكر بن عبد اللّه بن أبى مريم عن أبيه عن أبى عبيدة أن رجالا- من أهل البادية سألوه أن يرزقهم، فقال و اللّه لا أرزقكم حتى أرزق أهل الحاضرة. و حدثنا أبو عبيدة قال حدثنا أبو اليمان، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال.

کتب عمر بن عبد العزیز إلی یزید بن حصین: أن مر للجند بالفریضة، و علیک بأهل الحاضرة.

حدثنا أبو عبید، قال: حدثنا سعید بن أبی مریم عن عبید اللّه بن عمر العمری عن نافع عن ابن عمر أن عمر کان لا یعطی أهل مکة عطاء و لا یضرب علیهم بعثا، و یقول: کذا و کذا.

فتوح البلدان، ص: ۴۴۱

حدثنا أبو عبید القاسم بن سلام: حدثنا عبد الرحمن بن مهدی عن شعبة عن عدی بن ثابت عن أبی حازم عن أبی هریرة، قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، «من ترک کلا فإلینا و من ترک مالا فلورثته»

حدثنی هشام بن عمار الدمشقی، قال، حدثنا الولید بن مسلم عن سلیمان بن أبی العاتکة و کلثوم بن زیاد، قال. حدثنی سلیمان بن حبیب أن عمر أرض لعیال المقاتلة و ذریتهم العشرات، قال. فأمضی عثمان و من بعده من الولاة ذلک و جعلوها موروثة یرثها ورثة المیت ممن لیس فی العطاء، حتی کان عمر بن عبد العزیز، قال سلیمان، فسألنی عن ذلک، فأخبرته بهذا فأنکر الوراثة، و قال اقطعها و أعم بالفریضة. فقلت. فإنی أتخوف أن یستن بک من بعدک فی قطع الوراثة و لا یستن بک فی عموم الفریضة، قال: صدقت و ترکهم.

حدثنی بکر بن الهیثم: حدثنا عبد اللّه بن صالح عن ابن لهیعة عن أبی قبیل، قال: کان عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه یفرض للمولود إذا ولد فی عشرة فإذا بلغ أن یفرض له ألحق بالفریضة، فلما کان معاویة فرض ذلک للفطیم، فلما کان عبد الملک بن مروان قطع ذلک کله إلا عمن شاء.

حدثنا عفان، قال: حدثنا یزید، قال أنبأنا یحیی بن المتوکل عن عبد اللّه ابن نافع عن ابن عمر أن عمر کان لا یفرض للمولود حتی یفطم، ثم نادی مناده لا تعجلوا أولادکم عن الفطام فانا نفرض لکل مولود فی الإسلام. و حدثنا عمرو الناقد، قال حدثنا أحمد بن یونس عن زهیر بن معاویة عن أبی إسحاق أن جده مر علی عثمان. فقال له: کم معک من عیالک یا شیخ؟ قال، معی کذا، قال قد فرضنا لک و فرضنا لعیالک مائة مائة.

حدثنا أبو عبید. قال، حدثنا مروان بن شجاع الجزری، قال، أثبتنی عمر بن عبد العزیز و أنا فطیم فی عشرة دنانیر. حدثنا ابراهیم بن محمد الشامی،

فتوح البلدان، ص: ۴۴۲

قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدی عن سفیان الثوری عن أبی الجحاف عن رجل من خثعم، قال ولد لی فأتیت به علیا فأثبته فی مائة.

حدثنی عمرو الناقد، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدی عن سفیان عن عبد اللّه بن شریک عن بشر بن غالب، قال سئل الحسین بن علی أو قال الحسن بن علی شک عمرو متی یجب سهم المولود؟ قال إذا استهل.

حدثنی عمرو الناقد، قال. حدثنا سفیان بن عیینة عن عمرو بن دینار عن الحسن بن محمد أن ثلاثة مملوکین لبنی عفان شهدوا بدرا، فکان عمر یعطی کل انسان منهم کل سنة ثلاثة آلاف درهم. حدثنا أبو عبید قال حدثنا ابن أبی عدی عن سفیان عن زهیر بن ثابت أو ابن ابی ذئب عن ذهل بن أوس:

ان علیا أتی بمنبوذ فأثبته فی مائة.

و حدثنی عمرو و القاسم بن سلام قالا حدثنا أحمد بن یونس عن زهیر و حدثنی عبد اللّه صالح المقری عن زهیر بن معاویة قال حدثنا أبی إسحاق عن حارثة بن المضرب أن عمر بن الخطاب أمر بجریب من طعام فعجن ثم خبز ثم برد بزیت، ثم دعا بثلاثین رجلا فأکلوا منه غداءهم حتی أصدرهم، ثم فعل بالعشی مثل ذلک، فقال یکفی الرجل جریبان کل شهر، فکان یرزق الناس الرجل و المرأة و المملوک جریبین کل شهر، قال عبد اللّه بن صالح أن الرجل کان یدعو علی صاحبه فیقول رفع اللّه جریبیک أی قطعهما عنک بالموت، فبقی ذلک فی ألسن الناس إلی الیوم.

حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنى أبو اليمان عن صفوان بن عمر عن أبى الزاهرية أن أبا الدرداء، قال رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر فى أمة محمد صلى اللّه عليه و سلم منها المديان و القسطان. حدثنا أبو عبيدة، قال حدثنا سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة عن قيس بن رافع أنه سمع سفيان بن وهب

فتوح البلدان، ص: ۴۴۳

يقول قال عمرو أخذ المدى بيد و القسط بيد: أنى قد فرضت لكل نفس مسلمة فى كل شهر مديى حنطة و قسطى زيت و قسطى خل، فقال رجل:

و العبد، قال: نعم و العبد.

حدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثنى تميم ابن عطية، قال: حدثنى عبد اللّه بن قيس: أن عمر بن الخطاب صعد المنبر، فحمد اللّه و اثنى عليه، ثم قال: أنا أجرينا عليكم أعطياتكم و أرزاقكم فى كل شهر و فى يديه المدى و القسط، قال: فحركهما، و قال: فمن انتقصهم فعل اللّه به كذا و كذا و دعا عليه حدثنا أبو عبيد، قال: حدثنا ابن أبى زائدة عن معقل بن عبيد اللّه عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا استوجب الرجل عطاءه ثم مات أعطاه ورثته.

حدثنا عفان و خلف البزار و وهب بن بقية، قالوا: أنبأنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم، قال: قال الزبير بن العوام لعثمان بن عفان رضى اللّه عنهما بعد موت عبد اللّه بن معسود: أعطنى عطاء عبد اللّه فعياله أحق به من بيت المال فأعطاه خمسة عشر ألفا قال يزيد قال إسماعيل: و كان الزبير وصى بن مسعود.

و حدثنى بن أبى شيبة، قال: حدثنا عبيد اللّه بن موسى عن على بن صالح بن حى عن سماك بن حرب. أن رجلا مات فى الحى بعد ثمانية أشهر مضت من السنة فأعطاه عمر ثلثى عطائه.

امر الخاتم

حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا شعبة، قال: أنبانا قتادة قال:

سمعت أنس بن مالك يقول: لما أراد رسول اللّه عليه و سلم أن يكتب إلى ملك الروم قيل له أنهم لا يقرءون الكتاب إلا أن يكون مختوما، قال:

فتوح البلدان، ص: ۴۴۴

فاتخذ خاتما من فضة، فكأنى أنظر إلى بياضه فى يده و نقش عليه محمد رسول اللّه.

حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود الزهرانى، قال: حدثنا حماد بن زيد قال أنبانا أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم اتخذ خاتما من فضة و جعل فصه من باطن كفه. حدثنى محمد بن حبان الحيانى قال: حدثنا زهير عن حميد عن أنس بن مالك، قال: كان خاتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من فضة كله و فصه منه. حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حميد عن الحسن، قال: كان خاتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من ورق و كان فصه حبشيا.

حدثنا هدبة خالد، قال، حدثنا همام بن يحيى عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم، قال، قد صنعت خاتما فلا ينقشن أحد على نقشه،

حدثنا بكر بن الهيثم، قال، حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى و قتادة، قالا، اتخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خاتما من فضة و نقش عليه محمد رسول اللّه، فكان أبو بكر يختم به ثم عمر ثم عثمان، و كان فى يده فسقط من يده فى البئر فنزفت فلم يقدر عليه، و ذلك فى النصف من خلافته، فاتخذ خاتما و نقش عليه محمد رسول اللّه فى ثلاثة أسطر، قال قتادة و خربة.

حدثنا هناد، قال: حدثنا الأسود بن شيبان، قال: أخبرنا خالد بن سمير قال: انقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة فأصاب

مالا- من خراج الكوفة على عهد عمر، فبلغ ذلك عمر، فكتب إلى المغيرة بن شعبة أنه بلغنى أن رجلا يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب به مالا من خراج الكوفة، فإذا أتاك كتابى هذا فنفذ فيه امرى و أطع رسولى فلما صلى المغيرة العصر و أخذ الناس مجالسهم خرج و معه رسول عمر فاشرأب

فتوح البلدان، ص: ۴۴۵

الناس ينظرون إليه حتى وقف على معن ثم قال للرسول: أن أمير المؤمنين أمرنى أن أطيع أمرك فيه فمرنى بما شئت، فقال الرسول أدع لى بجامعة أعلقها فى عنقه فأتى بجامعة فجعلها فى عنقه و جبذها جبذا شديدا، ثم قال للمغيرة أحبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين ففعل، و كان السجن يومئذ من قصب فتمحل معن للخروج و بعث إلى أهله أن ابعثوا لى بناقتى و جاريتى و عباءتى القطوانية ففعلوا فخرج من الليل و أردف جاريته، فسار حتى إذا رهب أن يفضحه الصبح أناخ ناقته و علقها، ثم كمن حتى كف عنه الطلب.

فلما أمسى أعاد على ناقته العباءة و شد عليها و أردف جاريته، ثم سار حتى قدم على عمر و هو موقظ المتهجدين لصلاة الصبح و معه درته، فجعل ناقته و جاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال. السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة اللّه و بركاته، فقال: و عليك. من أنت؟ قال: معن بن زائده جئتك تائبا، قال: أبت فلا يحيك اللّه، فلما صلى صلاة الصبح، قال للناس:

مكانكم، فلما طلعت الشمس، قال: هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالا من خراج الكوفة فما تقولون فيه، فقال قائل:

اقطع يده، و قال قائل: أصلبه و على ساكت فقال له عمر: ما تقول أبا الحسن قال: يا أمير المؤمنين رجل كذب كذبة عقوبته فى بشره فضربه عمر ضربا شديدا- أو قال مبرحا- و حبسه فكان فى الحبس ما شاء اللّه ثم أنه أرسل إلى صديق له من قريش أن كلم أمير المؤمنين فى تخلية سبيلى، فكلمه القرشى، فقال يا أمير المؤمنين معن بن زائدة قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلا، فإن رأيت أن تخلى سبيله، فقال عمر: ذكرتنى الطعن و كنت ناسيا، على بمعن فضربه ثم أمر به إلى السجن فبعث معن إلى كل صديق له: لا تذكرونى لأمير المؤمنين، فلبث محبوسا ما شاء اللّه ثم أن

فتوح البلدان، ص: ۴۴۶

عمر انتبه له، فقال: معن فأتى به فقاسمه و خلى سبيله.

حدثنى المفضل اليشكرى و أبو الحسن المدائنى عن بن جابان عن بن المقفع قال: كان ملك الفرس إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه و له خادم يثبت ذكره عنده فى تذكرة تجمع لكل شهر فيختم عليها الملك خاتمه و تخزن ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام و إليه الختم فينفذه إلى صاحب العمل فيكتب به كتابا من الملك و ينسخ فى الأصل ثم ينفذ إلى صاحب الزمام فيعرضه على الملك فيقابل به ما فى التذكرة ثم يختم بحضرة الملك أو أوثق الناس عنده.

و حدثنى المدائنى عن مسلمه بن محارب، قال كان زياد بن أبى سفيان أول من اتخذ من العرب ديوان زمام و حاتم امتثالا لما كانت الفرس تفعله.

حدثنى مفضل اليشكرى، قال: حدثنى بن جابان عن بن المقفع، قال كان لملك من ملوك فارس خاتم للسر، و خاتم للرسل، و خاتم للتخليد يختم به السجلات و الاقطاعات و ما أشبه ذلك من كتب الشريف، و خاتم للخراج فكان صاحب الزمام يليها، و ربما أفرد بخاتم السر و الرسائل رجل من خاصة الملك.

و حدثنى أبو الحسن المدائنى عن ابن جابان عن بن المقفع، قال:

كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملك و هى يومئذ تكتب فى صحف بيض و كان صاحب الخراج يأتى الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبى من الخراج و ما أنفق فى وجوه النفقات، و ما حصل فى بيت المال فيختمها و يجريها، فلما كان كسرى بن هرمز ابرويز تأذى بروائح تلك الصحف و أمر أن لا يرفع إليه صاحب ديوان خراجه ما يرفع إلا فى صحف مصفرة

بالزعفران و ماء الورد و أن لا تكتب الصحف التى تعرض عليه بحمل المال و غير ذلك إلا مصفرة ففعل ذلك، فلما ولى صالح بن

فتوح البلدان، ص: ۴۴۷

عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة، و يقال بالبهقباذ فحمل مالا فكتب رسالته فى جلد و صفرها فضحك صالح، و قال أنكرت أن يأتى بها غيره يقول لعلمه بأمور العجم.

قال أبو الحسن، و أخبرنى مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت فى قراطيس، و كذلك الكتب إلى ملوك بنى أمية فى حمل المال و غير ذلك، فلما ولى أمير المؤمنين المنصور أمر وزيره أبا أيوب الموريانى أن يكتب الرسائل بحمل الأموال فى صحف، و أن تصفر الصحف، فجرى الأمر على ذلك.

أمر النقود

حدثنا الحسين بن الأسود، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنى الحسن بن صالح، قال: كانت الدراهم من ضرب الأعاجم مختلفة كبارا و صغارا فكانوا يضربون منها مثقالا و هو وزن عشرين قيراطا و يضربون منها وزن اثنى عشر قيراطا و يضربون عشرة قراريط و هى أنصاف المثاقيل فلما جاء اللّه بالإسلام و احتيج فى أداء الزكاة إلى الأمر الواسط فأخذوا عشرين قيراطا و اثنى عشر قيراطا و عشرة قراريط فوجدوا ذلك اثنين و أربعين قيراطا، فضربوا على وزن الثلث من ذلك و هو أربعة عشر قيراطا فوزن الدرهم العربى أربعة عشر قيراطا من قراريط الدينار العزيز، فصار وزن كل عشرة دراهم سبع مثاقيل و ذلك مائة و أربعون قيراطا وزن سبعة.

و قال غير الحسن بن صالح: كانت دراهم الأعاجم ما العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، و ما العشرة منها وزن ستة مثاقيل، و ما العشرة منها وزن خمسة مثاقيل فجمع ذلك فوجد إحدى و عشرين مثقالا فأخذ ثلثه و هو سبعة مثاقيل فضربوا دارهم وزن العشرة منها سبعة مثاقيل القولان ترجع إلى شىء واحد، و حدثنى محمد

فتوح البلدان، ص: ۴۴۸

ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلمى، قال: حدثنا عثمان بن عبد اللّه ابن موهب عن أبيه عن عبد اللّه بن ثعلبة بن صعير، قال: كانت دنانير هرقل ترد على أهل مكة فى الجاهلية و ترد عليهم دراهم الفرس البغلية، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر و كان المثقال عندهم، معروف الوزن وزنه اثنان و عشرون قيراطا إلا كسرا، و وزن العشرة الدراهم سبعة مثاقيل فكان الرطل اثنى عشر أوقية و كل أوقية أربعين درهما، فأقر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذلك و أقره أبو بكر و عمر و عثمان و على فكان معاوية فأقر ذلك على حاله ثم ضرب مصعب بن الزبير فى أيام عبد اللّه بن الزبير دراهم قليلة كسرت بعد فلما ولى عبد الملك بن مروان سأل و فحص عن أمر الدراهم و الدنانير فكتب إلى الحجاج بن يوسف أن يضرب الدراهم على خمسة عشر قيراطا من قراريط الدنانير، و ضرب هو الدنانير الدمشقية، قال عثمان قال أبى: فقدمت المدينة و بها نفر من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و غيرهم من التابعين فلم ينكروا ذلك قال محمد بن سعد: وزن الدرهم من دراهمنا هذه أربعة عشر قيطا من قراريط مثقالنا الذى جعل عشرين قيراطا و هو وزن خمسة عشر قيراطا من إحدى و عشرين قيراطا و ثلاثة أسباع.

حدثنى محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر، قال حدثنى اسحاق بن حازم عن المطلب بن السائب عن أبى وداعة السهمى أنه أراه وزن المثقال، قال فوزنته فوجدته وزن مثقال عبد الملك بن مروان، قال هذا كان عند أبى وداعة بن ضبيرة السهمى فى الجاهلية.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنا الواقدى عن سعيد بن مسلم بن بابك عن عبد الرحمن بن سابط الجمحى، قال: كانت لقريش أوزان فى الجاهلية فدخل الإسلام فأقرت على ما كانت عليه، كانت قريش تزن الفضة بوزن

فتوح البلدان، ص: ۴۴۹

تسميه درهما و تزن الذهب بوزن تسميه دينارا فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير، و كان لهم وزن الشعيرة و هو واحد

من الستين من وزن الدرهم، و كانت لهم الأوقية وزن أربعين درهما و النش وزن عشرين درهما، و كانت لهم النواة و هى وزن خمسة دراهم فكانوا يتبايعون بالتبر على هذه الأوزان، فلما قدم صلى اللّه عليه و سلم مكة أقرهم على ذلك.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى، قال حدثنى ربيعة عن عثمان عن وهب ابن كيسان، قال رأيت الدنانير و الدراهم قبل أن ينقشها عبد الملك ممسوحة و هى وزن الدنانير التى ضربها عبد الملك.

و حدثنى محمد بن سعد عن الواقدى عن عثمان بن عبد اللّه بن موهب عن أبيه، قال: قلت لسعيد بن المسيب: من أول من ضرب الدنانير المنقوشة، فقال عبد الملك بن مروان، و كانت الدنانير ترد رومية و الدراهم كسروية فى الجاهلية.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن أبيه أن أول من ضرب وزن سبعة الحارث بن عبد اللّه بن أبى ربيعة المخزومى أيام ابن الزبير.

و حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى محمد بن عمر، قال: حدثنا ابن أبى الزناد عن أبيه: أن عبد الملك أول من ضرب الذهب عام الجماعة سنة أربع و سبعين قال أبو الحسن المدائنى: ضرب الحجاج الدراهم آخر سنة خمس و سبعين ثم أمر بضربها فى جميع النواحى سنة ست و سبعين.

و حدثنى داود الناقد، قال: سمعت مشايخنا يحدثون أن العباد من أهل الحيرة كانوا يتروجون على مائة وزن ستة يريدون وزن ستين مثقالا دراهم و على مائه وزن ثمانية يريدون ثمانين مثقالا دراهم و على مائة وزن خمسة يريدون وزن خمسين مثقالا دراهم و على مائة وزن مائة مثقال، قال داود

فتوح البلدان، ص: ۴۵۰

الناقد: رأيت درهما عليه ضرب هذه الدراهم بالكوفة سنة ثلاث و سبعين فأجمع النقاد أنه معمول، و قال رأيت درهما شاذا لم ير مثله عليه عبيد اللّه ابن زياد فأنكر أيضا.

حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى الواقدى عن يحيى بن النعمان الغفارى عن أبيه، قال: ضرب مصعب الدراهم بأمر عبد اللّه بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة و عليها بركة و عليها اللّه، فلما كان الحجاج غيرها. و روى عن هشام بن الكلبى أنه، قال: ضرب مصعب مع الدراهم دنانير أيضا.

حدثنى داود الناقد، قال: حدثنى أبو الزبير الناقد، قال: ضرب عبد الملك شيئا من الدنانير فى سنة أربع و سبعين ثم ضربها سنة خمس و سبعين و أن الحجاج ضرب دراهم بغلية كتب عليها بسم اللّه الحجاج، ثم كتب عليها بعد سنة اللّه أحد اللّه الصمد، فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهة، قال:

و يقال: أن الأعاجم كرهوا نقصانها فسميت مكروهة، قال: و سميت السميرية بأول من ضربها و اسمه سمير.

حدثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه، قال: حدثنى عوانة بن الحكم أن الحجاج سأل عما كانت الفرس تعمل به فى ضرب الدراهم فاتخذ دار ضرب و جمع فيها الطباعين، فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من التبر و خلاصة الزيوف و الستوقة و البهرجة، ثم أذن للتجار و غيرهم فى أن تضرب لهم الأوراق و استغلها من فضول ما كان يؤخذ من فضول الأجرة للصناع و الطباعين و ختم أيدى الطباعين، فلما ولى عمر بن هبيرة العراق ليزيد بن عبد الملك خلص الفضة أبلغ من تخليص من قبله وجود الدراهم فاشتد فى الغيار، ثم ولى خالد بن عبد اللّه البجلى، ثم القسرى العراق لهشام بن عبد الملك فاشتد فى النقود أكثر من شدة ابن هبيرة حتى أحكم أمرها أبلغ من أحكامه، ثم ولى يوسف ابن عمر بعده فأفرط فى الشدة على الطباعين و أصحاب

فتوح البلدان، ص: ۴۵۱

الغيار و قطع الأيدى و ضرب الأبشار، فكانت الهبيرية، و الخالدية، و اليوسفية: أجود نقود بنى أمية، و لم يكن المنصور يقبل فى الخراج من نقود بنى أمية غيرها فسميت الدراهم الأولى المكروهة.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن بن أبی الزناد عن أبیه: أن عبد الملک بن مروان أول من ضرب الذهب و الورق بعد عام الجماعة، قال فقلت لأبی: أ رأیت قول الناس أن ابن مسعود کان یأمر بکسر الزیوف، قال تلک زیوف ضربها الأعاجم فغشوا فیها.

حدثنی عبد الأعلی بن حماد النرسی، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال:

حدثنا داود بن أبی هند عن الشعبی عن علقمة بن قیس أن ابن مسعود کانت له بقایة فی بیت المال فباعها بنقصان، فنهاه عمر بن الخطاب عن ذلک، فکان یدینها بعد ذلک.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن قدامة بن موسی أن عمر و عثمان کانا إذا وجدا الزیوف فی بیت المال جعلاها فضة.

حدثنی الولید بن صالح عن الواقدی عن ابن أبی الزناد عن أبیه أن عمر بن عبد العزیز أتی برجل یضرب علی غیر سکة السلطان فعاقبه و سجنه و أخذ حدیده فطرحه فی النار.

حدثنی محمد بن سعد عن الواقدی عن کثیر بن زید عن المطلب بن عبد اللّه بن حنطب أن عبد الملک بن مروان أخذ رجلا یضرب علی غیر سکة المسلمین فأراد قطع یده ثم ترک ذلک و عاقبه. قال المطلب: فرأیت من بالمدینة من شیوخنا حسنوا ذلک من فعله و حمدوه. قال الواقدی و أصحابنا یرون فیمن نقش علی خاتم الخلافة المبالغة فی الأدب و الشهرة، و أن لا یرون علیه قطعا و ذلک رأی أبی حنیفة و الثوری، و قال مالک، و ابن أبی ذئب،

فتوح البلدان، ص: ۴۵۲

و أصحابهما: نکره قطع الدرهم إذا کانت علی الوفاء و ننهی عنه لأنه من الفساد، و قال الثوری، و أبو حنیفة و أصحابه لا بأس بقطعها إذا لم یضر ذلک بالإسلام و أهله.

حدثنی عمرو الناقد، قال: حدثنا إسماعیل بن ابراهیم عن ابن عون عن ابن سیرین أن مروان بن الحکم أخذ رجلا بقطع الدراهم فقطع یده فبلغ ذلک زید بن ثابت، فقال لقد عاقبه، قال إسماعیل یعنی دراهم فارس.

قال محمد بن سعد، و قال الواقدی: عاقب أبان بن عثمان و هو علی المدینة من یقطع الدراهم ضربة ثلاثین و طاف به و هذا عندنا فیمن قطعها و دس فیها المفرغة و الزیوف.

و حدثنی محمد عن الواقدی عن صالح بن جعفر عن ابن کعب فی قوله (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشؤُا) قال: قطع الدراهم.

حدثنا محمد بن خالد بن عبد اللّه، قال: حدثنا یزید بن هارون، قال:

أنبأنا یحیی بن سعید، قال: ذکر لابن المسیب رجل یقطع الدراهم، فقال سعید: هذا من الفساد فی الأرض.

حدثنا عمرو الناقد، قال: حدثنا إسماعیل بن ابراهیم، قال: حدثنا یونس بن عبید عن الحسن، قال کان الناس و هم أهل کفر قد عرفوا موضع هذا الدرهم من الناس فجودوه و أخلصوه، فلما صار إلیکم غششتموه و أفسدتموه. و لقد کان عمر بن الخطاب قال: هممت أن أجعل الدراهم من جلود الإبل فقیل له إذا لا بعیر فأمسک.

أمر الخط

حدثنی عباس بن هشام بن محمد السائب الکلبی عن أبیه عن جده و عن الشرقی بن القطامی، قال: اجتمع ثلاثة نفر من طیء ببقة، و هم مرامر بن مرة

فتوح البلدان، ص: ۴۵۳

و أسلم بن سدرة، و عامر بن جدرة فوضعوا الخط و قاسوا هجاء العربیة علی هجاء السریانیة، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار، ثم تعلمه أهل الحیرة من أهل الأنبار، و کان بشر بن عبد الملک أخو أکیدر بن عبد الملک بن عبد الجن الکندی ثم السکونی صاحب دومة الجندل یأتی الحیرة فیقیم بها الحین، و کان نصرانیا فتعلم بشر الخط العربی من أهل الحیرة، ثم أتی مکة فی بعض شأنه فرآه سفیان بن

أمیـة بن عبـد شـمس، و أبو قیس بن عبـد منـاف بن زهرة بن کلاب یکتب فسألاه أن یعلمهما الخط فعلمهما الهجاء، ثم أراهما الخط، فکتبا، ثم ان بشـرا و سـفیان و أبا قیس أتوا الطائف فی تجارة فصـحبهم غیلان بن سلمة الثقفی فتعلم الخط منهم و فارقهم بشر و مضی إلی دیار مضـر، فتعلم الخط منه عمرو بن زرارة ابن عدس فسـمی عمرو الکاتب، ثم أتی بشر الشام فتعلم الخط منه ناس هناک و تعلم الخـط من الثلاثـة الطـائیین أیضا رجل من طابخـة کلب فعلمه رجلا من أهل وادی القری فأتی الوادی یتردد فأقام بها و علم الخط قوما من أهلها.

و حـدثنی الولیـد بن صالـح و محمد بن سـعد، قالا: حدثنا محمد بن عمر الواقدی عن خالد بن الیاس عن أبی بکر بن عبد اللّه بن أبی جهم العدوی قال: دخل الإسـلام و فی قریش سـبعة عشر رجلا کلهم یکتب عمر بن الخطاب و علی بن أبی طالب، و عثمان بن عفان، و أبـو عبیـدة بن الجراح، و طلحـة و یزیـد ابن أبی سـفیان، و أبـو حذیفـة بن عتبـة بن ربیعـة، و حـاطب بن عمرو أخو سـهیل بن عمرو العامری عن قریش، و أبو سـلمة بن عبد الأسد المخزومی، و أبان بن سـعید بن العاصـی بن أمیة، و خالد بن سعید أخوه، و عبد اللّه بن سعـد بن أبی سرح العامری، و حویطب بن عبـد العزی العامری و أبو سـفیان ابن حرب بن أمیـة، و معاویة بن أبی سـفیان، و جهیم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، و من حلفاء قریش العلاء بن الحضرمی.

فتوح البلدان، ص: ۴۵۴

و حـدثنی بکر بن الهیثم، قال: حـدثنا عبـد الرزاق عن معمر عن الزهری عن عبیـد اللّه بن عبـد اللّه بن عقبـة أن النبی صـلی اللّه علیه و سلم، قال للشـفاء بنت عبـد اللّه العدویـة من رهط عمر بن الخطاب: ألا تعلمین حفصـة رقنـة النملة کما علمتها الکتابة، و کانت الشـفاء کاتبة فی الجاهلیة.

و حـدثنی الولیـد بن صالـح عن الواقـدی عن أسامة بن زید عن عبد الرحمن ابن سـعد، قال کانت حفصة زوج النبی صـلی اللّه علیه و سلم تکتب. و حـدثنی الولید عن الواقدی عن بن أبی سبرة عن علقمة بن أبی علقمة عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان أن أم کلثوم بنت عقبة کانت تکتب.

و حدثنی الولید عن الواقدی عن فروة عن عائشة بنت سعد أنها قالت علمنی أبی الکتاب. و حدثنی الولید عن الواقدی عن موسـی بن یعقوب عن عمته عن أمها کریمة بنت المقداد أنها کانت تکتب.

حـدثنی الولیـد عن الواقـدی عن ابن أبی سبرة عن ابن عون عن ابن میاح عن عائشـة أنها کانت تقرأ المصـحف و لا تکتب. و حدثنی الولید عن الواقدی عن عبد اللّه بن یزید الهذلی عن سالم سبلان عن أم سلمة أنها کانت تقرأ و لا تکتب.

و حدثنی الولید و محمد بن سعد عن الواقدی عن أشیاخه. قالوا: أول من کتب لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مقدمه المدینة أبی بن کعب الأنصاری و هو أول من کتب فی آخر الکتاب و کتب فلان، فکان إذا لم یحضـر دعا رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم زیـد بن ثابت الأنصاری فکتب له فکان أبی و زید یکتبان الوحی بین یدیه و کتبه إلی من یکاتب من الناس و ما یقطع و غیر ذلک.

قال الواقدی: و أول من کتب له من قریش عبد اللّه بن سعد بن أبی

فتوح البلدان، ص: ۴۵۵

سرح، ثم ارتـد و رجع إلی مکة و قال لقریش أنا آتی بمثل ما یأتی به محمد، و کان یملّ علیه «الظالمین» فیکتب «الکافرین» یملّ علیه «سـمیع علیم» فیکتب «غفور رحیم» و أشباه ذلـک، فـأنزل اللّه (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَـذِباً أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَ لَمْ یُوحَ إِلَیْهِ شَیْءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ) فلما کان یوم فتح مکة أمر رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم بقتله فکلمه فیه عثمان بن عفان و قال أخی من الرضاع و قـد أسـلم فأمر رسول اللّه صـلی اللّه علیه و سـلم بترکه، و ولاه عثمان مصـر فکتب لرسول اللّه صـلی اللّه علیه و سلم عثمـان بن عفـان و شـرحبیل بن حسـنة الطابخی من خنـدف حلیف قریش و یقال بل هو کنـدی، و کتب له جهیم بن الصـلت بن مخزمة، و خالد بن سـعید و أبان ابن سـعید بن العاصـی و العلاء بن الحضـرمی، فلما کان عام الفتح: أسلم معاویة کتب له أیضا و دعاه

يوما و هو يأكل فأبطأ فقال: لا أشبع اللّه بطنه فكان يقول لحقتنى دعوة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كان يأكل فى اليوم سبع كلات و أكثر و أقل.

و قال الواقدى و غيره. كتب حنظلة بن الربيع بن رباح الأسيدى من بنى تيم بين يدى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مرة فسمى حنظلة الكاتب و قال الواقدى: كان الكتاب بالعربية فى الأوس و الخزرج قليلا و كان بعض اليهود قد علم كتاب العربية، و كان تعلمه الصبيان بالمدينة فى الزمن الأول فجاء الإسلام و فى الأوس و الخزرج عدة يكتبون و هم سعد بن عبادة بن دليم و المنذر بن عمرو و أبى بن كعب و زيد بن ثابت، فكان يكتب العربية و العبرانية و رافع بن مالك و أسيد بن حضير و معن بن عدى البلوى حليف الأنصار و بشير بن سعد و سعد بن الربيع و أوس بن خولى و عبد اللّه بن أبى المنافق.

قال: فكان الكلمة منهم و الكامل من يجمع إلى الكتاب الرمى و العوم، رافع ابن مالك و سعد بن عبادة و أسيد بن حضير و عبد اللّه بن أبى و أوس بن خولى

فتوح البلدان، ص: ۴۵۶

و كان من جمع هذه الأشياء فى الجاهلية من أهل يثرب سويد بن الصامت و حضير الكتائب.

قال الواقدى، و كان جفينة العبادى من أهل الحيرة نصرانيا ظئرا لسعد ابن أبى وقاص فاتهمه عبيد اللّه بن عمر بمشايعة أبى لؤلؤة على قتل أبيه فقتله و قتل ابنيه.

حدثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد أن أباه زيد بن ثابت، قال: أمرنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أن أتعلم له كتاب يهود و قال لى أنى لا آمن يهودا على كتابى فلم يمر بى نصف حتى تعلمته فكنت أكتب له إلى يهود، و إذا كتبوا إليه قرأت كتابهم.

تم كتاب

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت

–عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹